

ل. د. ديل يورت

بلاد ما بين النهرين



ترجمة: محمد كمال

مراجعة: د. عبد المنعم أبو بك

بلاد ما بين النهرين
الحضارتان البابلية والآشورية

الألف كتاب الثاني

الإشراف العام

د سمير سرحان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

عزت عبدالعزيز

الإخراج الفني

محسنة عطية

بلاد ما بين النهرين الحضارتان البابلية والآشورية

تأليف
ل . د ديلاپورت

ترجمة
محرم كمال

مراجعة
د . عبد المنعم أبوبكر

الطبعة الثانية



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٧

هذه هي الترجمة العربية الكاملة للكتاب :

LA MESOPOTAMIE

تأليف

ل . ديلايورت

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
الجزء الأول	
الحضارة البابلية	
الكتاب الأول : الحقائق التاريخية	
الفصل الأول : البلاد ومواردها	١٧
الفصل الثاني : السكان والأسرات	٢٢
الكتاب الثاني : النظم	
الفصل الأول : الدولة والعائلة	٦٨
الفصل الثاني : التشريع	٩٥
الفصل الثالث : النظام الاقتصادي	١٠٦
الكتاب الثالث : المعتقدات والحرف	
الفصل الأول : الدين	١٣٨
الفصل الثاني : الفنون	١٧٣
الفصل الثالث : الآداب والعلوم	١٩٨
الجزء الثاني	
الحضارة الآشورية	
الكتاب الأول : الحقائق التاريخية	
الكتاب الثاني : النظم	
الفصل الأول : الدولة والأسرة	٢٧٨
الفصل الثاني : التشريع	٢٩٨
الفصل الثالث : النظام الاقتصادي	٣٠١

مقدمة

ان المصادر التي نستمد منها معلوماتنا عن الحضارتين البابلية والآشورية - اللتين ازدهرتا في سهول دجلة والفرات ، قبل العصر المسيحي ، - تكاد تكون مقصورة على النقوش والآثار الخاصة بهاتين الحضارتين . ويرجع الفضل الى بوتا Botta ، قبصل فرنسا بالموصل ، في البدء بعمل حفائر منظمة بغية الكشف عن آثار امبراطورية آشور القديمة ، فهو الذي كشف في عام ١٨٤٢ م في جهة خورساباد Khorsabad عن مدينة دور شاروكين Dour-Sharrookin التي شاهدها سرجون Sargon في اواخر القرن الثامن قبل الميلاد . ولم يمض على ذلك زمن طويل حتى استأنف الانجليزى لايارد Layard طائفة من الأعمال التي كان بوتا قد تركها فكشف عن اطلال نينوي القديمة وفيها المكتبة الهامة للملك آشور بانيبال ، Assurbanipal (القرن السابع) . وليس يدخل ضمن نطاق بحثنا سرد جميع الأبحاث التي أجريت بعد هذا البدء السعيد والتي اشترك فيها علماء آثار فرنسيون وانجليز وألمان وأمريكيون (١) بيد أننا لانستطيع أن ننسى - فيما يتعلق ببابل - ذلك العمل الذي قام به ارنست دى سارزك Ernest de Sarzec فقد عين هذا الرجل وكيلا لقنصلية فرنسا بالبصرة وتسلم أعمال وظيفته في يناير من عام ١٨٧٧ م ولم يكده يمضى شهران على تعيينه حتى بدأ ينقب في أكوام الرمال التي يطلق عليها « تلو » واستمر في حفائره الناجحة حتى وافاه الأجل فحمل عنه العبء الكولونيل كروس Cros وكان من نتيجة هذه الحفائر أن خرجت عشرات الآلاف من النصوص ، وأن برز تاريخ لاجاش Lagash - تلك المدينة الهامة - خلال الألف الثالثة كلها . وعلينا أن نذكر كذلك البعثة العلمية التي أوفدها وزارة المعارف العمومية الى بلاد فارس من عام ١٨٩٧ م حتى عام ١٩١٢ م تحت الادارة الحازمة لسيو جاك دى مورجان ، فقد كشف عن اطلال سوس Suse وهي عاصمة بلاد مجاورة كانت في كثير من الأحيان عدوة لبلاد بابل ، كما كشف عن طائفة من قطع فنية ونقوش مما يلقي ضوءا كبيرا على الحضارة البابلية . ويكفى أن نذكر لوح النصر الخاص ب « نارام سن » Naram-Sin

(القرن ٢٨) وقانون حمورابي Hammuorabi (القرن ٢١) وهو أهم نص خاص بالقوانين القديمة كشف عنه حتى اليوم .

وانه لمن الصعب أن نجد معلومات جديدة بالاعتبار عن موضوعنا فيما أورده كتاب الاغريق والرومان ، اذ أن المصادر التي استقى منها هؤلاء الكتاب لم تعد في الأغلب الأعم روايات السياح وأقاصيصهم ، ونحن اذا أردنا أن نحققها بأسانيد آشورية أو بابلية ، فاننا لا نلبث أن نجد أغلطا وأخطاء كثيرة : فقد شهد هيرودوت مثلا بأن أرض بلاد بابل « فائقة الخصب في انماء الحبوب فهي تغل مائتين عادة في مقابل كل حبة » وفي الأراضي بالغة الجودة تغل ثلاثمائة ، فالمؤرخ الاغريقي قد زار بنفسه البلاد فشهادته اذن صادقة بيد أنه مما لاشك فيه ، أنهم قد أروه حقلا من حقول التجارب حيث أمكن الحصول على غلة تفوق المتوسط بكثير ، فمنذ مدة قريبة ورد ذكر نوع من الحنطة زرع في أرض جيدة بجهة مريياك Merignac (جيروند) ، فعاد بغلة مقدارها ٢٢٥٠ للحبة الواحدة (١) ، ولكن لا ينبغي لنا أن نستنتج من ذلك أن مثل هذه النتيجة يمكن الحصول عليها في الأحوال العادية للزراعة . وفي سهول الفرات السفلى ، فإن محصول الغلال الذي يبلغ من ٣٠ الى ٤٠ ضعف البذور ، لم يتغير الا قليلا عما كان عليه في الزمن القديم ، اللهم الا في الألف الثالثة ، حيث زاد المحصول عن ذلك طبقا لبعض الوثائق الحسابية في اقليم لاجاش على سافة غير بعيدة من الخليج الفارسي (٢) .

وحل رموز الكتابات البابلية والآشورية - وهي التي يطلق عليها السامارية (أو الاسفينية) ، لأن كل علامة منها تشبه المسمار (الاسفين) ، - يرجع الى أبعد من كشف بوت ، فلقد كانت المحاولات الأولى تجرى على مجموعة من احدى وأربعين علامة مشتقة من الكتابة البابلية ، كانت تكون العلامات المقطعية في النقوش الفارسية الأكمينية (الكيانية) (٣) . وبعد بيتر ديلافالي Pietro dellavalle الذي نقل في عام ١٦٢١ خمس علامات من أطلال برسيبوليس Persépolis ، وتبين معنى الكتابة ، أتى شاردان Chardin (١٦٧٣) ، وكمبر Kaempfer (١٧١٢) ، وكورني دي برين Corneille de Bruyn (١٧١٨) . ببيانات أكثر أهمية . وحوالي ١٧٦٥ تمكن نيبور Niebuhr من ايجاد نطق بعض كتابات كاملة ، ولاحظ أنها تتكون من مجموعات كل مجموعة

(١) G. MEUZE : Les plantes Céréales. Le Plé. p. 182.

(٢) LJI p. XLVI.

(٣) LXII.

فيها ثلاثة أشكال مختلفة من الكتابة ، إذا نقشت في سطر واحد ، فإن أبسطها يكون دائما جهة اليمين وأصعبها جهة اليسار . وفي عام ١٧٩٨ توصل تايشن Tyschen الى معرفة أن كلمات نصوص النوع الأول يفصل بعضها عن بعض علامة على شكل المسمار المائل . وفي عام ١٨٠٢ قدر مونتر Münter ان لغة هذه الكتابة الأولى ، لابد أنها تقارب لغة الزند التي تفصل كذلك بين الكلمات . وقد حاول أن يحل رموز هذه اللغة ، ولكنه لم يوفق الا في ثلاث علامات للحركة ، وثلاث علامات صامتة . وفي نفس العام اعتمد جروتفند Grotefend على بعض الاعتبارات الأثرية ، في محاولته حل معميات هذه الكتابة الأولى ، وقد وجد أن الكلمة - التي اعتقد تايشن ومونتر أنها تتضمن اللقب الملكي - توجد كثيرا مكررة مرتين عند مستهل النص . وفي المرة الثانية تنتهي بنهاية رأى فيها علامة الجمع مما يعطى مجموعها معنى « ملك الملوك » . ولا شك في أن الكلمة السابقة تتضمن الاسم نفسه للملك بحيث تكون الصيغة فلان « ملك الملوك » . والمجموعة التي تعنى ملكا ، ترد أحيانا ككلمة ثالثة بعد هذه المجموعة وفي هذه الحالة لابد أن يكون لدينا اسم الأب يسبقه لفظ معناه « الابن » ، أى تكون الصيغة « فلان » ملك الملوك ، ابن « فلان » الملك . وفي مكان آخر يوجد بالمقارنة « فلان » « ملك الملوك ابن فلان » ، دون أن يكون هذا الأخير ملكا . ولما كان الأمر يتعلق بنقوش « برسبوليس » ، فإن هذه الصيغة الثانية لابد وأنها تذكر اسم مؤسس الأسرة الأكمنية فإذا كان الأمر يتعلق بكورش Cyrus الذي كان كل من أبيه وابنه يحمل نفس الاسم فإن فلان ، وفلان يكونان شخصا واحدا ويكون فلان هو دارا Darius وحينئذ فإن الترجمة يجب أن تكون :

اكسر كسس ملك الملوك ابن دارا الملك . . .

دارا ملك الملوك ابن هستاسب . . .

ولكى يحل جروتفند رموز ثلاثة الأسماء الأعلام هذه ، استعان بالنطق القديم وأمكنه أن يحقق بصفة نهائية حركتين ويعين الحرف الصامت في عشر علامات مقطعية . ولقد أكمل عمله أحد عشر عالما من بينهم لاسن Lassen وبرنوف Burnouf وهنكس Hincks وراولنسون Rawlinson . ولم يعرف أوبير Oppert المقطع « لا - la » الا في عام ١٨٥١ أما العلامة الرمزية التي يختفى وراءها اسم « أورمزد » الاله الوطنى فقد ظلت مستعصية على الحل حتى عام ١٨٧٤ .

أما ثمانية كتابات برسبوليس فقد كانت مثار صعوبات كثيرة ولكن الرأى اتجه بحق الى أن ثلاث الأقايصص لابد وأنها تروى نفس الشئ بثلاث لغات مختلفة ولقد لوحظ أولا وجود علامة خاصة تسبق أسماء

الأعلام ثم بذلت محاولات لترتيب العلامات تبعا لعدد واتجاه عناصرها . وكانت أول محاولة جديّة للترجمة هي التي قام بها عام ١٨٤٤ الدانمركي وسترجارد Westergaard . وقد كشف هنكس عن مقاطع بعض العناصر (١٨٤٦) ودرس سولسي Sauley (١٨٥٠) الصيغ النحوية . وفي عام ١٨٥٣ نشر نورس Norris نقوش بهستون Béhistoun التي جمعها رولنسون وقد روجع فيها الحل الذي اقترحه وسترجارد . ولقد كان من نتائج الحفائر التي قامت بها البعثة في بلاد العجم ان كثر عدد النصوص المكتوبة بهذه اللغة الانزوية التي كان يتحدث بها سكان عيلام غير الساميين .

أما الكتابة الثالثة فالفضل في معرفة الكلمات الأولى منها يعود أيضا الى جروتفند فقد تمكن ان يفصل مجموعات العلامات التي تقابل أسماء كورش وهستاسب ودارا واكرزكسس . ولما كان قد لاحظ مشابهة هذه الكتابة لكتابة الآجر الذي عثر عليه في أطلال بابل ، فقد وفق الى تعيين المجموعة التي تتضمن اسم نبوخذ نصر . وهكذا كانت الأحوال على وجه التقريب فيما يتعلق بمحاولة حل رموز هذه اللغة عندما أعلن بوتّا عن كشفه . أما عن النوع الثالث من كتابة برسيبوليس ، فقد أمكن فقط الوصول الى معرفة عشرين من أسماء الأعلام المعروفة من النوعين الآخرين . ولقد حاول لوفنشترن Lowenstern أن يصل الى حلها فوجد لبعض العلامات أشكالا أخرى تكتب بها ووضع أساسا لما أطلق عليه « توافق الأصوات » أي وجود علامات مختلفة تؤدي صوتا واحدا . وقد تمكن لونجبريه Longpérier من حل رموز بروتوكول سرجون على الآثار التي كشف عنها بوتّا ورتبها الى ٦٤٢ علامة مختلفة فوجد كما وجد لوفنشترن علامات ذات صوت واحد ومير كتابه خورزاباد عن كتابتي برسيبوليس وبابل وأكد أخيرا أن اللغة سامية . وفصل سولسي Sauley جملا صغيرة في نصوص برسيبوليس تطابق جملا في النص الفارسي وعين ١٢٠ حرفا ووجد نطقها . وكشف هنكس في دبلن عن أساس الحروف المقطعية بمعنى أن بعض العلامات تساوي مقاطع وليس حروفا فقط . ثم اهتم سولسي أخيرا بنصوص خورزاباد واقتنع بأن النص نفسه قد كرر عدة مرات وعمل مقارنات وبفضل استخدامه لقراءاته السابقة للعلامات أمكنه الوصول الى ترجمة ٩٦ سبطرا . واقتراح رولنسون - الذي كان قد نشر اذ ذاك ترجمة لمسألة نمروود دون تعليق - ترجمة فيها اختلاف بسيط . وفي عام ١٨٥١ قرأ رولنسون وترجم نص بهستون الذي ينتسب الى النوع الثالث من الكتابة فبين قيمة ٢٤٦ حرفا وكشف عن مبدأ « تعدد الأصوات » أو وجود علامات لكل منها عدة قيم وعدة أصوات . وفي السنة التالية تحقق هنكس من أن بعض العلامات تكون

مقاطع مركبة وكلما تعمق البحث في حل رموزها ، ازداد أمرها تعقيدا
وعند ذلك رأت الجمعية الآسيوية بلندن أن تقترح على عدة علماء أن يحل
كل منهم على طريقته الخاصة ومبادئه رموز نص تزييد سظوره على الثمانمائة
وارسل رولنسون وهتكس وفوكس قالبوت وأوبير مخطوطاتهم ففتحت
في ٢٥ مايو سنة ١٨٥٧ وكانت النتيجة مرضية تماما . وقد طبعت التراجم
الأربع لهذا النص الخاص بملك آشور تيجلات فلاسر الأول
Teglath-phalassar على أربعة أعمدة لكي يتأكد الجميع من أنه قد عثر
على مفتاح الكتابة الثالثة للنصوص الآشورية وهي كتابة الآشوريين
والبابليين .

أما الأدب البابلي والآشوري فهو متنوع جدا فآلاف النصوص ،
سواء أكانت أصلية أم نسخا قديمة ، المحفوظة الآن في متاحف أوروبا
 وأمريكا تتراوح بين عصر يرجع الى ما قبل عام ٣٠٠٠ ق م . ويصل حتى
القرن الأول ومن هذا الأدب نقوش تاريخية : حوليات وتقويم وتكريس
مبان وكتابات نذور وقوائم تاريخية . وكذلك نصوص دينية : أناشيد
وصلوات ومزامير توبة . ثم نصوص سحرية : رقى وتعاويد . ثم طوابع
طبعا للأرصاء الفلكية أو لحركات الانسان والحيوان والأحشاء والزيت
الذي يصب في الماء . كما يوجد من بينه الشعر : ملاحم وأساطير وقصص
... هذا الى نصوص قانونية : لوائح وأحكام قضائية . ثم عقود من جميع
الأنواع ، من بيع وشراء وسلفة وشركات تجارية وزواج وطلاق وتبن .
وكذلك أمور حسابية لمحفوظات المعابد والتصور والعائلات . ثم مراسلات ،
سواء منها الرسمية أو الخاصة . ومجموعات لدراسة الخط والنحو
واللغة . وقوائم جغرافية وجداول حسابية وفلكية وشئون طبية .

وليس الفن وعلم الآثار بأقل تمثيلا ، فهناك تماثيل كبيرة وصغيرة
من الحجر أو المعدن ونقوش بارزة ومجسمة وألواح نصر وأشكال صغيرة
من المعدن أو الحجر وأوان محفورة وأختام تخليها المناظر الدينية وفخار
ملون ... كل أولئك يشهد في مختلف العصور بتقدم كامل أو بالعودة
الى نظريات أكثر بداءة وقدا هذا الى أن الحفائر قد كشفت عن طرق
البناء وتخطيط ونظام المدن ... وبعض البيانات الواردة في نص قديم
يمكن في بعض الأحيان تطبيقها اليوم مباشرة على أطلال الأثر الذي ذكر
وصفه .

ومع ذلك فإن الآلاف من الوثائق مختلفة الأنواع ستؤلف حتما
سلسلة متصلة الحلقات على مدار الزمن . ثم ان أعمال الحفائر قد كشفت
عن مجموعات تكون في كل منها وحدة لعصر ومكان معينين على صورة

خاصة بيد أنه لا يمكن في الوقت الحاضر تعيين مقابل لها لعصر آخر أو مكان آخر . وهكذا وصلت إلينا حسابات المعابد وبخاصة من الألف الثالثة ، ومحفوظات عائلات من عصر الأسرة الأولى البابلية وأخرى من عصر الملوك الآكمنيين ولم يتكشف لنا الفن الآشوري إلا من القرن التاسع حتى القرن السابع على حين أن تاريخ آشور يرجع إلى ما هو أبعد من عام ٢٤٠٠ ق م .

وأول ما نتجه إليه العناية في دراسة حضارة من الحضارات كائنة ما كانت هذه الحضارة يجب أن تنصرف أولا إلى تبويب الوثائق وتقسيمها بحسب العصور : فالانقلابات الكبيرة الاجتماعية أو السياسية لا تبضى دون أن تغير من الأخلاق والعادات تغييرا يتفاوت مقداره ودون أن تترك أثرا في الفن والأدب . ويجب علينا منذ الآن أن نحدد الإطار التاريخي الذي نمت وترعرعت فيه النظم البابلية والآشورية .

وهذا الإطار ذو وجهين إن نحن نظرنا إلى العلاقة الزمنية التي تربط الحوادث ببعضها البعض أو تلك العلاقة التي تربط هذه الحوادث بالزمن الخاص .

ولقد فرض نظام طبيعي على جميع الشعوب هو نظام اليوم الذي يتعاقب فيه الليل والنهار . فمهما تكن نقطة الابتداء المقررة - غروب الشمس أو شروقها - وقت الظهيرة أو منتصف الليل - فهو العنصر الأولي لكل تاريخ .

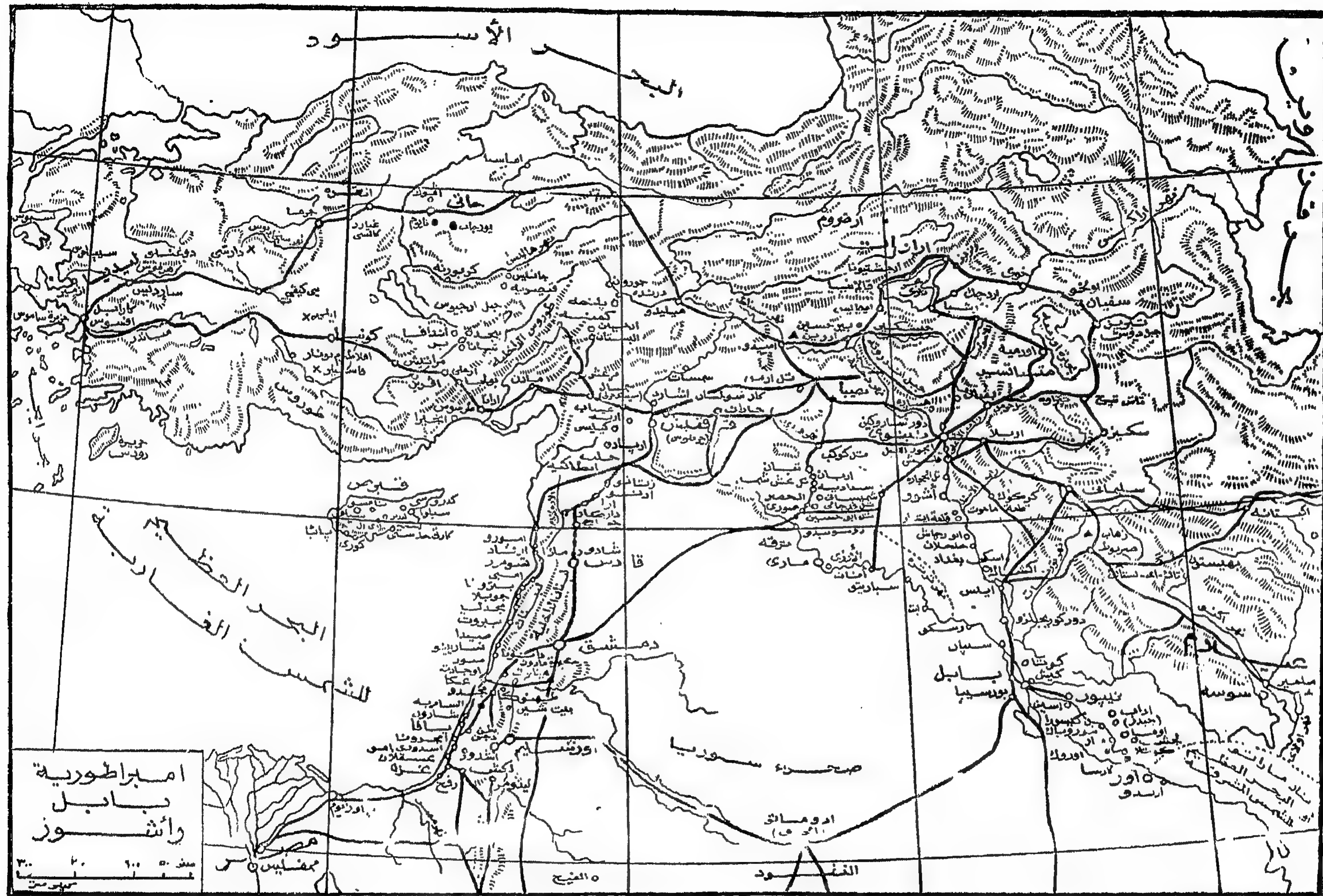
أما التقسيم الثاني فينتج عن تجدد الفصول فبعد عدد معين من الأيام تحدث في الطبيعة الظواهر نفسها طبقا لعملية نظامية وهذا يتأتى عن انحراف سمت الشمس بالنسبة إلى خط الاستواء الأرضي وينتج عن هذا : السنة الشمسية التي لم تحدد مدتها إلا مؤخرا ولا تضم عددا مضبوطة متساويا من الأيام .

وعلى ذلك فإن الشعوب القديمة اضطرت إلى أن تلجأ إلى تقسيم ثالث للزمن واعتمدت في ذلك على مدار القمر الذي يضم كل من وجوهه الأربعة عددا صغيرا من الأيام ولكنها كذلك لا تطابق هي الأخرى عددا صحيحا . ولقد اتبع البابليون والآشوريون طريقة تجريبية ثبت (بضم الشاء وتشديد وكسر الباء) بها بدء الشهر الذي أصبح ٢٩ أو ٣٠ أو ٣١ يوما حسب بدء ظهور الهلال في السماء . ولما كان من المستحيل الوصول إلى مقياس عام بين الشهر القمري ودوران الشمس فقد احتسبت السنة العادية اثني عشر شهرا واستعيد التوازن عن طريق ادخال شهر ثالث عشر من وقت لآخر .

وفي أقدم الوثائق المسماة بما قبل السرجونية - لأنها تسبق اعتلاء سرجون ملك أجاده (القرن ٢٩) - بينت سنوات كل حكم برقم بسيط على لوحات الحساب أما عادة اعطاء كل سنة اسما تبعا لحادث معين يستحق التخليد في السنة السابقة ، فقد بدأ العمل بها منذ عصر « أجاده » واستمر حتى عهد الملوك الكاسيين الذين استعملوا طريقة الحساب لسنى الحكم التى عمل بها فى بابل فيما بعد حتى انهيار الامبراطورية . أما فى آشور فقد كانت أسماء الملك وكبار الموظفين تطلق متتابعة على السنين . وترجع هذه العادة الى عهد معين فى القدم ٠٠٠ الى القرن الرابع والعشرين . على الأقل وهو عصر ثبت اتباعها فيه كما يظهر على لوحات خاصة بمستعمرة لعبدة آشور فى كبادوكيا .

أبجدى الأول

أبجدى الأول



الكتاب الأول :

الحقائق التاريخية

الفصل الأول البلاد ومواردها

إذا نحن استثنينا منطقة اريدو Eridou (أبو شهرين) Abou-Shahreïn . وهي المدينة التي تقع في أقصى الجنوب بجزيرة في الخليج الفارسي يفصلها عن وادي الفرات صخرة من الحجر الرملي ، فإن اقليم بابل الذي عرفه الكتاب الأقسامون (اليونانيون والرومان) ينطبق تماما على ذلك السهل الذي كونه نهرا دجلة والفرات عند وصولهما الى البحر - كونه من تراكم الرواسب التي أتت موادها من جبال ارمينيا التي تنبع منها (حيث يوجد منبعها هذين النهرين) . وحدود هذا الاقليم الطبيعية هي : في الغرب الصحراء العربية التي يسكنها بدو يقومون بالغارات على السكان المستقرين ، وفي الشمال السهل الأعلى لبلاد ما بين النهرين حيث يوجد الآشوريون ، يفصل بين هذا الاقليم وبينهم خط يبدأ من حت Hit على الفرات ويبلغ دجلة على مسافة قليلة شمال ملتقى الأدهم l'Adhem ، وفي الشرق التحصينات الأخيرة من التلال التي تكون الجد الحالي لبلاد الفرس وفيها قبائل من أصول مختلفة . استقرت في جميع الوديان ، ومن هنا يأتي الحجر والمعادن وخشب البناء ، وفي الجنوب الخليج الفارسي ومستنقعات لا تكاد تمتد الملاحه خارجها - وهذا السهل في بدء العصور التاريخية لم يهبط كثيرا الى ما تحت القناة الحالية المسماة « شط - الحى » : واطليم لاحاش Lagash وهي المدينة التي توجد أطلالها (تلو) على مسافة الساعة وربع الساعة الى غرب هذه القناة وتبعد مائتي كيلو متر عن الخليج كانت تدخل ضمن المنطقة البحرية .

ونظام النهرين ليس واحدا : فدجلة بشطآنه المرتفعة الصلبة ذو مجرى سريع ويبدأ فيضانه في أوائل مارس ويبلغ أشده في الأيام الأولى من شهر مايو وينتهي حوالى منتصف يونيه وتوجد على شواطئه المستنقعات . أما الفرات فمياحه أقل مرتين ويبدأ فيضانه متأخرا نحو خمسة عشر يوما ولا ينتهى قبل شهر سبتمبر . ولما كانت ضفافه أقل ارتفاعا فانه ينتشر بسهولة في السهل . ويضفى عليه فيضانا مباركا نافعا

مليئا بالخيرات . ولقد فضل السكان الأول ضفافه ليؤسسوا عليها مدنها . ومجرى الفرات الحال لا يصل الى اطلال معظم هذه المدن القديمة ومع أن بابل (حلة Hillé) وأور (مغير Moughéir) يقعان على مقربة من مجراه فان المدن الأخرى تقع على مسافة ما الى الغرب فى السهل . لكن ما ورد فى النصوص القديمة يثبت تحول النهر بسبب رخاوة الأرض وتداعى الشواطئ أثناء الفيضان والعلامة التى تدل فى الخط على الفرات معناها « نهر سيبار Sippar » ، واذن فان سيبار (أبو حبة) كانت تقع على شواطئه واحدى سننى « سمسوايلونا Samsoo-illouna » ، وهو ملك من الأسرة الأولى البابلية - تحيى ذكرى بناء حائط سور كيش Kish (الأحيمر) « على شاطئ الفرات » وتقع اطلال كيش على قناة تدعى « شط النيل » التى تمر كذلك بـ « نهر Niffer » ، وهى اطلال نبور . ولقد كانت إحدى فروع الفرات فى عهد دارا الثانى تدعى « نهر سيبار ونبور » . ولقد كانت شوروباك (فارا) Shourouppak (Fara) كذلك « على شاطئ الفرات » طبقا لما ورد بالأسطورة جلجامش Gilgamesh ، أما لارسا (Larsa) (سنكره Senkerek) ، فان المعلومات نفسها تعطيها الرسائل المتبادلة بين حمورابى وسينيدينام Sinidinnam حاكم هذه المدينة . ولقد كانت فروع النهر كثيرة وكانت أوما Oumma (جوها Djoha) تقع على الفرع الذى يمر على مقربة من لاجاش ومنذ العصور التاريخية الأولى - عندما كانت المدينتان فى كفاح مستمر - حفر انتمينا (Entéména) أمير هذه المدينة الاحيرة قناة تصل بين النهرين وكان دجلة - الذى تحول مجراه تبعا لذلك نحو الشرق - يتبع فى ذلك العصر تقريبا المجرى الحال لشط الامارة Shatt-el-Amâra .

ولقد كان الانسان الذى استقر فى هذه الجهات منذ أصبحت صالحة للسكنى صاحب حضارة عالية . فلكى يتقى الفيضان شيد مدنا على منحدرات صناعية وبنى بيوتا ومعابد من اللبن واقتنى قطعانا كبيرة من الماشية الكبيرة والصغيرة وعرف كيف يروى زراعته ويحفر القنوات ويصنع آلات الري وكان يشكل النحاس والفضة ويصنع الأسلحة من المعادن . . ومع أن ما كان ينحته كان لايزال بدائيا غير متقن الصنع فان كتابته تشهد بتقدم كبير : فلم تعد كتابة تصويرية وانما وجدت الى جانب العلامات المشتقة من الصور علامات صوتية بحتة . ولقد وجدت فى الطبقات شديدة العمق آثار صناعة العصر الحجري الحديث ممثلة فى قطع من الطران المشطوف المجلوب من المناطق الجبلية .

وعندما زار العالم الطبيعى أوليفيه Olivier بلاد ما بين النهرين فى مستهل القرن التاسع عشر وجد الشعير والغلل والحنطة تنمو بيرة

في قطعة أرض غير صالحة للزراعة تقع الى الشمال الغربي من «عنة» Anah على الضفة اليمنى للفرات . وهذه المنطقة هي الموطن الأصلي لهذه النباتات الثلاثة منذ أقدم الأزمنة وقد انتشرت منها وامتدت الى بلاد بابل . والشعير بوصفه الأساس الذي يقوم عليه غذاء الانسان والحيوان هو في جميع عصور التاريخ أكثر النباتات انتشارا وهو العملة السارية التي يقدرها الجميع والتي ظل اقراضها حتى نهاية الامبراطورية البابلية الحديثة أغلى من اقراض الفضة .

وكان الدخن (الذرة البيضاء) يزرع كذلك على أنهم فيما يبدو كانوا يجهلون الجاودار والشوفان . أما السمسم فإنهم كانوا يهتمون بأمره لحاجتهم الى زيتته الجيد وإلى شراب كانوا يستخرجونه منه . أما الأثل فكانوا يقدرونه من أجل صمغه الحلو وكذا الكروم لعنبها وزبيبها ونبيذها . ولقد ورد ذكر شجر التين والرمان في النصوص السابقة على عصر سرجون ، واعتبر جوديا Goudéa ثمرها خليقا بأن يقدم الى الآلهة (١) . أما أشجار النخيل فهي من أهم مصادر الثروة في البلاد وهي على خد قول استرابون : « تكفي لسد جميع حاجات السكان فمنها يتخذون نوعا من الخبز ، ويستخرجون نبيذا وخلا وعسلا وفطائر ومثالث . أنواع النسيج ويستخدم الحدادون نواها وقودا كما أن هذا النوى نفسه كان يستعمل بعد أن يسحق وينقع لغذاء الأبقار والثيران والخراف . لتسمينها » وكانوا يزرعون في الحدائق البصل والخيار وكثيرا من النباتات الأخرى التي لم تعرف أنواعها بعد على وجه التحقيق . وقد ذكر على لوحة صغيرة من عصر أجاده Agadé (حوالي القرن ٢٨) زراعات بصنل مساحتها ربع ونصف بل و « جان » (٢) كامل (٣٥ آر) (حوالي ١/٢ فدان) (أو ٣٥٠٠ م ٢ تقريبا) أما أعواد الفصب الضخمة فقد كانت تستخدم في إقامة الملاجئ والسياجات وعمل الأقلام والرماد اللازم للغمسيل (٣) .

أما الحيوان الذي ثبت وجوده من النصوص القديمة أو الصور المنقوشة : منه المستأنس وهو الحمار والبقرة والثور والكبش والماعز والخنزير والكلب والدواجن ، ومنه غير المستأنس وهو الأسد والبقر الوحشي والبتيل والأيل والفهد والعنز البري والوعل والصقر والثعبان والعقرب وأنواع عديدة من الأسماك وذوات القشور .

LXXVI, p. 123.

(١)

XIX, t. 11 no 3070.

(٢)

والعلاقة بين المقاييس القديمة ونظام المقاييس المعروف مبين في الفصل الثالث .

I, t. VII, p. 107 et suis.

(٣)

ويوجد نوعان من الحيوان من فصيلة الحمار يمكن تمييزهما تماما منذ أقدم العصور ، ربما كانا الحصان والبغل .

ويبدو أن السكان القدامى كانت لديهم فكرة عن تربية النحل ووجود النحل في الوادي الأسفل للفرات ، إذ أنهم كانوا يجمعون العسل ويتخذونه غذاء . ولقد كان حيوان بلاد بابل ونباتها ينمو ويتزعرع على أرض من الرواسب كونها دجلة والفرات من متخلفاتهما . وكانا يزيدانها خصبا في كل عام بيفضائهما المبارك المملوء بالخيرات . وكان على الإنسان أن يتخذ مسكنه فوق مستوى الفيضان ولهذا صنع مرتفعات صناعية كان يقيم فوقها كوخا من القصب أو بيتا من الطمي . ولقد أمدته الأرض الطميية بالمادة اللازمة لصناعة اللبن وكان يحرقه أو يكتفى بتجفيفه في الشمس كما كان يصنع منه أيضا كل الأواني الفخارية اللازمة للاستعمال في الحياة المنزلية من صحاف وأوان للشرب وقدر وجرار . كما شكل منه اللوحات الصغيرة التي كان يستخدمها في تخليد ذكر الأحداث العامة أو تسجيل المعلومات الخاصة مستعملا في تسجيلها قلما من القصب ، كما كان يتخذ من الأصداغ والعظم أدوات الزينة ، ولكنه لم يجد في إقليمه حجرا أو معدنا ، فقوائم أبواب القصر وكتل الديوريت أو المرمر التي كانت تنحت منها تماثيل الآلهة والملوك والأحجار الكريمة التي كانت تصنع منها الأختام المنقوشة وخشب الأرز الذي كانوا يقدرونه ويبحثون عنه لتزيين الهياكل ، والذهب والفضة والحديد والنحاس الذي كانوا يصنعون منه الأدوات المختلفة . . كل هذا كان يستورده أهل بابل من الخارج .

وقد دفعتهم هذه الحاجة إلى أن يوثقوا صلاتهم بغيرهم من الأقوام ، فإلى الجنوب تمتد المستنقعات إلى شاطئ البحر ، فلم تصب الملاحاة أي تقدم مطلقا ، وإلى الجنوب الغربي توجد الصحراء الجرداء النية تخيلها الناس مليئة بالشياطين المرعبة ، وفي الشمال الغربي ينفسح طريق طبيعي : فعندما يسير المرء مصعدا في مجرى الفرات فإنه يبلغ - فيما وراء ملتقى خابور Habour - جبالا يكثر فيها الديوريت . . وبعد مسافة في غرب انحناء النهر في جبال طوروس توجه مناجم الفضة التي كان يدور العمل في استغلالها منذ أقدم العصور . وفي أمانوس Amanus ولبنان توجد غابات الأرز وغيرها من الأشجار التي تستخدم كأطواف تحمل عليها كتل الأحجار ، ثم تستعمل هي نفسها في البناء وكانت قوافل بابل تهبط على طول ساحل البحر الأبيض إلى دلتا النيل كأنما تمهد الطريق للآشوريين ولنبوخذنصر . وفي آسيا الصغرى خلال الألف الثالثة استعملت الكتابة المسمارية على لوحات الطين ، استخدمها ساميون من عبدة آشور ، وكان يبدو في فنهم حينذاك بعض الصفات المعينة التي تميز آثار الحيثيين

والآشوريين • وقد تسربت من هذه الطريق نفسها في اتجاه عكسي تأثيرات
أجنبية دخلت بلاد بابل : ففي نحو نهاية الألف الثالثة تمكن العموريون -
بعد أن تسربوا ببطاء - من أن يستولوا على السلطة ويحققوا وحدة
الامبراطورية • وبعد ذلك يأتى الحيثيون ويحطمون قوتهم ولكنهم
لا يتمكنون من إبادة أعمالهم •

أما فى الشمال ففي نهاية الألف الثالثة أقامت بابل حاميات فى
المدن التى أخذ يزداد فيها سلطان آشور فأخضعتها فترة من الزمن • وفى
الشرق تقع وراء نهر دجلة منطقة جبلية غنية بما فيها من أحجار ومعادن ،
كانت تسكنها أقوام كان الكفاح ضدها مستمرا وإن اختلفت نتائجها •
فقد تمكن واحد ممن يحملون اسم سرجون ، وآخر ممن يحملون اسم نرام
سن وثالث ممن يحملون اسم دونجى أن يفرضوا عليهم سلطانهم
ويخضعوهم تحت نير حكمهم ولكن ذلك كان له رد فعل فقد سيطر اوان
Awan ، وجوتيوم Goutioum على جنوب السهل وأسس العيلاميون
مملكة فى لارسا واستقرت أسرة كاسية Kassite أكثر من خمسة قرون.
فى بابل ثم خرج أخيرا من هذه المناطق كورش Cyrus الانزنى الذى
كان مقدورا له أن يحطم الامبراطورية البابلية الجديدة •

الفصل الثاني السكان والأسرات

كان يقطن هذا السهل جنسان مختلفان : ففي الجنوب سكان غير ساميين ، وفي الشمال ساميون . فمن كان أول الوافدين ؟ وهل كان عليهم أن يتخلوا عن جزء من أرضهم ؟ وليس لهذا من ذكر في التواتر ، وكل ما يشير إليه هذا التواتر لا يبدو أن مدينة من الشمال ، أو مدينة من الجنوب ، أو مدينة أجنبية في بعض الأحيان ، - قد غزت مجموعة المدن وأصبحت تمارس سلطة غير ثابتة سرعان ما تزول وتفتنى . وتشهد وثيقة تعد من أقدم الوثائق بتدخل أحد ملوك كيش - وهي مدينة تقع في الجزء الشمالي - بين أهالي أوما Umma وأهالي لاجاش وهما من مدن المجموعة الجنوبية .

وكان يسمى غير الساميين بالسوميريين نسبة إلى سومير وهو الاسم الذي أطلقه جيرانهم الساميون على اقليمهم وفي كثير من الأحيان في الوثائق القديمة يطلق أيضا على هذه المنطقة المسماه كنجي Kengi باللغة السوميرية اسم بسيط وهو « كلم » Kalam « القطر » تميزا لها عن كوركور Kourkour « الأقطار » وهو تعبير يطلق بصفة عامة على كل العالم الأهل بالسكان ولكن على الأخص على كل ما يخرج عن نطاق سومير من عالم خارجي . وقد أطلق انشاكو شانا الأول Enshakoushana على نفسه « سيد سومير وملك القطر » وبعد ذلك بما لا يقل عن قرنين من الزمان اتخذ لوجالزا جيسي من أوروك Lougalzaggisi d'ourouk (القرن ٢٩) لنفسه لقب « ملك القطر » بعد أن جمع تحت سلطانه جميع مدن المنطقة ونصبته الآلهة - على حد قوله - نائبا لها في هياكل سومير وقد امتد سلطانه فشمل نبور - وهي العاصمة الدينية والمدينة التي تقع في أقصى الشمال - وأور Our وأوروك Ourouk ولارسا Larsa . وكانت لاجاش تكون جزءا من هذا الاقليم وقد طلب جوديا Guudea أحد أمرائها من الآلهة أن تصبح « سومير على رأس الأقطار » وحصل من اله مدينة على تأكيد بأن يسيل الزيت في سومير بغزارة عند ارساء أسس معبدته وفي عصر أقدم من ذلك ورد في معاهدة السلام التي فرضها اياناتوم Enantoum من لاجاش على أهالي أوما ذكر اله كيش Kesh بين آلهة

سومير التي تتقبل قسم المقهورين وتدخل مدينتا شوروباك وأريدو
Shourouppak & Eridou في هذه المنطقة كذلك .

أما الساميون فكانت لهم مـون بابل Babylone ، سيبار
Sippar ، كيش Kish ، أوبيس Opis ، أكشاك Akshak
كوتا Koute ، أكد Akkad أو أجاده Agadé وهذه المدينة الأخيرة التي
أسسها أو قام بتجديدها سرجون في القرن التاسع والعشرين أطلق اسمها
على كل الاقليم الشمالي وسمى السكان بالأكديين وأصبح سرجون الأكدي
« ملكا للقطر » عندما أتم إخضاع البلاد بعد أن قبر لوجازا جيسى ولكن
يبدو أن ملوك أور هم أول من اتخذ في القرن الرابع عشر لقب « ملوك
سومير و أكد » وقد ظل هذا اللقب باقيا حتى في نقوش كورش Cyrus
بعد سقوط الامبرطورية البابلية الجديدة . وقد جمع الملوك العموريون
الذين أسسوا أسرة بابل الأولى تحت سلطان واحد وبصفة نهائية المنطقتين
وأصبح الجنس السوميري مضمجلا متلاشيا الى حد كبير خلال كفاحه ضد
عيلام : ودمرت النار لاجاش وإوما وشـوروباك وكيسـورا واداب ، -
فلم تقم لها قائمة واختفت اللغة السوميرية ولم تعد باقية الا في الطقوس
الدينية وأطلق اسم أكد على القطرين وأصبحت الوحدة الجغرافية تتجاوب
مع الوحدة السياسية . وعندما أخذت تتكون بعد ذلك بقليل سلطة
مستقلة في منطقة الجنوب لم تدع لنفسها الصفة السوميرية وانما قالت
عن نفسها انها قامت في « قطر البحر » .

ولا يوجد تاريخ ثابت عن المدة التي تسبق الأسرة البابلية الاولى :
وأقدم تاريخ مضبوط أثبتته الأرصاد الفلكية هو تاريخ حكم اميزادوجا (١)

(١) كان الأب كوجلر Kugler قد حدد عام ٢٢٢٥ لبدا الأسرة الاولى البابلية وذلك
كنتيجة لسلسلة من الأرصاد الخاصة بخسوف كوكب الزهرة في عصر الملك اميزادوجا
Ammizadougā وخاصة ذلك الخسوف الذي حدث في السنة السادسة من حكمه والذي
يعد من بين التواريخ التي يعتبرها معروفة وهو من أجل ذلك يرجع هذا الخسوف الى عام
١٩٧٢ - ١٩٧١ ق م . الا أنه عاد فغير رأيه في كتاب « من موسى الى بولس Von
Moses bis Paulus p. 497 صفحة ٤٩٧ » اذ أدخل في حسابه بعض الاعتبارات
المتعلقة بأوقات جنى المحصولات طبقا لما ورد في ألواح ترجع الى نفس العصر وعلى هذا الأساس
حدد عام ١٧٩٦ - ٩٥ بدلا من عام ١٩٧٢ - ٧١ . ولقد ترتب على ذلك أن حذف من عصر
الأسرة الاولى ومن كل ما سبقته من أحداث مقدار ١٧٦ سنة . ومعنى هذا أن تبدأ الأسرة
الاولى عام ٢٠٤٩ ق م وهو تاريخ شديد القرب من عام ٢٠٥٧ الذي يحدده « فيدندر
Weldner » لبدا نفس الأسرة طبقا لاعتبارات أخرى . أما الفلكي « فوذرينجام Fotheringham »
الذي أورد ذكره « لانجدون Langdon » وفي كتابه (Oxford Editions of Cuneiform
texts, t. II, 1923, p. 111) فإنه لا يقبل الرأي الاول للأب كوجلر عن تاريخ =

Ammizadougou وهو الملك الذي يسبق آخر ملوك العموريين وأهم المصادر التي تعين على تحديد التاريخ النسبي هي أولا : نقوش وبصوص الملوك الأقدمين أنفسهم التي عثر عليها في أطلال المدن القديمة فهي تورد أسماء وتسلسل أنساب الأمراء الذين حكموا مدنا أخرى . ونستطيع أن نستنتج منها ترتيب مدد الحكم وتوافقا زمنيا في نشاط المراكز المختلفة . يضاف الى ذلك التواريخ المأخوذة من الألواح الصغيرة الخاصة بالحسابات والقوائم التاريخية التي حررها الكتبة الأقدمون . وطريقة تعريف كل سنة بحدث من الأحداث لها فضلا في تزويدنا بمعلومات قيمة ولكنها لاتخلو من مضايقات للمعاصرين لأنهم اضطروا الى الالتجاء الى مجموعة اصطلاحات وأسماء خاصة بالسنوات ولما كان لكل مدينة تقويمها الخاص بها عندما لاتكون خاضعة لسيطرة مدينة أخرى فان هذه القوائم كان يجب أن تعمل وتحفظ بعناية . وقد ذكر في ألواح صغيرة عثر عليها في نبور كتبت في القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد نظام تعاقب أقدم الأسرات وهي اذا أضفناها الى غيرها من النصوص تمدنا بحلقة تكاد تكون متصلة منذ عصر سابق على أقدم الكتابات والنصوص العتيقة . ولما كانت تواريخ الأسرة الأولى البابلية قد حددت في التقويم العالي فقد أصبحت سنة ٢٢٢٥ هي تلك السنة التي أسس فيها سوموابوم Soumouaboum الأسرة الأولى . وتوجد لوحة صغيرة بمتحف اللوفر ذكر فيها تاريخ أسرة حكمت في لارسا ٢٦٢ سنة وانقرضت في السنة التاسعة والعشرين من عصر حامورابي أي عام ٢٠٩٥ وعلى ذلك يكون بدء هذه السلسلة من الملوك يرجع الى عام ٢٣٥٧ بالضبط وهذا يسمح بتحديد تواريخ الحوادث الخاصة بأسرة معاصرة استقرت في ايسين Isin خلال ٢٢٥ سنة تقريبا اللهم الا اذا كان هناك شك في السنة الأخيرة فقد بدأت بين سنتي ٢٣٥٧ و ٢٣٥٢ وقد وقف العلماء مؤقتا عند أول هذين التاريخين . وقبل أسرة ايسين Isin تذكر ألواح نبور مباشرة أسرة أور الثالثة وتخصص لها ١١٧ سنة على أنه يوجد خطأ في الملك الرابع فقد حسب لحكمه سبع سنوات على حين تثبت الوثائق المعاصرة أنه حكم سنتين بالاضافة الى ما سبق . أما الأمر فيما يتعلق بملك آخر يدعى دونجي Doungi

= ١٩٧٢ - ٧١ ويعلن استحالة من الوجهة الفلكية كما يرفض أيضا قبول التصحيح المقترح . وفي اعتقاده أن السنة الوحيدة التي يمكن أن تتطابق مع الوقائع الواردة في الوثيقة المسماة للعام السادس من حكم الملك « أميزادوجا Ammizadougou » هي ١٩١٦ - ١٥ ومن ثم فان بدء الأسرة يقع في عام ٢١٩٦ . واذا كان الأمر كذلك فيجب حذف ٥٦ سنة من تاريخ هذه الأسرة وما سبقها من أحداث . ولكن قبل التسجل بتعديل التاريخ المعمول به في فرنسا يحسن الانتظار حتى يتم الاتفاق بين الفلكيين أو الى حين ظهور كشوف جديدة في عالم الآثار الآشورية .

فعلى العكس من ذلك ، اذ بينما حدد لحكمه ٥٨ سنة يبدو في الوقت نفسه أن قائمة تأريخ من عصره (ناقصة للأسف) لا تفسح المجال لمثل هذا العدد الكبير من السنين . ومهما يكن من شيء ومع التحفظ الشديد فيما يتعلق بالخمس والعشرين سنة لحكم ايبى سين Ibi-Sin الملك الأخير فإنه تظل لدينا حدود تقريبية لهذه الأسرة أى حوالى ٢٤٧٤ - ٢٣٥٨ . وقبل ملوك أور نجد أن حكما أجنبيا لـ « جوتيوم » Goutioum اعترض بين أسرتين من أوروك كان أمد كل منهما قصيرا . فإذا مررنا الى أبعد من ذلك عرضت لنا فى الحال أسرة أجادة التى حكم ملوكها الاثنا عشر مدة ١٩٧ سنة (حوالى ٢٨٤٥ - ٢٦٤٩) وقد أقام سربون مؤسس هذه الأسرة مملكته على أنقاض قوة لوجا لزاچيسى من أوروك ملك سومير خلال ربع قرن من الزمان وقد تغلب هذا بدوره على أورو كاجينا Ourou Kagina من لاجاش

(١) هناك قائمة جديدة للملوك منذ بدء البشرية حتى أسرة د ايسن Isin تضمها مجموعات متحف الاشموليان ولقد نشر هذه القائمة حديثا لانجدون Oxford Langdon فى كتاب Epitome of Cuimeiform Texts T. 11 1923.

والنص الذى تكون من تجميعات لبعض اللوحات المهشمة والتى كانت معروفة فيما سبق لم يحدد تماما مكان الأسرة الثالثة فى كيش والأسرة الثانية فى أوروك بالنسبة الى الأسرة فى حمازى والأسرة الثانية فى أرو من ناحية والأسرة فى مارى والأسرة فى اكشاك من ناحية أخرى (قارن الجدول على صفحة ٦٥) ولقد تمكن (انجناد Ungnad) معتمدا على بعض الاعتبارات الخاصة بترتيب أجزاء هذا النص ، من أن يقتنع بإمكان إضافة الأسرة الثالثة فى كيش بعد الأسرة فى حمازى ، هذا مع أن الوثيقة الجديدة تضعها على العكس بعد الأسرة فى مارى وتحدد الأسرة الثانية فى أوروك بعد الأسرة فى حمازى . وهكذا فإن هذه الوثيقة قد حددت تماما تتابع الأسرات كما ذكرت أسماء معظم الملوك ومدة حكم كل منهم بل وعصر كل أسرة ، الا أننا لازلنا نجهل القاعدة التى اتبعت فى تكوين الأسرات فمثلا لم يرد ذكر بعض الأمراء ممن كان لهم شأن كبير مثل « مسيليم » . وهناك النصوص التى تتحدث عن الأسرة الأولى فى « أور » والتى كشف عنها حديثا فإنها لا ترجع فى تاريخها الى العصور السحيقة بل من المرجح أنها كتبت حوالى عصر الملك « أورنيينا » وفى الواقع ، فإن النصوص المعاصرة هى فقط التى كانت تسمح بإضافة أسماء بعض الأمراء فى قوائم التاريخ الذين اعتبروا من بين أفراد الأسرات الأسطورية فى حين أنهم عاشوا فى عالم الحقيقة .

ولقد أبلغنى « فيدنىر Weidner » بقرب ظهور مؤلف عن قائمة جديدة للأسرات محفوظة فى متحف برلين وهو يعتقد أن هذه القائمة سيكون فيها الحل الجزئى لهذه المسألة . (٢) فى اطلال مدينة كيش (حيث قام « جنويلاك H. de Genouillac » الفرنسى ببعض أعمال الحفر فى موسم شتاء ١٩١١ - ١٩١٢ مبعوثا من وزارة المعارف العمومية الفرنسية) عثر « لانجدون » مدير الحفائر الذى أرسلته كل من جامتى اكسفورد وشيكاجو فى مارس سنة ١٩٢٤ على عدة آلاف من الألواح التى ترجع الى عصر بدء الأسرات محفوظة بعناية فى قدور . ومن المعروف أن بعض هذه اللوحات يرجع الى عصور أقدم من عصور كل النصوص التى نشرت حتى الآن ويظهر أنها مستمدنا بمعلومات هامة عن تاريخ سومر وأكد قبل الألف الثالثة . أما « دى. جنويلاك » فهو يعد حاليا مؤلفه عن الألواح التى كشف عنها .

وابتداء من هذا الملك توجد وثائق معاصرة نسمح بالذهاب الى أبعد من هذا حتى نصنل الى أور - نينا Our-Nina . وأقدم أثر منقوش يتضمن زاقعة مؤكدة هو رأس دبوس حلى برسوم الحيوانات مقدم للاله نينجرسو Ningirsou . حامى المدينة والكتابة أنتى عليه معناها ان ميسيليم Mésilim ملك كش مشيد معبد نينجرسو قد أقام « هذا » من أجل نينجرسو عندما كان لوجال-شاج-انجور Lugal — Shag — engour — ايشاكو (١) مدينة لاجاش .

وفى هذا العصر العتيق يكون أحد ملوك المنطقة الاكدية قد قام بعمل من أعمال السيادة على مدينة من الجنوب وبنى فيها معبدا وفى نيبور يوجد أثر نذره للاله انليل Enlil ايشاكو من كيش يدعى اوتوج Outoug وعليه كتابة أكثر امعانا فى انقدم .

فإذا أردنا الذهاب الى أبعد من ذلك فان الوثائق المكتوبة المعاصرة تعوزنا تقريبا بحيث نضطر اضطرارا الى أن نلجأ الى روايات الخلف المتداولة . فالسوميريون والاكديون (ربما وفد الأولون من الجبال الواقعة الى شرق دجلة والآخرين من سوريا) نسوا فيما يبدو المناطق التى وفدوا منها فى الأصل واعتقدوا أنهم من أصل هذه البلاد نشأوا فى وادى الفرات أصلا . فالعصر الأسطوري يشمل أولا ٦٢ مجموعة من السنين (٢٢٣٢٠٠ سنة) لم يكن فيها - طبقا لما رواه بيروس Bérosee - رؤساء .

(١) لا يعرف ما يقابل هذا اللقب فى اللغات الحديثة لأنه كان لقبا مدنيا وديليا فى الوقت نفسه يجمع صاحبه بين السلطتين الدينية والمدنية وربما كانت له من الاختصاصات ما كان للخليفة فى الاسلام (المترجم) .

٠ (٢) أمدتنا وثيقتان من الوثائق المحفوظة فى متحف الأشمولىان نشرتا حديثا باسم كل ملك ومدة حكمه ومدينته من الملوك السابقين على الطوفان ، فالوثيقة (W. B 62, XI, 1923) تشير الى عشرة ملوك حكموا فى ست مدن خلال مدة قدرها ٤٥٦٠٠٠ سنة - والوثيقة W. B. 144 (Editions of Cuneiform texts, II, 1924) Oxford تذكر ثمانية ملوك فقط حكموا فى مدن كان من المعروف أنها المدن الوحيدة التى أمست قبل الطوفان وهى : أريدو ، بادتيبيرا ، لاراك ، سيبار ، شوروباك . ولم تذكر هذه الوثيقة اسم الملك الذى حدث فى عصره الطوفان . ولا يتعدى المجموع الاجمالى لسنى حكم هؤلاء الملوك أكثر من ٢٤١٢٠٠ سنة . وهناك قائمة أخرى لم تنشر بعد أشار اليها « فيدнер Weidner » فى مجموعة ألواح آشور .

ولقد حلت مدينة بابل محل أريدو وكانت على رأس القائمة فى الروايات التى أخذت عنها « بيروس Beose » ويبدو أن الوثيقة التى استخدمها تعرضت للاصلاحات والتعديلات فى عصر حمورابى . وأن الدراسات التى قام بها المحدثون للاسماء الملكية لا يستحق معظمها سوى الاهمال . فلا ينبغى مثلا اعتبار Xisoutbros كنطق محرف للاسم البابلى Atra-kišis بل انه خطأ فى الكتابة والقراءة . وهذا الاسم Xisoutbros يمثل النطق Zi Sorudda وهو الصيغة الذى اشتق منها الاسم السوميرى Ziusouddou



شكل (٢) كتلة نذر لمسيليم (اللوفر ، تلولو)

ثم تعاقب بعد ذلك عشرة ملوك خلال عصر بلغ مداه ٤٣٢٠٠٠ سنة هم
 الورس ملك بابل والحكيم الباروس (أو اداباروس أو ادابا بطل اسدى
 الأساطير) واميلون صاحب بانتيبيليا (سيبنا ؟) الذى هناك تقارب (٢)
 بين اسمه وبين الكلمة السامية اميلو (بسنى رجل) ثم امينون العامل
 الماهر (اومانو (٣)) ثم ميجالاروس وداؤونوس الراعى أو « ذاوس »
 فى ابدن وربما كان الاسم مشتقا من لفظة بدائية هى راوس التى تقابل
 اللفظة الاكدية رى عو (راعى (١)) ثم افينورانكوس وهو انميدورانكى
 بالسوميرية ومعنى اسمه « سيد القرايات فى جميع أنحاء السماء والارض »
 وهو الذى كشف الالهان شمش وأداد عنه الحجاب وأبناه بالغيب .
 ثم اممبسينوس ملك لاراك ثم اوبارتس من لاراك وهو فى السوميرية
 اوبارتوتو وأخيرا ابنه كسيديوثروس الملقب فى السوميرية بـ « زى -
 اوسودو » ، وفى البابلية « اوتا - نا - بشتيم » . أما اسمه اليونانى فهو
 مكون من تداخل عنصرين من اسمه البدائى اترا - هاسس . وقد حكم
 اكسينيوثروس مدى ٦٤٨٠٠ سنة . وقد قرر الآلهة فى عصره أن يهلكوا
 البشرية وان يغرقوها بالطوفان . والقوائم الملكية التى سلف ان أشرنا
 اليها تعدد تسلسل بقية الأسرات التى تعاقبت فى سومير وأكد منذ الطوفان
 حتى ملوك ايسين Isin .

X, 1893, p. 243

(١)

(٢) نفسه . p. 244.

LV. p. 130.

(٣)

وقد كانت عشر مدن كل في دورها عاصمة لامبراطورية صغيرة أو تسعة الأرباء وقد ذكرت أسماء ١٢٣ ملكا قبل أسماء ملوك ايسين وقد فرض الأجانب حكمهم أربع مرات : اوان Awan وهامازي Hamazi من مدن عيلام وماري (Mari) (Ouerdi) وهي مدينة واقعة عند الفرات الأوسط ثم جوتيوم Goutioum .

وقد تتابع على حكم كيش وهي مدينة في الشمال ثلاثة وعشرون أميرا في فترة خيالية تقع في مدى أكثر من ١٨٠٠٠ سنة . وقد رفع نسر أسدهم وهو إيتانا البطل الالهى لاحدى الأساطير - الى السماء .

وقد كانت عاصمة الأسرة التالية في أوروك Ourouk في سومر وقد وجدت الأجيال التالية - كاله - الملك الثالث لوجال ماردا Lougal-marda وخليفته دوموزي Doumouzi (تموز Tammouz) إله الانبات وعشيق الالهة عشتار Ishtar وقد تولى الحكم من بعدهم جلجامش Gilgamesh الذي يمثل العظمة السوميرية وهو بطل ملحمة رائعة خلد ذكره فيها عدة أمراء من أجل المنشآت التي أقامها في المدينة . وبعد عدة أسر أخرى (١) نصل الى العصر التاريخي الذي لدينا عنه رثائق مكتوبة ومعاصرة .

والواقع أنه لايمكننا أن نصل الى ما قبل مسيليم ملك كيش بأكد ذلك الأمير الذي مد سلطانه على سومر فقد كان يتدخل - عند وجود خلاف بين مدينتين متنافستين - بوصفه ملكا ويعيد بينهما السلام . وقد ذكر انتيميننا Entéména من لاجاش انه اضطر الى ممارسة السلطة المخولة له بوصفه ملكا في خلاف دب بين بلد لاجاش وبين أوما فرسم بينهما الحدود وأقام عندها لوحة تذكارا لمعاهدة السلم بينهما ولم يكن تدخله هذا - تبعا للعقائد الدينية في ذلك العصر - الا بناء على أمر الاله كيش بقصد تسجيل نص المعاهدة التي وضع تفصيلاتها الآلهة بعد أن أمر انيل الاله الأكبر لسومر آلهة لاجاش وأوما بأن يسود السلام بين البلدين وأن تثبت الحدود المشتركة بينهما .

وكان أورنيينا مؤسسا لأسرة محلية في لاجاش ويظهر أن هذا الأمير لم يكن ذا ميول حربية وتشير كل النصوص الخاصة به الى أعماله السلمية : فهو يرمم الأسوار ويشيد أو يعيد بناء المعابد والعمائر العامة الأخرى ويكرس التماثيل للآلهة ويشق القنوات وقد كرس أحداها

(١) بدلا من « ١٨ ألف سنة » تقرا : « ٢٤٥١٠ سنة وثلاثة شهور وثلاثة أيام ونصف » وهو الرقم الكامل .

(٢) XIII, 1921, p. 241 et suiv XXIV b, t. I,



شكل (٣) اورثينا وعائلته (متحف اللوفر - نللو)

ل « انليل » اله سومير الأكبر • وقد شمسيد في حي جرسو Girsou مخزنا للغلال عشر على جزئه الأسفل • وقد أمر أن يمثل فوق ألواح منحوتة وهو يحمل سلة بها أدوات محوطة بأفراد عائلته وحاشيته • وأمر بقطع الأخشاب من الجبال البعيدة واحضارها عن طريق الماء لاستعمالها أبوابا وسقوفا للمنشآت • وكان حكمه عصر يسر وتقدم لمدينة لاجاش •

وقد خلفه ابنه اكورجسال Akourgal ولكن يظهر أن ايانثوم Eanatum أخذ مكانه ووجد نفسه مضطرا الى اصلاح حي جرسو وإعادة بناء حي نينا وكذا سور المدينة المقدسة • ويظهر أن ذلك كان نتيجة للأضرار التي لحقت بمدينة لاجاش في عصر اكورجال • ومما هو جدير بالذكر أن هذا الأمير تخلى عن لقب ملك واسترد لقب ايشاكو •

وقد أزال اوش Oush ايشاكو اوما - بناء على أمر اله المسمى شارا - لوحة مسيليم دون استفزاز أهل لاجاش ، وفسخ المعاهدة التي سبق ابرامها بحضور جميع آلهة سومير وغزا جويدين Gouédin وهي أراضى نينجرسو Ningirsou المقدسة • فأمر اله لاجاش ، نائبه بأن يدافع عن نفسه وانحاز انليل اله سومير الأكبر الى جانب ايانثوم ومع ذلك فان اللجاشيين لم يدخلوا الحرب فورا لأنه يظهر أن الهجوم كان غير

وقطعان الماشية والأسلاب الى أوما فأعد ايانتوم العدة بعناية بقصد الانتقام متوقع وكان عبارة عن غارة خاطفة نهبت فيها القرى وحرقت واقتيد العبيد من هذه المهانة وتوجه الى معبد نينجرسو واستلقى ووجهه الى الأرض فظهر له الآله في الحلم ووعدته بالنصر ومعونه اله الشمس ولما علم الاوميون بمقدمه بادروا الى الخروج لمقابلته قبل أن يقترب بقصد حماية حقوقهم كي تكون الموقعة على اراضى لاجاش . وقد كانت المعركة عنيفة والمذبحة مروعة ولكي ندرك أهميتها نذكر أن عدد القتلى الذين تركوا في ساحة الوغى بلغ ٣٦٠٠ كما يقدر ذلك البلاغ الرسمي . وقد تراجع الاوميون ووصل اللجاشيون تحت أسوار مدينتهم وحاولوا الهجوم ونجحوا في اجتياز الأسوار فبدأت المذبحة من جديد وساد الدمار والخراب فاستسلمت أوما استسلاما واستحالت جثث جندھا طعاما للطيور الكاسرة على حين جمعت جثث جنود لاجاش واحتفل بدفنها في عشرين موضعا في السهل احتفالا جنزيا . وقد شق ايانتوم في حدود المقاطعتين قناة هي خط الحدود بينهما : وهي في نفس الوقت حاجز ضد أي هجوم جديد كما أعيدت اقامة لوحة مسيليم على الضفة وأقيم بالقرب منها نصب تذكاري لمعاهدة السلام الجديدة وفرض على أوما أن تدفع جزية من الغلال طلبت لاجاش تقديمها فوراً . وقد ثبتت المعاهدة بالقسم ووضعت تحت حماية الآلهة وأقام اللجاشيون مقاصير للصلاة تمجيدا للمعبودات التي عاونتهم كما أقاموا نصب النصر المعروف تحت اسم « شاهد العقبان » (١) ولم تكن هذه المعركة ضد أوما أول حلة لا يانتوم فقد هزم عيلام من قبل وكذلك إوروا واسر الايشاكو الذي كان على رأسها وعرضه على بوابة لاجاش لسيخرية الرعاع . وقد استولى على اوروك في حملة رابعة ثم سقطت عقب ذلك أور . Our . وكى بابار . Ki-babbar وامتد سلطانه غقب ذلك على سومير جميعا ثم هجم خارج حدود البلاد على اورواز Ourouaz ومشيمة Mishimé وإروا Aroua ونهب محتوياتها وحرقها . وقد اقلق نجاح ملك لاجاش بال زوزو Zouzou ملك اكشاك فتوجه للهجوم عليه في اراضى الآله نينجرسو ، ولكنه رد على أعقابهِ وطورد جيشه حتى أسوار عاصمته وأبيد . وهكذا سقط في يد اللجاشيين قطاع كبير من الاقليم الشمالى ونادت الآلهة اينانا Innana بواسطة كهنة هيكلها بايانتوم ملكا على كيش .

وقد انتهزت فترة السلام التي أعقبت ذلك لشق قناة تغذى حوضاً وقد بلغ الازدهار حدا دفع الى القول بأنه « في هذا العهد كان نينجرسو بحب ايانتوم » ولكن يظهر ان السنوات الأخيرة من حكم هذا الأمير طرات

(١) راجع شكل ٨ .

عليها كآبة بسبب حرب جديدة ضد عيلام وفقد إيانتوم على التوالي لقب ملك كيش ثم لقب ملك لاجاش وعاد مجرد إيشاكو وقد وصل به الأمر عندما أهدى للالهة نينا جرنا إن ناشدها « إلا يأخذه ملك كيش » .

ومات دون أن يترك نسلا فخلفه أخوه اناناتوم الأول Enanatoum I وحدثت أوما الصراع وقامت بهجوم عنيف. وحدثت معركة غير حاسمة على أرض لاجاش وخلال حكم انتمينا Eintéména حاولت أوما مرة أخرى أن تخلع النير ولكن « الايشاكو » الخاص بها طورد الى المدينة وقتل بالسلاح وولى العرش مكانه أجنبي .

ومنذ عهد اناناتوم الأول كان الكهنة يسيطرون نفوذهم الى حد كبير ونقش اورهالوب Ur-Halub اسمه الى جانب اسم الملك ، كما أن دودو Doudou نفسه كرس لاله - الذي كان هو كاهنه الأكبر قائما لدبوس كانت نقوشه البارزة تزينها صورته وشعار المدينة ، مما يذكر بما سبق أن نحتنه اورنيننا Our-Nina وحين قدم سبتمائة من العلاميين كي يجتاحوا اقليم لاجاش في حكم ايناناتوم الثاني نرى أن لويننا Louénna كاهن نمار Ninmar الذي قام بصدهم لم يخبر الأمير مباشرة بنجاحه بل نراه يوجه رسالة الى انيتارزي Enetarzi كاهن ننجرسو . وقد استولى انيتارزي هذا على العرش وخلفه الكاهن انليتارزي Enlitarzi كما أن ابن هذا الأخير واسمه لوجالاندا Lougalanda كان هو نفسه إيشاكو مدى بضع سنوات وقد أساء هؤلاء المغتصبون استغلال مراكزهم وأخذوا على عاتقهم تعديل القوانين والعادات بما يتفق ومصالحهم الخاصة . وقد تبع هذا رد فعل فخلع لوجالاندا وحل محله أورو كاجينا Ouroukagina الذي استعاد لقب ملك بعد عام أو اثنين على أكثر تقدير . وقد أصلح هذا الأمير المساوي وتشهد نقوشه بذلك كما أن لوحات الحسابات تؤكد صحة النصوص الرسمية وتكشف مجموعة هذه الوثائق عن الحياة الحقيقية لمدينة سوميرية في بدء الألف الثالثة (١) .

وقصة اصلاحات هذا الأمير - وهي مكتوبة في أسلوب أدبي رائع - تصف أولا حالة السكان السيئة « منذ أقدم العصور - منذ البداية » . . . تصف الجور الذي كانوا فرائس له وكذا الظلم الذي كانوا يقاسونه . ثم يسرد الأمير اصلاحاته ويفاخر في النهاية بأنه « وطد دعائم الحرية » في المملكة (٢) . وكان كبار الموظفين قد بلغوا من الفساد مداه مجتدين

Cf. LI.

(١)

LXXVI, p. 74.

(٢)

حذو الايشاكو ولقد اتبع كبار رجال الدين عادة اشرالك الأمير واصحاب المناصب الكبيرة في اقتسام ايرادات المعابد من شعير وملابس وفاكهة حتى يضمنوا لأنفسهم الأمن حين يعرضون الجوز على الشعب : « كان الكهنة يقتلعون الأشجار من حدائق أم الفقير ويستولون على فاكهتها » ولم يعد الكهنة يدخلون حدائق أم الفقير ولم يعودوا يقتلعون أشجارها أو يسلبون فاكهتها » كانت ثيران الاله تستخدم في رى الأراضى الممنوحة للايشاكو وكان الكهنة يوزعون الشعير على رجال الايشاكو ويحضرون - كجزية - الملابس والقماش والطيور والماءز » أما فيما يختص بالجزية النى كان يحضرها الكهنة الى القصر فقد سحب المشرف عليها من وظيفته . والى بيت الايشاكو والى حقله أعاد وضع الاله ننجرسو سيدهم كما أعاد الى بيت زوجة الايشاكو والى حقل الزوجة وضع الاله باو Baou سيدهم وكذا أعاد الى بيت الأولاد وحقلولهم وضع الاله دونشاجانا Dounshagane سيدهم » وقد فصل الموظفون الزائدون عن الحاجة أما الآخرون الذين لم تشب تصرفاتهم الرسمية شائبة فقد استبقوا في وظائفهم فذكر منهم الناظر انيغال Eniggal « كاتب بيت الزوجة (زوجة الايشاكو) منذ السنة الثانية لحكم لوجالاندا الذى صار « كاتب الاله باو » واستمر يستمتع بثقة الأمير . بل ويشهد عدد كبير من لوحات الحسابات على نشاطه في ادارة مشروعات الدولة الكبرى . ولقد جدد « اوروكاجينا » دخل رجال الدين : فمن كان يتناول عن عمل الدفن سبعة أوان من المشروبات المتخمرة و ٤٢٠ رغيفا و ١٢ (قا) من الحبوب ورداء وجديا وسريرا . . . أصبح لا يحق له أن يتناول سوى ثلاثة أوان من المشروب وثمانين رغيفا وجديا وسريرا . . . ومن كان يخضع له ٦٠ (قا) من الحبوب خفض نصيبه الى النصف . وقد كان العرافون موظفين مأجورين فى المعابد ولكنهم اعتادوا أن يتناولوا أجورا مقابل أداء خدماتهم الا أنهم أكرهوا على العودة الى سابق العهد واءطاء استشاراتهم بالمجان . وقد حظر على الأغنياء اساءة استعمال السلطة .

وعندما أراد أوروكا جينا أن يضع فى القانون نصا يلزم الجميع بدفن ثمن ما يريدون امتلاكه من منقول أو عقار ويمنعهم من الحصول عليها بالقوة اختار حالة مملوسة الحمار أو البيت « اذا ولد جحش جيد لأحد وعايا الملك وقال له رئيسه : « أريد شراءه » وكان يعتزم حقا شراءه فان عليه أن يقول له « أدفع نقدا » وفى حالة ما اذا كان لا يريد الشراء فعلا فان الرئيس لايجوز له أن يأخذ الحمار . . . وعلى هذا استطاع كل شخص ان يستمتع بالحرية حسب مركزه .

وقد مثل أورو كاجينا نفسه في النقوش كذلك كملك بناء : فهو يخلد ذكرى إعادة تشييد عدة معابد وخاصة معبد انينو Eninnou حيث هيكّل ننجرسو . وتبين بعض البطاقات ، على هيئة الزيتون المتقوب ، مدى العناية التي بذلت خلال حكم هذا الأمير بقصد إخفاء الأشياء الثمينة ، الخاصة بالمعابد والآلهة وكبار الموظفين في برج من أبراج السور وربما كان ذلك في الوقت الذي أراد فيه الأوميون رفع النير عن أنفسهم فاجتاحوا المدينة تحت قيادة « الايشاكو » الخاص بهم لوجال زاجيسي Lugalzaggisi ممزقين المعاهدة التي أملاها عليها انتمينا وأعملوا في البلاد حرقا وسفك دماء فتحطمت ملكية لاجاش وكتب أحد الكتاب بعد فترة قصيرة مرثية عن خراب المدينة هي إحدى روائع صفحات الأدب السوميري .

وتبين القوائم الملكية التي وضعت في القرن الحادي والعشرين أن لوجالزاجيسي هو الملك الوحيد في الأسرة السادسة عشرة وأنه تولى الحكم حوالي خمسة وعشرين عاما (حوالي ٢٨٧٠ - ٢٨٤٦) وقد ذكرت قبله الأسرة الرابعة لـ « كيش » - وليس أورو كاجينا الذي يظهر أن سلطته لم تمتد إلى أبعد من مدينته نفسها .

وبعد انتصاره على لاجاش استولى ايشاكو أوما على عدة مدن من سومير ونادى بنفسه ملكا على البلاد وكاهنا لـ « أنو » Onou في أوروك وقد تنازل عن لقبه القديم « ايشاكو أوما » ولكنه احتفظ بلقب كاهن نيسابا Nisaba وسقطت نبور في يده وأصبح الايشاكو الأكبر لأنليل الذي كرس له بعض أوان من الحجر وتمثالا . « أخضع أنليل البلاد لسلطانه وقد فتح البلاد جميعها من الشرق إلى الغرب » وحارب حتى الخليج الفارسي وأغار نحو الشمال الشرقي حتى شواطئ سوريا . وقد اهتم من ناحية أخرى بمشروعات المنافع العامة ومنها مثلا مشروع ري لأراضي لارسا . والتمس من الآلهة « أن تمنحه في كرم جندا مثل عشب الحقل في كثرته » والا تغير حظه السعيد . وأن تبقى عليه راعيا لشعبه إلى الأبد . ويظهر أن سلطانه لم يمتد إلى أكد حيث كان يتزايد نفوذ سامي منافس سيوحد الاقليمين تحت صولجان واحد . ثم أسس سارجون أسرة أجاده وهو الذي تمثله أسطورة فيما بعد أنه أتى به إلى العالم سرا ووضع في سلة من القصب مدهونة بالقار على الفرات وانتشله أكي Akki متوليا شئون الري وهو الذي رباه كأنما هي ابن له . وتقول رواية أخرى أنه كان في أول الأمر بستانيا ثم ساكب مشروبات أور - زابابا Our-Zababa - ملك من ملوك الأسرة الرابعة في كيش . وقد سجل انهيار لوجال زاجيسي نقش على قاعدة نصب مشيد في معبد أنليل في نبور . وقد استولى سارجون على أوروك ، وأغلب الظن أن ذلك قد تم له عن طريق المفاجأة وهدم حوائطها

المحصنة ثم نازل بعد ذلك قوات أوروك وانتصر عليهم . وفى معركة ثانية أسرى لوجال زاجيسى « نفسه واقتاده مكبلا بالأغلال أمام انليل اله سومير الأكبر ليفوز منه بالموافقة على خلع الملك القديم والحصول على لقب الايشاكو الأكبر وبذلك أصبح سييدا على المنطقة الشمالية من سومير . وقد سحق فى حملة أخرى قوات أور وهدم أسوار هذه المدينة ثم سقطت أراضى لاجاش كلها فى يده ولما وصل الى شاطئ الخليج الفارسى غسل أسلحته فى مياه البحر وفقا لتقليد دينى استمر معمولا به حتى آخر أيام الامبراطورية البابلية . وفى طريق العودة أكمل فتح سومير بالاستيلاء على أوما وهدم أسوارها .

وقد ورد فى النص نفسه كيف أن سارجون أصبح بفضل رعاية انليل سييدا بغير منافس من البحر الأعلى (البحر الأبيض المتوسط) حتى البحر الأدنى (الخليج الفارسى) . وتقدم نقوش أحد التماثيل بعض التفاصيل عن الحالة السياسية فى شمال غرب سومير وأكد اذ تذكر ثلاث ممالك : الأولى - ماري Mari على الفرات الأوسط التى امتد سلطانها فيما مضى حتى الخليج الفارسى وتحالفت أثناء حكم اياناتوم مع كيش ضد ملك لاجاش ، والثانية يارموتى Iarmouti الواقعة غرب انحناء الفرات . أما الثالثة فهى إبلا Ibla على منحدرات طوروس . وقد امتد سلطان سارجون خلال هذه الأراضى حتى « غابة الارز » وهى لبنان أو ما وراء لبنان ثم الى جبال الفضة (طوروس) وقد كان هذا هدف فتوحاته .

وقد كانت بلاده - وهى أرض كثيرة الأمطار - لاتزود سكانها بأخشاب البناء ولا بالأحجار أو المعادن . وكان عليهم منذ البدء أن يعملوا على استحضرار ما يلزمهم منها من الخارج : أما من الجبال الواقعة شرقى دجلة التى تقطنها شعوب معادية أو من ناحية طوروس ولبنان متبعين فى ذلك الطريق الطبيعى للفرات ومنذ السنة الثالثة من حكمه - حين التمسست منه مستعمرة تجار سامين فى جانيش (Gul-tepé)-(Ganish) فى كبادوكيا Cappadoce كان يضطهدهم نور داجان Nur-Daggen ملك بؤرساهاندا Boursahanda - سار نحو هذه المدينة حيث أرسل من هناك الى أكد (١) نوعين من أشجار التين والكروم والورد والنباتات الأخرى .

وقد بنى سرجون - أو هو أعاد بناء - اجادة أو أكد وهو الموقع الذي لم يمكن تحديده وجعل منها عاصمة لامبراطوريته . وكان بلاطه فخما : وهو يصف أحيانا في تفصيل عدد الأمراء الموجودين في حضرته كما يذكر أحيانا أخرى ان ٥٤٠٠ رجل كانوا يأكلون أمامه كل يوم .

وتذكر نقوش أثر آخر في ايكور Ekour موقعتين انتصر فيهما على عيلام وبارهسي Barahsé وقد مثل بالنحت المهزومون والأسلاب وقبائل المدن التي أخضعت . وقد انتصر كذلك على كازاللو Kazallou الواقعة عند سفح جبال عيلام . ووصلت حملة أخرى الى شيريهوم Shirihoum على شاطئ الخليج الفارسي . ووفقا لروايات العهد البابلي الجديد يقال ان سرجون حمل جيوشه بحرا حتى يذهب لفتح دلمون Dilmoun .

وقد حدثت في أخريات أيامه فتنة عامة وحين حوصر في اجادة استطاع أن يهزم أعداءه وقدم غنيمة ضخمة للالهة عشتار . وقد عاونت سوبارتو Soubartou - وهي الاقليم الواقع الى شمال أكد - الثوار فهزمت كذلك .

وهنا تذكر بابل للمرة الأولى في التاريخ اذ أنها شاركت هي الأخرى في الثورة فكان جزاؤها ان نهبت وخربت ومع ذلك فان السلام لم يستقر . ومات سبارجون ولم يأخذ ابنه سوى « شر » كيش Shar-Kish shatim ملك المجموعة التي كانت ترتبط بعبادة أنو Anou والتي هي في أكد تقابل لوبجال كلما Lougal Kalama في سومير .

وكان على اوروموش Ouroumoush ان يحارب في كل جبهة فقام بمعارك ضد جيوش أور وأوما وذبح ٨٠٤٠ رجلا وأسر ملك أورو « ايشاكو » ها وكذلك ٥٤٦٠ محاربا . وتابع طريق النصر حتى البحر مجتازا في ذلك الحقول ومحطما المدن ومستوليا على الرهائن . واستولى عند عودته على كازاللو وأشاع الرعب في عيلام . وكونت « أوما » مرة أخرى اتحادا مع دير Dêr ولكنه قضى عليه وقتل ٨٩٠٠ محارب وأخذ ٣٥٠٠ أسير .

وقد أسهمت هالاب Hallab ولاجاش فى هذا الصراع وقد كان ايشاكوهما
 ووزراؤهما من بين الأسرى • وقد أخضع عيلام وهزم ابالجاش
 Abalgamash ملك بارهسى Barahsé وقامت معركة كبيرة على نهر
 كابنيتوم Kabnitoum بين اوان Awan وسوسة وهزم انشان
 Anshan وشيريهوم Shirihoum واستطاع أوروموش ان يعث
 ما أعلنه أبوه من قبل من أنه أخضع لأنليل البحر الأعلى والبحر الأدنى
 وكنل المناطق الجبلية ومع ذلك ، فانه اتخذ لقب « شركيش » ولم يطلق على
 نفسه لقب « ملك اجاده » • ولقد أقام مبانى النصر التذكارية فى معبد
 نيبور Nippour ووضع تمثاله الشخصى المصنوع من الرصاص فى
 مواجهة تمثال الاله ، وكرس جانبا من الأسلاب له كما خصص أوقافا
 للقرايين •

ثم ضر مانishtousou Manishtousou انشان وسيريهوم وعبر
 الخليج الفارسى ليهاجم اثنين وثلاثين ملكا صغيرا على الشاطئ العيلامى
 يقصد ضمان استغلال مناجم الفضة والمحاجر • وقد حصل فيما يجاور
 اجاده على مساحات واسعة من الأرض وأمر أن تنقش وثيقة الملكية على
 مسلة من الديوريت وقد اعترفت سوسة بسلطانه ، فكرس ايشاكوها
 تمثالا تمجيذا له •

ولقد هد نرام سين Naram-sin نفوذه (حوالى ٢٧٦٨ - ٢٧١٢)
 من الخليج الفارسى حتى آسيا الصغرى • ويحمل عدد من الآثار الدليل
 على مجده ، وتقدم الفنون الجميلة فى عهده • وقد عثر فى بيرحسين على
 الامبارسو Ambar-sou على مدى أربع سات ونصف الى شمال
 شرق ديار بكر على لوحة إقامها هناك • وقد مثل أحد مهرة النحاتين على
 لوحة أخرى حملها أحد العيلاميين الغزاة الى سوسة • • • الكفاح ضد ملوك
 سدورى Sudouri ولولوبو Louloubou (١) •

وقد أله خلال حياته وتذكر النقوش على بعض القطع الأسطوانية:
التي تخص كبار الموظفين اسمه كانما هو « إله إجاده » • ويرجع تاريخ
كثير من لوحات الحسابات إلى عهده وإلى عهد حفيده شركاليشري.
Sharkalisharri (ما بين ٢٧١١ ، ٢٦٨٨) •

وثارت أوروك
وأصبح لزاما أن يعبد.
غزوها • وقد وصل
العيلاميون إلى أوما
ولسكنهم ردوا على
أعقابهم وكانت الحرب
في الشمال الشرقي ضد
جوتيوم Goutioum
وفي الشمال الغربي ضد
بسر Basar ويخلد اسم
أحد الأعشام ذكرى.
اسر ملك كوتا Kouta
ووضع أساسات معابد
في بابل كما يسجل.
آخر استمرار بناء
الايكور Ekour في
نيبور الذي كان قد بدأ
في عهد الملك السابق :
وقد عشر بين الخرائب
على عوارض أبواب عليها
كتابات وكذا على أختام
للطوب • وعند موت
شركاليشري سادت
الفوضى :



شكل (٤) لوحة نرام سين (متحف اللوفر • وفد فارس) •

« من كان ملكا ؟ ومن لم يكن ملكا ؟ » ا لعد حكم أربعة ملوك خلال ثلاث سنوات ! و « دودو » الذى بقى من عصره اناء من المرمر وابنه جيميل دوركيب Gimill Dour-Kib (حوالى ٢٦٤٦ - ٢٦٤٩) تنتهى بها قائمة أمراء أجاده .



شكل (٥) تمثال جوديا (متحف

اللوهر - تللو) .

وقد استردت السلطان أسرة من أوروك بها خمسة ملوك مدى ٢٦ سنة (حوالى ٢٦٤٨ - ٢٦٢٣) ولكن شرازم جوتيوم الذين استطاع شركا ليشرى منذ أقل من قرن أن يعيدهم نزلوا الى السهل من الجبال الشرقية وأخضعوا سومير وأكد (حوالى ٢٦٢٢ - ٢٤٩٨) وقد أمر أحد ملوك هذا العصر وهو لاسيراب Lasirab أن تنقش كتابة أكديه على دبوس قتال نذرى وهو يتوسل فيها الى اينا وسين مع آلهة بلاده . وبعد مائة وخمسة وعشرين عاما عندما نودى باوتو هيججال Outou-hegal ملكا على أوروك والأقاليم الأربعة وضع نفسه تحت رعاية انليل واينانا الهة أوروك وجلجامش الملك القديم الأسطورى . وقد جمع قوى أوروك وكولاب Koullab ضد الأجنبي . وخسر ترقان Tiriqan ملك جوتيوم المعركة وهرب الى قلعته دوبروم Doubroum ولما هجره رجاله أسر مع زوجته وأطفاله . ووطدت دعائم الاستقلال من جديد . ولقد حفظت لنا بعض الأسماء من ذلك العهد الذى مازال غامضا وهى أسماء ايشاكوهات لاجاش ومن بينهم جوديا Goudeà الذى امتد نفوذه بعيدا الى ما وراء مدينته . ويوجد بمتحف اللوفر أحد عشر تمثالا له وكذلك تمثالان صغيران وبعض قطع من لوحة وقطعتان أسطوانيتان من الآجر تخلدان ذكرى إعادة بناء المعبد الكبير فى لاجاش وكذا بعض قوالب الآجر والمسامير الطينية

والنوحات والأواني ورؤوس الدبابيس وأسود نذري، وبصمات أختام . وقد أعاد بناء الانيننو Eninnou في صورة فخمة : وتصف النقوش على الأسطوانات في أسهاب الاستعدادات التي عملت من أجل هذا المشروع وتنفيذه وحفلات تدشينه . وقد وضع تمثاله الخاص الذي يمثله في صورة متواضعة مليئة بالاحترام أمام المعبود في كل معبد قام بترميمه. وقد أقام في فناء الانيننو سبع لوحات عشر على أجزاء من اثنتين منها . ولدينا كذلك رأس دبوس من رخام طوروس محلاة برؤوس سباع ومغطاة بطبقة من الذهب وكذا اناء مزخرف بالتنانين من نفس طراز نظيرها الذي سنراه شمارا لمردوك . Mardouk اله بابل والذي سيظل يمثل في النقوش والرسومات حتى في الامبراطورية الجديدة. وكذا أسد مكبرس للالهة جاتو دوج Gatoum doug (١) . وحين انتهى من ترميم المعابد عني بتشبيت المنشآت الدينية القديمة وزيادة أغلب التقدّمات الخاصة بالطقوس : ونقوشه تشير اشارة طفيفة الى الأحداث الحربية وهي حرب ضد أنشان . وربما اله جوديا خلال حياته ولكن ليس هناك من شك في انه كان يعبد بعد موته بوقت قصير . وقد أقيمت أوقاف منتظمة لتقديم القرابين لتمثاله : وتوجد لوحات حسابية تؤيد ذلك . وقد خافه ابنه اور ننجرسو Our-Ningirsou الذي سرعان ما خلعه أور انجور Our-Engour ملك أور من مركزه كاششاكو مع بقائه كاهنا لأنو وانكى حتى حكم دونجى .

وحوالى ٢٤٧٤ بدأ في أور عهد الأسرة الثالثة التي أسسها أور - انجور وكانت أور قد خربت وحرق قصرها وهدمت أسوارها فأعاد الملك الجديد بناء مدينته ومعبد ننار Nannar وأصبح سيد أوروك وعين ابنه هناك كاهنا أكبر لاينانا Innana واستولى على لاجاش وخلع ايشاكوها وأحل مكانه اورابا Our Abba وشق قناة هناك . فلما أصبح ملكا على سومير وأكد أعاد بناء كثير من المعابد : معبد اله الشمس في لارسا ومعبدى انليل ونينليل Ninlil في نبور ، وشق القنوات وأصلح القوانين « وجعل العدالة تسود » . ولعل الخاتم الأسطواني لهاشهامر Hashhamer ايشاكو اشكون سبن Ishkoon-sin ومولى ملك أور - وهو من أشهر نماذج الحفر على الأحجار الرقيقة لذلك العصر - هو الدليل الوحيد على كونه من أكد . وهناك من عصره تاريخ يخلد ذكرى حملة « من أدنى الأرض الى أعلى الأرض » .

وقد خلف دونجى Doungi بن اور - انجور Our-Engour

(١) قارن الأشكال ٥ و ١٨ و ١٩ .

اباء حوالى ٢٤٥٦ وتنقسم مدة حكمه الطويل البالغة ثمانية وخمسين عاما الى فترتين ٠٠٠ ويظهر أن الملك خلال الفترة الأولى اهتم فقط بالشئون السلمية فقد كانت كل سنة تشهد حادثا دينيا أو أعمالا خاصة بالمنافع العامة من اقامة معابد ومؤسسات مقدسة ووضع المعبودات فى الهياكل الترميم أعيد ترميمها وتعيين كبار الكهنة وفقا لما يشير به المنجمون وترميم العمارات ٠٠٠

ومع ذلك فلم يكن ليهمل أية فرصة لبسط سلطانه وتوسيعه .
وحين حلت السنة الثالثة والثلاثون نراه يبدأ سلسلة من الحملات على البلاد الواقعة فى الأقاليم الجبلية الى شرق سومير وأكد . وقد عثر على آثار من حكمه فى أماكن كثيرة مثل نيفر Niffer ومغير Moughéir وتللو Tello بل ان قوالب من الطوب عثر عليها فى سوسة تدل على أن نفوذه امتد فعلا الى هذه المدينة كما أن لوحات من تللو تنتسب الى مجموعة « زاد السفر » تبين أن السلطة المركزية كانت تهتم مباشرة بتفاصيل ادارة أبعد المدن وأنها كانت قد نظمت ادارة لحملة البريد (العدائين) هيئت لها مرابط ومحطات بغية توصيل التعليمات وضمان تنفيذها . وجاهد الملك من جهة أخرى فى سبيل توثيق عرى الاتحاد بين مواليه عن طريق فرض ضرائب هى فى الوقت نفسه روابط دينية .
وحوالى العام الثامن والأربعين أعاد تنظيم الحديقة القريبة من معبد الليل الا أنه الأكبر لسومير . ولقد كانت تجمع هناك مدى ثلاثين عاما حتى الأيام الأخيرة للأسرة المستحقات الاقطاعية المفروضة على المدن وحكامها الى جانب التقديمات الاختيارية . وكان الحكام - حتى حين كانوا يحتفظون بلقب ايشاكو - ليسوا فى أغلب الأحيان سوى موظفين يعينهم الملك وكان على أوما Oumma وبابل Babylone ومرد (ونة السادون قرب أفج Wannet es-sadoun près Afadj) وأدب (بسمايا) Adab (Bismaya) وأور Our وشوروباك Shourouppak وكازاللو kazallou (بين مرد واجاده entre Marad & Agadé) ٠٠٠ كان عليها جميعا أن تقدم قرابين معينة كل منها شهرا فى السنة . وكان ايشاكو جرسو Girsou يدفع وحده حصة أربعة شهور كل عام . أما الحصة الثانية عشرة فهى التى يقدمها ايشاكو « عيد دونجى » .
وأما المدن الأخرى مثل نبور فى سومير وكيش فى أكد وهارشى Harshi فى شرق دجلة ومارى Mari وابلا Ibla على الفرات من ناحية الغرب فكانت تقدم أنصبة واستحقاقات وضرائب من وقت لآخر . وقد اتسعت الأعمال الكتابية فى الدواوين اتساعا ضخما وكانت قد تقدمت تقدما كبيرا فى المدن فى عصر لوجالانده وأورو كاجينا . فلم يعد هناك

عمل يجرى فى المخازن العمومية دون كتابة لوحة يعهد بها الى عمال
المنحوظات الذين يسجلونها فى قوائم الحسابات الخاصة بسنة او عدة
سنوات . ولم تهمل أية فرصة من شأنها زيادة النفوذ الملكى . وفى العام
الخامس والعشرين أصبحت الأميرة نياليمداشو Nialimdashou
ابنة الملك سيدة. على مارهاشى Marhashi فى الاقليم الجبلى . وفى
العام التاسع والثلاثين تزوج ايشاكو أنشان احدى الأميرات الملكيات . . .
ولكن الصلات الطيبة لم تستمر طويلا اذ أن اقليمه اجتيع بعد سنوات
أربع .

وقد أمر دونجى - كما فعل نرام سين من قبله - أن تقدم له فروض
التمجيد الالهى فبنيت له المعابد وقدمت التقدمة لتمثاله عند ظهور الهلال
الجديد وعند اكتمال القمر بل ان أحد الشهور فى بعض التقاويم المحلية
كان يسمى « شهر عيد دونجى » وألفت الأناشيد الدينية فى تمجيده .
كما أنه هو ذلك « الاله الملك » الذى استعمل اسمه كجزء من أسماء رعاياه
مثل : دونجى ايل (أى دونجى الهى) ودونجى بانى (دونجى الخالق)
ودونجى أبى (دونجى والدى) .

وقد خلفه ابنه بورسین Boursin وحكم تسع سنوات (٢٣٩٨ -
٢٣٩٠) وكان عليه أن يتابع الحرب ضد الشعوب فيما وراء دجلة . وقد
استخدم تخريب أوربيللوم Ourbilloum فى العام الأول وشاشارو
Shasharou وهو - هونورى Houhounouri فى العام الخامس
والعام السادس كمعالم فى التقويم . أما التواريخ الأخرى فتتصل بالدين .
وقد أعاد ترميم جزء من معبد انليل فى اريدو Eridou كما أقام تمثالا
فى أور Our ونفذ مشروعات كثيرة فى معبد اله القمر . وأما فى نيبور
فقد شيد مبنى لتقدمات العسل والزبد والنبيد لانليل « الاله الذى يمنح
الحياة لأرضه » « اله الشمس لبلاده » وقد تقبل التقدمة - كما كان
يفعل أبوه - فى المعابد المكرسة له وظل فى عداد مجمع الآلهة . وقد عاد
ظهوره فى القرن السابع فى موكب اله أور . وتظهر هنا أشور للمرة الأولى
فى تاريخ سومير وأكد : فان زاريكو Zarikou - شكاناك Shakkanak
أشور - رفع تكريسا لأجل حياة مولاه « بورسین - ملك أور القوى - ملك
الأقاليم الأربعة » .

وقد كانت عارضة باب فى أحد المعابد المقامة تمجيدا للملك الذى يحكم
فى أور نفسها ، - تحمل تكريسا من لوجال ماجورى Lugal magouri
ايشاكو أور. تمجيدا لجيميل سين Gimil-sin « اله » بن بورسین
وخليفته وتبعاً للنصوص المعاصرة نجد أن هذا الأمير حكم مثل أبيه تسع

سنوات (حوالي ٢٣٨٩ - ٢٣٨١) وقد خرب سيمانوم Simanoum في الشرق وكان عليه ان يشيد حائطا من دجلة الى الفرات قرب سيبار Sippar ، لحماية اقليمه ضد غارات العموريين . وفي السنة السادسة خربت ارض زابشالي Zabshali وقد رمم ايضا المعابد وزينها . وقد استمر العمل بنظام المركزية في عهده حتى ان كبير وزرائه « اراد نانا Arad Nannar » استطاع ان يطلق على نفسه لقب ايشاكو ست مدائن وحاكم خمس اخرى وكذا ارضين اخر وذلك في نقش على عوارض ابواب معبد اقامه في جيسو تمجيذا للملك ، اذ ثبته في وظيفته التي كان ابوه - ومن قبله جده - يشغلانها .

وآخر ملك في هذه الاسرة هو ايبى سين Ibi-sin بن جيميل سين Gimil-sin (حوالي ٢٣٨٠ - ٢٣٥٨) وتشير الوثائق المعروفة كلها الى السنتين الاوليين او السنوات الثلاث الاولى من حكمه فقد اكتسح ايشان وزوج احدى بناته من ايشاكو هذا البلد ولم يستطع الاحتفاظ بسلطانه تحت ضغط ايشبي ايرا Ishbi-ira سيد عموري ماري على الفرات الاوسط وضغط عيلامي « كتورناهننتي » التواقين الى رفع النير عنهم والاقامة في السهل فأسر واقتيد الى ماري ثم ظهرت مملكتان جديدتان على انقاض امبراطورية اور : احدهما في ايسين والآخرى في لارسا . فقد انشأ ايشبي ايرا (حوالي ٢٣٥٧ - ٢٣٢٦) في ايسين اسرة عمورية اتخذ امرأوها لانفسهم لقب ملوك سومير وأكد وأضيفوا على انفسهم الصفات الالهية . وقد اعتبر ثالث ملوك هذه الاسرة سيبار ضمن المدن الخاضعة لصولجانه وبسط ابنه ايشمى داجان Ishmi dagan (حوالي ٢٢٩٤ - ٢٢٧٥) نفوذه على نيبور واور واريديو واوروك . وخلفه اخوه ليبيت عشتار Lipit-ishtar (حوالي ٢٢٧٤ - ٢٢٦٤) وحل محله اور اينورتا Our-inourta (حوالي ٢٢٦٣ - ٢٢٣٦) الذي لقب بنفس القاب اسلافه وفقا لما هو مدون على قوالب طوب البناء مع انه حدث اثناء حكمه ان جونجونوم Goungounoum خامس ملوك لارسا (٢٢٦٤ - ٢٢٣٨) دعم نفوذه واستولى على اور وانتهى به الامر الى ان اتخذ لنفسه لقب ملك سومير وأكد . وظل ثبت ايناناتوم بن « ايشمى داجان » كبيرا لكهنة نانا في اور فاقام ايناناتوم - اعترافا بذلك - معبدا لببار Babbar اله لارسا ليرعى حياة جونجونوم « ملك اور » وكان الاستيلاء على اور سابقا للسنة التاسعة من حكمه (٢٢٥٦) لان الملك قد أمر في هذه السنة بوضع شارات في معبد نانا كما انه وضع في السنة التالية تمثالا نحاسيا هناك . ومع ان اهم الحوادث التي جلدت ذكراها تتعلق بنواح مدنية ودينية الا انه سجلت له حملتان حريبتان :

اكتساح باشيمة Bashimé في السنة الثانية وأنشان في السنة الرابعة .

وقد خلف أبى - ساره Abi-sari (٢٢٢٧ - ٢٢٢٧)
جونجونوم وقد قام كذلك بشق القنوات وتزيين معابد الآلهة : فقد تلقى
نانار من اور تمثالين أحدهما من الفضة والآخر من العقيق واللازورد .
وفي السنة التاسعة حارب قوات ايسين أثناء حكم الملك بورسين (حوالى
٢٢٢٥ - ٢٢١٥) الذى اتخذ لنفسه ألقاب أسلافه وادعى السيادة على
نيبور وأور وأريدو وأوروك وايسين . وبين خاتم أسطوانى يحمل اسمه
فى النص الوارد به خصائص فن النحت على الأحجار الرقيقة فى عهد الأسرة
الأول البابلية . ومع ذلك فان سومو ايلوم Soumou-iloum
(٢٢٢٦ - ٢١٩٨) خليفة ايساره كان قد احتفظ بلقب ملك أور كما كان
يملك لاجاش ، حيث أهدى كلب نذرى من حجر الصابون (ستياتيت)
تمجيدها له الى الالهة نين ايسين Nin-isin (١) وقد حارب كازاللو
(السنة الثالثة والسنة الحادية والعشرون) وكايدا Ka-ida (السنة
الثامنة) وكيش (السنة العاشرة) وشق القنوات وأهدى الى شمش تمثالا
من الفضة (٢) .

تعتبر السنة التالية للسنة التى ولى فيها سوموايلوم الحكم من أهم
العهود فى تاريخ الشرق :

فى عام ٢٢٢٥ نادى سومو أبوم Soumou-aboum العمورى
بنفسه ملكا على بابل . وقضت الأسرة التى أنشأها على أسر ايسين ،
ولارسا وبسطت نفوذها على سومير وأكد وحققت نهائيا وحدة البلدين تحت
صولجان واحد تلك الوحدة التى طالما حاولت أهم المدن الوصول
اليها منذ أكثر من ألفى سنة . وقد أبيد الجنس السوميرى جزئيا وامتص
الجزء الباقي فى الأجناس الأخرى ولم يحتفظ باسم سومير نفسها الا فى
المراسيم على حين شمل اسم أكد كل الاقليم . ولم تعد بابل المدينة
السياسية فحسب بل العاصمة الدينية للامبراطورية كذلك .

وقد هاجم ايلوشوما Iloushouma الأشورى سوموايوم
(٢٢٢٥ - ٢٢١٢) ومع أن هذه المعركة معروفة فى التاريخ البابلى، الا أنه
يظهر أنها لم تكن حاسمة بدليل أن الملك لم يخلد ذكرى خاتمتها وقد بادر
بتحصين مدينته فأحاطها بسور من اللبن ثم عمل على التوسع فى السنة
الثالثة بنى حائط كيبالبارو Kibalbarrou فى ضاحية العاصمة .

(١) راجع شكل ٢٠ .

cf LXXVI.

(٢)

وفي السنة التاسعة ضم دلبات Dilbat (التي تبعد ٢٧ كيلو مترا) وهي مركز اقليم خصب يضمن تموين العاصمة . وقد اعترفت سيبار بسيادته عليها لان اسم الملك البابلي وارد في نص القسم . ولكنها ظلت تتمتع الى حد ما بالاستقلال : فلها ملوكها ولها تقويمها ولها تقاليدها القضائية . وقد قاومت كيش مدى ثمانى سنوات فاضطر سوموايوم الى التحالف مع ملك لارسا لكي يخضعها . وفي السنة العاشرة ثبت سيادته عليها باهداء تاج الى الاله انوم Anoum ، ثم وجه جهوده نحو الشرق وهاجم كازاللو التي كان قد حاربها سومو ايلوم (عام ٢٢٢٤) واكتسحها (٢٢١٤) ثم مات بعد سنتين وخلفه سومولا ايلوم - Somou la-illoum (٢٢١١ - ٢١٧٦) فاستعادت كيش قسطا من الاستقلال .

ويشير نص لاشدونى اريم Ashdouni-éirm خصم سوموايوم الى حرب استغرقت ثمانى سنوات ضد « الاقاليم الاربعة » وانه لم يبق لدى ملك كيش فى العام الثامن سوى ثلاثمائة محارب ولكنه استرد السيادة - كما يذكر - فى خلال اربعين يوما بعد أن حارب على مسيرة يوم - وهى مسافة تعادل ما بين كيش وبابل - وذلك بفضل معونة آلهته زابابا Zababa وعشتار Ishtar .

وفي عهد ماناما Manama (٢٢١٢) كان يؤدى اليمين باسم هذا الأمير وليس باسم سوموايوم . وتحمل بعض اللوحات تواريخ بابل المعهودة على حين تحمل لوحات أخرى التواريخ المحلية . وبعد ماناما أتى سومو ديتانا Soumou-ditana وياويوم Iawioum الذى أخذ المدينة فى عهده واكتسحها سومولا ايلوم Soumou-la-illoom (٢٢٠٠) وشقيق سومولا ايلوم قناه شاماش هيجاللو Shamash-hegallou فى عامه الأول وبنى حائط بابل العظيم (٢٢٠٨) وأقام معبد اداد Adad (٢٢٠٥) وحفر فى العام السابق لتخريب كيش قناة أخرى أطلق عليها اسمه وفى عام ٢١٩٥ ثار يازير ال Iazir-el الكازالوى وانطلق نحو بابل واستدرج كيش نحو النزاع وقد استولى على المدينة الأخيرة فى العام التالى فقوضت أسوارها . كما دكت حوائط كازاللو (٢١٩٣) وهزم جيشها وتمكن يازير الى أن ينجو بجلده ولم يكن فى الاستطاعة القبض عليه وقتله حتى عام ٢١٨٨ . وتخلد السنوات الثانية والعشرون والرابعة والعشرون والسادسة والعشرون من الحكم ذكرى الأحداث الدينية من تزيين عرش مردوك Mardouk بالذهب والفضة ومن تماثيل لزاربانيتوم Zarpanitoum وعشتار Ishtar . وانا Nana . وجعل ملك بابل من نفسه سيدا على كوئا

Koutha (٢١٨٥) ورمم حوائطها ووضع في نفس العام أقدامه في سومير واستولى على دورزاكار Dourzakar أحد حصون نيبور . ومات بعده . حكم استمر مدى ستة وثلاثين عاما تاركا لابنه زبيوم Zabium (٢١٧٥ - ٢١٦٢) ملكا يضم كل اقليم أكد تحرس حدوده الجنوبية أربع قلاع وكذا اقليم دورزاكار في سومير .

ولم يسع زبيوم على ما يظهر في توسيع دولته ولسنا نعرف سوى حملة حربية واحدة قام بها وجهت ضد كازاللو التي كانت قد رمت فحطم أسوارها من جديد (٢١٦٥) وقد اهتم بإعادة بناء المعابد وأقام تمثالا برونزيا لنفسه في إي ببار E-babbar في سيبار (٢١٦٤) . وشق قناة وحصن كارشماش Karshamash . وقد رمم إيل سن Abil sin (٢١٦١ - ٢١٤٤) حوائط بابل وشيد المعابد وحفر القنوات وقدم عرشا ثمينا إلى شماش .

وقد استعاد سن آدينام Sin-idinnam ملك لارسا (٢١٨١ - ٢١٧٦) بن وخليفة نوراداد Nour-adad (٢١٩٧ - ٢١٨٢) من زامبيا Zambia الملك الثاني عشر لآيسين لقب ملك سومير وأكد واستغل السنوات الست التي حكم خلالها في تشييد التحصينات وفي تأمين وسائل الري ببلاده .

أما أخلافة سن أريپام Sin eribam (٢١٧٦ - ٢١٧٤) وسن إيشام Sin-igisham (٢١٧٣ - ٢١٦٩) وتسيللي اداد Tsilli adad (٢١٦٨) فيمرون عبر صفحات التاريخ دون أن يتركوا أثرا ما وأغلب الظن أن تسيللي اداد خلع ... خلع موثي ابال Mouti-abal ملك كازاللو الذي هاجم بعد ذلك ادا (والد) إيموتبال Emouti-abal كودور مابوج Koudour Maboug بن سمتي شلهاك Simiti shilhak . وقد مزق جيش كازاللو وقنع كودور مابوج بأن يضيف إلى لقبه ك « ادا إيموتبال » لقب « ادا الغرب » وأمر بالاعتراف بابنه وارادسن Warad sin ملكا على لارسا (٢١٦٧) في أيام زابيوم ملك بابل .

ثم تبدأ حرب أجناس تستمر أكثر من سبعين عاما وكان الصراع من أجل سهل سومير الغني الذي جهد العيلاميون في تملكه . وبعد خمسة وثلاثين عاما يرى ريمسين Rim sin الملك العيلامي الثاني « لارسا » وقد حطم آيسين وقضى على استقلالها (٢١٣٢) ولكن يقوم في طريقه ملك بابل . وفي ٢٠٩٥ يهزمه حمورابي Hammourabi ثم يسقط في يده في العام التالي .

وفى عام ٢١٣١ أشهر سن موبالليت Sinmouballit (٢١٤٣ - ٢١٢٤) خليفة ابيل سن Abil sin حربا ضد جيش اورو لارسا وكانت ايسين قد فقدت ملكها وان ظلت تحتفظ بقسط من الاستقلال غير وطيد بين متنافسين لم يكن أحدهما أقوى من الآخر بحيث يستطيع الاحتفاظ بها . وقد تفاخر ملك بابل بعد ذلك بسنوات ثلاث (٢١٢٨) بأنه استولى على المدينة . وفى العام التالى استطاع ريمسين Rim sin « فى يوم واحد » أن يستولى على دوننوم Dounnoum « المدينة الرئيسية فى ايسين » ربما عن طريق عنصر المفاجأة وأسر محاربيها وان استنقذ المواطنين . وسرعان (٢١٢٦) ما انضمت ايسين الى دولة لارسا . ومات سن موبالليت عام ٢١٢٤ وقد قدر لابنه حمورابى (٢١٢٣ - ٢٠٨١) أكثر ملوك بابل تألقا والمؤسس الحقيقى لوحدة الامبراطورية . . . قدر له لا أن يتابع سياسة أسلافه فحسب بل ان يجمع القوانين والقواعد القائمة على العرف ويعيد تنظيم ادارة العدل ويركز السلطة . ولقد سار أبعد مما سار اليه دونجى ملك أور ، اذ استطاع عن طريق ثورة دينية أن يقلل من عدد الآلهة عن طريق ارغام المعبودات المتنافسة على التكتل بل وان يخلق انليل نيبور الذى استطاع أن يتمتع بالسيادة . منذ أزمان لا يستطاع تحديدها ارضاء لمردوك اله بابل . وقد استولى بعد خمس سنوات من ولايته للعرش (٢١١٨) على اوروك وايسين ولكنه لم يقض على أسرة لارسا الا فى عام ٢٠٩٥ حين أشهر الحرب ضد جيوش عيلام وهرب ريمسين . Rim-sin الى ارض ايموتبال التى كان قد جاء منها أبوه كودور بابوج ثم أخذ فى العام التالى أسيرا . ولكن الحرب لم تكن قد انتهت فان قوى اشنونناك Ashnounnak اتحدت مع قوى ايموتبال وكان لابد من حملة حربية جديدة (٢٠٩٣) لايقاع الهزيمة بهم . وبعد عشرين عاما (٢٠٧٢) . خلال حكم سامسو ايلونا Samsouilouna ظهر شخص ادعى انه ريمسين وأثار ايداماراز Idamaraz وايموتبال Emoutbal وأوروك وايسين ، ولكنه لم يستطع تأسيس سلطة مستديمة . وقد اهتم حمورابى بمجرد وصوله للحكم ب « اقرار العدالة » وعمل طوال عهده على جمع « قرارات الانصاف » وأمر بنقشها على الحجر ، والقانون الموحد الذى عثر عليه فى سوسة ليس سوى واحد من هذه

المجموعات التي نشرت.
بعد السنة الأربعين من
حكمه • وبها أعلن الملك
قواعد العرف الجديدة
والقوانين السوميرية
القديمة لتطبيقها على
المجتمع الجديد الذي
امتزج فيه العموريون
بأهالي سيومير وأكد
الأقدمين • وقد سرد في
«سنتهل» «القسائون»
الموجود «عبد معين» من
المدن الخاضعة لبابل
التي امتد نفوذها من
لاجاش واريديو بالقرب
من الخليج الفارسي حتى
أششور ونيوى وهما
مدينتان من مدن آشور •



شكل (٦) الملك حمورابي أمام الآلهة شابس -

وكان الجنس السوميري قد كاد يزول ويتلاشى في الجنس البابلي
الذي كان عنصره الأكدي قد اكتسب دما جديدا باستيطان العموريين •
وكانت النقوش تكتب بالسوميرية رغم أن هذه اللغة أصبحت لغة ميتة
لا تفهم بدون ترجمة إلا بصعوبة • ومع ذلك فقد بقيت مستعملة كلغة
مقدسة في الشؤون الدينية كما استمر القضاء يستعمل النصوص التي
كانت التقاليد قد وضعتها • وقد تفنن الكتبة في أن يضعوا بين السطور
تراجم وقوائم علامات وكلمات ورسوما تعبر عن الأشياء التي يقصدون
ذكرها وجملا نسخت بعد ذلك وتطورت حتى نهاية الامبراطورية البابلية
الجديدة ، بل حتى في عهد السلوقيين Séleucides .

وقد عرف حمورابي كيف يستغل هذا الانحطاط في سومير لدعم
نفوذه فنبتت في ذهنه فكرة تعديل هذا التراث القديم في وضع جديد

يتفق والظروف السياسية الجديدة وهكذا فإن مردوك اله بابل الذى كان فيما سلف الها من الدرجة الثانية - وهو ابن انكى Enki اله اريدو - نبوا مركز الصدارة عن جدارة وجعل مجمع الآلهة العظام يمنحه النفوذ السامى الذى كان للاله الأعظم أنو Anou وهكذا حلت بابل العاصمة السياسية محل نيبور وأصبحت - بغير منافس - العاصمة الدينية التى يلتمسها الاشوريون فى تقاليدهم الدينية .

وقد جد حمورابى فى تنمية التجارة مع الغرب أى مع أقاليم البحر الأبيض المتوسط التى كانت تقصد منذ البداية لجلب منها الحجر والمعادن وأنواع الأخشاب العطرية التى لا وجود لها إطلاقا فى السهول المنخفضة لندجلة والفرات والتى استوطنها هؤلاء الساميون الغرييون الذين يعتبر هو وعشيرته من سلالتهم . وكذلك شق القنوات داخل مملكته بقصد تيسير التبادل وزيادة الأراضى الزراعية . وتدل الرسائل التى تبادلها مع حكام المدن أنه ركز فى يده الشئون الادارية وأنه عنى مباشرة بإدارة الشئون القضائية وبمشروعات المنافع العامة وكذلك بتنمية أملاكه الخاصة وصيانة قطيعاته العديدة .

وقد أثبتت الحفائر انه كانت توجد منذ ذلك العهد قواعد لتخطيط مدينة بابل تلك القواعد التى صمدت واتبعت حتى نهاية عهد الامبراطورية البابلية الجديدة رغم الثورات وعهود الاحتلال الأجنبى . ويغضى مدنية عهد حمورابى القصر وتل عمران بن على والمركز . وكان يوجد فى المنطقة الواقعة الى شمال المركز حى خاص بنيت بيوته باللبن المقام على أساس من الآجر وهى الطريقة التى اتبعت دائما بعد ذلك فى البناء . وقد كان جزء من هذا الحى تحت مستوى الماء الحالى والجزء الآخر فوقه . وتدل طبقة كثيفة من الرماد أن هذا الحى دمره حريق ربما شب وقت الغزو الحبشى . وكان معبد عشتار فى أجادة محاصرا بالبيوت من كل جانب وكانت الطرق الكبيرة الموازية جميعا للطريق المقدس تتقاطع متعامدة مع طرق أخرى ، فى حين أن بيوت المدن السوميرية القديمة كانت مجمعة دون ترتيب كما انه لم يكن للطرق اتجاه ثابت .

وقد اضطر حمورابى بعد تدمير ايسين وأسر ريم سين وحربه ضد اشنوناك وايموتبال (٢٠٩٣) الى أن يتجه نحو الغرب ويهاجم مارى (٢٠٩٠) ويهدم أسوارها . وبعد سنتين حارب فى الشمال قوات توروكو Touroukkou وكاكمو Kakmou وسوبارتو Soubartou وانتصر أخيرا عام ٢٠٨٦ على جميع البلاد المعادية فى سوبارتو .

وقد تابع سامسو ايلونا Samsou-ilouna (٢٠٨٠ - ٢٠٤٣)
 التقاليد القويمة التي كان أبوه قد استنساها فراقب - مثله - الموظفين بنشاط
 واهتم بالمشروعات العامة الكبيرة . وفي السام الثامن من عهده أظهر
 الكاسيون Kassites على الحدود الشرقية عداهم . والكاسيون شعب
 من المحتمل جدا أن يكون من عنصر آري كان على ما يظهر ينتسب إلى
 الميتسانيين Mitanniens الذين استقروا في شمال ميزوبوتاميا
 Mésopotamie فهزموا وردوا على أعقابهم ، ولكنهم ما لبثوا أن تسربوا
 إلى داخل البلاد كفعلة وعمال وأقاموا بعد ثلاثة قرون - أي حوالي ١٧٦١ -
 أسرة في بابل لم تندمج مع العنصر الأصلي . وفي الجنوب كونت رواسب
 المهرين منطقة مستنقعات غطى جزء منها بالقصب وزرع الجزء الآخر
 الأهلون ومنهم السوميري ومنهم الأكدي كما يستدل على ذلك من أسماء
 ملوكهم . ويغلب على الظن أنهم لجأوا جميعا إلى هذه المنطقة وقت تسرب
 العموريين . وقد سميت هذه الجهة « أرض البحر » وحكمها ايلوما ايلوم
 Elouma-iloum وتحدى ملك بابل . وقد واجه حملتين لم تنجحا بل
 يظهر بالمعكس أن ملك أرض البحر أصبح منذ السنة الثلاثين من حكم
 سامسو ايلونا سيد نيبور حيث عثر على لوحة تحمل اسمه كما أن ملك
 بابل اضطر إلى اصلاح خط الحصون الذي كان سومولا ايلوم Soumou
 la-iloum قد أقامه على حدود أكد . وقد ورد سامسو ايلونا في عام ٣٦
 هجمة قامت بها عصابات عمورية محاولة الاستيذان في بابل ومع ذلك
 فإن الاتصال بالأقاليم الغربية كان ميسرا في أغلب الأحيان : فقد
 استحضر قبل ذلك بعشرة أعوام كتلة حجرية ضخمة من جبل عامورو
 الكبير .

وقد ورد في مصدر لاحق لهذا العهد أن أبيشسو Abéshou
 (٢٠٤٢ - ٢٠١٥) ابن وخليفة سامسو ايلونا جدد الحرب ضد ايلوما
 ايلوم وحول مجرى مياه دجلة ، حتى يستطيع الوصول إلى عدوه ولكنه
 لم يستطع القبض عليه وشيد بالقرب من دجلة حصن دور أبيشسو
 Daor Abéshou وبنى مدينة لوكايا Loukaia على قناة أراحتو
 Arahtou في ضواحي بابل . وجعل عاصمته بمعابد جديدة : كرس
 أحدها إلى انليل نيبور وربما كان ذلك بقصد تدعيم ادعاء الملك بشأن
 حقوقه على العاصمة الدينية القديمة التي سقطت في أيدي رجال
 « أرض البحر » وأقام معبدا ثانيا تمجيذا لنانار على نمط معبد أور الكبير .
 وقد وضعت على الأقل خمسة تماثيل للملك في هياكل الآلهة كما جدد
 تمثال ايشاكو لاجاش القديم « انمينيا » الذي كان له كذلك هيكل في
 بابل . وهما يجدر بالذكر أن امشاه نفسه كما فعل أسلافه من قبل

منذ الاستيلاء على نيبور . . . ألم تنتقل السيادة العظمى من انليل الى ماردوك ؟ أولم يرث ملك بابل كل المزايا التي يتمتع بها فيما مضى كبير ايشاكو انليل ؟ لقد ظل النظام السياسى والاجتماعى الذى وضعه حمورابى قائما . ورغم ضياع جزء كبير من سومير والقلق القائم من جراء تهديده أرض البحر المستمر أمكن الإبقاء على العلاقات الطيبة مع عيلام وسوريا وظل التبادل التجارى مزدهرا معهما .

وأخذ أميديتانا Ammiditana (٢٠١٤ - ١٩٧٨) فى تنفيذ مشروعات عظمى متصلة بالمنافع العامة : قناة أميديتانا وقلاع واسوار وقصور فى ضواحي بابل على ضفاف الاراهتو . وحارب أرض البحر واسترد نيبور وايسين التى حطم أسوارها (عام ٣٦) وبعد عامين اعتلى اميزا دوجا Ammizadougā (١٩٧٧ - ١٩٥٧) العرش وفى السنة التاسعة وقع فى نزاع مع جيرانه وفى السنة العاشرة بنى قلعة « دور أميزادوجا » على ضفاف الفرات . وفى السنة الخامسة عشرة شق قناة . وهناك اشعارات فى أخريات عهده وفى عهد سامسوديتانا Samsou-ditana (١٩٥٦ - ١٩٢٦) تشير الى صراع حربى . واختفت الأسرة تحت ضغط الغربيين وطبقا لما جاء بمذونات بابل الجديدة نجد أن الحيثيين الذين كانوا يقطنون آسيا الصغرى وكانت لهم منذ عدة قرون علاقات بسومير وأكد ينزلون من جبالهم ويتبعون مجرى الفرات ويكتسحون بابل حيث عثر على أحد نقوشهم . وحمل ماردوك وزوجته زريانيتوم أسرى الى بلاد هانا Hana (١) ، حيث ازدهرت مملكة عمورية تأثرت تقاليدها تأثرا كبيرا بالمدنية البابلية .

ولقد باشر ملوك أرض البحر سلطة غير مستقرة ولا ثابتة على اقليم أكد مدى قرن ونصف من الزمان (١٩٢٥ - ١٧٦٢ تقريبا) وحين أحس الكاسيون Kassites بأنفسهم على درجة من القوة استولوا على السلطة وسمى جانداش Gandash (حوالى ١٧٦١ - ١٧٤٦) مؤسس الأسرة الثالثة نفسه ملك بابل وملك الأقاليم الأربعة وملك سومير وأكد . ورمم معبد ماردوك الذى لم يكن الاله موجودا به . وحكم ابنه اجوم الأول Agoum I مدى ٢٢ عاما (حوالى ١٧٤٥ - ١٧٢٤) وخلفه ابنه كاشتلياش الأول Kashtilish I (١٧٢٣ - ١٧٠٢) وغزا ابن آخر له هو اوامبورياش Ouambouriash أرض البحر ، التى كان آخر ملوكها أيا جميل Ea-gamil قد قاد حملة ضد عيلام . وكان من

(١) العاصمة ترقا Tirqa تل اشارة Ishâra بين دير الزور والصالحية .

الضرورى فيما بعده أن يغزى هذا الاقليم وقد قام بذلك أجوم وهو ابن أصغر من أولاد كاشتلياش الأول بينما كان أخوه الأكبر اوشى Oushshi يشرع على عرش بابل وكان خلفاء هذا الأخير أخوه الثانى أيراتاش Abirattash وثاشيجوروماش Tashshigouroumash . ابن أيراتاش وأجوم كاكريمه Agoumkakrimé بن تاشيجوروماش وكان من حظ أجوم الحسن أنه استعاد تماثيل مردوك وزربانيتوم وأعادها ثانية في احتفال الى ال « ايزاجيل Esagil » المرمم والمزين . وكان الذهب وكانت الأحجار الكريمة وأندر الأخشاب تتنافس في تزيين الهياكل وفي صنع التماثيل والشارات . وأعيد تنظيم الكهانة ودعمت العبادة وأعفيت ممتلكات الآلهة من كل الضرائب . ومد أجوم نفوذه شرقا على بادان Padan والأمان Alman وجوتيوم واشنوناك .

وخلال قرن ونصف لا نعلم شيئا عن تاريخ بابل خلا أن ثمانية من الملوك خلف الواحد منهم الآخر على العرش وأن من بينهم كورييجالزو الأول ومليشيباك الأول Mélisipak I .

وان نحن حاولنا أن نلتقط حيط الأحداث مرة أخرى فأننا نعثر على المستندات المعاصرة بعيدا عن خرائب بابل فلقد سلطت عليها الاضواء صدفة الكشف في مصر ، في تل العمارنة ، عن موقع مدينة اخت آتون التي أنشأها امنوفيس الرابع والذي نقل اليها المحفوظات الدبلوماسية الخاصة بابيه وبه . ولقد استخرجت من هناك مراسلات هذين الملكين مع أمراء سوريا وملوك الحيثيين وميتاني وآشور وبابل . وقد كتبت على لوحات طينية في حروف مسمارية بابلية أو بلهجة قريبة منها جدا . وأقد كان تأثير سومير وأكد على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وآسيا الصغرى قد استقر وتطور منذ حملات سرجون الأجادى منذ أربعة عشر قرنا خلت .

ومن بين كتب تل العمارنة نجد أحد عشر كتابا تخص الشئون البابلية مباشرة . ونحن نعرف منها أن العلاقات كانت قائمة بين البلدين منذ حكم تحوتمس الثالث في مصر وكان كارانداس الأول Karaindash I الملك السادس عشر من الأسرة الكاسية (حوالى ١٤٢٥) يتراسل مع امنوفيس الثالث . وكان خلفه الثانى كادشمان الليل الأول Kdashman Ellil 1 على خير علاقة مع البلاط المصرى وقد دخلت إحدى اخواته الى حريم فرعون . وقد كان ذلك حين حاولت كنعان (جنوب سوريا) وعمور (شمال سوريا) الخاضعة لمصر أن ترفعا النير ، وذلك بتحريض شوببيلوليوما Shoubbiloufouma ملك الحيثيين ، وكان قد عبر

الفرات واكتسح شمال ميتاني ثم نزل فيما بعد الى عمور وأخذ منها أسلابة ضخمة ، وعند ولاية أمنوفيس الرابع للعرش أرسل تحياته الى فرعون ولكن حين قدم عزيزو الأمير السوري ولاءه الى مصر احتل عمور واستطاع عن طريق معاهدة أن يثبت الاعتراف بسلطانه عليها .

وكان موقف بابل من هذه الانقلابات السياسية موقف غير المكترب اذ كان كل ما يهمها سلامة الطرق التي يسلكها تجارها . وحين أصبح رعاياها ضحايا للسرقات والقتل في كنعان ألقى ملك بابل المسئولية على ملك مصر : « كنعان أرضك .. وملوكها مواليك » بل وأكثر من ذلك : حين حاولت كنعان أن ترفع النير رفض كوريجالزو الثاني أن يساعدها في ثورتها ولكن مصر كانت من الناحية الأخرى تشجع آشور ضد بابل وشكا بورنابورياش الثاني Bournabouriash II (حوالي ١٣٧٥) من أن أمنوفيس الرابع استقبل سفارة من الأشوريين، كان يدعى انهم رعاياه هو . وقد ذكر نفس الملك فرعون ان أبويهما كانا يتبادلان الهدايا المتعددة وهو نفسه كان قد تلقى ٢ « مينة » (١) من الذهب وكتب « أرسل لي ذهباً كثيراً .. بقدر ما كان يرسله أبوك » ووعد أن يرد بدلا منه كل ما يطلبه العامل المصري من منتجات بلاده . والواقع أنه في نفس اليوم الذي اعترض فيه ضد قطاع الطرق في كنعان نراه يؤيد دعواه بهدية هامة هي : ثلاث مينات من اللازورد وخمسة خيول مقطورة وخمس عربات .

وكان كارا انداش الأول Kara-indash 1 (حوالي ١٤٢٥) قد عقد اتفاقية مع اشوررم نيشيشو Ashour-rim-nishêshou ، الأشوري بشأن حدودهما المشتركة . وقام بورنابورياش وأشور أو بالليت باتفاق مثل ذلك . وتزوج بورنابورياش فيما بعد من موبليت شرووا Mouballit-Sheroûa ابنة آشور أو بالليت . وقد ذبح ابن بورنابورياش حفيد آشور أو بالليت .. ذبحه حزب الكاسيين وربما كان ذلك بسبب علاقاته بأشور ووضع مكانه المدعو نازيبوجاش Nazibougash .

وغزا ملك آشور بلاد بابل ووضع حفيدا آخر له هو كوريجالزو الثالث على عرشها (١٣٥٧ - ١٣٣٥) وقاد كوريجالزو حملة موفقة ضد عيلام ووجه جيوشه المنتصرة نحو سوسه وهناك استولى - كرمز للنصر - على لوحة من العقيق كان قد كرسها من قبل ذلك أحد الايشاكوات الى الالهة نني Ninni من أجل بقاء دونجي منك أور ونقلها معه وقدمها الى نليل نيبور . وكان هورباتيلا Hourpatila ملك عيلام قد أرسل

(١) الوزنة = ٦٠ مينة والمينة = ٦٠ شاقل ووزن المينة الذهبية يتراوح بين ٤٠٠ و ٨٠٠ جم - (المترجم) .

اليه تحديا قائلا « أقبل ! لندخل في معركة ... أنت وأنا ! » وحالف الحظ البابلي اذ استطاع أن يقبض بيده على خصمه ويأسره . وقد استطاع كوريجالزو بعد موت جده آشور أو باليت أن يهاجم آشور ولكنه هزم عند سوجاجي Sougagi على الزلزلات Zalzallat ... هزيمه « الليل نيراري » Ellil Nirari الذي اضطره الى أن يوافق على تعديل في الحدود . وهزم ابنه نازي ماروتاش Nazi Marouttash (حوالى ١٣٠٩ - ١٣٣٤) عند كار عشتار Kâr-ishtar واضطر الى أن يتنازل عن اقليم واقع الى شرق دجلة . وقد خلف كادشمان تورجوو Kâdashman-tourgou (حوالى ١٣٠٨ - ١٢٩٢) - كما فعل أبوه من قبل - نقوشا عديدة في نيبور . وعند وفاته كتب الملك الحيثي حاتوسيل Hattousil يقول انه سينقض التحالف مع بابل ما لم يعلن كادشمان الليل الصغير ملكا (١٢٩١ - ١٢٨٦) فاعترض كبير الوزراء « اتي مردوك بالاتو » Itti-mardouk-balâtou قائلا : « ان نعمة خطابك ليست نعمة خطاب حليف بل سيد » وظلت العلاقات بين البلدين مقطوعة حتى بلغ الأمير سن الرشد . وكان الحيثيون اذ ذاك قد فقدوا كنعان التى استردها سبتي الأول من مورسيل Moursil بن شوبيلوليوها وان كانوا قد ظلوا يحتفظون بعمور التى كان على رعمسيس الثانى أن يأخذها في معركة قادش . وكانت نتيجة المعركة حلفا دفاعيا هجوميا بين الحيثيين ومصر . وقد نقش النص البابلي على لوحة من الفضة عثر على نسخة منه بين أطلال حاتى مصحوبة بالنسخة الأصلية للخطاب الذى يطلعنا على معلومات خاصة بعلاقات حاتوسيل بكادشمان الليل . وبينما كانت عمور تحت نفوذ الحيثيين نرى أن بعض التجار البابليين الذين يتقدمون في قوافلهم نحو عمور وأوجاريت Ougarit وهى مدينة فينيقية ينكل بهم . فطلب كادشمان الليل من حاتوسيل أن ينفذ العقوبة في المعتدين . وقد اتهم أمير عمورى كذلك بإثارة الفتنة في بابل فدعا حاتوسيل مراسله أن يحقق الأمر بنفسه . وكان على المتهم أن يثبت براءته عن طريق قسم يؤديه أمام الآلهة بجضيرة السفير البابلي . وقد حرص حاتوسيل على أن تظل علاقاته ودية والح على ملك بابل أن يهاجم العدو المشترك الذى لم يذكر اسمه لسوء الحظ . وقد دفعت شهرة بابل في العلوم الأمراء الأجانب الى استدعاء الأطباء والسحرة الذين يطردون الأرواح الشريرة والكتاب الى بلاطهم . وقد طلب موتاللو Moutallou شقيق حاتوسيل وسلفه خدمات طبيب وساحر وليكنهما لم يرجعا الى بلدهما والتمس « كادشمان الليل » عودتهما وكان الرد أن الساحر قد مات وأن الأوامر ستصدر للطبيب بالعودة .

وقد خلف كادشمان الليل الثاني ابنه كودور الليل Koudour Ellil
 (حوالى ١٢٨٥ - ١٢٧٧) ثم حفيده شاجاراكتي شورياش Shagarakti-Shouriaash
 (حوالى ١٢٧٦ - ١٢٦٤) وابن حفيده الاكبر كاشتلياش الثالث (حوالى ١٢٦٣ - ١٢٥٦) وقد هزم الأخير - هزيمه ملك اشور
 توكولتى اينورتا الأول Toukoulti Inourta 1 الذى أسره وأحضره
 مكبلا بالأغلال الى حضرة الاله آشور . وقد دكت حوائط بابل وقتل
 المدافعون عنها بالسيف وحملت كنوز الايزاجيل Esagil وغنائم المدينة
 الى آشور . وحتى مردوك نفسه حمل أسيرا . ومات ملك آشور خلال
 الثورة . فانتهزت بابل الفرصة محاولة الافادة منها باستعادة قسط من
 استقلالها وتبع ملكان الواحد منهما الآخر هناك خلال ثلاث سنوات هما
 الليل نادين شوم Ellil-nadin-shoum وكادشمان هاربي الثانى
 Kadashman Harbe II وهاجم الأول « كيدين هوتروتاش
 Kidin-houtroutash » ، ملك عيلام الذى كان قد انتهز فرصة نجاح
 الآشوريين فاكتمسح دير Der ونيبور واضطره الى التراجع وراء حدوده .
 واستطاع آداد شوم أوتيسور Adad Shoum outsour . (حوالى ١٢٤٦ -
 ١٢١٧) الذى خلف آداد شوم ادين Adad-shoum-iddin
 (حوالى ١٢٥٢ - ١٢٤٧) استرداد تمثال مردوك من ملك آشور وربما
 كذلك ختم شاجاراكتي شورياش الذى سيجمده فيما بعد سناخريب
 Sennachérīb . ضمن كنوز بابل . وحين تمكن الآشوريون الذين ثاروا
 بحسب ملكهم الذى ذهب الى بابل من طرد آشور شوم ليشير
 Ashour-shoum-lishir الوصى على المملكة والتمسوا تسليم ملكهم
 برفض ذلك آداد شوم أوتيسور ، بل انه هاجم الملك الجديد وهزمه وذبحه
 فى معركة ثم طارد العدو الى أسوار آشور وحاصر المدينة ولكنه فشل فى
 اختراقها .

وانتقل عرش بابل من الأب الى الابن عن طريق ميليشيباك الثانى
 Mèli-shipak II (حوالى ١٢١٦ - ١٢٠٢) ثم مردوك أبال ادين الأول
 Mardouk-apal-iddin I (حوالى ١٢٠١ - ١١٨٩) ثم زابابا شوم ادين
 Zababa-shoum-iddin وقد هوجم الأخير . . . هاجمه آشور دان الأول
 Ishour-dân I الآشورى الذى استولى على زابان Zaban وايريا Irria
 وأكارسالو Akarsallou وحمل معه غنائم وافرة . وفى نفس العام
 غزا شوتروك ناهونتى Shoutrouk-nahountè ، ملك عيلام بلاد
 بابل وهزم وذبح « زابابا شوم ادين » واستطاع هو وابنه أن يكتسحا
 سيببار ومائة مدينة وقرية أخرى . وحمل معه الى بلاده عددا من الآثار
 التى عثر عليها فى خرائب سوسه : هى لوحات (شواهد) من سرجون

ونارام سن ومسله مانيشتوسو Manishtousou وقانون . حمورابي
و الكودورات ، Koudourrous الكاسية ٠٠٠ الخ وحكم الليل نادين
أهى Ellil-nadin-achi الملك السادس والثلاثون وآخر ملوك الأسرة
الكاسية مدى ثلاث سنوات (١١٨٧ - ١١٨٥) .

وقد شغلت الأسرة الكاسية عرش بابل مدى ٥٧٦ عاما وأدخلوا
استعمال الحصان ولم يكن كثير الانتشار في السهل من قبل . وقد غيروا
طريقة حساب السنين ومنذ عصرهم نجد أن كل سنة لم تعد تسمى بصيغة
معقدة تنتسب بها الى حادث معاصر معين بل ترتب بالنسبة لحكم كل ملك
وهي عادة ظل معمولاً بها حتى سقوط الامبراطورية البابلية ولم تعد
السلطة الملكية قوية قوة تكفي لتأمين حماية الممتلكات الخاصة فالتيسر
عون الدين وهكذا أصبح الناس لا يكتفون بحجج الملكية بل أقيمت أهرجار
عليها رموز دينية على الأملاك الكبيرة التي كان الملك يمنحها للأمراء والرعايا
الذين يرغب في مكافأتهم عن خدماتهم . كما سجل على هذه الأهرجار
تاريخ الملكية وكذا اللعنات على من يغير أو يحرك الأثر المنقوش عليه .

ومن المحتمل أن يكون شوتروك ناهوتي - بعد سقوط زبابا شوم
ادين - قد أعلن نفسه ملكاً لبابل . ولكن القوائم الملكية تذكر اسم ايلليل
نادين أهى الكاسي كما تذكر من بعده الأسرة الرابعة المسماة أسرة باشيه
Pashé التي ظل ملوكها الأحد عشر على العرش مدى ١٣٢ سنة .
وقد رفع اينورتا نادين شوهي Inourta-nadin-shoumi ثاني ملوك
هذه الأسرة النير الضيلامي كما اضطر ثالثهم نابوخودوروسر الاول
1 Nabouchodorosor (حوالي ١١٤٠) أن يعاود الصراع . وقد هزمه
في باديء الأمر ملك عيلام في دورابيل سن Dour-apil-sin ولكنه
استطاع أن يسترد كل أراضيه بل سار الى أبعد من هذا فتابع الحرب الى
ما وراء حدوده . وفتح لوللومو Loulloumou في الاقليم الجبلي
الواقع شرق بابل وقام بغارة نحو الغرب اتخذ لنفسه على أثرها لقب
« فاتح عمور » .

وقد حاول آشور ريش ايشي Ashour-rise-ishi ملك آشور
القيام بغزوة ولكن نابو خودوروسر رده وجاصر قلعة زانكي Zanki
الواقعة على الحدود إلا أنه اضطر الى الانسحاب وحرق العدو عقاره ثم عاود
الهجوم ولكنه هزم واستولى على عبيدته وأسرى القائد الأعلى وسقطت
أربعون عربة من عرباته في أيدي الأشوريين . وقد احتل ايلليل نادين
ابلي Ellil-nadin-apli . (حوالي ١١٢٠) بن نابو خودوروسر .

كل بلاد بابل ، لأنه أهدي أرضا واقعة في منطقة ادينا Edina الى
أرض البحر .

وقد اشتبك تجلات فلاسار الأول Tèglath-phalsar I الآشوري
مرتين مع ملك بابل ففي المعركة الأولى - ومن المحتمل أن خصمه في
الصراع الأول كان ماردوك نادين أهى (حوالى ١١١٠) - أخذ البابلى
معه فى الأسر تماثيل أداد Adad - وشالا Shala - من معبودات إيكاللاتا
Ekallaté - التى سيعثر عليها فيما بعد سناخريب فى هيكل من هياكل
بابل عام ٦٨٩ . أما فى المعركة الثانية فقد استولى الآشورى على بابل
ودور كوريجالزو وسينار وأوبيس ولكنه لم يستقر بها . وقد أنهى آشوربلا
كالا Ashour-bàl-kala - بن تجلات فلاسار هذا الصراع الذى استمر
مستعرا دون توقف خلال ثلاثة قرون تقريبا بين البلدين وكان على أطيب
صلة مع ماردوك شابيك زر مائيم Mardouk-shapik-zêr-maim خليفة
ماردوك نادين أهى . وتبع ذلك عهد ازدهار فى بابل : فأعيد بناء أسوارها
ووسع معبد ماردوك .

وقد أسدلت الستار على عهد ماردوك شابيك زرمائيم ثورة قام بها
رعاياه وزوج الأرامى أداد أبال ادين Adad-apal-iddin الذى اعتلى
العرش ابننته من ملك آشور . وسياد السلام - أو قل التهادن - خلال فترة
تزيد على نصف قرن . وقد كانت سومير وأكد خلال هذه الفترة فريسة
لسوتيين Soutéens وهم أراخيون شبه رجل حطوا على ضفة الفرات
اليمنى واتخذوها مركزا للاغارة على المدن ومعابدها وسلب ما بها فخرّبوا
مثلا هيكل شاماش فى سيبار. ولم تقم فيه الشعائر الدينية الا فى عهد
شيماش شيباك Shimmash shipak (١٠٥٢ - ١٠٣٥) الذى جاء
من أرض البحر وأسس الأسرة الخامسة ومات بعد السيف بعد حكم دام
ثمانى عشرة سنة ولم يعبر أيا موكين شومى Ea-moukin-shoumi
المغتصب سوى بضعة شهور . ولا نرى خلال السنوات الثلاث التى حكم
خلالها كاشو نادين أهى Kashshou-nadin-ahé سوى الحروب
الاهلية والخارجية والمجاعة . أما فى سيبار فلم يعد من المستطاع إقامة
الشعائر الدينية لشاماش كما اختفت المؤسسات وأهمل العمل
بالقوانين .

وقد دامت الأسرة التالية ، وهى الأسرة السادسة ، عشرين عاما
وثلاثة شهور (حوالى ١٠٣١ - ١٠١٢) . اعتلى العرش خلالها ثلاثة ملوك
وكانت عهده خراب وبؤس وعواصف وفيضانات . وقد كون العيلامى ماربيتى
أبال أو تسور Mâr-biti-apal-outsour بمقرده الأسرة السابعة
وظل على العرش سنت سنوات (١٠١١ - ١٠٠٦) .

وأنشأ نابوموكين أبلي Nabou-moukin-apli (حوالي ١٠٠٥ - ٩٧) الأسرة الثامنة ولدينا صورة منه على كودورو • وجمعت خلال حكمه مجموعة من التنبؤات وظلت محتفظا بها وقد أخذت القبائل الآرامية فيما وراء الفرات تتحرك وتسبب المتاعب لبابل حتى ان نابو Nabou في العام السابع لم يستطع الحضور من بورسippa الى بابل بمناسبة احتفالات رأس السنة • كما أن البابليين قد اضطروا أكثر من مرة خلال حكمه بل ولعدة سنوات متتالية الى العدول عن هذه الحفلات الدينية التي كانت لها عندهم أهمية كبيرة •

أما شاماش موداماق (حوالي ٩١٠) Shamash-moudammaq الخليفة الثالث لنابوموكين أبلي فقد هزمه أداد نيراري الأشوري وفقد فرسانه وعرباته وقتله نبوشوم أوكين Nabou-shoum Oukin واستولى على السلطة •

وغزا أداد نيراري بلاد بابل واستولى على عدة مدن وعلى غنيمة ضخمة • وبعد فترة عقد الأميران صلحا وحددا أراضي مملكتيهما وتبادلا بناتهما عن طريق الزواج •



شكل (٧) لوحة نابو ابلا ادين (المتحف البريطاني)

وقد خشي « نابو أبلا أدين Nabou-apla-iddin » بن « نبو شوم أو كين » أن يسلب عليه آشور ناتسير أبلا الثاني Ashour-nâtsir-apla II أسواق سوريا (التجارية) فتحالف مع آراميي سوهي Souhi (٨٧٩) تحت ملتقى نهري هابور Habour وأرسل لهم جندا ولكن أخاه تسابدانو Tsabdanou والقائد بل أبلا أدين Bél-apla-iddin وثلاثة آلاف رجل وقعوا في قبضة العدو واضطر ملك بابل إلى أن يعقد الصلح مع آشور ولم يكن يسعه منذ ذلك الوقت إلا أن يكرس جهوده لاصلاح خرائب بلاده . وتشير إحدى اللوحات الحجرية إلى الأعمال التي قام بها في معبد شاماش وإلى إعادة العبادة في العام الحادي والثلاثين من حكمه وقد ظهر في الصورة يقوده كاهن ومصحوبا بالالهة أيا Aia إلى حيث يجلس الاله في هيكله (١) .

وأهدى مردوك زاكير شوم Mardouk-zakir-shoum بن وخليفة نابو أبلا أدين إلى ماردوك أسطوانة من اللازورد بها صورة محفورة وقد مثل الاله على هذا ال « كونوكو » Kounoukkou واقفا ومعه التين المقدس (٢) .

وفي عام ٨٥٢ طلب وساطة سالنصر الثالث Salmansar III ملك آشور ضد أخيه مردوك بل أوشاتيه Mardouk-Bél-oushâté الذي ثار وأعلن نفسه ملكا مستقلا على الأقاليم الشرقية فاكسح سالنصر الأراضي التي يحتلها « مردوك بل أوشاتيه » ثم قبض عليه في العام التالي وأمر بقتله . وأعلن ملك بابل خضوعه التام كما أن الأشوري أدى فروضه كملك إلى الآلهة في معابدهم في كوثا Koutha وبورسيبا وبابل وقدم لهم هدايا ثمينة ثم نزل إلى كلبديا واستولى على قلعة Bagâni الواقعة على الحدود وتقبل خضوع أديني Adini رئيسها وجاكن Jakin ملك أراضي البحر . وقد أمر أن تمثل هذه الموقعة بنقوش على برونز بلاوات Balawat يحضر له فيها الكلدانيون الجزية : أوان وثيران وساريات « صوار » للخيام .

ولكن بابل لم تكن لتستطيع السكوت طويلا على هذا الخضوع فاعتزم شامشي أداد الخامس shamshi-adad V بن سالنصر القيام بحملة ضد ماردوك بالاتسو اقبى Mardouk-balatsou-iqbi الذي شكل اتحادا من الكلدانيين والآراميين والعيلاميين ومحاربين من نامري Namri

(١) شكل ٧ .

(٢) شكل ١٢ .

وقد قامت المعركة الكبرى في دور بابسسوكال Dour-papsoukal واستولى الآشوريون على غنائم ضخمة ومن المحتمل أن يكون العرش قد ظل شاغرا فترة من الزمن بعد وفاة مردوك بلاتسي اقبى واستوطن بعض الإراميين أراضي بابل وبورسسيا الزراعية ولكن اربا مردوك Erba-mardouk من سلالة مردوك زاكير شوم قتلهم بعد السيف وأعاد الجحول والبساتين الى أصحابها الشرعيين وأصبح ملكا وإن لم يستطع أن « يأخذ بيد بعل » Bêl إلا في العام الثاني من حكمه . وهناك ملك آخر هو « باو أهيه أدين Baou-ahê-iddin » اقتاده أداد نيراري الثالث Adad-nirari III إلى آشور واستولى على كنوزه . وتم الاستيلاء على البلد كله ونفيت الآلهة وثقلت آلهة كوتا وبورسسيا وبابل قرابين الملك الآشوري الذي نزل حتى كلديا التي دفع له أمراؤها الجزية .

والى هنا ينتهى التاريخ المتوافق من الناحية الزمنية . ونحن لا نعرف شيئا عن نهاية الأسرة الثامنة كما لا نعرف شيئا كذلك عن بداية الأسرة التاسعة مدى ستين عاما تقريبا . ولقد كانت السلطة المركزية ضعيفة فى بابل وكان شاماش ريش أوتسور Shamash-rêsh-outsour حاكم ماري Mari وسوهي Souhi على الفرات الأوسط يتصرف باسم ملك آشور كما لو كان مليكا مستقلا .

وفي عام ٧٤٨ بدأ عهد الملك نابو ناسار (نابو ناتسير) Nabonasser (Nabou-natsir) (٧٤٨ - ٧٣٤) وهو تاريخ يعتبر نقطة البدء لقانون بطلميوس . وفي العام الثالث من عهده (٧٤٥) أعلن القائد الآشوري بولو Poulou - مثير إحدى الفتن العسكرية - نفسه ملكا على آشور تحت اسم تجلات فالاسار الثالث Téglath-phalasar III وافتتح آخر فترة للتوسع ، تلك الفترة التي ضمنت السلطان على بابل خلال مدة تربو على قرن من الزمان ولكنها انتهت فى عام ٦١٢ بانقيار نينوى وخراب آشور نهائيا . ولم يضيع وقته هباء إذ أنه غزا بابل واضطر نابوناسار - حين ثارت عليه بورسسيا وسبيار - الى الاعتراف بسيادته وخضعت له أهم المدن ونزل حتى نيبور وإعلن نفسه ملكا على سومير وأكد .

ثم قتل نابو نادين زر Nabou nadin Zêr (ابن نوباناسار) بعد أن تولى الحكم مدي عامين . . قتل نابو شوم أوكين Nabou-shoum-oukin الذى دام حكمه شهرا واثنى عشر يوما وانتهت به الأسرة التاسعة .



وتتضمن الأسرة العاشرة أسماء ١٩ ملكا من أصول مختلفة اعتلوا العرش فيما بين عامي ٧٣٢ و ٦١٢ فى العهد الذى كانت فيه بابل تكاد تكون كلها خاضعة لآشور . وقد نفى نابو أوكين زر Nabou-oukin-zêr

« ٧٣٢ - ٧٣٠ » نفاه تجلات فالاسر Tèglath Phalsar الذي أصبح ملكا تحت اسم بولو Poulou (٧٢٩ - ٧٢٧) وتلاه سالمنصر الخامس وأطلق على نفسه اسم أولولاي Ouloulai في بابل (٧٢٧ - ٧٢٢) وعند موته عين مروداخ بالادان الثاني (٧٢١ - ٧١٠) Mérodach Baladan II - وهو الملك الكلداني لببت ياكين Bît Jakîn في أرض البحر الذي ذكر أنه من سلالة اربا مردوك Erba Mardouk أحد ملوك الأسرة الثامنة - عين حاكما في بابل وادعى الحكم كملك . فتقدم سرجون الثاني الآشوري نحو أكد وقامت الحرب بينه وبين مروداخ بالادان الذي حاوله هومبانيجاش Houmbanigash ملك عيلام تحت أسوار دير Dêr ولكنه هزم . وهكذا ظل مروداخ بالادان يحكم دون منازع مدى اثني عشر عاما في الوقت الذي كان فيه الملك الآشوري مشغولا بالحروب في سوريا وأورارتو Ourartou ومع ذلك فلم يكن هذا عهد ازدهار بالنسبة لسكان أكد لأن أرضهم كانت قد قسمت بين الأجناد الكلدانيين والآراميين . ولذا فانه لما عاد سرجون عام ٧١٠ بعد أن تغلب على المصريين والأورارتين ليهاجم مروداخ بالادان هرب الأخير الى الجنوب واصطحب معه أشرف بابل وسيبار ونيبور كرهائن . وعم السرور العاضمة لرجيل الطاغية ونظمت الأعياد تمجيذا للآشوري الذي نودي به « محررا » .

وفي يوم رأس السنة (٧٠٩) « أخذ سرجون بيد بعل Bêl » وأصبح الحاكم الشرعي لبابل (٧٠٩ - ٧٠٥) وتقهر مروداخ بالادان شيئا فشيئا الى ناحية بيت ياكين تحت ضغط عدوه وهناك أطلق الفيضان أمام مطارديه ولكن الآشوري احتال حتى استطاع أن يجد ممرا فهرب مروداخ بالادان الى عيلام على حين سحق البوكوديون Pouquodéens والسوتيون Soutéens الذين كانوا قدموا لمعاونته . واجتاحت بيت ياكين وأنقذت الرهائن البابلية وأعيدت لهم حرياتهم . وأبعد سكان المدينة الى مكان آخر وحل محلهم سجناء أسرى كان قد قبض عليهم في كوماجين Commagène وأصلح سارجون المدن ومعابدها : أور وأوروك وأريبدو ولارسا وكيش (١) ووسع بابل وشيد رصيفا غطاءه بالأسفلت فيما بين بوابة عشتار والفرات . وكانت زاوية من هذا الرصيف بها برج دائري عثر عليه في شمال غرب القلعة وكان الحائطان المحيطان بها . - وقد بناهما سرجون كذلك - يعاد إصلاحهما من وقت لآخر .

وتذكر رواية يونانية أن سرجون أمر بعرش بابل الى أحد أبنائه وبلا مات ميتة غير طبيعية عام ٧٠٥ كان سبناخريب الذي خلفه في آشور

في صراع مع أرمينيا ولم يستطع التدخل في الشؤون الأكديّة . وطبقا لما جاء بقائمة ملكية نجد أن عبدا استطاع أن يستحوذ على السلطة ويحتفظ بها مدى شهر . وعاد مروداخ بالادان بمساعدة هليوشو Halloushou ملك عيلام وحكم بضعة شهور وهزمه سناخريب تحت أسوار كيش ودخل العاصمة في غير عناء ثم اجتاحت كلديا جميعا وأبعد ٢٠٨٠٠٠ من سكانها الى مكان آخر وعين « بعل ابني Bêl-ibni » (٧٠٢ - ٧٠٠) الأمير البابلي الذي ربي في بلاط آشور . ٠٠ واليا - وبعد ثلاث سنوات تحالف مع مروداخ بالادان ودفع الأخير - الذي كان قد عاد الى المستنقعات في أرض البحر - الكلداني موشزيب ماردوك Moushézib-Mardouk الى أن يقوم بثورة وخلع بعل ابني ٠٠٠ خلعه سناخريب ووضع ابنه أشورنادين شومي مكانه (٧٠٠ - ٦٩٤) وانسحب موشزيب ماردوك الى المستنقعات وبعد أن حاول مروداخ بالادان المقامة حمل آلهته وقومه بحرا وبحث عن مكان يلجأ اليه في ناجيتي Nagiti على شاطئ عيلام وعول ملك آشور على مطاردته عبر البحر فبنى أسطولا وعبر الخليج الفارسي وهاجم الكلدانيين في المكان الذي لجأوا اليه ٠٠٠ فانقض ملك عيلام - الذي اغتصب واعتدى على أرضه - على بابل واجتاح سيبار وأخذ « آشور نادين شومي » أسيرا وأحل محله الكلداني « نرجال شزيب » Nergal-shêzib (٦٩٤ - ٦٩٣) واتجه الأخير جنوبا ليعوق مرور الجيش الآشوري عند عودته من ناجيتي وقامت معركة كبيرة أسر فيها نرجال شزيب وحمل الى آشور . وكان سناخريب يعتزم ان ينتهز فرصة القلاقل في عيلام ليغزو هذه البلاد ولكن منعه من ذلك حلول الشتاء (عام ٦٩٣) . واستولى موشزيب ماردوك (٦٩٣ - ٦٨٩) على السلطة في بابل واغتصب كنوز « الايزاجيل » بقصد ارسال هدايا قيمة الى ملك علام « هومبان مينانو Houmban-menanou » وعقد حلفا معه . وانتظر الكلدانيون والآراميون والبابليون والفرس والبوكوريون والجمبوليون ٠٠٠ انتظروا الآشوريين في هالولة Haloulé شرق دجلة وأعلن سناخريب انه انتصر وان لم يستطع ان يجني ثمار نجاحه على الفور ٠٠٠ وبعد عامين (٦٨٩) عقبه موت « هومبان مينانو » ملك عيلام استولى على بابل وأحال حصونها الى أنقاض وحطم معابدها وقصورها وبيوتها وأبعد أهلها الى مكان آخر وحمل الاله ماردوك أسيرا وحول الاقليم الى مستنقع ضخم « كي لا يستطيع امرؤ في المستقبل أن يتعرف على تربة هذه المدينة ولا على معابد الآلهة » لقد حطمتها بالماء حتى أحلتها الى شبه مستنقعات .

وترك ابنه اسارحادون Asarhaddon (٦٨١ - ٦٦٩) - الذي شغل الى أقصى حد بحروبه في الغرب - ترك الى قواده مهمة رد العيلاميين

الذي كانوا قد تقدموا حتى وصلوا الى سيبار وكذا محاربة « نابو زركينيش ليشير » Nabou-zêr-Kénish-lishir بن مرو داخ بلادان اندي استولى على أور ، وهرب ذلك الأمير الى غيلام حيث قتل . وخطع أخوه « نابعيه مردوك » Nâ'id-mardouk واغترف به كمولى فى أرض البحر . وأعيد بناء بابل وأصلحت المدن . وحدد بناء المعابد كما وطدت دعائم العبادة من جديد .

وفى عام ٦٦٨ اختار اسار حادون ابنه آشور بانيبال Ashurbanipal ليخلفه فى آشور ومنح حكم بابل الى ابن آخر هو « شاماش شوم أوكين » Shamash-shoum-okin (٦٦٨ - ٦٤٨) ودخل موردوك من جديد الى الازاجيل فى شهر أيار (مايو) من عام ٦٦٨ وأمسك بيده شاماش شوم أوكين فى احتفالات عيد رأس سنة ٦٦٧ . واستمر آشور بانيبال يقبض مباشرة على ناصية الأمور فى الأقاليم الجنوبية ويعين الحكام الأشوريين هناك . ولم يهمل تقديم الفروض اللازمة نحو كبار الآلهة فى كوتا وبورسيبا وبابل . وشغل الوالى أولا بالأمور السلمية وحين أحس بقوة تسمح له برفع النير كون عصبية ضد آشور قوامها « هومبانيجاش الثانى » ملك عيلام وكذا العرب والأراميون والكلدانيون وحرّم على أخيه أن يقدم القرابين فى المدن البابلية . وبعد انتصار رائع فى أراهسامنه Arahshannah (٦٥٠) حاصر آشور بانيبال بابل وبورسيبا وكوتا وسيبار وأعاد فتح كلديا بسرعة . وقاومت بابل حتى أيار من عام ٦٤٨ ثم اضطرت للتسليم بسبب المجاعة والمرض أكثر منه بسبب السلاح فحرق وأسيلت دماء أهلها ومات « شاماش شوم أوكين » فى قصره الذى يحترق وحل مكانه « كاندالانو » Kandalanou . وكان لخلفائه سلطان غير ثابت على بعض المدن نذكر منها نيبور وأور وأوروك .

وفى عام ٦٢٥ كان السكيتيون (السكيثيون) Scythes يهددون الامبراطورية . ونادى نابوبولassar بنفسه ملكا وأسس الأسرة الحادية عشرة المعروفة بالأسرة « البابلية الجديدة » ولم يكن سلطانه يمتد فى أول الأمر الا على بابل وبورسيبا ولكنه عرف كيف ينتفع من وراء ضعف آشور السريع لتوسيع بلاده فتحالف مع سيناكسار Cyaxare ملك الميديين وزوج بنت هذا الأمير من ابنه لبوخودوروسنور وحين دخل الميديون الى ميزوبوتاميا وحاصروا نينوى ساهم البابليون فى الحفلة . وبلغت مقاومة استغرقت ثلاث سنوات أخذت المدينة (٦١٢) واختفت الامبراطورية الآشورية .

وكانت مصر كذلك قد حطمت نير نينوى فمئذ عام (٦٠٨) احتلت فلسطين وسوريا ووصل « نيبخاو » حتى الفرات والآن . . . بعد أن ظلمت

بابل تحارب آشور مدى قرون بقصد حماية تجارتها . . . فهل تستطيع
ليقاوم تقدم المصريين ، وفي ٦٠٤ هزمهم في قرقيش وطاردهم منتصرا .
وحين وصل الى بلوزيوم علم بوفاة أبيه ووجد نفسه مضطرا الى العودة
الى بابل ليخلفه .

ولقد كان نابوبالاسار بناء عظيما . وقد تابع نبوخذنورسور الثاني
(٦٠٤ - ٥٦١) اصلاح وتزيين المدن . والى عصره ترجع أهم الآثار التي
كشفت عنها في بابل وهي : سور خارجي للمدينة من اللبن المرسوم .
وقصر يمكن أن نتلمس فيه تأثير الفنيين الحيثي والاشوري وخاصة بوابة
عشتار وهي أهم الأطلال قاطبة . ولقد أعاد بناء الايزاجيل ورصف
الطريق المقدس وأنشأ الحدائق المعلقة وهي إحدى العجائب السبع في
العالم القديم .

ولقد اعترف الجانب الأكبر من سوريا بسلطان نبوخذنورسور عام
٦٠٤ وسرعان ما توقفت مملكة يهوذا عن دفع الجزية ، ورغم تبكيت النبي
« أرميا » نراها تثور على مولاها . وأخذت اورشليم عام ٥٩٦ وأبعد جانب
من سكانها الى جهة أخرى وحاولت مصر أن تستعيد نفوذها على سوريا
وانضمت اليها يهوذا Judah وكذا صور وصيدا . وفي ٥٨٧ استقر
نبوخذنورسور في ربلة Ribla على الأورونت وأرسل من هناك قوة
لحصار اورشليم للمرة الثانية وحاول أبريس الفرعون عبثا أن يذهب
لمعاونة حليفه واستسلمت المدينة في العالم التالي وحمل معظم أهلها
كأسرى . وأحضر الملك صدقيا Sédécias الى ربلة بعد ما أسر وهو
يحاول الهرب وذبح أولاده أمام عينيه ثم حرم من بصره وأثقل بالأغلال
واقيد الى بابل . أما صور فقد تابعت المقاومة مدة أطول بلغت ١٣ سنة .
- على حد رواية جوسيفوس - (٥٨٥ - ٥٧٣) .

وقد ساهم نبوخذنورسور في الصراع كحليف للميديين ضد ليديا .
وقد حدث كسوف شمسي في الثامن والعشرين من مايو عام ٥٨٥ أثناء
معركة ضخمة ضد سيالكسار عند اليات Alyatte على شواطئ هاليس
Halys واعتبر هذا الحدث (هذه الظاهرة) انذارا للطرفين واتفق على
السلم واشترك الملك البابلي في عقد المعاهد التي تثبت هاليس كحد بين
الميديين والليديين .

وفي العام السابع والثلاثين من حكمه (٥٥٨) - طبقا لقطعة من
حولياته - قاد نبوخذنورسور الثاني حملة ضد أمازيس ملك مصر ويظهر
أنه انتصر على المصريين واليونان المستأجرين المرتزقة وربما وصل حتى
أن تحتمل قبضة فرعون على الشاطئ السوري ؟ لقد أرسل نبوخذنورسور

الملك • وقد خلف نقوشا صخرية في سوريا : في وادي بريسبا Brissa
وعند نهر الكلب •

أما ابنه « افيل مردوخ » (أويل مردوك) (Evil-Merodach)
(Mardouk) فلم يدين يردعه قانون أو عرف • وفي أقل من ثلاث سنوات
من ولايته قتلته العصابة الكهنوتية وأحلت مكانه نريجليسار (نرجال
شمار أوتسور Nér-glissar Nergal-shar-outsour (٥٥٩ - ٥٥٦)
وهو « الرايماج rab-mag » الذي حضر حصار أورشليم والذي كان قد
تزوج من إحدى بنات نبوخذنور • ومات نريجليسار دون أن يعيد
تعظيم القوى الحربية في بلاده • وقد أصلح معابد بابل وبورسيبا وبني
لنفسه قصرا بالمدينة الأخيرة • وخلع ابنه « لاباشي مردوك Labashi
Mardouk » الطفل بعد أن استقر فوق العرش تسعة شهور واعتلاه مكانه
« نابونيد (نابونايد) Nabonide (nabou-nâ'id) » (٥٥٥ - ٥٣٩)
ابن كاهنة سن Sin في هاران Harran (١) الذي كان متأثرا بالتقاليد
والذي شغل تماما بالآثار وإصلاح العبادة حتى سمي « بالملك
المكرستاني » (قيم المعبد) - وكونت امبراطوريته من بابل وميزوبوتاميا
وسوريا حتى غزة • ولكن قوة أخرى كانت تنشأ في عيلام ففي ٥٥٠
قار كيروش ملك انزان - وهو مولى « لاستياج Astyage » الميدي - وخلع
مولاه وهاجم ليديا حيث كانت شهرة كريسوس Crésus قد جلبت الى
عاصمته سارديس Sardes أكثر اليونانيين ثقافة • وقد استولى بعد
موقعة بتريوم Ptérium في كابادوكيا (٥٤٧) على هذه المدينة وأنهى
دولة ليديا (٥٤٦) . ثم اتجه نحو بابل التي كانت تعضد كريسوس
بالاتفاق مع مصر •

وكانت العصابة الكهنوتية والشعب قد ابتعدوا جميعا عن الملك فلم
يجرؤ أن يأتوا الى المدينة بينما لم يكن في الاستطاعة الاحتفال بعيد رأس
السنة دون حضوره • وفي حماسة الأسرى وبدعوى ضمان سلامة
الآلهة ، جمع كل تمائيلهم تقريبا في معابد العاصمة • وكانت شئون
الدولة وقيادة الجيش في يد ابنه « بالثازار » (بعل شمار أوتسور)
(Balthazar (Bêl-shar-outsour) وانحاز « كوبارو (جوبرياس)
(Koubarou (Gobryas » البابلي حاكم جوتي Gouti (ما بين الزاب
Zâb والدياله Diyala) الى ملك انزان Anzan وأمدّه بالمتطوعين • وهزم
بالثازار في أوبيس Opis ثم لم شمل جيشه فهزم مرة أخرى • وفي

(١)

الرابع عشر من تموز عام ٥٣٩ فتحت سيبار بواباتها وهرب نابونيد .
وفي السادس عشر دخل جوبرياس الى بابل . وفي الثالث من مرهيشفان
Marheshvan التالى استقبل كيروش هناك استقبال المحرر وكسب
شعبيته عن طريق اصلاح شامل للعبادة . ومات نابونيد فى منفاه فى
كرمانيا Carmanie .

وحرص ملك أنزان على المحافظة على تقاليد الاقوام الذين أخضعهم
فظلت السجلات الخاصة فى بابل تكتب بنفس العبارات التى كانت تتم
بها من قبل . وحين مات قمبيز Cambyse (٥٢٩ - ٥٢٢) خليفة
كيروش حاول مطالبان بالعرش أن يرفعا النير ، ولكن دارايوس Darius
الميدى ، بن هستاسب Hystaspe - وهو أمير من بيت كيروش - تولى
قيادة الجيش وحاصر بابل ودعم سلطانه هناك .

وفى نهاية حكمه وعند بداية حكم اكسزركسيس Xerxès (٤٨٦ -
٤٦٥) ظهور مغتصبون فجرد اكسزركسيس المدينة ونهبها وحطم
الايزاجيل . وفى ٣٣١ بعد هزيمة دارايوس الثالث اختار الاسكندر بابل
عاصمة له فى آسيا واعتزم إعادة بناء معبد مردوك .

وهناك لوحة من السنة السادسة من حكمه تسجل ايصالا بدفع
عشر مينات (١) من الفضة اجرا لرفع الانقاض . وقد بنى اليونان لأنفسهم
مسرحا من اللبن به أعمدة حجرية . وقد أثرت تقاليدهم على عادات
البابليين الذين كان لهم حق التسمى بأسماء يونانية تبعا لامتياز ملكى .
وفى ٢٧٠ أصلح انتيوخس سوتر Antiochus Soter المعابد فى
بابل وبورسيبا وأوروك .

وفى القرن الثانى كانت الصسلوات تقسّم الى أنو ومردوك
Anou & Mardouk كمعبود واحد تحت اسم « أنا - بعل » Ana-Bêl
وبدأت الأسر تشييد مساكنها من مواد المدن القديمة : وهكذا أقام « أداد
نادين اهى Adad-nadin-ahê » قصرا فى موقع لاجاش بناء من طوب
جوديا Goudéa وقد ظلت الشعائر الدينية تقام فى بابل حتى عام ٢٧ ق.م .

(١) انظر هامش ١ ، ص ٥١ .

المينة تساوى نحو ٣٠٠ ريال وتحتوى على ٦٠ شاقلا - (المترجم) .

ملخص تاريخي لتأريخ بابل

الخليقة	٢٢٣٠٠٠ سنة	
الفوضى	٤٣٢٠٠٠ سنة	٤٥٦٠٠٠ - W.B. 62 عن
عشرة ملوك قبل الطوفان		
الطوفان (١)		
الأسرة الأولى في كيش (في أكد) أكثر من ١٨٠٠٠	»	ايتانا
الأسرة الأولى في أوروك (في سومير) » » ٢١٧١	»	دوموزي
» » » أور (في سومير) ١٧١	»	جلجامش
أسرة أوان (في عيلام) ٣٥٦	»	
الأسرة الثانية في كيش ٣٧٩٢	»	
أسرة حامازي (في عيلام) ٧	»	
الأسرة الثالثة في كيش -	»	
الأسرة الثانية في أور ١٠٨٠	»	
أسرة اداد (في سومير) ٩٠	»	
أسرة ماري (على الفرات الأوسط) أكبر من ٣٠	»	
الأسرة الثانية في أوروك -	»	
أسرة اكشاك (في أكد) ٩٩	»	

تاريخ اسطوري

- (١) مدة الأسرات السابقة على الطوفان هي ٤٥٦٠٠٠ سنة طبقا للوثيقة W. B 62 و ٢٤١٢٠٠ سنة طبقا للوثيقة W. B. 444 التي تذكر أيضا الأرقام الآتية :
- الأسرة الأولى في كيش : ٢٤٥١٠ سنة وثلاثة شهور وثلاثة أيام ونصف
- الأسرة الأولى في أوروك : ٢٣١٠ سنة
- الأسرة الثانية في كيش : ٣١٩٥ »
- الأسرة الثانية في أوروك : ٤٢٠ سنة
- » في ماري : ١٣٦ »
- » الثانية في كيش : ١٠٠ »
- » الرابعة في كيش : ٤٩١ » وهو رقم يبدو أن من الواجب تصحيحه إلى ٩٧٥ سنة .
- » الخامسة في أوروك : ٧ سنوات
- وكما سبق شرحه في الملاحظة الخاصة بصفحتي ٢١ و ٢٢ فإن الأسرة الثالثة في كيش والثانية في أوروك يجب وضع كل منهما مكان الأخرى .

الأسرة الرابعة في كيش	١٠٦ سنوات	أورو كاجينا في لاجاش
الأسرة الثالثة في أوروك	٢٥	لوجال زاجيسي
أسرة أجاده (في أكد)	حوالي ٢٨٤٥ - ٢٦٤٩	سرجون ونرام سن
الأسرة الرابعة في أوروك	» ٢٦٤٨ - ٢٦٢٣	
أسرة جوتيوم (شرق دجلة)	» ٢٦٢٢ - ٢٤٩٨	
الأسرة الخامسة في أوروك	» ٢٤٩٧ - ٢٤٧٥	جوديا في لاجاش
الأسرة الثالثة في أور	» ٢٤٧٤ - ٢٣٥٨	دونجي .
أسرة ايسين	» ٢٣٥٧ - ٢١٣٢	
أسرة لارسا	» ٢٣٥٧ - ٢٠٩٥	
الأسرة الأولى في بابل (عمورية)	٢٢٢٥ - ١٩٢٦	حمورابي
الأسرة الثانية (أرض البحر) في بابل	١٩٢٥ - ١٧٦١	
الأسرة الثالثة (الكاسية)	١٧٦٠ - ١١٨٥	
الأسرة الرابعة	١١٨٤ - ١٠٥٣	
الأسرة الخامسة	١٠٥٢ - ١٠٣٢	
الأسرة السادسة	١٠٣١ - ١٠١٢	
الأسرة السابعة (عيلامية)	١٠١١ - ١٠٠٦	
الأسرة الثامنة	١٠٠٥ - ٧٦٢	
الأسرة التاسعة	٧٦١ - ٧٣٢	
الأسرة العاشرة (الاحتلال الآشوري)	٧٣٢ - ٦٢٥	
الأسرة الحادية عشرة (البابلية الجديدة)	٦٢٥ - ٥٣٩	نبوخذنر - سور
الأسرة الثانية عشرة	٥٣٩ - ٣٣١	الثاني

الكتاب الثاني

النظم

الفصل الأول الدولة والعائلة

أولا - الدولة

قبل أن يتولى العرش حمورابى المؤسس الحقيقى للوحدة البابلية ، كانت سومير وأكد أحيانا متحدتين تحت صولجان واحد وفى أغلب الأحيان دفع الى انفصاهما تنافس الأمراء فى مدن لكل منها ذاتيتها الخاصة بها .

وكانت المدينة تكون فى المجتمع - بالإضافة الى الأراضى التابعة لها سواء أكانت متسعة أم ضيقة - خلية لها حياتها الخاصة ويعتبر تأسيسها عملا دينيا لا يستطيع القيام به الا بناء على أوامر الآلهة العظام لأن المدينة هى قبل كل شىء مركز للعبادة . وعلى هذا كان لاسم المدينة أحيانا واسم الاله الذى تنازل فرضى أن يستقر فيها مدلول واحد : فنرى مثلا نيبور مركزا لـ « انليل » سيد سومير كلها . كما نرى فى جهات أخرى أن الاله المعبود تتضح سيادته بطريقة أخرى . ولقد كان الأمر كذلك بالنسبة لـ « لاجاش » مثلا التى كان الهها « اينورتا » يسمى دائما « ننجرسو » سيد جرسو وهو اسم الهى الذى يقع فيه معبده . ومعنى كلمة بابل « بوابة الله » وعندما أنشأ ملوك الأسرة البابلية الأولى مدنا جديدة أعطوها أسماء تشتمل اسم الاله : فـ « كارشماش » Kar-shamash معناها « قلعة الاله شماش » و « نور اداد » Nour-Adad معناها « نور الاله اداد » وعلى أية حال ، فإن السلطة المركزية توطدت وقل الالتجاء الى الدين وظهر اتجاه يرمى الى احلال اسم الملك نفسه - وهو قد أله فى أغلب الأحيان - مكان اسم الاله . . . وقد أمر حمورابى بشق « قناة حمورابى » وأقام اميديتانا Ammiditana واميزادوجا Ammizadougā « حائط اميديتانا » و « حائط اميزادوجا » .

وفى عهد الأسرة الثالثة لم يتردد كوريجالزو فى تسمية مدينة جديدة باسم « دور كوريجالزو » Dour Kourigalzou .

كان الاله يعتبر سيد المدينة الحقيقي . ويروى اياناتوم Eanatoum في نقوش « لوحة العقبان » ان « الملك » ظهر له في الحلم كما ان انتيميننا أحد خلفائه يسمى ننجرسو « ملكه الذي يحبه » ويتحدث أورو كاجينا Ourou Kagina صراحة عن « رعايا الملك » مشيرا الى العهد الذي كان يحكم فيه الايشاكوات مدينة لاجاش كما نذر أورنينسون Our-Ninsou الى ننجرسو صحيفة اسمها « الا فليطل الملك في عمري » وتكثر الاشارات الى ملكية ننجرسو في نقوش جوديا Goudéa بصفة خاصة اذ أنه عندما انتهى من إعادة تشييد المعبد جاء بنذور الى الاله ووجه اليه الدعاء التالي : « أى ملكى أى نينجرسو ! لقد شيدت معبدك وانى لسعيد ان أدخلك فيه » وقد استهل حمورابى قوانينه بأن ذكر أن أنو وايلليل خصوا ماردوك بملك أبدى فى بابل .

وكان الاله يسكن المدينة مع زوجته وأولاده وخدمه وسدنته كما كان المعبد مسكنه أغنى المساكن . وقد استحضر أورنيننا Our-Nina بنفقات طائلة أخشابا من الجبال لتزيين الهياكل كما عدد جوديا - مبديا اعترافه بالجميل - أنواع العطور المجلوبة من الغابات وكذا الأحجار والمعادن الثمينة التى جمعها لإعادة بناء « اى نينو » En-ninnou ومبيننا كيفية تشغيلها بمعرفة فنانيين أتى بهم من عيلام .

وكان للآلهة أملاك خاصة وصوامع للغلال واسطبلات وعبيد . وحارب اياناتوم Eanatoum ضد أوما Oumma ليسترد منها « الجويدان » Le Gouédin « الأرض العزيزة » الخاصة بـ « نينجرسو » .

وفى عهد أورو كاجينا استرد الآلهة ملكية الممتلكات التى كان لوجالاندا Lougalanda قد سمح بأن تمنح لعائلته ولصديقه . ولدينا الدليل على ذلك لا فى النقوش فحسب بل كذلك فى لوحات المحاسبة الخاصة بهذه الفترة واننا نستطيع فى عهد اور أن نتتبع مدى ثلاثين عاما عمليات تسليم المواشى التى كانت تتم فى فناء معبد انليل الوطنى وهى المواشى التى كانت تقدمها المدن وكبار دافعى الضرائب . وبعد ذلك بمدة طويلة أهدى الملك الكاسى « نازى ماروتاش Nazimarouttash » أملاكا عقارية ضخمة الى الاله ماردوك الذى أصبح « سيد الحقل » .

ولم يكن الاله يدير شخصيا شئون المملكة أو المدينة بل كان يختار وكىلا : ملكا أو ايشاكو - كانت تعهد اليه رعاية شئون شعبه وكان انتمينا Entéména اللاشاشى الايشاكو الأكبر لـ « نينجرسو » . كما كان لوجال زاجيسى Lougalzaggisi الأوروكى الذى يمتد سيطرته على

جميع أنحاء سومير ايشاكو انليل الاله الوطني . وكان الأمير يؤدي شئ
نفس الوقت الأعمال الكهنوتية فهو الكاهن الأكبر لاله البلد او المدينة .
وشاهدنا على ذلك جوديا ولوجال زاجيسى : اذ يقرر ثانيهما أن « الآلهة
قد عينته في هياكل سومير ايشاكو على الأقاليم ، كما عينته في أوروك
كبيرا للكهنة » وكان الأمير بوصفه المشرف على الإدارة المدنية والدينية
لا يلبث ان يؤله نفسه وأقدم شاهد على ذلك اسم العلم المسجل على مسلة
مانيشتوسو Manishtouso وهو : « شاروكين ايلي » Sharrou-Kin-ili
ومعناه « سارجون هو الهى » وقد سمي نارام سن Narâm-Sin
هو لا يزال على قيد الحياة - اله اجاده . كما وضع دونجى : Doungi
وأخلافه قبل أسمائهم المخصص الالهى وكانت لهم معابدهم وتماثيلهم وكان
حمورابى - الذى تسمى أحد معاصريه باسم حمورابى ايلو
Hammourabi-ilou « حمورابى هو اله » - قد أطلق على نفسه لقب
« اله الملوك » . أما الكاسيون الذين قد قاموا بتعديلات كثيرة فى التقاليد
فيما يتصل بكثير من النواحي الأخرى فانهم لم يستخفوا كذلك بهذه
التشريعات الالهية .

وفى العهد السابق للسرجونية كانت توجد الى جانب الأمير زوجة
لها أملاك واسعة تديرها بنفسها : فكان لها قصرها الخاص كما كانت
تشارك فى تصريف شئون الدولة . وكان لأولاد الأمير بيتهم وما الى ذلك
من خدم وسقاة وحائكات ونساجات وطاه ونجار وحمار (بفتح الحاء وتشديد
وفتح الميم) وموسيقى وزراع ومزينون وغيرهم .

ويظهر أن أهم موظف كان ناظر القصر فهو فى الوقت نفسه « منظم
مشروعات المنافع العامة والشؤون الزراعية وأمين خزانة الملك وناظر
السراى ومسجل عقود الجميع » (١) . وتشير اللوحات الى وجود غيره من
ال « نوباندا » (نظار) : نوباندا الاله ونوباندا الأولاد . وطبقات مختلفة
من الكهنة ووكلاء أعمال وقضاة وأمناء مخازن الغلال وكتاب وملاحظون
وغيرهم من الموظفين الذين لم يتضح جليا نوع الأعمال التى كانت توكل
اليهم . وكانت النساء كاهنات أو حائكات أو مخصصة لهن أعمال
أخرى . . وكان هناك من بين العمال والصناع النجار والعطار ولدباغ
والسباك والمثال وقاطع الأحجار الكريمة والبناء والحفار والبستاني . . .

كل هذا يعاود الظهور فى عصر أور ولكن بيت الملك الذى كان يمتد
سلطانه الى ما وراء حدود سومير كان يتطلب هيئة الخدمة أهم مما يحتاج

اليها ايشاكو مدينة واحدة . وكان النوباندا في هذه الحالة يكرس نفسه فقط لكل ما يعتبر سخرة : « ونسواء آكان الامر يخص الحرب أم هو يتصل برعاية المحقول أم شق القنوات . أم بناء الحواطب والقصور والمعابد ، فانه موجود في كل مكان » (١) . وكان يوجد الى جانب الملك كبير الوزراء وهو ايشاكو أو حاكم عدة مدن (٢) وكان هناك كذلك وزراء آخرون يعاونهم جند وعمال للبريد (سعاة) يجوبون البلاد حاملين أوامر الملك الى أبعد مدن الامبراطورية ويظهر أن جميع موظفي هذا العصر كانوا رجالا أحرارا أو عبيدا .

وعلىنا أن نصل الى عصر حمورابي ، حتى نتبين تقسيما آخر لطبقات المجتمع دون أن يتسبني لنا تحديد تاريخ هذا التقسيم (٣) .

ويميز القانون البابلي في الدولة بين الرجل الحر والموشكينو Moushkinou والعبد . والموشكينو - ويلاحظ أن هذه الكلمة والكلمة الفرنسية مسكان Mesquin - من أصل واحد - تطلق على المواطن من طبقة متواضعة يقع ترتيبه في المجتمع بين الطبقتين الأخرتين وهو يستطيع أن يملك عبدا كما يستطيع أن يطلق زوجة مقابل إعطائها ثلث مينة ، ومن المفضة ذلك في الوقت الذي يلزم الرجل الحر في مثل هذه المناسبة بدفع مينة كاملة . هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن القوانين الخاصة بالعمليات الجراحية وكذلك الجوادث تراعى بدقة مركزه الاجتماعي عندما تقدر الأتعاب والعقوبات على التوالي . فإذا أخذ المعتدين عين موشكينو أو كسر أحد أعضاء جسمه ، فإنه يحكم له بتعويض قدره مينة فضية فإذا كان المجنى عليه رجلا حرا فإنه يحكم على الجاني بمقتضى قانون « العين بالعين ، والسنن بالسنن » . أما إذا كان عبدا فإنه يحكم له فقط بنصف قيمته التجارية . وإذا نحطم أحد أسنانه أعطى ثلث مينة وإذا ضربه أحد على رأسه فإنه يأخذ تعويضا قدره عشرة شواقل . على حين تقدر مينة واحدة للرجل الحر في مثل هذه الحالة أما إذا قتل دون عمد أثناء مشاجرة فإن أسرته تعطى ثلث مينة فقط وليس بنصف مينة كما هو الحال بالنسبة لابن الرجل الحر .

وإذا أجهضت البنته بسبب الضرب يلزم الجاني بدفع خمسة شواقل . وفي حالة وفاتها فمن جزاء الحادث يدفع نصف مينة . أما إذا

(١) LVI, p. 38.

(٢) LXXVII, p. 213.

(٣) تفرق مراثية سابقة للجهاد أو بين المواطن البسيط والموظف والرجل الحر ولكن لا يستدل من ذلك أنهم كانوا يكونون ثلاث طبقات مختلفة في المجتمع .
It. XVII, p. 45.

كان والدهما رجلا حرا ، فان التعويض يبلغ في الحالة الاولى عشرة شواقل ،
واما في الحالة الثانية فيطبق قانون « العين بالعين والسن بالسن » .
أما ان كانت ابنة عبد فان التعويض يكون شاقلين أو ثلث مينة على التوالى
في الحالتين المشار اليهما .

وفي حالة اجراء عملية جراحية : اذا كان الرجل الحر يدفع عشرة
شواقل فان السيد يدفع عن عبده شاقلين فقط كما حددت الأتعاب التي
يدفعها الموشكينو في هذه الحالة بخمسة شواقل .

وعلى ذلك فانه مما لا شك فيه أن مركز الموشكينو في الهيئة
الاجتماعية هو دون مقام الاميلو Amélou أى الرجل الحر .

ولكن مما يثير العجب أنه لم ترد في القانون أية اشارة عن الرجل
الحر فيما يتصل بالسرقة وهرب العبيد وزواج الفتاة الحرة من أحد
العبيد . . . ذلك في الوقت الذي فرق فيه القانون ما بين ما يخص المعبود
أو القصر من ناحية وبين ما يخص الموشكينو من ناحية أخرى .

وكان العبد ملكا لسيد : سواء اكان مولودا في بيته أم مشترى
أم كان أسير حرب .

وقد اشترى مانيشتوسو Manishtousou خمسة رجال وثلاث
نساء بعشرين شاقلا للرأس . كما اشترى فتاة بثلاثة عشر شاقلا ونصف
شاقلا .

وفي عهد أور قدر ثمن أسرة كاملة بنصف مينة وثمان طفلة بثلاثة
شواقل ونصف شاقلا وكان من حق العبد أن يعارض في الثمن الذي حدد
لبيعه فتحال القضية الى القضاة كما كان له أن يقسم اليمين فيما يخصه
من شئون على الأقل . وقد قررت خادمة أحد الأطباء اتهمت بسرقة رداء
المدعو بازى Bezi أن هذا الرداء أعطاها اياه أحد عبيد الرجل المذكور
ويدعى لوجال دوردوج Lougaldourdoug فلما نظرت القضية في معبد
ننمار Ninmar قرر لوجال دوردوج بل وأقسم انه لا دخل له في هذه
السرقة فحكم على الخادمة بأن تنزل الى مرتبة الاماء في خدمة بازى .

ويصبح بيع العبد نهائيا اذا حلف المشتري أنه اشتراه فعلا بحضور
شهود ، ودفع الثمن المحدد . ويستطيع الأب أو الأم أن يبيعا طفلهما
كعبد . كما أن السيد كان له الحق في عتق عبده (١) . ومن أمثلة ذلك
في عهد ايلليل باني Ellil-bâni ملك ايسين (٢٢٠١ - ٢١٧٨) أن

« بيدور ليبور Pidour-libour » وزوجه « نيم أوتومو Nim-Outoumou »
قد عتقا امرأة بقيت رغم ذلك في خدمتهما ، دون أن يكون لولديهما وابنتهما
أية حقوق عليها (١) .

وكانت تقام ، في مثل هذه الحالة ، حفلة يظهر العبد خلالها على
جبهته . وكانت توجد علامات مميزة للرق . وكان قانون حمورابي يقضي
بقطع يد الجراح ، الذي يسم العبد عبدا ، وبدون علم السيد بعلامة عدم
امكان بيعه .

وفي القرن الثالث - قبل الميلاد - كان اسم الملك (السيد) في
أوروك (٢) يكتب على يد العبد اليمنى ، فإذا تغير السيد أضيف اسم
السيد الجديد الى جانب الملك القديم .

ولا يستطيع الرجل أن يبيع المحظية التي رزق منها بنسل ولكن
يمكنه فقط أن يرهنها ، شأنها في ذلك شأن الزوجة والابن ، وكان
لا يجوز في عهد الأسرة الأولى أن تزيد مدة عبودية الزوجة أو الابن أكثر
من ثلاث سنوات ، إلا أن هذا الحظر قد اختفى فيما بعد من القانون :
من ذلك أنه حدث في العهد البابلي الجديد أن بقي ابن عشر سنوات
متوالية في خدمة كاهنتين ، سدادا لدين على أبيه ، وقد حدد حمورابي
قيمة العبد التجارية بعشرين شاقلا ، وهي قيمة توازي التعويض المقرر من
وفاة تنتج عن هياج ثور ، أو اساءة معاملة رجل لعبد أعطى له بصفة
رهن .

وكانت حياة رجل حر ، لا تقدر - في مثل هذه الظروف - بغير
ثلاثين شاقلا . وتبعاً للسن والنوع (ذكر أو أنثى) ، - والمهارة في العمل -
وكان بعض العبيد لا يباعون بأكثر من أربعة الى ستة شواقل ، على حين
يبلغ البعض الآخر أرقاما مرتفعة ، تتراوح بين ٥١ و ٥٧ شاقلا . أي حوالى
مين (٣) فضى تقريبا .

وكانت الفتاة الحرة تستطيع أن تتزوج من عبد ، وكان الأولاد
يولدون أحرارا تبعاً لحالة أمهم ، كما كان نصف متاع الأسرة فقط من
حق سيد أبيهم . وإذا كان رجل حر اتخذ إحدى الاماء كمحظية ، فإنها
وأولادها يتحررون عند وفاته بحكم القانون ولكن الأولاد لا يرثونه إلا إذا
كان هناك عقد تبين .

I. t. XIV.

(١)

IXXII t. II, nos. 6 & 25.

(٢)

٣١ المين هو المينة انظر هامش (١) صفحة ٥١ و ٦٤ .

• وكان في استطاعة العبد أن يدخر ، وأن يشتري حريته نقدا .
كما كان يستطيع - في حالة عدم وجود الثمن لديه - أن يستدين المبلغ
اللازم لهذا الغرض : وكان معبد مردوك في بابل يقبل إعطاءه سلفه
تخصم أقساطها من كسبه • وكذلك كان التحرير ، أو شراء الحرية
نهائيا ، غير قابل لأية معارضة •

وكان محظورا على الناس مساعدة عبد على الهروب أو إيواؤه وكان
يحكم على المخالف بالاعدام ، وكان يمنع من يضبط الآبق (الهارب)
ويعيده الى سيده مكافأة قدرها شاقلان ، وفقا لقانون حمورابي • وينص
هذا القانون على ما يأتي : « اذا آوى شخص في بيته عبدا آبقا وضبط
هذا العبد تحت سقفه فان عمله هذا يستوجب الحكم عليه بالاعدام » •

وكان هناك قانون سوميري (١) ، أقدم من القانون المشار اليه ،
ينص على عقوبات أخف مما ذكر : « اذا هربت خادمة أو عبد من سيدهما
الى خارج المدينة ، فان صاحب البيت الذي يسمح باقامة أيهما في بيته ،
خلال شهر - يدان ويلزم بتقديم رأس برأس (معاملة المثل) فاذا لم
يكن له عبد ، فانه يدفع ٢٥ شاقلا من الفضة » •

ثانيسا - الجيش

منذ أقدم العصور ومدن الفرات الأدنى في صراع ، كى تستطيع
الواحدة منها أن تمت نفوذها على الأخرى : ولقد كان الجيش واحدا من
أهم نظم المجتمع •

وتبين « لوحة العقبان » (٢) - التى أقامها الملك « اياناتوم » فى
أراضى لاجاش عقب نصره على رجال أوما - فى المناظر المحفورة على وجهها
التاريخى ، كيف كان تكوين الجيش السوميرى فى هذا العهد البعيد ،
والصورة التى كانت عليها معداته •

كان الملك يسير الى الحرب على رأس جنده وهو يتدثر حول حقويه
بقماش من الكاوناكيس Kaunakes وكان يغطى كتفه اليسرى قماش
أكثر نعومة أو جلد ماعز • وتحشى رأسه خوذة شبه مخروطية يتدلى منها
من الخلف ما يستر العنق • أما تلك التى يرتديها رجال الحرب فهى

I. t. XVII, p. 37.

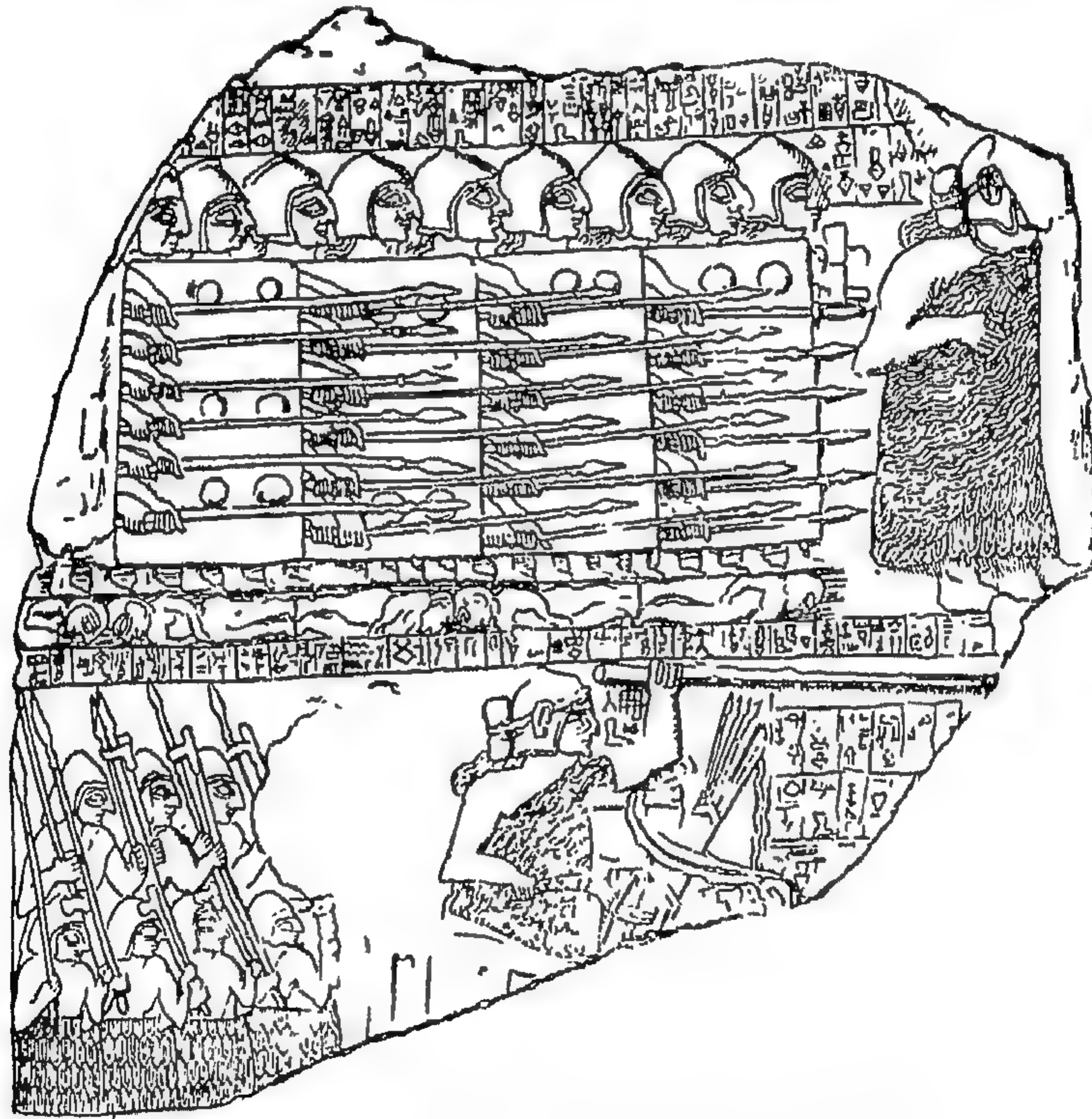
(١)

LXX ; pl. 3 et suiv. voir fig. 8.

(٢)

سوية ملساء وأما التي يرتديها الملك ، فقد قلد عليها الفنان شكل الشعر المجر الكثيف ، يثبت في مكانه بواسطة شريط كما مثلت عليها الأذنان واضحتين • وسواء أكان يحارب راجلا ، أم راكبا عربته ، فإن سلاح الأمير كان حربا وأداة مقوسة مكونة من عصا ونصال ، ربطت الى بعضها بواسطة سيور أو حلقات •

وكان المحاربون يكونون سلاحين : سلاح الصدام وهو الذي ينزل رجاله المعركة في انتظام ومعهم الملك راجلا وهم متقدمون في طوابير كل منها من سبعة من المحاربين ، يحمل أولهم سلاح الدفاع وهو ذراع مستطيل أما الباقون فمزودون بالحرا ، يمسكها كل منهم بيديه من طرف العصا تقريبا • أما أولئك الذين يهاجمون ، لمطاردة العدو خلف الملك وهو راكب على عربته (سلاح المطاردة) فمسلحون بحربة وفأس •



(شكل ٨) قطعة من لوحة العقبان (متحف اللوفر : تلو)

ويحتفل الأمير بعد النصر بذبح ثور • ويتقدم الجند لاعداد الأسرى ووضع جثثهم في كومات على حين يحتفظ الملك لنفسه بحق فقء عين الحاكم المهزوم • وهناك سلاح آخر ، مثل على وجه اللوحة التي تحمى بعض المناظر الأسطورية : وهو دبوس القتال الذي يمكن تتبع استعماله

منذ عصر أقدم عن طريق نقش من تلو (١) Tello ، وكذا عن طريق
الدبوس النذرى المزين بالسباع والذي نذره ميسليم الى الاله ننجرسو .
وترينا لوحة النصر لـ « نارام سن » (٢)، عتاد الملك ومحاربيه فى
عصر اجاده ويمثل المنظر مطاردة العدو فى اقليم جبلى ويرى فيه الأمير
متدثرا بملحفة قصيرة ، ينزل طرفها حتى ركبتة ، ويلبس نعلا فى قدميه ،
وعلى رأسه خوذة يتدلى منها ما يغطى العنق مزينة بقرون ترمز للمعبود
ويمسك فى يسراه بقوس مزدوج التقويس ويضم ذراعه الى صدره بلطة
سلاحها ضيق جدا وفى يمينه سهم طويل به ريش وينتهى بطرف حاد .
ويمثل الفرقة طابوران من المحاربين ، يحميهما الكشافة الذين يحمل واحد
منهم حربة والآخر قوسا أبسط من قوس الملك . وعلى رأس كل طابور
قائد ملتج ، لفت ملحفته على هيئة النقبه (جونلة) وهى أقصر من ملابس
رجالها . وهو يلبس خوذة كما يلبسون . وقد سلح أحد القائدين بحربة
وبلطة ذات نصل محدب من ذلك النوع الذى كثيرا ما نشاهده مرسوما
على أسطوانات الأسرة الأولى البابلية وتزيينه رأس أسد ، ويحمل الآخر
بلطة ، أما عامة الجند فيحملون الى جانب البلطة حربة أو لواء ، وأما عتاد
العدو فيشبهه عتاد رجال اجاده .

وتحمل لوحة من ذلك العهد الدليل على صناعة الخوذات من الجلد ،
وكانت تستعمل فيه جلود الثيران أو الجداء أو الصوف ، كما أن غيرها
كان يصنع من البرونز المكفت بالفضة ، أما البلطات فكانت من برونز
النحاس وكذا رهوس الحراب ، وأما فى صناعة الجعاب فكان يستعمل
الجلد والصوف (٣) .

وفى معبد لاجاش حيث بلاط الاله صورة صادقة لبلاط الأمير :
نرى جوديا يتقدم بملازم أول وثمان يتخذان مركزا ، يلي مباشرة مركز
الشخصين الالهيين المنوط بهما العدالة والتقدمات (٤) .

وفى عصر أور كان « النوباندا » Noubanda يقودون الجند وكانوا
- أكثر من ذلك - مسئولين عن ادارة السخرة فى المشروعات العامة .
وهناك فئة من الناس ملزمة بالخدمة العسكرية هم « الاوكوش »
Oukoush الذين كانت لهم قيادتهم الخاصة ورؤساء خاصون بهم .

LXX, pl. 1.

(١)

XVIII t. I, p. 144.

(٢) راجع الشكل ٤ صفحة ٣٦ .

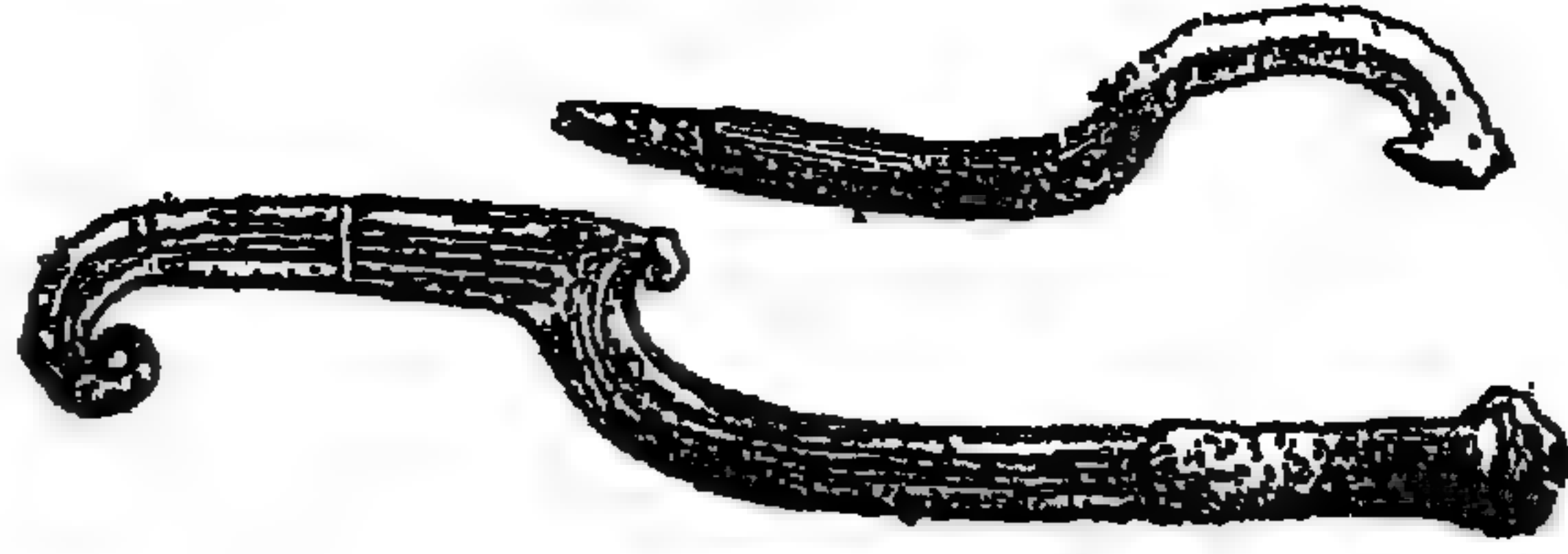
II, 1913

(٣)

LXXVI, p. 183.

(٤)

وينظم قانون حمورابي
الامتيازات ويحدد بعض
الواجبات المقررة على
نوعين من المواطنين
يستدعيان ليساهما في



(شكل ٩) اسلحة سوميرية
(مدحف اللوفر : حفائر تللو) .

الحملات الملكية : « الريدوم » Rédoum - أو قائد العبيد (وهي كلمة
سامية تقابل الكلمة السوميرية « أوكوش ») و « البايروم Baïroum »
(السماك) . وليس من السهل أن نقدم ترجمة صادقة لهذين
الاصطلاحين ، لأنه ليس لدينا موظفون يشغلون وظائف مماثلة : فالأول
كان مكلفا بجمع المجندين لوظائف الجيش كما يظهر أن الآخر كان عمله
متصلا بالبوليس . وكان كل منهما حين يستدعى الى خدمة الملك يلزم
بأداء عمله شخصيا ولم يكن في مقدوره أن يتهرب من هذا الالتزام وكان
القانون ينص على تعريضه للاعدام ان هو أحل محله أحد المأجورين .
والواقع أنه طرأ على الأمر بعض التيسير فالرجل كان يستطيع شراء
الاعفاء بدفع ضريبة سنوية تسمى مال الايلكو ilkou . والايلكو هو
« خدمة الملك » وفي معناها الواسع أملاك الدولة تمنح على صورة معاش
مدى الحياة للريدوم والبايروم وهو عبارة عن حديقة أو بيت أو حقل
أو ... حتى مواش ...

ويبين لنا خطابان أحدهما أمر من سامسو ايلونا والآخر اعلان
(اخطار) بابلاغ الأمر الاول ... يبينان كيف تنفذ منح هذه
الممتلكات (١) .

فان رجلا يدعى « ابني اداد » Ibni-adad وهو صاحب امتياز أرض
مساحتها ١٨ جان (gan) من الأرض (أكثر من ٦ هكتارات) عبارة عن
حقول وبساتين في ناحية سيبار ترك أملاكه هذه كي يحصل على امتياز
أكثر جدوى . فأمر الملك بمنح الأملاك الأولى الى رجل آخر هو العيلامي
« والي Wali » وسجل ذلك على لوحة وأرسلت لوحة « ابني اداد » الى
القصر . وتسلم ماردوك ناتسير Mardouk Natsir كبير موظفي سيبار
الكتاب الملكي ، وفتحه وعرف مضمونه ، ثم وضعه في غلافه ، وحوله
الى مديري الأملاك مشفوعا باخطار ذكر فيه الأوامر الملكية مفصلة .

وأمالك الايلكو لا يستطيع التصرف فيها بالحجز أو البيع : فان من يشتريها يفقد ماله كما تحطم لوحته ولا يستطيع الحائز عليها أن يقدمها لزوجها أو ابنته ، وهذا يسمح لنا أن نعتقد في إمكان نقل حيازتها الى الابن بشرط أدائه للالتزامات المفروضة . وكان من المحظور كذلك أن تستعمل رهنا لدين .

وحيث كان الريدوم والبايرون متغيبين لأسباب مصلحة كان يعهد بإدارة هذه الأملاك الى ابنيهما . . . فاذا كان ابناؤهما صغارا فالى الزوجة مع منحها ثلث الايراد مقابل اشرافها على شيء . . . وكان يجب أكثر من ذلك ، أن يحتفظ بالعين في حالة جيدة وأن تزرع . . . فان تعمد صاحب الامتياز اهمالها أو احتلها آخر مدى ثلاث سنوات ، فان أى ادعاء لاعادة تملكها لا قيمة له ويصبح المنتفع بوضع اليد منتفعا شرعيا . أما ان هجرت العين لفترة أقصر فلا ينقل حق الامتياز .

وكانت للريدوم امتيازات ذاتية وامتيازات خاصة بأملكه : فكان مستقلا تماما عن نفوذ الحاكم وكان الأخير يتعرض لعقوبة الاعدام ان هو : « استولى على أملك ريديم أو سبب لها خسارة أو أعارها بأجر أو سلمها عن طريق المحاكم ليد رجل أكثر نفوذا ، أو أخذ منه ما سبق أن منحه الملك إياه » .

واذا قبض على الريدوم والبايرون في الحرب ودفع الفدية عنهما وكيـل أعمال فعليهما سداد الدين شخصا اذا كانت تروتهما المنقولة تسمح بذلك . أما الأملاك الثابتة فلا تمس فان لم يكن في استطاعتها دفع المبلغ المفروض فان معبد مدينتهما يدفع عنهما ، فان لم يكن يملك الموارد الكافية فان الدين تتكفل به الدولة . وهناك قرار من حمورابى يبين كيف كان هذا النص القانونى يطبق . وكان الأمر يخص رجلا من لارسا : وأما من ناحية « ايمانينوم Imaninoun » الذى أسره العدو فيعطى عشرة مين من الفضة من معبد سن الى وكيل أعماله كفدية « (١) » .

وفى العصر البابلي الجديد كان يضطر بعض دافعى الضرائب الى دفع جزية حرب ، وان يساهموا ماليا فى تكاليف الجنود : فكان على أحدهم أن يدفع سبعين شاقلا فى السنة الخامسة لدارا وأن يدفع آخر أجر رجل مدى عامين أو يتولى تكاليف خيال (بتشديد وفتح الياء) . ولا بد أن الجيش البابلى فى هذا العصر كان منظما كما كان الجيش الأشورى فى آخر أيام الامبراطورية السرجونية .

ثالثا - العائلة

تأسست الأسرة - بدعائها القوية في سومير وأكد - منذ أقدم العصور على أساس التزاوج من امرأة واحدة . فلم يكن للرجل - كقاعدة أساسية - أكثر من زوجة شرعية واحدة وان سمح له القانون والتقاليد أن تكون له محظية أو أكثر .

ويستند الزواج في جوهره على وثيقة مكتوبة هي حجة صادرة من طرف واحد ملزمة يحدد الزوج بموجبها - أمام شهود - حقوق وواجبات الزوجة وكذا المبلغ الذي يدفعه في حالة الطلاق والعقوبة التي قد تنزل بالمرأة الخائنة ، وعلى وجه العموم يحدد فيها كافة شرائط العقد .

وكان يجب على الرجل قبل تحرير هذا العقد . وتمهيدا له ، أن يتفق مع أهل الزوجة التي يزعم التزوج منها . وتقضى قوانين « نيسابا وحاني (١) Nisaaba & Hani » - المعمول بها في جزء من سومير على الأقل قبل قيام الامبراطورية البابلية - ان على من يغتصب فتاة أن يطلب الى أهلها الزواج بها أما اذا اغتصبها بعد أن يكون أهلها قد رفضوا تزويجها منه فان تصرفه هذا يعتبر جريمة تستوجب الحكم عايه بالاعدام .

وجرت العادة في عهد حمورابي أن يختار والد الشاب خطيبة ابنه . وعندما يتم بين العائلتين الاتفاق على الزيجة يشرع في اعداد الخطبة . ومن المظاهر الخارجية لهذا الاحتفال أن ترسل الى بيت والد العروس بعض قطع الأثاث كما يقدم الشاب أو والده « تيرهاتو Tirhatou » موضوعة على صحيفة الى والد العروس . وكان هذا التيرهاتو عبارة عن مبلغ من المال ينزل الى شاكل واحد أحيانا في عهد الأسرة الأولى ويصل أحيانا الى عشرين شاكلا بل الى نصف مين . وقد ذكرت هدايا الخطبة في نص من عهد جوديا Goudéa وهي من آثار عهد كان الزواج يعقد فيه عن طريق شراء المرأة : وبعد أن أعاد الايشاكو بناء معبد الالهة باو Baou ضاعف في المستقبل هدايا الأعراس -- تلك الهدايا التي كان يجب

XXVIII. t. I no 28.

(١)

تجديدها فى كل عيد من أعياد رأس السنة : من أبقار وخراف وحملان
وسلال بلح وزبد وجمار نخيل وتين وفطائر ودواجن وأسماك
وخشب أثل .

وفى عهد أور أخرج من حظيرة معبد انليل لمناسبة خطبة أحد أمراء
البيت المالك خمس بقرات مسمنة وثلاثون من الخراف وخمسة من
الكباش . كما أن هدية أحد النظار كانت عبارة عن خمسة من الخراف
وثلاث من النعاج وعنزتين (١) .

ولم يكن التيرها تو اجباريا بصفة قاطعة ، فقد كانت هناك أحيانا
خطبة بغير تيرها تو . كما أنه لم يكن يعنى ارتباطا نهائيا وكان يترك
لوالد الفتاة إذا سحب الشاب وعده بالزواج منها . أما إذا كان الوالد
هو الذى عدل عن وعده بتزويج ابنته فإنه يرده كاملا . ولم تخل التقاليد
الخاصة بتقديم التيرها تو من ايحاد ظروف تؤدى الى المقاضاة :

فإذا اغتصب رجل فتاة مخطوبة تقيم فى بيت أبيها استوجب عمله
هذا الحكم عليه بالاعدام . ومن ناحية أخرى فإنها إذا كانت تقيم مع عائلة
خطيبها ، وكانت لها علاقات غير شريفة بحميها دون أن يكون خطيبها قد
عاشرها فإنه يجب عليها أن تسترد حريتها وأن تعود الى بيت أبيها ومعها
— علاوة على مهرها — تعويض قدره نصف مئ من الفضة . أما إذا كان
خطيبها قد عاشرها فإنه لا يمكنها الادعاء بأنها سليمة النية وعلى ذلك
كان يعاقب المذنبان فكانت الخطيبة تلقى فى الماء .

ويزود الأب ابنته — وفى حالة وفاته يتولى ذلك اخوتها —
ب « شريقتو » Shérigtou أو بائة . ويسلم هذا المتاع الى الزوج عند
بدء اقامتها معه ويبقى ملكا للزوجة حتى وفاتها وينتقل لأولادها من بعدها
أو يرد الى بيت أبيها ان لم تكن قد رزقت بعقب . وقد يحدث أن يكون
كل من الزوجين قد استدان قبل الزواج وفى هذه الحالة يختلف موقف
أحدهما القانونى عن موقف الآخر : فالرجل غير ملزم البتة بأن يسدد
الالتزامات السابقة للزوجة بينما ترى الزوجة مضطرة — لكى تصبح فى
مأمن من مداينى زوجها — الى أن تنص فى لوحتها على عدم جواز الحجز
على ممتلكاتها لمصلحتهم . أما فيما يختص بالديون خلال الزيجة فإن
الزوجين مسئولان عنها بالتضامن وكثيرا ما يذكر اسماهما معا — ولدينا

مثل من أيام ملوك أور (١) - عند عقد السلفة • كما أن الزوج لا يستطيع أن يتصرف في الملكية المشاركة دون رضا زوجته •

وكان معروفا أن للمرأة المتزوجة أهلية قضائية معينة فهي تستطيع أن تكون شاهدة ، ولقد كانت الحال كذلك منذ عهد ما قبل السرجونية ، اذ نجد امرأة تشهد في بيع بيت (٢) وكان من حقها أن يكون لها أملاك خاصة وأن تتصرف فيها دون موافقة زوجها كما كانت تبيع عبيدها ولم يكن القانون يقف في وجهها الا في حالة الجارية (الأمة) التي منحتها لزوجها كمحظية فانجبت منه أطفالا •

وعندما يكون الزوج غائبا - في فترات الخدمة العسكرية مثلا - وليس له ابن يكون قد بلغ سن الرشد فإن الزوجة تتولى ادارة شئون ثروته وتستولى شخصيا على ثلث ايراده • وقد حدث في مناسبة من هذا النوع ان طالبت زوجة برد عبد كان زوجها قد أعطاه بصفة رهن فحكم لها القضاء بما أرادت بعد أن تبين أن الخدمات التي أدت تعدل تماما قيمة الدين (٣) •

ولقد كان حمورابي يمنح المرأة المتزوجة - « متى كانت تحسن رعاية بيتها وليست موضع لوم » - حق الالتجاء الى القاضي ليمنحها حق استعادة بائنتها وهجر بيت الزوجية والعودة للمعيشة تحت سقف أبيها وذلك ان هي شكت طول غيبة زوجها واهماله اياها • ولكنها تعرض نفسها في الوقت نفسه - ان لم تكن خالية من اللوم - الى أن يصدر ضدها حكم يقضى بالقائها في الماء •

وللزوج على زوجه حقوق معينة فهو يستطيع أن ينزلها الى مرتبة الرق عند الدائن وظل معمولا بهذه العادة الممعة في القدم حتى عهد الامبراطورية الجسديدة في أيام نابونيد Nabonide • ويحدد قانون حمورابي هذا الرق بفترة أقصاها ثلاث سنوات يجب أن تطلق حرية المرأة بعدها • كما يجوز للزوج أن يبيع زوجته الخائنة عقابا لها وتحت ظروف خاصة لا نستطيع أن نحددها تماما •

ويستطيع الزوج - ان لم يأت الزواج بشمرته الطبيعية : الذرية - ان يسلك أحد سبيلين : اما أن يأخذ زوجة من مرتبة ثانوية أو يطلق زوجته فيرد التيرها تو ويدفع قدرا من المال يبلغ مينة أو ثلث مينة مما

I, t. XIII.

(١)

XXXV, no 31.

(٢)

I — t. XII.

(٣)

يتناسب ومركزه الاجتماعي . ومن الحالات الفردية لوثائق الطلاق التي وصلت الى أيدينا نجد أن هذا القانون قلما طبق لأنه كانت توجد دائما اتفاقات ومن ذلك أن العرف حدد بعد عهد حمورابي ثمن الطلاق بنصف مينة . ومن حق الزوج الذي اعتزم أخذ زوجة من مرتبة ثانوية أن يدخلها بيت الزوجية ولكن لا يجوز له أن يجعلها مساوية لزوجته بل عليه أن يحدد في اللوحة الموقف الحقيقي وذلك من باب الحيطة وتنفيذا للقانون الذي ينص على بطلان كل زواج لم يحدد الرجل في الوثيقة الخاصة به واجبات المرأة .

وقد حدث أثناء حكم سن موبالليت Sin-Mouballit والد حمورابي أن قرر رجل أن على زوجته الثانية أن « تغسل قدمي الزوجة الأولى وتحمل لها مقعدها الى معبد الاله مردوك » (١) وعلى أية حال ، فإن لها في حالة الطلاق كافة الحقوق الشرعية للزوجة .

وسواء أكانت الزوجة والدة أم لم تكن فإنها تستطيع أن تمنح زوجها محظية تختار من بين امائها (جواربها) أو تشتري وكانت هذه المحظية تحرر متى ولدت له طفلا . ولكن سيدتها تظل باستمرار محتفظة بحق ردها الى مرتبة الاماء ان هي حاولت منافستها . بل ان لها حق بيعها ان لم تكن قد أصبحت أما . ولم يعد يسمح للزوج الذي منحته زوجته محظية رزق منها بذرية أن يدخل امرأة أخرى في بيت الزوجية .

واذا أصيبت الزوجة بمرض مزمن أو بعاهة يمنعانها من أداء واجباتها فإن ذلك ليس من الأمور التي تبيح للزوج تطليقها وقد يستطيع الرجل في مثل هذه الحالة أن يتزوج شرعيا من امرأة أخرى ولكن يظل للزوجة الأولى حق البقاء في بيته على أن يضمن لها سبل حياة محترمة. تبعا لمركزه الاجتماعي . وان هي فضلت الانسحاب فإنه يحق لها أن تعود الى بيت أبيها وأن تأخذ معها بائنتها كاملة غير منقوصة . وقد كان التشريع السوميري القديم يقضى بأن تلقى في الماء الزوجة التي ترفض ممارسة واجبات الزوجية . أما حمورابي فقد فرق بين مختلف الحالات : فإذا لم تكن الزوجة على دراية تامة بشئون بيتها فإنه يطبق عليها هذا القانون حرفيا . وبالعكس ان كانت تستطيع أن تثبت أن زوجها هجرها فإنه يسمح لها بأن ترجع الى منزل أبويها وأن تأخذ معها بائنتها . أما ان ساءت سيرة المرأة وأصبحت لا تكثر برعاية شئون بيتها وأهملت أمور زوجها فإنه يستطيع في هذه الحالة أن يخنار بين أمرين : أما أن

يطلقها أمام المحكمة ، وفي هذه الحالة تطرد دون أن تأخذ أى تعويض ،
أو يقرر أمام القاضى أنه لا يرغب فى تطليقها وعندئذ يستطيع استبقاها
كجارية • ومن حق الزوج فى كلتا الحالتين أن يعقد زيجة جديدة •

ويجوز من جهة أخرى للزوج أن يطلق المرأة سواء أكانت زوجة
شرعية أم محظية ، دون أن تكون قد قارفت اثماً وليس من شك أن هذا
تهديد مباشر لمبدأ الزواج من امرأة واحدة • وفى هذه الحالة تنسحب
المرأة ومعها بائنتها ويمنحها القاضى حق الانتفاع ببعض ممتلكات زوجها
كما يحكم بضم أولادها اليها ، وعندما يبلغون سن الرشد تتسلم حصة
مساوية لحصة أحد الأولاد وتصبح حرة فى أن تتزوج مرة أخرى • وكان
هناك قانون سوميرى قديم يمنحها نصف مئ من الفضة •

وان زنت المرأة فانه من الممكن أن يحكم عليها بالاعدام ان هي
أمسكت فى حالة تلبس • وكان الشريكان فى الاثم يوثقان معا ويلقى
بهما فى الماء « الا اذا رأى الزوج أن يبقى المرأة على قيد الحياة ورأى الملك
أن يبقى على خادمه » أما فى غير حالة التلبس فان المرأة تستطيع ابراء
(تبرئة) نفسها عن طريق القسم • وأما اذا كان الأمر لا يتعدى حدود
الشائعات عن سوء سيرها وسلوكها فانها تمر بامتحان عسير وبتجربة
قاسية تاركة للنهر – الاله أمر تبرئتها • وانه لمن الواضح أن الأمر يمس
الزنا أكثر مما يمس تعدد الأزواج فيما يتصل بالعقوبات التى كان قد
أصدرها أورو كاجينا من قبل حين قرر : « أن المرأة فيما مضى ، كان يمكن
أن يكون لها رجلان (دون أن ينالها عقاب) أما المرأة اليوم (فى هذه
الحالة) يلقي بها فى ... » •

وقد يحدث أن يؤخذ الزوج أسيرا ، ولا يجوز للمرأة فى هذه الحالة
أن تكون لها علاقة برجل آخر اذا كانت موارد البيت كافية وهى ان فعلت
فانها تعرض نفسها للمحاكمة ولأن يلقي بها فى الماء • أما اذا كان « لا يوجد
شئ يؤكل » فان المرأة تستطيع أن تتزوج من جديد وعليها اذا عاد زوجها
الاول بعد ذلك أن تعود اليه ، تاركة أولاد الفراش الثانى لأبيهم •
أما المرأة المهجورة فغير ملزمة بالعودة الى بيت الزوجية بل عليها – ان
كانت قد تزوجت للمرة الثانية – أن تظل مع زوجها الجديد • وقد
تعرض القانون أيضا لحالة المرأة التى تعرض على قتل زوجها بقصد
الزواج من غيره وقدر لها عقوبة الشنق • ومن حق الرجل أثناء الزواج
أن يقدم لزوجته هبة كى يضمن لها بعد وفاته موارد عيش أوفر مما
كانت تحصل عليه من بائنتها ومن حصتها المساوية لحصة أحد الأولاد

وهو المقرر لها بمقتضى القانون . وليس لها من هذه الهبة المسماة « نودوننو » Noudounnou أكثر من حق الانتفاع كما أنها لا تستطيع التصرف فيها بالبيع « فهي لأولادها من بعدها » وإذا اختار رجل حر جارية زوجة له أو محظية فإن أمومتها الأولى تحررها . وابنة الرجل الحر التى تتزوج من عبد لا تصبح أمة . وليس فى مقدور سيّد العبد أن يطالب بثمرة هذه الزيجة من أولاد بل - أكثر من ذلك - ترد بائنتها اليها كامئة عقب وفاة زوجها ان كان أبوها قد أعطاها بائنة . كما أن لها الحق فى نصف ملك المشاركة الذى اقتنى خلال الحياة الزوجية لمصلحة ذرية الزوج على حين يصبح النصف الثانى ملكا لسيّد العبد .

هكذا حددت الأحوال الشخصية للأزواج بمقتضى قانون حمورابى . وتسمح لنا وثائق من مصادر مختلفة مكتوبة قبل وبعد إصدار هذه التشريعات هى عبارة عن لوحات زواج وطلاق وعقود هبة . . . تسمح لنا هذه الوثائق أن نصل الى تقاليد ترجع الى عهود سابقة تختلف قدما ، وأن نتعرف على التقاليد المستحدثة التى لم يعمل بها فى الواقع وفقا لنصوص القانون .

هذا وتحدد بعض نصوص قانون حمورابى كذلك مركز الأولاد فى العائلة فالولد يولد حرا اذا كانت أمه من طبقة الأحرار ، ومحورا اذا كانت أمه الجارية (الأمة) محظية رجل حر ، وعبدا اذا كان أبواه من طبقة العبيد . أما اذا كان أبوه أو أمه يرتزقان من الدعارة فإن الطفل ينشأ عند من يتبناه ولا يمكن استرداده . ويجب أن يجهل الولد نسبه . فاذا عرفه وأراد أن يترك من تولاه طفلا برعايته ، واللحاق بأبيه وأمه ، فإن القانون يقضى بأن تقلع عيناه .

شاع التبني - وهدفه الإبقاء على العائلة بإعطاء طفل لمن ليس له أولاد ويئس من أن يرزق بنسل - على نطاق واسع فى بابل رغم وجود مخرج قانونى لفسخ الزيجات غير المثمرة . وقد تجاوزوا هذا الهدف حتى انه حدث مثلا أن والد خمسة أطفال - وهى حالة شاذة على أية حال - تبني طفلا سادسا وكانوا فى الواقع يفرقون فى المعاملة من ناحية التبني بين الطفل الذى لا يمت للعائلة بصلة النسب وبين أطفال المحظية . ومن ذلك أن أطفال المحظية لا يتمتعون بحكم مولدهم بكافة حقوق أطفال الزوجة ، فهم ليسوا أولادا شرعيين ويظلون دائما فى مرتبة أدنى من مرتبة هؤلاء حتى أن هم اكتسبوا شرعية بمقتضى عقد حر يصدره الأب أو الزوجان أو حتى الزوجة وحدها فى بعض المناسبات . ويتم التبني بموجب كتابة عقد أو وثيقة مصدق عليها من طرف واحد . ويحرر العقد بين المتبنى

وبين الذين كانوا قد قاموا بتربية الطفل المتبنى . أما اذا كان الأمر خاصا بأولاد المحظية أو اذا كان المتبنى قد اكتسب حقوقا على الطفل بأن تولى بموافقة ذويه - الانفاق عليه أو تعليمه حرفة فإن التبني يتم بوثيقة يحررها طرف واحد . واذا لم يكن المتبنى قد رزق أطفالا بعد فانه يراعى عند تحرير اللوحة احتمال حدوث ذلك فينص فيها على أن الطفل المتبنى سيعتبر كالأخ الأكبر للأطفال الذين قد يرزقهم . أما اذا كان له أولاد فانه عندما يحرر الوثيقة الخاصة بشرعية أولاد المحظية يضمها نصا يحظر على باقى الأولاد المعارضة فى حقوق المتبنى المكتسبة . وقد تعرض القانون لحالة الرجل الذى تولى تربية طفل ثم اعتزم طرده بعد أن أصبحت له عائلة فمنح الولد الذى تنكر له المتبنى لهذا السبب بثلاث نصيب ولد فى ثروة الرجل المنقولة ولكنه أنكر عليه أى حق فى الثروة الثابتة . وكان الطفل المتبنى اذا تنكر للرجل الذى تبناه يوسم على جبهته بعلامة العبودية ويوثق بالأغلال ويباع وتكسر لوحة تبنيه . واذا كان ابن عاهر أو عاهرة فان لسانه يقطع .

ويستطيع الرجل الذى اعترف بحقه فى أن يعطى زوجته أو محظيته كجارية الى دائسته أن يتصرف على نفس الوجه فى أولاده ذكورا واناثا بنفس الظروف ، مهما تكن سنهم ومهما تكن حالتهم : أى أنه يستطيع طبقا لقانون حمورابى أن يعطيهم كرهن لمدة أقصاها ثلاث سنوات وقد تضاعف حق الرجل فى هذا الشأن على مر الأيام فيما لو سمحنا لانفسنا أن نحكم على ذلك من المثل الوحيد المعروف من العهد البابلى الجديد (١) : لقد ظل المدعو ايناتسيل بابى رابى Ina-tsil-Bâbi-rabi يعمل عبدا مدى عشر سنوات مقابل دين على أبيه قدره ٤٢ شاقلا من الفضة ، وكان عليه أن ينتظر أمدا طويلا حتى يسترد حريته لو لم يسعفه موت أبيه بتصفية الدين حين ورثه . كان المذكور خبازا فاضطر الى الخدمة بصفته رهنا عند الساجيتوم Sagittoum اهاتا Ahata وقدر أجره حسب القانون بستة « قا » من الشعير يوميا أى « جور » واحدا فى الشهر . وحدث أن توفيت السيدة اهاتا بعد أربع سنوات وحل محلها فى وظيفتها بنات ايناتيساجيل Bânat-ina-Esagil وحول اليها الدين والرهن واستمر « ايناتيسيل بابى رابى » يعمل فى خدمتها بنفس الأجر مدة ست سنوات . فلما توفى أهوشونو Ahoushounou والد الشاب فى السنة العاشرة من عبودية ابنه عمل الشاب حسابه وأعطى ٢٠ « جور » من الشعير لسيدته تصفية للدين ، والتجأ فى عام ٥٥٨ الى محكمة أوروك

مطابقا بتحريره فصفى القضاة الحساب على أساس أن الدين الأصلي وقدره ٤٢ شاقلا من الفضة قد بلغ بالفوائد البسيطة محسوبة على أساس ٢٠٪ - وهو السعر القانونى للفائدة - ثلاثة أضعاف قيمته الأصلية فى مدى عشر سنوات فبلغ مئتين وستة شواقل ، وأن الخدمات التى أدت محسوبة على أساس ستة « قا » من الشعير يوميا والعشرين « جور » التى أعطاهما تساوى ١٤٠ « جور » من الشعير وهى قيمة مساوية لمئتين وستة شواقل . ولما تبينوا ذلك أمروا بكتابة لوحة ختمت بأختامهم تقضى بإلغاء الدين وتحرير الرهن (أى العبد) .

وينظم حمورابى عملية تقسيم التركة عند وفاة الأقارب وإعادة الأملاك التى تركها المتوفى الذى لم يرزق أولادا أو لم يكن فى استطاعته تحديده وريث قانونى وكان لرب العائلة فى هذا العصر - وفقا لما ورد فى صحوك شخصية - حق التصرف أثناء حياته فى جزء من أمواله لمصلحة أجنبي كهبة بصفة نهائية . وكان يكفى فى ذلك أن يحرر عقدا رسميا بنقل الملكية أمام شهود فتصبح الهبة المعطاة بهذه الطريقة غير قابلة للطعن أمام المحاكم . وقد رفضت جميع المعارضات التى قدمها الأولاد فى هذا الاجراء . وكان يوضع دائما نص فى العقد يسقط ما قد يثار من معارضة مستقبلية وكثيرا ما عنى أبوهم بأن يحضرهم بصفة شهود أثناء تحرير العقد . وكان من حق الزوجة أيضا أن تتقبل « نودونو » Noudounnou من زوجها طبقا لما جاء فى احدى اللوحات . ولكن هذا التبرع كان يحرمها من أى نصيب فى الميراث . وهكذا كانت الحال بالنسبة لكل ولد - كان والده قد نقل اليه وهو لا يزال على قيد الحياة - ملكية جزء من أمواله . كما كان الأمر كذلك بالنسبة لبناته المتزوجات أو الكاهنات أو النساء العموميات اللواتى كان قد أعطاهن بائنة .

وهكذا فإن الولد الذى كان يرغب فى تكوين أسرة مستقلة عن عائلة أبيه يستطيع طبقا للقوانين السوميرية فى نيسابا وهالى أن يحصل على نصيبه على ألا يكون له بعد ذلك أى حق فى الميراث .

وعند وفاة رب العائلة كان يوضع جانبا « تيرهااتو » للذكور الاطفال ثم تقسم الثروة المكونة من البيت والأرض والمزروعات والعبيد والأثاث والحيوانات طبقا للقواعد التالية : حصة واحدة للأم وذلك ما لم تكن قد منحت « نودونو » ، وحصة لكل من الأولاد الذكور وحق الانتفاع من

حصّة لكل بنت لم تعط « شرقتو » على أن تبقى الرقبة (١) لاختها .
 وحق الانتفاع أيضا على حصّة للبنت التي وهبت للخدمة عند الإله .
 وملكية ثلث حصّة للبنت التي انتظمت في خدمة الإله مردوك في بابل .
 وكانت تحجز بائة تقدر حسب ثروة العائلة لمصلحة بنت المحظية التي
 لم تتزوج بعد . أما فيما يختص بأولاد المحظية الذكور فإنه لا يحق
 لهم - رغم تحريرهم وعدم إمكان مطالبتهم بأن يكونوا عبيدا - أن يكون
 لهم نصيب في التركة متى كان الأب لم يعطهم وهو على قيد الحياة لوحة
 تبين . أما إذا كان الأب قد رأى أن يدخلوا في عداد الورثة ففي هذه الحالة
 يعطون حصصا ولكن من حق أولاد الزوجة اختيار أنصيبهم .

وإذا كان رب العائلة تزوج مرتين فإن حقوق أولاد الفرائشين
 (الزوجتين) في تركة الأب متساوية . وعلى أولاد الابن الذي مات قبل
 والده أن يقتسموا فيما بينهم النصيب الذي سيؤول إلى والدهم وإذا كان
 ليس لابن أولاد فإن الميراث يؤول إلى أخوته ، وفي حالة عدم وجود أخوة
 إلى عمومته . ولم يكن حق التبوع على وجه يمس أنصبة الأولاد أمرا
 مشروعا قبل زمن حمورابي فحسب بل كان يمكن كذلك حرمانهم من
 الميراث حرمانا كاملا . وينص أحد قوانين نيسابا وهالي « إذا قال أب أو
 أم لأحد أولادهم « انك لم تعد ابنا لنا » فعلبه أن يخرج من المدينة »
 وظلت الحال كذلك في عهد سنمو بالمبت Sin-mouballit ولكن عند
 صدور القانون الجديد أصبح الأمر يتطلب الالتجاء إلى القضاء ووجوب
 اثبات جريمة ارتكبتها الوالد تكفي خطورتها لحرمانه من حقوقه .

ويطبق نفس النظام الخاص بتركة الزوج على تركة المرأة المتزوجة
 وهو الإبقاء على الثروة في العائلة فهي إذا لم يكن لها أولاد لا تستطيع
 التصرف في ممتلكاتها التي تؤول عند وفاتها إلى بيت أبيها فيما عدا قيمة
 التبرعات التي دفعها زوجها وقت الخطبة والتي يعيدها إليه حموه أو
 يخصمها الزوج بنفسه من البائنة وإذا تزلزلت الأم وكانت قد منحت
 « نودونو » أو نصيب ولد فإنها تظل في بيت زوجها وتتمتع بممتلكاته
 ولكنها لا تستطيع بيعها مقابل فضة . وهذه الممتلكات حق لأولادها من
 بعدها أما إذا كانت على خلاف مع أولادها فإنها تستصدر من القاضي
 تصريحاً بالانسحاب تاركة ما آل إليها عن زوجها وأخذة معها بائنتها

(١) الرقبة : لفظة لمهية تعني جميع خصائص حق الملكية التي يحرزها صاحب عين
 لغيره حق المنفعة أو الاستعمال أو السكنى .

(راجع - خليل شيبوب : المعجم القانوني (١٩٤٩) ، ص ٥٢٥) - (المترجم) .

فقط ، وبعد وفاتها تقسم تركتها بين أولادها حصصا متساوية ويحصل كل منهم على نصيبه ما لم يكن قد حصل من قبل على تبرع خاص . وإذا كانت المرأة قد تزوجت مرتين فإن الزوج الثاني يمتنع ثم تقسم التركة بين أولاد الزوجتين (الفراشين) حصصا متساوية .

وكانت التركة تقسم بالطريق الودى أو عن طريق المحاكم . كما كان من المستحسن أن تحرر لكل من المتقاسمين لوحة يستطيع أن يثبت بها ملكية نصيبه ، ولدينا من أمثلة ذلك اللوحات الثلاث المحررة لثلاثة أخوة فى السنة الثالثة عشرة من حكم سنمو باليت .

وإذا كان المتوفى من ذوى المراكز المرموقة فإن الأمر كان يستدعى أن يثبت أن الأملاك التى تركها خالية من كافة الموانع وهو نص ضرورى فى حالة سبق حصوله من الملك على أملاك لا تنقل ملكيتها الى العائلة كاملاك آل « ايلكو » التى كانت تخصص لرجال الجيش .

ولقد وجدت فى لوحات العصر البابلي الجديد لوحة واحدة خاصة بزواج حدث عن طريق الشراء . وفى السنة الثالثة عشرة من حكم نابو خودونوسور الثانى تحدث داجيل ايلي Dâgil-ili الى حما Hama ابنة نرجال ادين Nergal-iddin قائلا « أعطنى أختك لاتوباشيني لتصبح زوجة لى » وتمت الصفقة وسلم داجيل ايلي الى حما فى مقابل أختها مينا ونصف مينا من الفضة وعيدا اشتراه بنصف مينا ، ونص كذلك على أنه إذا اتخذ الزوج زوجة أخرى ، فإنه ملزم بدفع نصف مينا كتمن للطلاق (١) . ويظهر أن هذا الحادث أثر من التراث الاشورى وليس دليلا على وجود عادة الزواج عن طريق الشراء عند البابليين لأن المرأة كانت تحصل من أبيها على بائنة حتى فى عهود الملوك الاكمينيين ، وهاك مثلا من عهد الملك دارا عن زواج ، كان الزوجان فيه من دم أجنبى فإنه فى السنة الحادية عشرة من عهد الأمير المذكور طلب باتمو أوستو Patmou-oustou يد أخته تاهيما أوشاكتوم Tahima-oushaktou من سامان نابير Saman-napir فحصلت الفتاة لبيتها على سرير أكادى وبعض المقاعد ودست من النحاس وعدة أشياء أخرى ، وفى عهد نابو خودونوسور الثانى (٢) وهبت السيدة سيليم عشتار Silim-ishtar جميع أموالها الى ابنتها شانا شيشو Shanashishou وذكرت فى العقد كيف أنها كانت قد سبقت فرتيت بمناسبة زواج ابنتها بائنة ، وسردت تفاصيلها على الوجه التالى : خمسة مينات من الفضة وعبدان وبعض الأثاث وسميت

XXX, p. 187.

ÇXIV, Dar 301, NBK. 283.

(١)

(٢)

هذه البائنة « نودونو » وهو اسم كان يطلق في عصر حمورابي على الهبة التي يمنحها الزوج الى زوجته ، كما أن الـ « شريقتو » أصبح الآن ما يعطيه الزوج كهبة . وهذا التعديل في المعنى بين الاصطلاحين المتداولين في اللغة البابلية جدير بأن يسترعى الانتباه . فان النودونو كان يتضمن أموالا منقولة وأموالا ثابتة منها الأراضي والفضضة والعبيد والأدوات المختلفة (١) وكثيرا ما كان الحمو يؤجل تسليمه لصهره مما كان يؤدي الى نزاع قضائي . وقد صدر قانون (٢) في القرن السابع يلزمه بأن يسلم ما وعد به بما يتفق وموارده : « لا يجب أن يقوم نزاع بين (الحمو) وصهره » وكانت خير وسيلة لوضع الأمور في نصابها أن يحدد باقى البائنة بموجب عقد ويحدد رهن لضمان سدادها . وهكذا فعل Aplâ بن « بعل أهى ادين Bêl-ahê-iddin » في السنة الحادية عشرة من عهد نبوخذ نصر (٣) : « ان باقى نودونو حما Hama ابنة ابلا زوجة بلاتسو Balatsou عبارة عن أربع مينات من الفضة لها أن تتسلمها من أبيها ابلا . وجميع أمواله الكائنة بالمدينة والأرياف مهما يكن مقدارها تعتبر رهنا لـ « حما » ولا يمكن أن يعطى حق التصرف فيها أى دئن الى أن تحصل حما على أربع مينات من الفضة وهي باقى النودونو المستحق لها » .

وقد ظل القانون الخاص بإعادة أموال الزوجة - انتهى توفيت دون - أن تنجب - الى عائلتها . . . ظل دون تعديل منذ حمورابي وكانت الأرملة انتهى لم تأت بذرية ، تسترد بائنتها وتأخذ معها كل ما خصها به زوجها كتابة واذا كانت قد تزوجت بغير بائنة ولم يعطها زوجها شيئا فانها تلجأ الى المحكمة ويقدر القاضي ثروة المتوفى ويحدد لـ « رأة جزءا من التركة وللرأة المتزوجة أن تتصرف شخصيا في أموالها سواء اشترك زوجها أو لم يشترك فقد تزوجت « اينا ايساجيل باناتا Ina-Esagil-banâta » من « أوبالليستو جولا Oubailistou-goula » في العام السادس من حكم نابونيد وأعطيت بائنة هي مين من الفضة وبعض الأثاث وثلاثة من العبيد ، وبعد خمس سنوات أقرضت « ايتى بعل ابنو Itti-bêl-abnou » وهو عبد من عبيد حميها قرضا قدره عشرون شاقلا . وقد كان زوجها بنفسه كاتب العقد .

ويظهر أن حوادث الطلاق كانت كثيرة ومرجعها الوحيد مزاج الزوج وعلى الأقل فان لوحات الزواج كثيرا ما كانت تتوقعه فتحدد ثمنه . من ذلك مثلا أن « شماش نادين شوم Shamash-nâdin-shoum » رغب في

CIX Nos 19, 24, 92, 99, 100, 121.

(١)

XCIV, p. 72.

(٢)

CKIV, NBK 91.

(٣)

السنة الرابعة من حكم كيروش أن يتزوج من نادا Nādā ابنة نابو زقيب Nabou-zagib . وحين تم الاتفاق على ذلك تعهد بتنفيذ ما يلي مصحوبا بالقسم : « فى اليوم الذى يقدم فيه شماش نادين شوم ، على تطبيق نادا ويتزوج من امرأة أخرى يدفع الى نوبوزقيب ستة مينات » . وتوجد فى وثائق أخرى نصوص ترمى فى هذه الأحوال الى تحديد معاش للزوجة والأولاد . ويظهر أن تحرير مثل هذا العقد كان يستلزم حضور شانجو Shangou (مدير المعبد) حتى يعتبر صحيحا .

وعندما لا يكون للزوجة ولد ذكر وانما ابنة فمن حقها أن تتصرف فى ملكية أموالها لمصلحة هذه الفتاة . وهذا ما فعلته السيدة « سيليم عشتار » فى العام الخامس والثلاثين من حكم نبوخذونوسور الثانى فقد احتفظت بحق الانتفاع على أموالها وحددت الموقف فى وضوح تام : ومنذئذ ان أصبحت لا تستطيع التصرف فى الرقبة وتحويلها الى شخص آخر وعند وفاتها تكون كل أموالها ملكا لابنتها « جولا قاعيشات Goula-qa'ishat » ولكن بتحفظ واحد يقضى بأنه ليس من حق هذه الأخيرة التصرف فى هذه الأموال دون موافقة زوجها .

ويقتضى كذلك تحرير أو تبني عبد اشترك الشانجو : ففي السنة التاسعة من حكم كيروش أعلنت السيدة حبتا Hibtâ سيدة العبد بازوزو Bazouzou أمام شانجو سيبار أنها اعترفت بالاعتراف بهذا العبد ولدا لها بشرط أن يوردها - وفقا لنصوص اللوحة - ما يكفل معيشتها وما تتطلبه من طعام ودهون وكساء ، وقد حدد مدير المعبد بنفسه كميات المأكولات اليومية والتوابل والأقمشة وباقي الأتوات التى يكون مجموعها الالتزامات المقررة على المتبنى .

ولم يكن القانون يسمح بأن يتزوج الرجل أكثر من امرأة فى وقت واحد لأنه لا يستطيع أن يعدل بينهما فان تزوج اثنتين - حتى ولو كانتا أختين - فان احدهما تكون فى مرتبة تقل عن مرتبة الثانية . وقد راعى القانون كذلك احتمال زواج ثان لامرأة وقع زوجها الأول أسيرا فى يد العدو .

وقد ظل حق الزوجة الأم التى ترغب بعد ترميلها فى البقاء فى بيت زوجها محفوظا لها فى عهد الملوك الآمينيين كما كانت الحال فى عهد الأسرة الأولى - من ذلك أنه حدث فى عهد قمبيز أن أقسمت « أوموتابات Oummou-tabat » أرملة شاماش أوبالليت Shamash-ouballit أمام بعل أوبالليت Bêl-ouballit كاهن سيبار أنها لا تريد أن تتزوج

من جديد وأنها ترغب في أن تعيش مع أولادها الثلاثة وتتولى تربيتهم حتى بلوغهم سن الرشيد (١) . أما الأرملة التي كانت تفضل أن تنسحب من بيت أولادها وأن تتزوج مرة ثانية فإنها تأخذ معها بائنتها وكل ما أعطها إياه زوجها كتابة وعند وفاتها تقسم هذه البائنة حصصا متساوية بين أولادها . وهذه البنود (الشروط) هي نفس النصوص الواردة في المادة ١٧٣ من قانون حمورابي . ويحدد القانون كذلك بدقة مركز البنات ولكننا نجهل ماهية هذه الظروف . وكذلك يحدد تركة الأب الذي تزوج مرتين ورزق أولادا من الفرائشين فقد نص حمورابي في المادة ١٦٧ من القانون على أن الأولاد لا يأخذون أنصبتهم تبعا لأمهاتهم بل يؤول الى كل منهم نصيب مساو في الأموال المنقولة لبيت أبيهم . ولكن الحال لم تعد كذلك في القرن السابع فقد أصبح لأولاد الزوجة الأولى الحق في ثلثي ثروة الوالد المنقولة جميعا على حين أصبح نصيب أولاد الزوجة الثانية مقصورا على الثلث فقط .

والقانون الذي نظم بدقة أحوال البنات اللاتي يتزوجن لم يهمل أحوال البنات اللواتي ظلن بغير زواج : العذارى اللاتي كرسن للآلهة أو العاهرات ، وقد كانت لهاته النساء في عهد حمورابي حقوق شرعية في أموال آبائهن ، ويستطيع الأب أن يمنح ابنته بائنة اما بنقل ملكيتها اليها أو بالاكتفاء باعطائها حق الانتفاع ، وهي في الحالة الأولى تستطيع أن تتصرف في هذه الأموال « وفق هواها » دون أن يكون لاختوتها حق محاسبته على تصرفها ، أما في الحالة الثانية فإن الاخوة يتولون عند وفاة الوالد إدارة الأموال الثابتة ويوردون لها الريع من شعير وزيت وصوف بقدر نصيبها ، وإذا حدث ما يدعو الى الشكوى من ادارتهم فإنها تختار مستأجرا ولكنها لا تستطيع أن تتصرف في الملكية لأن الرقعة لاختوتها ، وإذا لم يقدم الأب بائنة لابنته العذراء التي ترهبت أو لابنته العاهر فإن الواحدة منهما ترث الانتفاع في حصة ولد على حين لا تحصل خادمة العبد (كادشتو) Kadishtou أو العذراء (زيرماشيتو Zèr-mashitou) في نفس الموقف على أكثر من حق الانتفاع في ثلث حصة . وقد حصلت كاهنة مردوك في بابل على ثلث حصة ولكنها متمتعة بحق الملكية المطلق على هذه الحصة : ومع ذلك فإنها محرومة من حق الاشراف شخصا على أراضيها رغم أنه من حقها أن تتصرف في ملكيتها أو أن توصي بها الى من تشاء .

(١) CXIV. Nbn ; 243, 498, Cyr 183 : NBK 283., Cyr. 339 ; Camb. 113, 273.

وكانت الكاهنات والعذارى اللائى كرسن الى المعبودات يستطعن أن يتزوجن شرعا ولكن لم يكن فى المستطاع لهن دائما التخلص من نذرهن ، واننا لنراهن كطرف متعاقد فى كثير من عقود مدينة سيبار حيث كان قد أنشئ محفل كبير فى ظل معبد شاماش • كما أنه كثيرا ما عقدت فيما بينهن اتفاقات : مثال ذلك : حدث فى عهد حمورابى (١) أن اشترت الكاهنة « Ribatoum » « ريباتوم » « سار » من أرض مبنية كانت مملوكة للكاهنة ايا انيل رشيتيم Aïa-inil-rishêtim بثمن قدره ثلث مينا من الفضة •

وقد ظهرت العاهرات فى سومير منذ أبعد العهود • ونحن نعرف أن تلك التى أنقذت « انكىدو Enkidou » الشخصية الأسطورية من حياة الهمجية التى كان يحياها كانت إحدى فتيات الهوى •

ولقد اتخذت عبادة الفاجرة عشتار المكانة الأولى فى مدينة أوروك التى كانت مكرسة فيما مضى للاله الأعظم أنو Anou وكان يوجد بها ثلاثة أنواع من العاهرات المقدسات : الكزريت Kizrête والسانهات Sanhate والحريمات Harimate « اللانى من أجلهن أقيمت عشتار على الرجل وسلمته الى أيديهن » وكان يقال عنهن :

« لا تتزوج من حريماتو لا يحصى عدد أزواجها

لأنها فى مصابك لن تسندك

وستفتري عليك فى قضيتك

ليس الاحترام أو الخضوع من خصائصها

انها ولا شك تقوض البيت - أخرجها منه

تلك المرأة التى تطيل النظر فى أثر كل رجل غريب

ان كل بيت تدخله ينهار ولا يقلح من يتزوجها » •

ولم يكن يسمح فى عهد الأسرة الأولى للعاهرات أو المخنثين من رواد القصر بتنشئة أولادهم بل كان يعهد بهم الى من يتبناهم فاذا حاول أحدهم البحث عن أبويه الحقيقيين وأراد أن يعيش معهما فان القاضى يحكم عليه بالموت • وفى الألف الأولى كانت ترى فى بابل - حسب ما جاء فى كتاب باروخ Baruch (٢) - « نساء متمنقات بحبال جالسات فى الطرقات يحرقن نوى الزيتون لآلهتهن وكانت الواحدة منهن عندها يقع عليها

LXXI, No 67.

Baruch, VI. 42-43.

(١)

(٢)

الاختيار تنال باللوم جارتها التي لم ينلها التوفيق » . ويزعم هيرودوت واسترابون انه كان على كل امرأة أن تفرط في نفسها مرة الى رجل غريب عنها . . . كان الرجال يمرون أمام النساء ويلقون بقطعة من العملة أية كانت قيمتها في حجر المرأة التي يقع الاختيار عليها ولم يكن ليجوز لها أن تمتنع بل كان عليها أن تتبعه . . .

« ومهما تبد هذه العادة وحششية في نظرنا - وقد أصبحت من مقتضيات العبادة - فانه كان لها في بادئ الأمر على الأقل هدف أسمى من مجرد ارضاء شهوة جنسية : انها كانت توضحيات حقيقية تقدم بها المرأة الى الآلهة أولى ثمار جسدها بأن تستسلم الى رجل غريب قبل أن تعطى نفسها لزوجها . وهذه التوضحية شأنها شأن أية توضحية من نوع آخر قد تكون أليمة ومع ذلك فان الرضى بها كان محتوما . . . » ولكن « - كما يضيف هيرودوت - « عندما تؤدي المرأة واجبها نحو الآلهة لا يصبح من الميسور اغراؤها بأي مبلغ يعرض عليها » (١) .

وتكشف لنا عقود من عهد نبوخذونوسور الثاني (٢) أن ذرية اجيبى Egibi أشد أثرياء البابليين كانوا يربحون من دعاة جوارهم وهكذا اشترك نابوآهى ادين Nabou-ahê-iddin مع المدعو كالبا Kalbâ وسلم اليه خادماؤه على أن يكون نصيبه من الكسب ثلاثة أرباعه .

ولقد كان هدف المشرع البابلي في جميع العهود حين يضع القواعد الخاصة بالمواريث وتقسيم الأموال حفظ كيان الأسرة : وقد حددت حقوق الفرد على وجه يضمن الإبقاء على الرابطة العائلية أطول مدة ممكنة . ومع ذلك لم تكن هناك ألقاب عائلية . الا أننا نجد حوالى القرن السابع في الوثائق الخاصة اسم أحد الأسلاف ينتسب اليه جميع أفراد ذريته : اجيبى Egibi وموراشو Mourashou . وكان الواحد من طبقة الأحرار يعرف قبل هذا العصر باسمه واسم أبيه « فلان بن فلان » أما العبيد فكانوا يعرفون باسم واحد فقط « فلان » . وكانت هذه الأسماء عند قدماء السوميريين وكذلك عند الأكاديين صيغا ورعة تمجد المعبود أو تضع صاحبها تحت حمايته . ونجد في العهد قبل السرجوني أسماء اورنينا Our-Nina أى « خادم الآلهة نينا » وننشوبور أمامو Ninshoubour amamou أى « الآلهة ننشوبور أمى » . وسيب لاجاش كياج Sib-lagash-kiag أى « أن راعى لاجاش مخلص » . وفي العنصر السامى

LXVII b., p. 250.

(١)

CXIV NBK. 409, 679.

(٢)

من عصر أجادة نستطيع أن نذكر نارام سن « المحبوب من سن » وفي عهد
الامبراطورية الجسديدة نبوخودونوسر أي « نابو احم الكودورو »
Koudourrcu • ولدينا من عهد نابونيد (١) دليل على الطريقة التي
كانت تتبع أحيانا في تسمية الطفل حيث نجد أنه بناء على شهادة المدعو
راموا Rmboua التي أمن عليها نادين شوم Nadin-shoum
أطلقت المرأة الجارية لوباللات Louballat اسم تدانو Taddanou
على الطفل الذي أتت به الى العالم ، ومع ذلك فقد كان هناك أطفال بلغوا
من العمر ثلاثة شهور أو أربعة لم تطلق عليهم أسماء بعد • كما أن بعض
الأشخاص في نفس العصر قد غيروا أسماءهم خلال حياتهم • من ذلك
أن الملك بعد أن رفع ابنته الى مرتبة كبيرة كاهنات معبد نانا Nanna
في أور منحها اسما جديدا هو : بعل شالتي نانا Bêl-shalti-Nana .

ولقد فرض الملوك البابليون والأكمينيون أسماء جديدة على الأجانب
الذين يعينون في خدمتهم • ولقد أدخل السلوقيون استعمال الاسماء
اليونانية التي انتشرت في المجتمع الراقى دون أن يؤدي ذلك الى أن
تتوارى الأسماء البابلية كلية على أيه حال (٢) ، ويظهر أن هذه التغييرات لم
تكن بدعة : لأنه حدث خلال الأسرة الأولى أثناء حكم ملوك أور بل في العهد
السابق للسرغونية (٣) أن رجالا بالغين حملوا أسماء مركبة تركيبا مزجيا
من اسم الملك الحاكم مما كان يؤدي في حالة قصر مدة حكم الملك الى ابدال
الاسم باسم آخر • بل وأكثر من ذلك نرى خلال حكم لوجالاندا أن موظفا
كبيرا يحمل اسم نينا أما لوجالاندا Ninā-ama-lougalanda أي « الالهة
نينا هي أم لوجالاندا » • وهو اسم كان قد أطلق في السنة السابقة على
تمثال للأمير •

CXIV Nbn. 343.

II, IX, p. 152.

XXII, p. 15 et suiv.

(١)

(٢)

(٣)

الفصل الثانى

التشريع

ان أهم اكتشاف يتصل بالتشريع البابلى هو العثور على « قانون حمورابى » ويطلق هذا الاسم على كتبه من الديوريت ارتفاعها ٢٢٥ مترا ومحيطها ١٩٠ مترا عند القاعدة . وقد عثر عليها مكسورة الى ثلاث قطع بين خرائب سوسة فى ديسمبر ١٩٠١ ويناير ١٩٠٢ . ويزينها نقش بارز (١) يمثل اله الشمس شماس . رب الحق يمل على الأمير البابلى « مراسيم العدالة » التى نقشت نصوصها على محيط الكتلة الحجرية . وفى الحالة الراهنة للأثر الذى أقيم فيما بين العام الأربعين والعام الثالث والأربعين من حكم حمورابى (حوالى ٢٠٨٣ ق م) نستطيع أن نطالع مائتين وخمسين مادة من القانون فى ستة وأربعين عمودا تتضمن على وجه التقريب ٣٦٠٠ سطر من النصوص . وقد مجيت فى العصور القديمة خمسة أعمدة أخرى على الواجهة وأغلب الظن أن ذلك تم بناء على أمر الملك العيلامى شوتروك ناهونتى الذى ربما كان يهدف الى أن ينقش شىء باسمه هناك كما يحدث بالنسبة للأسلاب الأخرى فى الحروب . ولكن هذه الفجوة تعرضها بعض الأجزاء من نسخ قديمة محفورة على لوحات الطين وهى من الآثار الآشورية للعصر السرجونى أو تسد فراغها بعض المواد المتصلة بالقرض ذى الفائدة وعقود التوكيلات التى عثر عليها فى خرائب نيبور .

وهو ليس قانونا بالمعنى الذى اعتدنا أن نسبغه على الكلمة أى مجموعة من القوانين التى تتضمن نظاما كاملا للتشريع وانما هو مجموعة من القرارات الملكية ، ومن الدساتير الخاصة بعدة موضوعات يستحسن أن تقارن بالعقود المحررة فى نفس العصر حتى نستطيع الوصول الى فكرة أكثر دقة عن الفقه الجارى إذ ذاك .

ويمكننا أن نلاحظ أن هناك ترتيبا معينا فى تتابع مواد القانون :

الطلسمة « السحر » والرقى « السحر الأسود » (١ - ٢)

(١) قارن شكل (٦) صفحة ٤٦ .

- إهانة الشهود وحملهم على تزوير شهادتهم (٣ - ٤)
- إبطال الأحكام بواسطة من يصدرها (٥)
- منجمل أنواع السرقة (٦ - ٢٥)
- أحوال والتزامات الموظفين (٢٦ - ٤١)
- الزراعة (٤٢ - ٦٥)
- ثم - بعد الفجوة -
- القروض بفائدة (أ - ح) ثم عقود التوكيل (١٠٠ - ١٠٧)
- الحانات « بيع المشروبات » (١٠٨ - ١١١)
- الديون واجراءات المقاضاة الخاصة بها (١١٢ - ١٢١)
- عقود الايداع (١٢٢ - ١٢٧)
- الأسرة (١٢٨ - ١٩١)
- الضرب والجروح (١٩٢ - ٢٣٤)
- الأطباء والمعماريون والبحارة (٢١٥ - ٢٤٠)
- الحيوانات والعبيد والأملك الزراعية (٢٤١ - ٢٥٢)

ولم يكن قانون حمورابى أقدم تشريع ظهر فى سهل الفرات : وهو - ان كان قد أصدر قوانين جديدة - فانما كان فى أغلب الأمر ينادى بأمور كانت اجبارية منذ أمد طويل .

ألم يشر « أورو كاجينا » الى النظم الجديدة التى وافقت عليها سلطنته الملكية حين فآخر هذا الملك المصلح التقديم بأنه منع الاستغلال والاساءة الى الغير فى مدينته « لاجاش » وأنقذ رعاياه من اللصوصية والقتل ومن إيذاء القوى للضعيف ؟ ولقد جعل أورانجور « العدالة تسود » . وفى عهد سومولا ايلو الأمير الثانى للأسرة البابلية الأولى طبق « قانون الملك » .

وعلى ذلك فقد كانت هناك أحكام قانونية فى بعض المسائل ، أما حين لم يكن هناك شىء من ذلك فان العدالة كانت تطبق وفقاً للعرف المحلى . ولقد كان الأمر كذلك فى حالة ترمل من عهد حكم حمورابى نفسه فان قضاة بابل أصدروا حكمهم بأن « قانون أهالى (سكان) سيبار هو الذى سيسرى على المتخاصمين » .

ومع أنه لامرية فى أنه كان يوجد مشرعون منذ العصر قبل السرجونى الا أننا لا نعرف أسمائهم أو مدنتهم وان كنا نعرف جانباً من

الانتاج السوميري (الاجراءات السوميرية) عن طريق مجاميع متأخرة :
 ففي مجموعة أنا اتيشو Ana-ittishou يمكننا أن نقرأ مواد قانونية
 نستطيع أن نترسم تطبيقها في عقود وأحكام قضائية قبل عهد حمورابي :
 فإذا قال ابن لأبيه « لست بأبي » فلأخير أن يسمه ويقيده ويبيعه وان
 قالت زوجة لزوجها « لست بزوجي » فانه يلقي بها الى النهر . . . وأكثر
 من ذلك نرى أن ما نشر أخيرا من أجزاء وقطع غير مؤرخة للقوانين
 السوميرية يشجعنا على الأمل في العثور على مستندات أكثر كمالا . . .
 وبعض هذه القطع من نيبور (١) والبعض الآخر من مصدر مجهول وتكون
 جانبا من المجموعة المعروفة بـ « قوانين (الالهة) نيسابا و (الاله)
 حاني » (٢) .

أما فيما يخص التشريع اللاحق لعصر حمورابي فاننا نعرف القليل
 كذلك . فهناك جانب من نص في المتحف البريطاني يحوى إما أحكاما
 قضائية أو مقتطفات من قانون . ويمكن مقارنة المواد المختلفة بحالات
 عديدة لنظائر لها عثر عليها في لوحات من العهد البابلي الجديد .

وفي العهد ما قبل السرجوني نجد في لاجاش ذكرا لقاض يدعى
 أورانيى Our-enin ولقد كان جيميل ايليشو Gimil-ilishou
 في عهد « نارام سن » قاضيا كذلك وهو الذى حفر على خاتمه الأسطوانى
 مشهدين للصراع بين البطل جلبخامش والأسد والثور . ولقد كان القضاة
 كثيرين في عهد أور فهناك بطاقة على سلة لوحات تذكر أربعة منهم في العام
 الأول لـ « جيميل سن » Gimil-sin وكانوا يعقدون جلساتهم في
 الواقع في مكان خاص وكان عددهم يبلغ الأربعة أحيانا وأحيانا أخرى
 ثلاثة وطورا اثنين وتارة واحدا بمفرده وقد أصدر الحكم يوما في مطالبة
 خاصة ببقرة أحد القضاة وعمدة المدينة . ولدينا حكم آخر أصدره الوزير
 الأعظم الذى كان المدعى قد رفع دعواه أمامه . ولكن الوزير الأعظم هذا واسمه
 أراد نانار Arad-nannar كان في نفس الوقت ايشاكو لاجاش وربما
 كان يمارس عمله في المحكمة بوصفه هذا لأن أحكاما كثيرة لا نجد ذكرا
 فيها لقاض بل نجد اسم الايشاكو الذى اعتاد على أية حال أن يتدخل
 شخصيا لابطال الأحكام . وكان يوجد في نفس العصر « مكان حلف اليمين
 باسم الملك » (٣) حيث يطلب الى المدعى والمدعى عليه والشهود أن يحلفوا
 اليمين على صحة ما يقدمون من اقرارات .

I. t. VXII, p. 35.

(١)

XXVIII. t. I, No 28.

(٢)

XIX Nos. 810, 733, 748, 832. 920, 746, 932, 744; 963; 928;
 1010, 960.

(٣)

وفي الأسرة الأولى كانت المحاكم الابتدائية تصدر الأحكام وكان الاستئناف ضد أحكامها يرفع الى الملك ولكنه كان محروما على القاضى - لآى سبب من الأسباب - أن يغير حكما أصدره وكانت عقوبته العزل أن هو أقدم على ذلك . ويقرر حمورابى « أن حكم قاض فى قضية وأصدر حكما وحرر لوحة ثم ألغى هذا الحكم فانه يحاكم على إلغاء الحكم الذى نتلق به وعليه أن يدفع ١٢ ضعف لما سبق أن حكم به ثم يطرد من منصبه القضائى ولا يعود اليه مرة أخرى بل ولا يجلس فيما بعد مع قاض فى أية قضية » .

وكانت العدالة الملكية تظل الامبراطورية جميعا وكان المتخصصون يدعون شخصا للحضور الى بابل للمرافعة فى قضاياهم وأحيانا أخرى كانت تخول سلطة البت الى مندوب يفض النزاع محليا . وكانت المحاكم الابتدائية على نوعين : كهنوتية ومدنية ويظهر أن كل معبد كان من حقه أن يصبح مكانا لتقرير العدالة وكان فى استطاعة كهنته أن يصادروا الأحكام . وكان الكهنة والكاهنات - تبعاً للقضايا - يجلسون عند بوابة المكان المقدس أو فى قاعة خاصة . وكان عددهم يباغ الستة أحيانا فى القضية الواحدة ولم يكن القضاة الجالسون فى المحاكم المدنية بأقل من ذلك عددا . وكانوا غالبا - ان لم يكن دائما - رجالا محترفين ذلك لأنهم كانوا يحملون لقب « قاض » حتى وهم خارج دائرة أعمالهم - مثال ذلك أنهم كانوا كذلك حين يكونون مجرد شهود عاديين عند تحرير عقد .

وكان المتبع أن تدون الأحكام القضائية وكان العقد يحرره كاتب فى صيغة دقيقة مختصرة تسير على نمط واحد فى المدينة الواحدة وان اختلفت فى مدينة عنها فى أخرى . وكانت تذكر بها العناصر الخاصة لكل قضية وكذا قائمة بالشهود كما يفسف اسمه عادة . وكان يذكر التاريخ كذلك وكانت الوثيقة تصبح رسمية بمجرد وضع الأختام . وكانت النسخة الأصلية توضع غالبا فى غلاف تكتب عليه تفصيلات الوثيقة وكان هو وحده أحيانا الذى يوضع عليه طابع الأختام الاسطوانية وكانت تعد نسخة لمن قد يرى له مصلحة فى المستقبل لتقديمها . كما كانت توضع أخرى فى سلة المحفوظات وأغلب الظن أن لوحات أور من هذه المجموعة الأخيرة حيث جمعت أحكام عديدة من أنواع مختلفة .

وكان عدد القضاة الجالسين فى عصر الامبراطورية الجديدة - كما كانت الحال فى العصور السابقة - يباغ ثلاثة أو أربعة وكان يوجد كذلك قاض واحد أحيانا . وكانت القضية تبدأ بشكوى يقدمها المدعى شخصيا أو عن طريق الغير . وكانت أدلته تفحص ثم يستدعى المدعى عليه ليدلى

بحججه ثم ينطق بالحكم . وحين يتعذر تقديم لوحة كان يقبل - كدليل -
يمين الكاتب الذى حررها أو أحد الشهود : وقد حدث فى عصر قمبيز أن
باع أخوان جاريتين الى بابلى فأتى رجل ثالث كان شاهدا من شهود البيع
ليحلف اليمين أن الثمن دفع فعلا . وعلى أية حال ، فإن بعض المشاكل كان
يفض خارج المحاكم . فقد حدث نزاع بين امرأة تزوجت للمرة الثانية وبين
ابنها بشأن بعض العبيد . وقد أنهى الأخير النزاع بأن أعاد اليها عبيده
الذين كان يمتلكهم كما عرض عليها أن يدفع ٤ مينات تعويضا عن عدد
كان قد مات فى بيته . وكان يعين أحيانا محكمون كالعضو الأكبر فى العائلة
على سبيل المثال .

ومنذ أقدم العصور حتى آخر أيام الامبراطورية كان يكون شيوخ
المدينة محكمة لا نستطيع أن نحدد مدى اختصاصها . ولقد كانت تختارهم
فى فترات معينة - أو تؤيد تعيينهم على الأقل - السلطة الملكية ، وكانوا
يختارون أحيانا من بين النساء - ولا سيما من بين كاهنات المعابد . وفى
عهد الأسرة الأولى عارض « أبيل ايليشو Apil-ilishou » « فى حقوق
بالاشماش Palz-shamash على ممتلكات معينة هى : بيت وقارب
وعبيد وفضة وقد أيد شيوخ المدينة الذين عرضت القضية عليهم حق
بالاشماش .

وكان الشهود فى المحاكم مقسمين الى فئتين : فكان بعضهم يكون
نوعا من المحلفين هم فى أغلب الأمر نفس الأشخاص رجالا أو نساء الذين
نجد أسماءهم تتردد فى الأحكام . وهم يمثلون جمهرة الناس الذين تنفذ
أحكام العقوبات بحضورهم كالجلد مثلا أو عزل قاض عدل حكما سبق أن
أصدره . وأما البعض الآخر فكانوا يشهدون بمعلوماتهم عن القضية
ويؤيدون شهادتهم بحلف اليمين . وهناك أمثلة كثيرة على ذلك منذ عصر
أور . ولقد نص قانون حمورابى على حالة شاهد الاثبات الذى لا يستطيع
اثبات أقواله فى الحالات الخطيرة التى يترتب عليها الحكم بالاعدام كان
الشاهد نفسه عرضة لأن يلقى نفس المصير . وأما فى الشئون المالية فانه
يدفع المصاريف . وقد عالج القانون كذلك أمر اختفاء شئ من بيت صاحبه
الشرعى والعثور عليه عند آخر حصل عليه من طرف ثالث . وكان على كل
أن يستدعى شهوده الى المحكمة : « يمحس القاضى أقوالهم وأقوال الشهود
الذين تم الشراء أمامهم ثم يدلى الشهود الذين عرفوا السلعة المفقودة
بمعلوماتهم فى حضرة الاله . أما البائع فيعامل كلص . ويستعيد المالك
سلعته كما يستعيد الشارى ماله الذى دفعه من بيت البائى » وكان هناك
افتراضان آخران فى مثل هذه الحالة تحب مواجعتهم اذا ما غاب أحد
الطرفين عند الاتيان بالبينة . وقد كان ذلك هدف المواد التالية : ان الشارى

أو البائع الذي لم يحضر شهودا يعتبر مبيعاً النية وقد يحكم عليه بالإعدام .
ويستطيع القاضي على كل حال أن يسمح بالتأجيل ان كان الشهود على
صفر أو لم يكونوا يسكنون (يقيمون) في جهة قريبة ولكن مدى التأجيل
لا يجوز أن يتعدى ستة الشهور .

وكان الشهود ضروريين عند تحرير عقود غير رسمية لما قد تثيره
مستقبلاً من خصام أو نزاع . فهم في أغلب الأمر أفراد لهم مصلحة في
معرفة موضوع العقد فشاري العبد أو البيت يطلب مساهمة أولاد البائع
حتى يجتنب المضايقات عند تقسيم التركة . وكان أي شراء من أشخاص
معينين يتطلب تحرير لوحة وحضور طرف ثالث والا كان المشتري يجازف
بأن يعد لصاً يستحق عقوبة الموت : وهكذا كان الأمر بالنسبة لشراء
الاعنام والثور والعبد من ابن أو عبد الغير . وقانون حمورابي صريح
واضح في هذه الناحية . وكان ايداع الاشياء الثمينة يتم كذلك أمام
الشهود والا فإن القاضي لا يتدخل اذا ما حدث نزاع .

واذا لم يكن في الاستطاعة فض قضية مدنية بالطريق الودي فإن
أحد الطرفين يقدم شكوى فإن لم يحضر الطرف الآخر أمام المحكمة من تلقاء
نفسه فإنه يعلن بضرورة الحضور وكان الاتفاق يتم في أغلب الأحيان بين
المتنازعين على عرض الأمر على قضاة يقررون فيه ما يرون . ولعل هذا
هو السبب في أنه عند تحرير اللوحات كان يعتبر الطرف الخاسر عادة
كأنما هو المدعى أو الشاكي أما الذي يحكم لصالحه فيعتبر مدعى عليه .
ويصغى القاضي لأقوال الطرفين ثم يفحص المستندات المقدمة ويستمع إلى
شهادة الشهود . وفي حالة عدم وجود مستندات مكتوبة أو لم تكن فحواها
تسمح بحل للمشكلة فإن القاضي يطلب إلى هذا الطرف أو ذاك أداء اليمين
كما يطلب ذلك أحياناً من الشهود . وكانت اليمين تؤدي باسم الآلهة طبقاً
لعادة ترجع إلى عهد ما قبل السرجونية بل في الغالب إلى عصور سابقة
له . ومنذ عهد أور حتى أيام الأكمينيين كان يحلف باسم الملك أيضاً .
ولم يؤثر هذا على أية صورة على مظهره الديني إذ أن الملك نفسه كان مؤلهاً .
وأما في عهد الأسرة الأولى فإن أسماء الآلهة وأسماء الملوك الحاكمين
ارتبطت ببعضها في أغلب الأحيان في الصيغة التقليدية . وكان حلف
اليمين يتم عادة في المعبد - حتى وإن كانت القضية منظورة أمام المحكمة
المدنية - بحضور رموز دينية معينة . وكانت هناك حالات تؤخذ فيها هذه
الرموز إلى خارج حرمها المقدس : وقد حدث ذلك مثلاً في نزاع على أرض
مبنية كان المدعى عليه ملزماً بأن يثبت حقوقه في المكان موضوع النزاع
أو « يمسح وإجهة » بيته تبعاً للاصطلاح المعروف .

وكان الشاكي الذي أصيب في أملاكه الخاصة أو نهبه أحد المغتصبين مثلاً يؤيد باليمين الضرر الذي لحق به حتى يحصل على تعويض من المجموعة الاجتماعية التي أصابته الأضرار على أرضها . وفي حالة ايداع المحصولات كان المودع يحلف بقصد استرداد محصوله ان كان المودع لديه ينازع في مجموع الكمية . وكان « المعداوى » الذي تغرق إحدى المراكب قارب التعدية الخاص به يحلف كذلك حتى يحصل على تعويض مناسب - وكان الرجل في حالة النزاع المدني أو الجنائي يستطيع أن يستنقذ نفسه بتأييد اقراره بحلف اليمين وقد كان ذلك مركز الرجل الذي يقبض على عبد أبق حين يموت الأخير قبل أن يعاد الى مولاه أو الزوجة التي يتهمها زوجها بالزنا مع أنه لم يقبض عليها في حالة تلبس أو الرجل الذي جرح أو قتل - عن غير عمد - خصمه في العراق .

وكان حلف اليمين يلعب دوراً آخر كذلك بعد النطق بالحكم فالطرفان المتنازعان كانا يتعهدان أمام الآلهة باحترام الحكم كأمر نهائي غير قابل للتعديل وقد أضيفت فقرة خاصة في هذه المناسبة حتى لا ينظر في النزاع من جديد وحتى لا تقام دعوى جديدة وكان يوضع أحياناً شرط ينص على عقوبة أو تعويض على من يخالف ذلك .

أما البابليون الجدد فغالباً ما استبدلوا اليمين بلعنات تصب على من يغير القرار الذي صدر : « ألا فليكتب عليه مردوك وزربانيتوم الخراب » كما جاء في عقد من عهد نبوخذنورسور : ولدينا من عهد كيروش الأئزني ان من يحاول تغيير هذا القرار . . . ألا فيلعنه أنو وايلليل وايا . . . ألا فليضع نابو كاتب الايساجيل حدا لمستقبله ، (حرفياً : يضع نهاية لمستقبله) .

وكانت أحكام القضاة تتناول كل شيء وفي الغالب لم يكن يرد أي ذكر لأسباب النزاع في لوحة الحكم ولذا فإننا نراها تتناول مثلاً شراء عقار عارض فيه أبناء البائع ولم تؤد معارضتهم الى نتيجة . وفي عهد « سن مو باليت » نجد أنه بعد أن باع رجل وابناء بيتا يحاول أحد الولدين أن يتراجع في الصفقة وقد حكم عليه أن يوسم على الجبهة . وقد أدت الايرادات المتنوعة - وخاصة تلك التي كانت مقررة قانوناً لبعض الوظائف المقدسة - الى رفع قضايا من وقت لآخر . وكان القضاة يحددون أنصبة الشاكن المستحقة لهم أو هم يرفضون الشكوى لأنها لا تقوم على أساس . وكان تقسيم الميراث كذلك سبباً لتدخل المحاكم . . . ففي العام الثالث والثلاثين من حكم حمورابي لم يستطع أخوان أن يصلوا الى اتفاق بشأن تقسيم أملاك والدهما المتوفى فتولى المدعو ندنات سن Nidnat-sin

تقسيمها « تقسيما عادلا » ولم يكن في الاستطاعة تصفية الشركة دون تدخل المحاكم بل انه كانت تحدث فيها خلال قيامها بعض المشاكل التي لا تحل بغير الطريقة المذكورة ، ففي السنة الرابعة والثلاثين من حكم حمورابي رفع ارييام سن Eribam-sin دعوى ضد الاخوين تسلي عشتار Tsilli-ishtar وأويل ايلي Awil-ili بخصوص بيت وممتلكات أخرى اقتنوها . وذكر المدعى أنها كانت قد اشترت بمال شركة بينهما وبينهم وبينه وقد أثبت المدعى عليهما عدم صحة ذلك وانهما دفعا ثمنهما من مال أرسلته الى تسلي عشتار أمه وهكذا كسبا قضيتهما .

وقد تناول القانون حالة رجل هجر زوجته وذهب الى مدينة أخرى وعند عودته فيما بعد ود لو يتابع الحياة الزوجية ، ولكن القانون أنكر عليه هذا الحق . وإذا كانت زوجته تزوجت مرة أخرى فأنها تبقى مع زوجها الجديد . وهناك حكم صادر في سيبار في السنة التاسعة لحمورابي هو تطبيق عملي للعرف القديم الذي بنى عليه هذا النص القانوني . فان المدعو سن ناتسير Sin-nateir الذي هجر زوجته هدى عشرين عاما وعندما توفيت عاد ليطالب بميراث أوصت به لابنتها هولاتوم Houlatoum التي كان من الواضح أنها أمة . وقد اجتمع « رابينو سيبار » و « كار سيبار » وقرروا أن « سن ناتسير » قد ترك زوجته « ليتابع حظه وأنه لم يكن يحبها » وقد أنزلا « به اللوم ورفضوا أن يعيها الى طلبه » . وكذلك ادعت « أمات شناس Amat-Shamash أنها الابنة المتبناه لشناس جامل Shamash-Gâmil وزوجه أومي اراهتم Oummi-arahtoum ولم تكن لديها لوحة كما لم يستطع شهودها أن يأتوا بأدلة مقنعة فطلب القضاة الى أومي اراهتم المدعى عليها حلف اليمين ، ورفضوا دعوى المدعية . وكذلك نازع بابليثوم Babilitoum كلا من ارش ساجيل Erish-Sagil وأوبار نايوم Oubar-Nabioum ومردوك ناتسير Mardouk-nateir بقصد الاستيلاء على نصيبه من ميراث فمنحه اياه القاضي .

ولم تكن كل محكمة مختصة بالنظر في كل القضايا ، اذ حدث أنه في العام الثامن والعشرين من حكم حمورابي رفض قضاة بابل قبول قضية لأن المدعى كان قاطنا في سيبار وتبعاً لذلك لم يكن له الحق في أن يتقدم بشكواه أمامهم .

وفي عدد من الحالات حدد قانون حمورابي العقود التي يستطيع القضاة توقيعها وكان من الممكن أن يصدر حكم الاعدام على من عمل سحرا لآخر ولا يستطيع اثبات التهمة عليه وكذا على شاهد الاثبات المزور في

قضية جنائية وعلى سارق كنوز المعبد أو القصر وعلى من يخفي أشياء مسروقة وعلى اللص الذي لم يستطع أن يعيد المنقولات ذات القيمة التي اغتصبها ويدفع التعويض القانوني وعلى بائع الأشياء المسروقة ومخفيها وعلى كل من اشترى أو أخذ وديعة دون لوحة أو شهود من يد قاصر أو عبد وعلى من ادعى دون بينه ملكية شيء مسروق • وكان الموت عقوبة من يمنح فرصة الهرب إلى عبد أو إيواء عند آبق أو قبول خدماته ، إذ أنها جميعا تعتبر سرقة • وكان هناك قانون سوميرى قديم يعاقب المرء بقانون « الرأس بالرأس » فإن لم يكن يملك عدا فغرامة ٢٥ شاقلا من الفضة ان كان قد آوى عبدا آبقا مدى شهر • وكانت عقوبة الموت تنفذ على قاطم الطريق أو البجندى المتمرد حتى وإن كان قد أحل آخر مكانه • وكان الضابط الذى أباح الإبدال يلقي نفس العقوبة وكانت تنصب كذلك على المحافظ أو الحاكم الذى ينتقص من امتيازات الضباط وعلى تاجرة المشروبات التى تؤوى الثوار وعلى الرجل الذى يغتصب فتاة وعلى من يحتال على جراح بقصد وسم عبد بعلامة امتناع البيع • وهكذا — طبقا للقوانين السوميرية الخاصة (بالالهة) نيسابا والاله حانى نجد أن مغتصب الفتاة الذى رفض تزويجه منها يجب أن يعدم • وفى جميع هذه الأحوال لا يوضح القانون نوع الميثة التى توقع على المجرم • وهو فى بعض الأحيان أكثر صراحة ولقد كان الموت غرقا ينفذ فى مستأجرة الحانة التى تباع مشروبات أعلى من السعر القانونى وترفض الثمن شعيرا أو تطلب سعرا أعلى بالفضة وكذا على الزوجة التى سجن زوجها وذهبت لتعيش مع رجل آخر رغم وجود موارد كافية ، وعلى ربة الدار سيئة التدبير والمتسكعة التى بددت مال زوجها وأرادت أن تهجره • ولقد كان ذلك كذلك فى القانون السوميرى القديم بالنسبة للزوجة التى تحاول الطلاق • وكانت نفس العقوبة توقع كذلك على الزانية وشريكها فى الاثم • وعلى الحما وكنته (*) اللذين يرتكبان زنا المحارم فكان الواحد منهما يقيد إلى الآخر ثم يلقيان فى الماء • وكانت عقوبة الحرق وتوقع على الأم والابن المتهمين اللذين ثبت عليهما هذا الجريمة كذلك ، وعلى الكاهنة التى تفتح حانة أو تذهب إليها لتعطى شرابا ، وعلى الرجل الذى يستغل فرصة حدوث حريق للسلب • وكان الخازوق عقاب الزوجة المتهمه فى أمر قتل زوجها بقصد التزوج من آخر •

وأخيرا ، فإن عقوبة الموت تطبق عملا بمبدأ القصاص (العين بالعين والسن بالسن) وذلك فقط حين يصيب الضرر رجلا من ذوى الحيثية • فإذا مات رجل حر رهون بسبب دين فى بيت الدائن من أثر الضرب أو سوء المعاملة ، فإن ابن الدائن يحكم عليه بالموت • وإذا أجهضت فتاة

(*) الكنة (بفتح الكاف وتشديد وفتح النون) : امرأة الابن أو الأخ •

حرة فماتت نتيجة ضربات فان ابنة الضارب تموت • واذا انهار بيت لم
يعز ببنائه فمات بسبب ذلك صاحبه وابنه فان عقوبة الموت توقع على
المعماري وابنه • ويمكن أن ينفذ الموت بطريقة غير مباشرة بسبب التجربة
القاسية المقررة في مادتين من مواد القانون : لحالات أولئك الذين يعتقدون
أنهم كانوا ضحية سحر عمل ضدهم ولحالة الزوجة المتهمه بالزنا دون أن
تمسك في حالة تلبس •

وكانت المحكمة تأمر بقطع لسان الطفل الذي هجره أبواه للدعارة
ان هو أنكر أبويه اللذين تبنياه • وبقلع عينيه ان هو هجر بيتهما ليعود
الى بيت أبيه أو أمه • وكان قطع اليد عقاب الابن الذى يضرب أباه ،
أو الجراح غير الماهر الذى يفقد عين المريض – ان كان من طبقة الأحرار
وهو يفتح الغشاء بالمشروط ، أو الذى يسم عبدا بعلامة عدم امكان البيع
دون علم سيده من تلقاء نفسه • أو المزارع الذى يسرق الغلال
أو المزروعات •

وكان قطع الشدى عقوبة المرضع التى ترضع طفلا آخر فيموت الأول
نتيجة إهمالها وذلك اذا كان الارضاع دون اذن من أبوى الرضيع ،
أما العبد الذى ينازع فى حقوق مولاه عليه فعقوبته قطع الأذن : وهناك
قانون سوميرى ينص على بيع المذنب فى هذه الحالة الأخيرة •

وكل من ضرب شخصا من مرتبة أعلى من مرتبته على يافوخه فانه
يمكن جلده علنا بسوط من جلد الثور ستين جلدة • وكان النفى عقوبة
الأب الذى يتصل بابنته اتصالا جنسيا •

وكانت هناك تدرجات فى التعويضات عن الأضرار تتراوح بين ثلاثة
أمثال وثلاثين ضعفا من قيمة الشئ المطلوب استرداده • وكانت ثلاثة
الأمثال تدفع عن المبالغ التى يأخذها الكاتب من وكيل الأعمال • وخمسة
الأمثال للعميل غير الأمين مما احتفظ به لشخصه أو للشئ المسروق الذى
باعه اللص ان مات صاحبه قبل أن تقتص له العدالة واستطاع الشارى
أن يثبت حسن نيته • وستة أمثال للمال الذى يدعيه بغير حق صاحب
عمل على موظف عنده • وعشرة أمثال للشئ المسروق من موشكينو
أو الحيوانات التى يبيعها الراعى خلصة ، واثنا عشر ضعفا لقيمة الشئ
المتنازع عليه ان ألغى القاضى حكما سبق أن أصدره • وثلاثون ضعفا لقيمة
الشئ الذى يسرق من معبد أو القصر •

وكانت المحكمة تقدر قيمة الأضرار التى يسببها قطاع الطرق •
وكانت المدينة وحاكم المقاطعة التى حدث بها النهب يعتبران مسئولين •

وكانت المحكمة تعاقب المزارع المهمّل بأن يدفع ما يعادل المثل من الانتاج.
فى الضياع المجاورة •

وكانت المحكمة تطبق التعويضات المختلفة التى يحددها القانون فى.
حالات الحوادث التى تسببها الحيوانات أو الجروح المتعمدة حين لا يكون.
من تحل به رجلا حرا ومن ثم فان « قانون القصاص » (العين بالعين والسن
بالسن) يكون غير معمول به •

الفصل الثالث النظام الاقتصادي

١ - الملكية العقارية

كانت الملكية العقارية في سومير وآكاد منذ أبعده العهود في أيدي أفراد أو هيئات اجتماعية وتشهد بذلك عقود البيع الخاصة بالعهد قبل السرجوني . وكانت للمعابد حقولها ورياضها وكان لزوجات الإيشساكو ولأولاده أراضيهم الخاصة . ولم يكن بيت الفقير دائما في منعة من جشع الغنى بل كثيرا ما كان الكاهن ينهب بستان أمه . والظاهر أنه منذ ذلك العهد كان يكافئ خدمة الأوفياء بمنح من الأرض أما بصفة دائمة أو بحق الانتفاع فقط .

ويثبت العقد الذي اشترى الملك « مانيشتوسو » بمقتضاه ضياعا متعددة قيام ملكية مشتركة جنبا الى جنب مع الملكية الخاصة وقد جاء فيه ذكر مزرعة حددتها قناتان وكذا قبيلة وفرد من الناس . وقد بلغت مساحة إحدى قطع الأراضي أكثر من ١٣٥٠ هكتارا على حين تبلغ الأخرى بالكاد ٣٦ هكتارا .

وقد ميز قانون حمورابي ما بين الأملاك الخاصة وممتلكات الإيلكو . وكان الملك يتنازل عن الأخيرة كمكافأة عن خدمات عامة وهي لا يمكن أن يتناولها البيع أو الحجز أو الرهن أو نقل الملكية على أية صورة إلا للوريث الذكر بشرط أداء الالتزامات المقررة وكان التصرف في الأملاك الخاصة نفسها خاضعا لقيود في مصلحة العائلة . ومن حيث انبدا لا يمكن بيعها سوى أداء لدين . وكان للمرأة المتزوجة حق الانتفاع على بائنتها أما الرقبة فلاولادها أو لاختها ان لم يكن لها أولاد . أما الكاهنة أو العاهر فكانت

لهما حقوق أوسع اذا كان الأب قد
نص في لوحة احدهما على حرية
التصرف . وربما كان لكل عائلة حق
النصفعة على الأملاك التي اضطرت
من قبل الى بيعها .

وكانت بعض المدن تمتلك في
العهد الكاسي أملاكاً عقارية ضخمة
كما كان الأمر كذلك بين القبائل
التي استقرت في سومير القديمة
قرب شواطئ الخليج الفارسي وذلك
عقب الاضطرابات التي حدثت في
بلاد بابل كآثر للغزو الحيثي . وقد
اعتاد الملوك أن يشتروا ضياعاً من
هذه المدن أو القبائل لمنح مكافآت
عن خدمات تم أدائها للدولة أو
لاظهار الشكر للآلهة أو بقصد تخصيص
اقتاعات لأولادهم وهم لم يكتفوا
بتحرير مستند الملكية المعتاد على
لوحات الطين فقط بل أرادوا أن يضعوا
كذلك الأراضي التي منحت حديثاً في



(شكل ١٠)

كودورو (متحف اللوفر . وقد فارس) . حفل علني تحت رعاية الآلهة . ولقد
حفروا على كتلة بيضية أو لوحة من الحجر أو الآجر رموزاً دينية وعقد
المنحة ثم لعنات على كل من يعارض أمرهم . وهذه المستندات المسماة
كودورو Koudourrous (أحجار الحدود) التي كان يفترض فيها
أصلاً أن توضع على الأملاك نفسها لتستبقى الحماية الالهية عليها أطلق
عليها البابليون كذلك اسم نارو Narû (لوحات) ويظهر أنها كانت
توضع في المعابد (١) .

وكان للقبائل التي حلت في جنوب بلاد بابل رؤساء ومدبرون .
وقد استقرت كل منها في أراضٍ تختلف رقعتها ضيقاً واتساعاً وهناك
قامت مدنها وقراهم .

وكانت هذه القبائل تمتلك جزءا من الأراضى كما كانت الحال بالنسبة لكل مدينة ولكل قرية ولبعض العائلات . وكانت هذه الأراضى كلها مقسمة الى قطع يستغلها الأفراد وهى قطع لم تختلط ببعضها وان تشابكت ، لأنه رغم الثورات والغزوات ظلوا يدركون كيف يسمحون الأراضى ويعينون حدودها كما كان يفعل أسلافهم منذ ألف أو خمسمائة عام . وحين انتقلت المقاطعة من القبيلة الى يد الملك أصبحت ملكا خاصا . ولما كان الرئيس قد وافق باسم المجموعة على البيع ولما كان الثمن قد دفع للمالك ، كان الجيران قد دفعوا لهم . - ان كان لهم فيها حق .

ما - فان هذه المقاطعة أصبحت لا يجوز ردها الى القبيلة أو البائعين أو الورثة مهما تكن الأسباب . وقد



(شكل ١١)

مكدورو (متحف اللوفر . وفد فارس) . عنى بالنص على هذه الشروط . وكانت الاقطاعية التى كونها الملك تمنح بصفة نهائية وتورث - وليس بصفة مؤقتة - كما كانت الحال بالنسبة لأملوك الايلكو فى العهد السابق . وقد ظل المنتفع بالهبة خاضعا للالتزامات والضرائب المفروضة على الاقطاعية ما لم يحصل على لوحة اعفاء وهو أمر كان كثير الحدوث .

وكانت الأرض البور من حق أول من يشغلها وتصيب ملكا لمن يصلحها . وقد منح الملك مليشيبياك Mélishipak ابنته هونوبات ناناي Hounnoubat-Nanaï ضيعة على حافة أرض البحر . وقد اهتم بأن يقرر أنه صاحبها الشرعى ، لأنه أصلحها وأنشأ فيها مشروع رى وخزانا وجعل الأرض صالحة للزراعة كما أنشأ ثلاث قرى (١) .

وكانت الملكية العقارية فى الواقع خاضعة لحقوق الارتفاق لمصلحة الجيران وخاصة فيما يتصل برى الأراضى وكان للحاكم حق المرعى

وبأكورة المحصول والهشيم واستدعاء الرجال والحيوانات والعجلات
لأعمال السخرة وصيانة القنوات والمخاضات والطرق . وقد ورد بيان
تفصيلي عن مدى الالتزامات الخاصة بالمنافع العامة في قرارات الاعفاء
التي يصدرها الملك من هذه الالتزامات . من ذلك أننا نقرأ على كودورو
مليشيباك لصالح ابنته أن « صغار الماشية وكبارها والضرائب والسخرة
وتنظيف (تطهير) الترع والقنوات والعمل في الخزانات وجمع العمال
للترع وتجهيز العجلات وأعمال الحرث وقطع وحصد الهشيم والأعشاب
والخراج الملكي مهما يكن . . . لقد ختم لوحة اعفاء القرى وسلمها إياها »
وقد وضع الملك الصيغة تحت رعاية الآلهة حتى يدعم إرادته مستمطرا
سخطهم على كل من يرغب في أن « يأخذ من هذه القرى ماشية صغيرة
أو كبيرة أو يخضع سكانها لالتزامات أو سخرة أو أي خراج ملكي مهما
يكن ومهما تبلغ ضالته » .

وحين أقطع «ماليشيباك» نفسه ابنه « مردوك ابال أدين - Mardouk
apal-iddin اقطاعية لم يكن أقل وضوحا في ذكر الالتزامات
التي أعفاه منها (١) « أن أعفاه يسرى على الصورة التالية :
لا تؤخذ ضريبة على باكورة ثمار أرضه ولا العشور ولا يستدعى رجال
اقطاعيته ضمن الفرق التي تشكل في مدن ناحية نينا أجادة Ninâ-Agadé
للسخرة أو للعمل أو للتوقي من الفيضان أو لصيانة وتدعيم الجسور
للقنوات الملكية أو حماية مدن بيت سكاميدو ودامق اداد Bit-Sikkamidou
Damig-Adad ؛ وهم ليسوا ملزمين بأن يسخروا للعمل في سد
القناة الملكية ولإقامة الجسور ولاغلاق أو تطهير قاع القناة ولا يستطيع
أي حاكم له « بيت بير شادورابو Bit-pir-shadourabou
أن يخرج من اقطاعيته مزارعا من أراضيه أجنبيا كان أو مواطنا ،
ولا يجوز الاستيلاء عن طريق أمر ملكي أو أمر من الحاكم أو أمر إنسان
كائنا من يكون على أخشاب أو حشائش أو هشيم أو شعير أو أي محصول
آخر أو عجلات أو كدنها أو حمار أو رجل . كما لا يجوز سخب ماء من
ترعة الري عند عدم وجود ماء كاف في القناة الموصلة بين راتي انزانيم
Rati-Anzanim وقناة الاقايم الملكي . كما لا يجوز أخذ مياه من
جدول خزانة أو تقسيم الري إلى قسمين ومد أملاك أخرى بمياه منه بقصد
الري أو الزراعة ولا يجوز قطع الحشائش من أرضه كما لا يجوز أن تساق
حيوانات الملك أو الحاكم إليها أو جمع حشائشها للعلف وليسوا ملزمين
بتعبيد طريق أو كوبرى سواء أكان ذلك للملك أم للحاكم أو بتنفيذ أية

سخرة جديدة يفرضها ملك أو حاكم فى المستقبل أو أية سخرة زالت أريد
العود اليها » .

والأرض الفيضية التى تكون سهول دجلة والفرات خصبة بطبيعتها
ما دامت هناك عناية بعملية الصرف والرى فيها ولقد أدرك ذلك اقدم
سكانها وقلما نجد إيشاكو من لاجاش مثلا منذ عهد الملك المسن « أورنيينا »
لا يفاخر بأنه شق قنوات وبذل الكثير من العناية فى سبيل الرى . وقد
استلزم شق هذه القنوات قيام أعمال « لا بد أنها تتطلب سلسلة من
المعلومات والمناهج القائمة على الفن الهندسى ما لم نفرض أن اقامتها قد
تمت على مراحل متتالية كانوا يتلمسونها بتحسينات مستمرة خلال
التنفيذ الذى لا بد أنه يتطلب زمنا طويلا حتى عن طريق العمال العديدين
الذين كانوا لا يتنساولون أجرا كالسجناء الذين كان يكتفى بالكاد
بتغذيتهم . وعلى ذلك فنحن مضطرون الى أن نعتقد أنه كانت هناك دراسات
تمهيدية ثم مشروعات مبدئية ثم خطة نهائية تتطلب استعمال أجهزة
للقياس والتسوية وعمليات حسابية تسجل نتائج المقاسات التى تمت
على الأرض ومقدار العمل المطلوب تنفيذه » (١) . وقد وصلت الى أيدينا
بعض التخطيطات للقنوات والنهيرات من عصر ما قبل السرجونية ومنها
مثلا قطعة من لوحة مثلث عليها قناة حومادمشا Hournadimsha
التي شقت بأمر من أياناتوم والتي ألحق بها خزان تزيد سعته على الألف
هكتولتر . وقد دعم انتمينا ابن أخ أياناتوم هذا الخزان وأكمل قناة أخرى
تصل النهرين كما دعمه كذلك فيما بعد يزمن وجيز الملك أوركاجينا الذى
أصلح قناة جرسو القديمة المعروفة باسم « ننجرسو - أمير - فى -
نيبور » وقد فصلت إحدى اللوحات أعمال السخرة : وكان العمل
المفروض على الحفارين المحترفين أهم بكثير من عمل العمال العاديين .
وكان طول هذه القناة ٢٨٠ مترا وقد تم تنفيذها وفقا لخطة موضوعة .
وأما جوديا فلم يشر الا عرضا الى مشروعاته الأخرى لأنه كان مهتما كل
الاهتمام بالأعمال الدينية وبإعادة بناء المعابد . ومع ذلك فقد شق القناة
المسما « ننجرسو - أوشو - مجال Ningirsou-Oushoumgal »
وهو حدث محلى خلد فى اسم لاحدى سنى حكمه ولا بد أنه اضطر الى إبقاء
القنوات التى كانت موجودة قبل عصره فى حالة صالحة للملاحة ذلك لأن
نقل مواد البناء من أخشاب وأحجار ومعادن كان يتم عن طريق الماء وتطلب
انزالها الى البر إقامة رصيف بالقرب من إحدى بوابات المدينة وقد عهد
فى بلاط الهة ننجرسو بصيانة القنوات والجداول وأدوات الرى الى
مزارع الأرض المقدسة .

وقد شق « أورانجور » ملك اور قناة الحدود المسماة نانا جوجال Nanna-gougal و « ساوى حوضها بأمواء البحر » وهناك لوحة من ذلك العهد تحتوى على أجور النساء اللواتى استخدمن فى عمل سد من القصب عند رأس القناة . وقد قام سن ايدينام Sin-idinnam من لارساب ب « حفر دجلة النهر العريض وزود مدينته وبلاده بمياه طيبة وفيرة دون انقطاع » .

وبعد أن حقق حمورابى وحدة الامبراطورية بدأ فى القيام بمشروعات هامة فشق نهر حمورابى Nar-Hammourabi « ثروة الشعب التى تجلب ماء وفيرا لسومير وأكاد وتحول ضفافها الى حقول منزرعة وتهيل أكواما من الغلة وتزود شعب سومير وأكاد بماء دائم الجريان » ولم يندثر نهر حمورابى كلية فقد كان يبدأ من الفرات أسفل كيش فى مستوى بورسببا ويجرى فى اتجاه أوما تاركا إياها الى يساره . وبعد أن يصل الى لارسا يتجه نحو الخليج الفارسى . وتبين لنا الأوامر الملكية كيف كانت السلطة المركزية تنظم وتستخدم السخرة فترى الملك يأمر يوما « سن ادينام » حاكم لارسا ب « استدعاء من كانت فى حوزته حقول على ضفاف قناة دامانوم Damanoum بقصد تطهيرها وأنه يجب الانتهاء من تطهير قناة دامانوم عند نهاية الشهر » وفى مناسبة أخرى نراه يأمر نفس الموظف بالانتهاء فى مدى ثلاثة أيام من تطهير القناة التى تصل حتى أوروك والتى لم تكن قد أصلحت حتى هذه المدينة .

وتثبت الاعفاءات التى منحها مليشيباك قيام السخرة بقصد الصيانة وأعمال السدود فى عهد الأسرة الثالثة . وتبين رسائل موجهة الى الملك كودور ايلليل Koudour-Ellil كيف أن الموظفين المنوط بهم الاشراف على عمليات المياه كانوا يؤدون واجباتهم فى القرن الرابع عشر : فقد أبلغ أحد المفتشين عن وال سد إحدى القنوات على وجهه سمح فيه برى اقطاعيتين الا أنه حرم عشرين اقطاعية أخرى من الماء حتى جفت تماما فضاعت غلتها . وقد دافع الوالى عن نفسه مدعيا أنه لم يهمل حقلا واحدا .

وفى العهد البابلى الجديد وصل نبوخذنوروسور الثانى ما بين دجلة والفرات عن طريق الحائط الميذى الذى كان ضفة لقناة وأنهى عند بابل الحوائط التى تسند ضفاف الأراحتو Arahtou التى بدأها أبوه .

ولقد كانت القنوات الكبيرة وهى المشروعات الوطنية التى أنشئت أصلا بقصد اصلاح الأرض وتزويدها بالمصارف ، كانت فى الوقت نفسه ممرات مائية رائعة ولكنها كانت تتطلب مجهودا كبيرا لصيانتها خاصة

لأن الأرض كانت رخوة والصفاف هشة جدا . وكانت مياه الفرات تصل الى خط عرض بابل محملة بالرمل والطين وهي في الوقت الحاضر تحوى كيلو جراما في المتر المكعب في الأوقات العادية أما في موسم الفيضان فقد يبلغ ما تحويه ٢٥ كيلو جراما (١) . أما القنوات الأقل أهمية والجداول فكانت تحمل الماء الى أطراف الحقول والمراعى ومن هناك كانت تسحب عن طريق أدوات رافعة تديرها ثيران أو بواسطة دلاء ورافعة وذلك منذ عهد ما قبل السرجونية . وقد مثلت هذه الأداة في منظر للحياة الزراعية على خاتم أسطوانى وهي تستعمل حتى اليوم ليس في الشرق فحسب بل في بعض أقاليم فرنسا نذكر منها وادى اللوار بين انجيه ونانت ، وقد نص حمورابى على عقاب من يسرق مثل هذه الأدوات فكان اللص يدفع للمسروق منه خمسة شواقل مقابل الأداة التي يديرها الثور وثلاثة شواقل فقط لأداة الدلو . وفي العام الأول من حكم دارا الثانى تم اتفاق بين بعض أهالى نيبور مؤداه أن رى ضيعة معينة يتطلب أربعة حيوانات .

ولم يكن ارتفاع الماء يزيد على أربعة أمتار وقت انخفاض المياه في الشتاء . وفي هذا الفصل من السنة تروى الحقول ثلاث مرات الآن بمعدل ٢٠٠ متر مكعب لكل هكتار . وقد نص قانون حمورابى على عقوبة من يتسبب في حدوث أضرار تلحق بحقل آخر بسبب اهمال مزارع في صيانة جدول : فان هو أهمل تقويته ونجم عن ذلك صدع فعليه أن يعرضه عن المحصول الذى أتلّف فان عجز عن ذلك يباع هو وكل ما يملك مقابل مبلغ يقسم بين من لحقهم الضرر . وأما من أهمل إعادة السد بعد أن يكون قد فتحه لرى حقله فانه مسئول كذلك عن الفيضان الذى يغمر الأراضى المجاورة ، وعليه أن يدفع تعويضا يتفق ومتوسط غلة هذه الأرض . وأما اذا كان الأمر يتعلق بأغراس فان الثمن يحدد بـ « جور » من الشعير عن كل « جان » من الأرض أى $\frac{3}{4}$ هكتو لتر عن كل هكتار تقريبا .

ولم تكن المراعى فى حاجة الى عناية أكثر من سقيها وقطع كلثها وكانت تطلق الحمير والثيران والأغنام لترعى هناك . وكان الرعاة يتقاضون عادة أجرا سنويا عبارة عن ٨ جور من الشعير (٢٠٠ر ٢٠٠ هكتولتر) فى عهد حمورابى . وان ضاعت من راع احدى المواشى كان عليه أن يأتى بغيرها على حسابه وكان لزاما عليه أن يزيد من القطيع طبقا لاتفاقات مع المالك فان هو غير عامدا من حالة القطيع فباع لمصلحته احدى المواشى فانه يعرض نفسه الى أن يدفع تعويضا قد يبلغ عشرة أمثال قيمة ما سرق

أما ان كان قد حل بحظيرته ضرر ما فعليه ان يعرضه على حسابه ما ثم يستطيع أن يبرئ نفسه بحلف اليمين عند حصول الكارثة ان كان ذلك لظروف قاهرة خارجة عن إرادته . وكانت الحظيرة كباقي المباني الريفية مبنية من القصب . وتقدم المناظر الخاصة بالمراعى والمنقوشة على الأختام الاسطوانية أمثلة عديدة على ذلك .

وكانت تحرث حقول الحبوب بمحاريث تجرها ثيران . وقد ظهر على إحدى الأسطوانات القديمة جدا منظر للحرث يمسك فيه الحارث بذيل المحراث بكلتا يديه . وظهر بالمنظر رجال مزودون بالعصى والسياط يدفعون بها الحيوانات وكان هناك نوع من المحاريث أكثر اتقانا وبها مذرة . وقد حدد إيجار ثيران الحراثة في عصر حمورابي بأربعة « جور » من الشعير (أكثر من ٥ هكتو لتر) في السنة . وقد نص القانون على ما قد يحدث للماشية من حوادث أو بسبب خطأ صادر عنها كما حدد التعويضات . وفي العصر ما قبل السرجوني من الممكن تقدير نسبة المحصول للبذر وإنتاج الهكتار بالتقريب من بيانات في لوحات الإيشاكو لوجالاندا . فكان محصول الهكتار يبلغ حوالي ٢٢ هكتو لترا من الشعير هي ثمرة بذر ٢٤ لترا أي بنسبة تزيد قليلا عن ٥٠ : ١ .

وفي عصر أور كان المزارعون ورعاة الماشية والإبقار يستأجرون سنويا وكانوا يتسلمون أجرهم شعيرا أو صوفاً وأحيانا فضة أو حيوانات وكانت هناك نظم للزراعة ؛ ففيمما يختص بالمستأجرين من كاهن أقسم أحد الأشخاص اليمين مؤكدا أنهم زرعوا الحقل بـ « عبيد وثيران » وأنهم تناولوا أجرهم وأنهم قدموا حساباتهم بانتظام .

وطبقا لقانون حمورابي كان على الرجل الذي أخذ قطعة أرض ولم يستئبتها شعيرا أن يدفع للمالك ما يعادل غلة الزارع المجاورة . أما ان لم يكن قد زرعها إطلاقا فعليه أن يصلحها ويبذرهما ويسلم المحصول كله . وإذا كان قد تعاقد لمدة ثلاث سنوات على زراعة قطعة أرض لم تكن قد استصلحت بعد ولم يحافظ على ارتباطه ، فإن عليه في السنة الرابعة أن يبذرهما ويقدم للمالك « جور » وإحدا لكل « جان » (حوالي ١٦ هكتو لتر تقريبا للهكتار) . وفي حالة ائلاف زوبعة للمحصول الذي تم جمعه فإنه : إذا كان المالك قد تم الدفع له فإن الخسارة جميعا تقع على رأس المزارع . أما إذا كان هناك اتفاق زراعة مشاركة بنسبة النصف أو الثلث ولم يكن النصيب قد دفع بعد فإن ما بقي من المحصول يقسم وفقا للاتفاق . وقد حمى القانون صغار المزارعين الذين كانت مواردهم لا تكفي لشراء ما يلزم للبذر في الاستغلال فإذا كان هناك تفاهم بينه وبين جاره له للبذر ، فإن المالك

لا يستطيع أن يمسّه حتى زمن الحصاد واذ ذاك يأخذ المستحق له .
أما الزارع الذى استدان بفائدة ولم يستطع أن يجنى محصولا لظروف
خارجة عن ارادته كحدوث عاصفة مثلا أو نقص الماء فى القنوات فانه ليس
ملزما بدفع أية فائدة عن تلك السنة . ويجوز من جهة أخرى رهن حقل
مقابل سلفة .

وكان يعهد فى نفس العصر بزراعة مزرعة أحيانا الى رجل يؤجر
خصيصا لهذا الغرض بأجر سنوى قدره ٨ جور من الشعير وهو نفس
الأجر الذى يدفع الى الراعى . وكان المالك يقدم ما يلزم للزراعة من
ماشية . واذا قبض على المستأجر متلبسا بسرقة حنطة أو نباتات فانه
يحكم عليه بقطع اليدين . وان هو أهمل شئون الحقل أو قسام بتأجير
المواشى الى الغير أو سرق البذور ، فانه يلزم بدفع ٦٠ جور من الشعير عن
كل ١٠٠ جان من الأرض (حوالى ٤٣٠ هكتو لتر لكل هكتار) وان لم
يكن فى استطاعته أن يدفع ذلك فانه يظل مرتبطا الى الأرض « بين
الماشية » .

وفى عهد الأمراء الأكمينيين - كما فى عهد الأسرة الأولى - كان
يتم التعاقد على الأراضى لمدة ثلاث سنوات مما يجعلنا نفترض احتفاظهم
بدورة المحاصيل مدى ثلاث سنوات وكان الايجار يدفع بعضه فضة
والبعض الآخر عينا : نبيذا أو دقيقا أو حيوانات . وكان يدفع تعويض
للمستأجر ان هو أخرج من مزرعته قبل انتهاء أجل عقده .

وحين يأتى موسم الحصاد كان يقطع المحصول ثم يوطأ بأقدام
الحيوانات . وقد حدد حمورابى أجر الثور الدارس فى اليوم ب ٢٠ « قا »
من الشعير (١٧ لترا) وأجر الحمار ب ١٠ « قا » أما أجر العجل
أو الجحش فـ ١ « قا » فقط . وكان أجر عربة الثور مع سائقها ١٨٠ « قا »
يوميا أما أجرة العربة وحدها ف ٤٠ « قا » وكان العامل الزراعى - كما
هى الحال اليوم فى فرنسا - يتسلم أجورا مختلفة تبعا للفصول المختلفة
هى : ٦ قمحات من الفضة خلال الشهور الخمسة الأولى وخمس قمحات
خلال الشهور السبعة الباقية .

وكانت البساتين تكون نوعا ثالثا من الأملاك العقارية بعد المراعى
والأراضى المنزرعة . ولما كانت أقل اتساعا من حقول الحبوب فانها كانت
تقاس بدقة أكثر منذ عهد ما قبل السرجونية . وكانت تزرع بها الخضر
وخاصة البصل وكذلك الأشجار . ولقد كان الأمر كذلك فى عهد أبادة ،
حيث ورد ذكر زراعات البصل فى مساحة بلغت ١ جان (٢٨ و ٣٥ آر) .

وقد حدد حمورابى نصيب المالك بثلثي محصول البساتين فى حالة الاثمار الكامل فان أدى اهمال البستاني الى نقص الانتاج ، فهو يلزم بدفع ما يتناسب والغلة العادية . وكانت مدة عقد ايجار الحقل الذى يحول الى بستان خمس سنوات : كانت الاربع الاولى منها للزراعة والسنة الخامسة لاقتسام المحصول . وطبقا لتقليد سوميرى قديم كان من حق المالك أن يقسم البستان الى قسمين متساويين تاركا الأرض التي لم تزرع بعد ضمن حصه المزارع . واذا كان المستأجر لم يقم بأى اصلاح ، فعليه أن يدفع على أساس الغلة الطبيعية كل سنة كما يحكم عليه بأن يجعل الأرض قابلة للزراعة . وان هو تسلم أرضا بكرا فعليه كذلك أن يعدها ولكنه يقدم فقط « جور » واحدا من الشعير لكل « جان » من الأرض فى كل سنة من الايجارة (عقد الايجار) . وكان التعويض عند قطع شجرة من البستان دون علم المالك ٣٠ شاقلا من الفضة كما كانت الحال فى القرون السابقة . وكان فى الامكان تقديم محصول زراعة النخيل مقدما من أجل تصفية دين ولكن الدائن لم يكن ملزما بتحمل هذه المجازفة . وكان البستان - شأنه فى ذلك شأن كل ملك عقارى - يقبل كرهن وقد ظل الأمر كذلك حتى نهاية الامبراطورية البابلية الجديدة .

وكانت تقدر قيمة الأملاك المبنية تبعا للمساحة التى تشغلها وكانت تقاس بدقة فى المدن وكانت هذه الأخيرة (أى المدن) - على الأقل فى منشئها - أمكنة مخصصة فقط للعبادة أو المأوى وأسواقا فى الوقت نفسه . وكان أغلب الأهالى يعيشون فى الريف فى أكواخ من الطمى والقصب وأحيانا فى خيام وربما كانوا يفعلون كما يفعل العرب اليوم فى هذه الجهات فيحفرون كهوفا محاطة بالحصير والقصب اتقاء لغائلة الحر .

وكانت أقدم المنازل التى كشف عنها بين خرائب شوروباك مكونة من غرف صغيرة وتحيط بهناء مستطيل وهو طراز نجده كثيرا فيما بعد على الرسوم التخطيطية للمعماريين وكذا فى المنشآت الخاصة بالامبراطورية الجديدة وكانت تبنى من اللبن ، وكان السقف يقوم على دعائم من كتل خشبية أما الأبواب والمتاريس فلم تكن جزءا من العين (المؤجرة) . نظرا لندرة الخشب واعتبارها من المواد ذات القيمة التى يستطاع رهنها على حدة ولا تباع عندما يباع البيت كما يمكن أن تكون ملكا للمستأجر . وكان الكثير من البيوت خاليا منها . وكان البيت البابلى عادة مكونا من طابق واحد وقلما كان من طابقين وكان للعقار أحيانا حق المرور على ملك مجاور ولكنه كان فى أغلب الأمر ينفتح على الشارع مباشرة .

وفى لاجاش فى عهد ما قبل السرجونية بيعت بيوت تراوحت مساحتها ما بين $\frac{2}{3}$ ، $1\frac{1}{2}$ سار (٢٣٥٢ الى ٥٢٢٩ مترا مربعا) وكان

متوسط الثمن في عهد حمورابي ١٥ شاقلا للسلار وربما ارتفع الى ٧١ شاقلا أو هبط الى شاقلين أو ثلاثة شواقل . وكانت قيمة أرض البناء في المدينة تبلغ في المتوسط ٢٢٥ ضعفًا لقيمة الأرض المنزرعة حبوبًا ولكنها كانت في الأرياف أرخص من ذلك . وقد قدرت بعض الصوامع بنمن لا يعدو $\frac{1}{4}$ شاقل للسلار وهو يعادل ضعفين ونصفًا لقيمة الأرض .

وقد حدد قانون حمورابي آتاعب المعمارى بشاقلين للسلار كما حمله مسئولية أخطاء البناء فكان عليه أن يعيد على حسابه بناء الحائط الذى ينهار وأن يأتى بأثاث بدلا من الأثاث الذى يحطم أو يعبد بدلا من العبد الذى يموت وأن يدفع حياته مقابل حياة المالك الذى يموت تحت الانقاض .

وكان من الممكن رهن العين المبنية (١) وكان الدائن فى العهد البابلي الجديد يسكنها بنفسه وأحيانا أخرى يترك للمدين استعمالها . وفى عهد نبوخذنوروسر الثانى (٢) رهن المدعو « شاپيك زر » Shapik-zér بيته الى شولا Shoula الذى أتى ليعيش فيه وكان ايجار البيت يعادل فائدة قيمة السلفة ولكن شولا حين احتاج الى المال بدوره طلب من نرجال أوباليت Nergal-ouballit ٢ مينا و ١٤ شاقلا وحول اليه بيت فة رهن ولما كان يعتزم استمرار السكن فيه فانه كان ايجارا يعادل فائدة المبلغ المقرض .

٢ - الصناعة وتعليمها

منذ أبعد العهود كان هناك تنظيم أولى على الأقل فى شئون بعض الحرف . وفى عهد دونجى كانت عملية النسيج تتم تحت رقابة رؤساء عمال يعينهم الملك . وقد نظم قانون حمورابي وحدد أجور العمال المعينين بالمياومة بأربع أو خمس قممات من الفضة (من ١٦ سنتيجراما الى ٢٠) ، كما حدد كذلك آتاعب المعمارى والمبيض دون أن يغفل تحديد مسئوليتهم المدنية عن كل خطأ فى التنفيذ . وقانون حمورابي المشار اليه دليل كذلك على وجود نظم لتعليم الصناعة عند نهاية الألف الثالثة وكان يجوز للرجل أن يأخذ فى بيته صبيا لتربيته وتعليمه حرفته فاذا ما استطاع أن يجعل منه صانعا جيدا فانه لا يجوز لوالديه الشرعيين أن يطالبوا برده ما دام كانا قد قبلوا الانفصال عنه ، أما اذا لم يكن الصبى قد تعلم شيئا فانه يستطيع أن يعود الى بيت أبيه .

Ch. 39.

CXIV Nbk. 123.

(١)

(٢)

وفي العهد البابلي الجديد وكذلك في عهد الملوك الفرس كان السيد يعهد بعبده الى آخر حتى يتعلم مهنة على يديه وكان معنى ذلك فقدان فائدة رأس مال قدره مينا ولكن رأس المال هذا قد تزيد قيمته وعلى ذلك فان السيد كان يحتاط لما قد ينجح عن حدوث الأمر الأول • فكان معلم الصبي يدفع تعويضا ان هو أهمل تعليم الصبي حرفته على الوجه المرضي • ونظرا لانه من جهة أخرى قد أفاد من عمل الصبي ، فانه لا يستحق أجرا على تعليمه وأقصى ما كان يحدث أن تقدم له هدية رمزا للرضى •

وفي السنة السابعة من حكم كيروش نجد عبدا خبازا كان عنده عبد آخر كصبي مدى تسعة شهور وكان عليه أن يستبقيه ستة شهور أخرى ولكن أن لم يكن قد دربه تدريبا كافيا عند نهاية المدة ، فانه ملزم بدفع ٦ « قا » من الشعير عن كل يوم من أيام المدة كلها •

وفي العام التالي عهد «اتي ماردوك بالاتو Itti-Mardouk-balatou» بعبده الى « حاشداي Hashdai » عبد قمبيز الأمير الملكي ليتعلم حرفة الحجار فان لم تكن النتيجة مرضية فان حاشداي يدفع ٣/٤ مينا من الفضة الى اتي ماردوك بالاتو • وفي نفس العام عهد زوجان بأحد عبيدهما ليتعلم الخدمة مدى ست سنوات على أن يعطى معلمه هدية هي لباس قيمته أربعة شواقل ان هو نجح في تعليمه أما ان فشل في ذلك فانه يدفع ٣ « قا » من الشعير عن كل يوم من أيام السنوات الست •

ولم تكن النتيجة دائما رائعة وكان المعلم يجد نفسه ملزما بدفع التعويض المتفق عليه ، وكان يفعل ذلك عن طيب خاطر مادام قد انتفع بقدر كاف من خدمات صبيه •

وفي العشرين من تشرين في السنة الثامنة من حكم كيروش كان نوبتا Noubta قد عهد الى بل اتي Bél-étir بتعليم ائكال ازاماردوك Etkel-ana Mardouk النسيج مدى خمس سنوات وكان الصبي يأتي في كل يوم ب « قا » من الشعير والملبس • وقد تعهد النساج أن يدفع في حالة عدم كفاية التعليم تعويضا قدره ٦ « قا » عن كل يوم وقد أضيف الى هذا الاتفاق غرامة قدرها عشرون شاقلا من الفضة على من يفسد • وفي الثلاثين من آب (أغسطس) من السنة الثامنة أي بعد عشرة شهور من انتهاء السنوات الخمس كان العبد ما يزال مع النساج فدفع هذا خمسة شواقل الى نوبتا •

٣ - التجارة

كانت الأنهر والقنوات السبل الطبيعية للمواصلات بين مختلف مناطق سومير وأكاد منذ عهود ما قبل السرجونية بل ان معظم مدنها كانت منتشرة على طول ضفاف الفرات . ولقد نقل الملك المعجوز « أورنيما » الأخشاب اللازمة لتشبيد معابد لجش عن طريق الماء ، كما أن « مانشتوسو Manishtousou » قد استعمل نفس السبيل لنقل مسلة الديوريت التي نقش عليها قائمة بما اقتناه من ممتلكات ، ولقد استجلب « جوديا » كذلك الأخشاب والأحجار والمعادن الثمينة عن طريق الأنهر أيضا . وتحمل بعض الأسطوانات العتيقة صور قوارب واننا لنلاحظ أن حمولة بعضها في عصر أور تبلغ سعة ٩٠ « جورا » من الشعير . وكانت تستعمل لكل أنواع المشحونات من ركاب وحيوانات وحبوب وزيت ودقيق وخشب ومختلف المواد . ولم تكن السفرة من لاجاش الى سوسه تستغرق أقل من شهرين عن طريق القناة . وقد حدد قانون حمورابي الايجار اليومي للقارب سعة ٦٠ جورا بمقدار شاقل ، أما ايجار القارب السريع فقمحتان ونصف قمحة . وكذا حدد أجرا سنويا للمراكبي قدره ستون جورا كما قدر ترميم القارب حمولة ٦٠ جورا بشاقلين وحدد المسئولية في حالة فقدان المركب وحمولتها . ولم تقل حركة الملاحة النهرية في العصر البابلي الجديد : ففي عهد نابونيد دفع شاقل وربيع شاقل من الفضة لقاء استئجار مركب لنقل ثلاثة ثيران وأربعة وثلاثين رأسا من الماشية الصغيرة قدمها الأمير الملكي لشماس وللآلهة الآخرين في سيبار . وهذا وقد ارتفعت التعريفة المعتادة لاستئجار القوارب منذ عهد حمورابي وبلغت في المتوسط شاقلا في اليوم وكان القارب يباع بسعر يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ شاقلا .

وليست لدينا معلومات عن انشاء وصيانة الطرق البرية في بابل . ولقد كانت هناك قوافل بين العاصمة والمدن الرئيسية في عهد أجاده . كما أن رسلا عديدين في أيام ملوك أور كانوا يرتحلون حتى عيلام بقصد توصيل أوامر الأمير وأغلب الظن أنهم كانوا يسلكون الطرق المحاذية للأنهر والقنوات أو الدروب التي تخترق السهل ومما يجدر ذكره من جهة أخرى ان الحاجة التي اضطرت سكان بابل منذ أمد بعيد الى استيراد عدد من المواد الأولية من الخارج لعدم وجودها في البلاد قد حملتهم على تنمية التجارة الخارجية وخاصة مع عيلام في الشرق ومع آسيا الصغرى وشواطئ البحر الأبيض في الشمال العربي . وقد مارسوا هذه التجارة عن طريق عقود العمولة أو تعيين وكلاء ، فإذا كان الأمر يتعلق بانهاء صفقة أو بيع بيت أو حقل أو شراء عبد أو تحصيل دين أو استئجار مركب

أو استعارة شعير أو استئجار مزرعة أو حيوان ، فإن صاحب الشأن كان - حين لا يستطيع الحضور بنفسه - يختار وكيلًا ويحدد له كتابة مهمته ويخوله سلطة تحرير العقد وتثبيته بقسم .

أما فيما يختص بالتجارة مع المدن البعيدة أو البلاد الأجنبية ، فإن رجل الأعمال كان يكون نوعًا من شركاء المساهمة وكان يعهد بمبلغ من المال لاستثماره تجارياً أو يسلم بضائعه لبيعها إلى مرتحل تجارى يضع تحت تصرفه مواهبه وتجاريه ومهارته .

وقد حدث أن لازم حكم حمورابى توسع هائل فى التجارة مع الشمال والغرب نتيجة للتوسع السياسى لبابل المتحدة وكانت العاصمة الجديدة المركز الحقيقى لتجارة الشرق وذلك بفضل مركزها الجغرافى بين آسيا العليا والدنيا حيث يتقارب النهران . ولقد كرس المشرع كذلك مواد عديدة من قانونه لأعمال كبار التجار ونظم العلاقات بين صاحب العمل والمستخدم ولكن لم تصل إلينا لسوء الحظ المواد الأولى التى تنص على كيفية انشاء الشركة .

وكان الأمر يتطلب - كى تصبح الاتفاقية صحيحة - أن يكون هناك صك مكتوب يعين الواجبات المفروضة على الوكيل . ويحدد بالدقة المال أو البضاعة المودعة تحت تصرفه ثم السلفة الممنوحة بغير مقابل للرحلة . وكان على المستخدم أن يمسك حساباً دقيقاً عن عملياته ويسجل كل ما حصل عليه من أرباح . كما كان عليه عند عودته أن يقدم كل رأس المال إلى موكله مقابل إيصال بذلك ثم يأخذ من الأرباح النصيب الذى كان قد اتفق عليه قبل الرحيل ، أما إن كان قد قام بصفقات غير مربحة نتيجة إهمال أو سوء تصرف فعليه تعويض ذلك بإعادة المبلغ الذى كان قد عهد إليه به مضاعفاً . ومع ذلك فما عليه إذا استطاع أن يبرر أسباب الخسارة إلا أن يعيد فقط المال الذى عهد إليه به كما أنه يعفى من دفع أى شيء إذا كان المال قد ضاع بسبب سوء الأمن فى الطرق أو لأسباب قهرية أخرى ويشترط أن يؤيد ذلك بالقسم . ولم يكن ليقبل النظر فى نزاع بين موكل ومستخدمه إلا على أساس أدلة مكتوبة . وإذا ارتكب المرتحل خطأ فى عمل الحسابات فى غير صالحه أو أن هو لم يحصل على إيصال عن مبلغ منصرف فإنه لا يستطيع استرداد هذا المبلغ فى هذه الحالة . وعند عدم وجود مستند مكتوب ، فإن الشخص الذى يقوم ضده الادعاء يستدعى الآخر فى المحبد فى حضرة الشهود . وكان يحكم على المرتحل الذى يثبت عليه أنه مدّين بدفع ثلاثة أمثال المبلغ للدائن . أما إن كان رجل الأعمال هو المخطئ فإنه يدفع للمرتحل ستة أمثال المبلغ الذى احتجزه بدون وجه حق .

ولقد كان الأمن مضطربا فعلا في طرق القوافل الأمر الذي دعا ملوك بابل في القرن الخامس عشر الى الشكوى من التحرشات وجرائم القتل التي يذهب تجارهم ضحية لها في مناطق سوريا الخاضعة للنفوذ المصري .

وفي القرون الأخيرة من الملكية البابلية كان رجل الأعمال يرتبط في أغلب الأحيان بالأجانب وخاصة بالأراميين الذين انتشرت لغتهم في ميزوبوتاميا وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى . وكان على المرتحل التجاري أن ينهي أعماله خلال المدة المحددة في عقد الاستخدام وكان عليه كذلك أن يعود على الأقل بما يساوى المبلغ الذي تسلمه لأنه كان يتحمل الخسائر وحده على حين كان يقسم الربح بالتساوى - ان كان هناك ربح .

ولقد كان عقد الشركة معروفا في الحضارة السوميروأكدية حتى قبل قيام عقد مساهمة الشركة بين التاجر والمرتحل الذي يأخذ المال أو التجارة لاستثمارها ، كان معروفا في أول الأمر في صسورة ارتباط بين شخصين أو أكثر بقصد شراء وزراعة حقل ولكن الشروط الخاصة بالعملية لم تكن مبينة .

وان علينا أن ننتظر حتى قيام الاسرة الأولى البابلية لكي نصل الى معلومات أتم فان الشركاء لم يكن يتحتم عليهم أن يكون أساس اشتراكهم رأس مال نقدي بل كثيرا ما كان هدفهم استعارة المبلغ اللازم لتنفيذ مشروعاتهم مع تعهدهم متضامين بالسداد . وفي حالة حل الشركة كانت الأرباح والخسائر تقسم تبعا للأنصبة المتفق عليها وقت انشائها ، وتكون التصفية عامة أو كما كان يقال « ابتداء من قش التبن الى الذهب » وكان اعلان ذلك يتم أمام السلطة القضائية ، فان حدث وقام نزاع بين الشركاء أرسلوا الى المعبد ، حيث كان المدعى عليه يلزم بالقسم لتبرئة نفسه من الاتهامات الملقاة عليه . وعلى كل حال ، فانه كان لزاما على المستحوذ على ممتلكات الشركة أن يعلن ويقسم أنه لم يخف شيئا منها .

وهاك نموذجا من عقد شركة بين شخصين لأغراض تجارية بصيغة عامة (١) « كون اريب سن Erib-Sin ونور شماش Nour-Shamash شركة وأتيا الى معبد شماش وقررا مشروعهما . فهما يشتركان معا على الشيوخ في الفضة والتجارة والعبيد والاماء في الخارج والداخل ومشروعهما واضح : فضة مقابل فضة ، عبد وأمة ، وبضائع في الخارج أو الداخل من القم الى الفائدة ، سوف لا يتنازع الأخ مع الأخ ، لقد أقسما

ب « شماش » و « ايا » و « مردوك » و « الملك حمورابى » فى حضرة ١٧
شاهدا .

وكانت الصيغة فى العهد البابلى الجديد تحرر أحيانا فى صورة
عامة . فنحن نقرأ مثلا فى حكم نابونيد « أتى مردوك بالاتو ، وشابك
زر يحددان مينا من الفضة كرأس مال للشركة وتكون ثمرة العملية لهما
معا » وكان آخرون يذكرون أن كل العمليات التى يقومون بها « فى المدينة
أو فى الريف » خاصة بالشركة واننا لنرى نفس « أتى مردوك بالاتو »
المذكور - وهو من كبار رجال الأعمال - يعقد اتفاقا مع « مردوك شابك
زر » - وربما كان نفس شابك زر المذكور اسمه فى العقد السابق - على
أن يستثمرا معا خمسة مينات من الفضة وبعض الطيب . ويعهد كل منهما
تنفيذ المشروع الى واحد من عبيدهما على أن تقتسم الأرباح الناجمة بين
الشريكين المتعاقدين ، أما العبدان فان طعام وملبس كل منهما يكون على
حساب الشركة لا على حساب سيده (١) وفى العام التالى نجد اتفاقا
مماثلا : فقد تقرر أن توضع مينا من الفضة تحت تصرف عبد « مردوك
شابك زر » وأما « أتى مردوك بالاتو » فانه يقدم هو الآخر من ناحيته
واحدا من خدمه ليستثمر هذا المبلغ .

وكان عقد الشركة يحرر أحيانا لمدة قصيرة ويمتد أحيانا أخرى
لسنوات عديدة تسوى خلالها الحسابات من وقت لآخر بصفة مؤقتة .
وحين يأتى التاريخ النهائى لتسوية الحساب فان ذلك كان يتم - كما
كانت الحال من قبل - أمام المحاكم كما كان يلجأ الى القسم لتأييد ما جاء
فى الاقرارات الخاصة بتسوية الحساب .

وفى عام ٦١٧ ق م . وهى السنة الثامنة لحكم نابوبولاسار أسس
« نابوكين ابلو » وابنه « نابوبلشونو » عقد شركة مع « شولا »
و « موشزيب بعل » وبعد ٣١ سنة ، أى فى العام الثامن عشر لحكم نبوخذ
نصر الثانى (٥٨٦) قررا أن يفضاها فسوا حساباتهم أمام المحكمة
واقترسما ١٥ شاقلا من الفضة كان قد دفعها « نابوكين ابلو » وابنه وام
يكن هناك مجال لمناقشة الموضوع أو المطالبة بأى حق فقد حلت الشركة
وسلك كل شريك طريقه تمت تسوية الحساب وكسرت اللوحات
القديمة بقصد الحيلولة دون قيام أيما نزاع مستقبلا ، ولقد استشهد بالآلهة
على صحة التصفية وحمل كل من الشركاء السابقين معه عند انسحابه
الدليل الكتابى على ذلك .

٤ - البيع

كان البيع استبدالاً للشيء المملوك بمال أو - فى النسادر جدا - بشعير . وكان يجب أن يحوى العقد الذى يثبت ثلاثه عناصر أساسية هى بيان الشيء المباع وأسماء الطرفين والتمن الذى يدفع أو إيصال الدفع الذى يتم فوراً .

وترجع بعض عقود البيع الى فترة العصر التاريخى وكانت قد حررت فى المدينة القديمة شوروباك قبل عهد « أوريننا » ملك لجش (١) وفيها نجد أرضاً تقدر بشاقلين ونصف شاكل من الفضة لـ « جان » كما نجد تقديراً لمنشآت ملحقة بحقل بخمسة أو عشرة شواقل من الفضة أو - حتى بعشرة شواقل من النحاس ومثل هذه الوثائق لا تعطى - أسوة بنظائرها من عصر لاحق - فكرة دقيقة تماماً عن حقيقة قيمة الشيء المباع لأنه يجب أن يراعى نوع العبيد وحالة المنازع وموقع الأراضى وحتى رغبة المشترين الشخصية . وتقدم لنا لوحة حجرية - من العصر العتيق كذلك - قائمة بقطع من الأراضى اشترىتها نقداً بالفضة فى ناحية أوروك . ولقد وجدت معظم الأرقام الواردة بها مشوهة ولكن يتبين منها أن قيمة الـ « جان » لا تقل عن ستة شواقل (٢) . وفى لجش - خلال حكم انهجال أحد أسلاف أوريننا - نجد « لوجال كيجالا » الكاهن الأكبر فى ننجرسو يشتري أملاكاً متعددة تتراوح مساحتها ما بين ٤٨ و ٩٠٠ هكتار (١١٨ ١/٢ ، ٢٢٢٠ فداناً) - ان نحن قدرنا أن المساحة السطحية هى نفس نظيرتها فى العهود التالية - . ولقد دفع الثمن نحاساً وشعيراً وقمحاً وبعض المحصولات الزراعية الأخرى .

وقد بيعت أمة فى عهد « انتمينا » بعشرة شواقل من الفضة و ١٢٠ « قا » من الشعير . وبيعت أخرى مع ابنها بعشرين شاكلاً من الفضة و ١ « جور » من الشعير وائاء من النبيذ على حين يباع العبد بـ ٤٣ شاكلاً . ويقدر ثمن الحمار بـ ٢٠ شاكلاً والخنزير بما يتراوح بين ٤ و ٥ . وكان سعر « سار » الأرض بما عليها من منشآت يساوى ١٥ أو ٢٢ ١/٢ شاكلاً تبعاً لموقعه وحالة المبنى . وسعر « جان » الأرض المنزوعة ٢ « جور » من الشعير والمباني الملحقة للاستغلال يدفع ثمنها على حدة علاوة على ثمن الأرض . وكان العقد يحرر بحضور شهود من أسرة البائع - وأحياناً من

LXXV. Nos 9-15.

(١)

XIII, 38, p. 818.

(٢)

أسرة المشتري كذلك - وخبراء وكتاب ورجال أعمال وموظفين مختلفين يتسلمون هدايا وكانت الموافقة تتم بقسم ، كما كان يعمل ختم اسطواني لتوثيق العقد .

ولقد ظلت عادة تقديم الهدايا بمناسبة شراء الأرض في عصر « مانشتوسو » ملك « إجاده » وظلت كذلك بعد سقوط بابل . وفي عهد الأكمينيين كان المشتري يضيف إلى الثمن الأصلي رداء ل « سيذة البيت » . وقد سجل مانشتوسو شروط بيع إقطاعات كبيرة مختلفة آلت إليه ، سجلها بالنقش على مسلة من الديوريت أورد فيها أسماء أصحابها السابقين والثمن المدفوع وتكليفها المقروض وحدودها . وكان يقدر « جان » الأرض في هذه الناحية من أجاده ب $\frac{3}{4}$ جور من الشعير بغير المباني المقامة للاستغلال . وكان جور الشعير يساوي شاقلا من الفضة . وكان الجحش يباع ب ٢٠ شاقلا أى أغلى أحيانا من العبد أو الأمة ذلك لأن العبد المتزوج كان يباع بشاقل من الفضة وخروف . وكانت مينا الصوف تساوي $\frac{1}{4}$ شاقلا ، وائاء الزيت سعة ١٠ قا بشاقل وكان سعر الفضة يعادل سعر النحاس ٢٤ مرة .

وحين كان يقوم نزاع حول صفقة بيع في أيام ملوك أور كان القضاة يطلبون إلى الشاري - إذا تعذر عليه تقديم لوجته - أن يؤدي القسم . ثم يؤيدون الصفقة وقد حدث هذا في السنة الثالثة من عهد جيميل سن في قضية خاصة بزراعة ١٢ نخلة بلع كبيرة باعها المدعو لونا نا أمام شهود بمبلغ ثلاثة شواقل من الفضة ثم أنكر ذلك .

وفي عهد الأسرة الأمورية - قبل حمورابي - لم يكن سعر الشيء البيع يذكر دائما ، إذ أن الدفع كان يتم عادة بالنقود فورا وكان العقد في الواقع عبارة عن إيصال . ومن عهد حمورابي بدى في تسجيل السعر أما الإضافات الأخرى التي كانت العادة قد جرت على دفعها علاوة على الثمن فيظهر أنها اختفت لفترة ما .

ولقد اشترى « وارادسن » و « بل رم يلى » معا ثورا بالناف بمبلغ $\frac{8}{4}$ شاقلا بموازين شماش . وكان الناف تحت تصرف أيهما ، كما أنه في حالة بيع الثور فانهما يقتسمان الثمن (١) .

وكان من يشترى عبدا يتسلم من البائع ضمانا بعدم وجود عيوب فيه تستوجب إلغاء البيع وكان الفريقان - قبل تنفيذ قانون حمورابي -

يتفقان فيما بينهما على مدة الضمانة التي يمكن تقديم أية مطالبة خلالها كما كانا يتفقان أحيانا على أن الضمانة دائمة . وقد حددتها المادة ٢٧٨ من القانون بشهر . وكان البائع مسئولا كذلك عن البحث عن العبد الذي هرب من بيت سيده الجديد مادام قد أخطر بذلك خلال ثلاثة أيام كما أنه يقدم ضمانة ضد القبض أو أى نزاع على ملكية الغير وعلى وجه العموم يجب أن يواجه أية مطالبة خاصة بالعبد المذكور .

وكان يدون فى عقد نقل (ملسكية) منزل مساحته والأماك التي تحده واسم البائع والمشتري والتمن المدفوع وصيغة عدم النقص والقسم بالآلهة والملك وقائمة بالشهود والتاريخ . وهذه صيغة عقد بيع بيت واقع فى مدينة سيبار (١) فى مفترق طرق حرر فى عهد سامسو ايلونا : « ٢ سار و ٤ جان أرضا مبنية الى جانب منزل « ايلي أويليم رابى » بن « شماش ناتسير » والى جانب الشارع . ناحية منه تطل على الشارع والأخرى على منزل « سيني دينام » اشتراها من يدى « ايلي أويليم رابى » ابن « شماش ناتسير » و « شماش بانى » بن « كشتى ننجزبدا » وقد دفع الثمن بأكمله وقدره ٢/٣ مينا و ٩ شاكل من الفضة . تمت الصفقة وقلبه راض . وسوف لا يتقدم أحدهما ضد الآخر بأية مطالبة فقد أقسما باسم « شماش » و « ايا » و « مردوك » و « الملك سامسو ايلونا » وآل اليه مقابل ذلك ٢ سار و جان » ثم يلى ذلك أسماء ١٢ من الشهود والتاريخ .

وكان البائع يبين أحيانا فى العقد أصل الملكية وكان عليه أن يسلم مستند الملكية أو يشير الى فقدانه وفى هذه الحالة الأخيرة كان ينص على تسليمه الى المشتري ان عشر عليه ، وأما ان أدخلت على العقار تعديلات فانه كان يشار الى ذلك لتلافى أى خطأ فى تحديده .

وفى « دلبات » كانت العقود السابقة لصدور قانون حمورابى تشير الى اقامة حفل يقرر فيه عدم امكان الرجوع فى العقد . كما هى الحال فى فرنسا اذ يشير اطفاء الضوء الثالث دون استرسال فى المزايدة الى انتهاء المزاد وكانت هذه هى ال « بوكانو » فقد كانت هناك عادة سوميرية قديمة - ترجع فى أغلب الظن الى فترة سابقة لتاريخ كتابة العقود تقضى باتمام الصفقة وذلك بدق مسمار فى الحائط . وفى حكم انتمينا - ايشماكو لاجش - كانت تبدي رغبة فى أن تكسر أسنان المدعى بوترد ان تبين أن سوء النية بين أسنانه (٢) . وكان القسم يتم باسم الآله المحلي والملك

LXXI,

LXXV, No. 61.

(١)

(٢)

الحاكم . ويظل المالك السابق ملزما بمراجعة كل دعوى استرداد قد تقام . وهناك ستة عقود من هذه الفترة تبين مساحة المنزل - وفي نفس الوقت ، ثمن نقل الملكية . وقد قدر ثمن مبنين مساحتهما ٢٠٨١ رمترا و ٤٧٠٤ رمترا مربعا بمبلغ ٢٥ و ٣٪ شاقلا على التوالى أى بواقع ستة شواقل لكل سار فى الحالة الأولى و ١٨ و ٣٪ شاقلا فى الحالة الثانية . ومع ذلك فانهما لم يكونا واقعين فى نفس المدينة فحسب بل فى نفس الحي كذلك . والواقع أن الأول كان محصورا بين مجموعة من المساكن بينما كان الثانى يفتح على السوق مباشرة وكان له « باب وعارضة » وكانت المباني الأربعة الأخرى تعتبر « ميانى ذات آبار » وكان يميزها اصطلاح « أى بور بال » وكان أصغرها يحتل مساحة ١٧٦ رمترا مربعا وقد قدر بأعلى ثمن - ٢٣ و ٣٪ شاقلا للسار - ذلك لأنه كان مجاورا لمسكن المشتري مما زاد فى قيمته . أما الأخرى فتختلف مساحتها بين ١٣٥٢ رمترا و ٣٠٨٤٢ رمترا مربعا وقد بيعت على أساس ثمن السار منها ٨٤ رمترا شاقلا ، ٢٦٢٩ رمترا شاقلا ، ١١٦٦ رمترا شاقلا . وقد ورد فى أحد العقود ذكر لأصل ملكية العقار وقد أحضر البائع معه شاهدا نفس الرجل الذى كان قد اشترى منه العقار من قبل .

وفى السنة العشرين من حكم آشور بانيبال بيع منزل فى أوروك وقد كان حسن البناء بعضادته (حزام الباب) وبابه ومزلاجه وكان مسورا من الداخل وليس له باب على الشارع . ولم تبين المساحة فى العقد ومع ذلك فقد بيع الى أحد الملاك المجاورين بحالته ب مينا و ١٥ شاقلا من الفضة « بيع وتم تسليمه ودفع ثمنه » لن تقوم بشأته أية مطالبة فالصفقة نهائية ولن يحاول أحد الطرفين أن ينازل الآخر فى شأنها وتتخذ - علاوة على ذلك - الاحتياطات اللازمة ضد أى شخص قد يوجد نزاعا فى المستقبل سواء أكان أخا أم ابنا أم قريبا . . . أكان ذلك مباشرة أم عن طريق الغير . . . انه يعرض نفسه لدفع ثمن العقار ١٢ ضعفا وقد حرر هذا العقد طبقا للصيغة الآشورية (١) ونفذ أمام خمسة من الشهود ومهره البائع وحده بختمه ووضع علامة على الطين بظفره .

ولعل أكثر عقود البيع إثارة للالتفات تلك العقود التى ترجع لعصر البابلية الجديدة والتى تخص العبيد . فان الخادم كان يسلم بضمانة ضد الهرب وضد المطالبة بحق عليه : الارادشاروتو ، والماربانوتو . وكان البائع يحمس نفسه بقدر الامكان ضد ما يمكن أن يحدث من مطالبات باتخاذ المالك السابق وورثته كشهود أثناء اتمام الصفقة .

وكانت الإرادة شاروتو هي خدمة الملك ولسنا نعرف على وجه التحقيق على من كانت تسرى ولا مدى الامتيازات الناجمة عنها . أما الماربانوتو ، فكانت تخص حالة الشخص الذي يرجع أصله الى رجل حر أو محرر يوما ما ولقد استند العبد بريكيل (١) الى هذا الامتياز وأقام الدعوى ضد رجل الأعمال « اتى مردوك بالاتو » الذي اشتراه في العام السابع من حكم نابونيد . ولقد عرض الأمر على المحكمة وتبين لسوء حظ الشاكي أنه بيع في العام الخامس والثلاثين من حكم نبوخذ نصر بمقدار ٢٨ شاقلا الى « اهنورى » وأصبح بعد سنوات أربع من متعلقات المرأة « جاجا » ثم أعطى رهينة على قرض قدره (٢٠ شاقلا) ثم تضمن في بائنة « نوبتا » ابنة « جاجا » ثم انتقل عن طريق التبادل الى أيدي ابن وزوج « نوبتا » اللذين عرضاه مرة أخرى للبيع في السوق ولقد جمعت اللوحات التي تتصل بظروفه هذه وقرئت ودعا القضاة الشاكي الى عرض حججه ولكنه اضطر الى الاعتراف بصحة المستندات المقدمة ضده ، وقرر بأنه لا حق له في الانتفاع بمزايا ال « ماربانوتو » .

وبمجرد دفع ثمن شراء العبد كان هذا الأخير يصبح ملكا لسيده الجديد الذي يتحمل الخسارة الناجمة عن الوفاة أو ينتفع بالمزايا التي تترتب على الولادات . وقد نص على ذلك في عقد من السنة السابعة لحكم قمبيز . وقد أعاد « مردوك بالاتو » بيع أمة وطفليها الى « هابا تسيرو » وكان قد اشتراهم منه في العام السابق ولكن لسبب ما لم يكن هذا قد سلمهم . وفي اليوم الذي يرسل فيه « هابا تسيرو » مندوبيه الى « اتى مردوك بالاتو » فان الأخير سيعطي العبيد الى مندوبي « هابا تسيرو » في بابل . أما العبيد الذين يموتون أو يولدون فيما بينهم فانهم يخصون هابا تسيرو » (٢) .

٥ - التبادل (المقايضة)

التبادل اتفاق يرجع في أصوله الى عهد أقدم من عهد البيع وكان المرء يستطيع بواسطته أن يرتبط بنقل ملكية سلعة الى آخر مقابل تسليم سلعة أخرى . وكان للبيع والتبادل في آشور عقود لها نفس الصيغة . أما في بابل فقد كان التبادل يجري على حدة . وفي عهد قمبيز نجد أن نفس الأمة وطفليها الذين أعاد شرائهم في العام السابع سيدهم السابق

CXIV, NBn. 42.

CVI, t. II, p. 40.

(١)

(٢)

هاباتسيرو كانوا منذ عهد قريب قد استبدلهم اتى مردوك بالاتو بمنزل .
 وفى العام الثامن من حكم كيروش استبدل رجل عبدا - كان قد اشتراه
 للتو - ببسائة زوجته . وغالبا ما كانت قيم الأشياء المستبدلة غير
 متكافئة . وكان على المتعاقد صاحب الكفة الراجحة أن يدفع معدلا ونحن
 نجد مثلا لذلك فى دلبات (١) فى عهد « سن موباليت » تضمن فقره
 جزائية ضد أى الفريقين الذى ينقض الاتفاق « ١/٣ سار ١/٣ من بيت
 بوربال المجاور لمنزل ناويرايا والمجاور لمنزل انايلى واحدى واجهتيه تطل
 على منزل ناهيل والأخرى على السوق الكبيرة : منزل مردوك موباليت
 - (سار) من منزل بوربال . منزل اداد ايلو المجاور لمنزل لاما المجاور
 لمنزل اداد ايلو : احدى واجهتيه تطل على منزل واراد أوراش والأخرى على
 منزل ايلي ٠٠٠ : بيت اداد ايلو - تبادل « اداد ايلو » و « مردوك
 موباليت » منزليهما . وأعطى « اداد ايلو » الى مردوك موباليت ١/٣
 شاقلا ، ١٢ قمحة من الفضة كمعدل ومن يتنازل فانه يقدم بيتا ببيت .

٦ - الاستئجار

الاستئجار عملية يقدم عن طريقها شخص الى آخر مزية استعمال
 شيء لفترة محددة من الزمن مقابل دفع مبلغ يتفق عليه . وقد نص قانون
 حمورابى على استئجار القوارب والحيوانات والأهراء والبيوت والعربات
 والأرض والخدمات ٠٠٠ الخ .

وكان ثور الحرانة يقدر بـ ٤ جور من الشعير فى السنة على حين كان
 ثور الجر بثلاثة جور فقط وكان هذا هو الثمن الذى دفعه فى دلبات (٢)
 قبل صدور القانون المدعو هوزالوم عن ثور من أملاك شماش وزوجه ايا
 « استأجر هوزالوم بن ناهيلوم ثورا - ثورا لشماش وايا لمدة عام .
 وإيجارة السنة ٣ جور من الشعير ويكيلها يوم المحصول » وكان استئجار
 الثور يوما لدرس الحبوب ٢٠ قا وهو أجر مرتفع جدا يوازي ٢٤ جورا فى
 السنة ان نحن غضضنا النظر عن استحالة تكليف حيوان واحد بمثل هذا
 العمل مدى عام كامل ، وضرورة الاسراع فى تمام العمل حتى يوضع
 المحصول فى مأمن .

وكان الجحش يستأجر بـ ١٠ قا فى نفس الظروف أى بنصف ايجار
 الثور وكان المستأجر مسئولاً عن الحوادث الا فى الظروف القهرية أما اذا

XLVI, No. 25.

(١)

XLVI, No. 45.

(٢)

نفق الحيوان أو أصبح غير قادر على العمل بسبب الإهمال أو بسبب الضرب فإنه يكلف بأن يعرض رأسا برأس . واصابة العين تنزل الى النصف قيمة الثور أو البجش وكسر القرن أو صلح الذيل أو اصابة الرأس تفقد الحيوان ثلث ثمنه فقط .

ولقد فرق القانون بين ثلاثة أنواع من القوارب : فقوارب التعدينه كانت تستأجر بثلاث قمحات من الفضة في اليوم . والقارب السريع بقمحتين ونصف وأما القارب حمولة ٦٠ جورا فيستأجر ب $\frac{1}{4}$ من الشاقل وكان عامل القارب يؤجر عن خدماته في السنة بأجر متوسطه ٦ جور من الشعير والعربة ذات الثيران والسائق كانت تستأجر ب ١٨٠ قا من الشعير يوميا أما العربة وحدها فأجرها ٤٠ قا .

أما العامل الزراعي - شأنه في هذا شأن راعي الماشية والأغنام - فكان يستأجر بأجر سنوي قيمته ٨ جور من الشعير . وسائق الثور ب ٦ جور أما عامل المياومة فكان يكتسب ٥ أو ٦ قمحات يوميا تبعا لموسم العمل . وقد حدد القانون أيضا أجور العمال اليدويين فأجر النجار - وهو الأجر الوحيد المؤكده - ٤ قمحات يوميا وكان استئجار العبيد معروفا كذلك بين السوميريين القدماء . وكان الرجل الذي يأخذ عبد رجل آخر في خدمته يصبح - كما هو الشأن فيما يختص بالحيوانات - مسئولاً عن هرب الخادم وموته وعجزه المؤقت أو الدائم بل ومرضه كذلك ، وكانت قيمة الاستئجار أصلا محددة ب ١٠ قا من الشعير يوميا .

وكانت الأرض الصالحة للزراعة تؤجر لمدة معينة هي ثلاث سنوات عادة - وأحيانا لسنة واحدة - وهالك مثلا من دلبات (١) : ٣ جان و ٧٠ ليت ٠٠٠ من حقل واقح في اقطاعية ٠٠٠ المجاورة لحقل سن ايلو وحقل ليت ٠٠٠ و (١٠ جان من حقل باب اداد المجاور لحقل ايبق عشتار وحقل اتيل بي ٠٠٠ ومجموعها ١٣ جان و ٧٠ سار من ايدي « ايلي اريشا » ابنة « ناهيلوم » و « هوزالوم بن ناهيلوم » تزرع هذه الأرض سمسما وشعيرا وقد أجرت لعام واحد وكان الدفع في موسم الحصاد من المحصول نفسه - وفي عهد نبوخذ نصر الثاني أجرت زراعة نخيل مدى ١١ سنة (٢) وكان محصول الأرض كلها والأشجار مدى أربع سنوات من حق المستأجر وفي السنوات الثلاث التالية كان نصيب المالك الثلث ، أما فيما بين السنتين الثامنة والحادية عشرة فلم يتسلم سوى الربع (٣) . وكان المخزن يؤجر

XLVI, No. 39.

CXIV BNK, 90.

XLVI No. 28.

(١)

(٢)

(٣)

عاما عاما ولدينا مثل على ذلك من دلبات ولكن العادة جرت في أغلب الأحيان على ايداع المحصول في مخزن وكان الأجر يقدر بالنسبة لكميته المخزونة : وقد حدد قانون حمورابى تسعير ذلك ب ه قا للجور أى ١٦٦٪ .

وقد تضمن القانون المشار اليه كذلك بنودا تتصل بتأجير المنازل ولم يبق منها سوى مادة واحدة . ويظهر أن المستأجر كان ملزما بالدفع مقدما وكان من الممكن طرده قبل نهاية الايجارة على أن يتسلم تعويضا متفقا عليه مقابل ذلك وقد اختفى حق الاخلاء في العهد البابلى الجديد وان ظل محتفظا بطريقة الدفع مقدما . وفى السنة الأولى من حكم قمبيز أجر منزل بخمسة شواقل فى العام تدفع على دفعتين متساويتين فى أول السنة وفى الشهر السابع . وقد حددت الاصلاحات الخاصة بالعين المؤجرة كما حدد تعريض قدره ١٠ مينا عن الخسائر يدفعها الطرف الذى يخل بالاتفاق .

٧ - القرض (السلفة)

يحدث فى كل مجتمع منظم أن أحد أفراده يجد نفسه مضطرا الى الالتجاء الى الآخرين والاستدانة منهم لفترة طويلة أو قصيرة مالا أو نوعا ما يحتاج اليه كى يستغله فى صناعته أو يسد به حاجته . ومنذ أقدم العصور حتى الامبراطورية الفارسية ظل التشريع البابلى فى هذا الصدد وطيدا فى صورة تدعو الى الدهشة : فالى جانب القروض بدون فائدة وبنص جزائى أو بغير نص لا سيما فيما يختص بالمواد الاستهلاكية ، سمح هذا التشريع بالقروض ذات الفائدة وحدد سعرا أعلى للفائدة ظل لا يتغير مدى ألفى سنة وكانت الفائدة تسمى سبتو Sibto « النمو - زيادة رأس المال » وهكذا ظهرت فرصة الاستثمار حيثما كان رأس المال المعار قابلا للزيادة اللهم الا فى حالة « الظروف القاهرة » التى يمكن اثباتها .

ولقد أقر قانون حمورابى (١) عادة كانت قائمة تحت حكم ملوك اور وحدد فقط مادتين يمكن أن تكونا محلا للاعارة هما الشعير والفضة مع أخذنا « الشعير » هنا بمعنى واسع للدلالة على أى نوع من الحبوب بل وأى نوع من المحاصيل (كالبلح مثلا) التى كانت كلها سواء بالنسبة للمشرع

XXVII. t. V et. I, yt. XIII.

(١)

نظرا لأن سعر الفائدة لم يكن يختلف : وهناك عقد من السنة الثالثة لحمورابى خاص بقرض شعير وبلغ فيه الدليل على ذلك .

وكان الشعير أهم سلعة للتبادل فى هذا الاقليم ذى الأهمية الزراعية وحيث كان يغل بأكثر وسائل الزراعة سذاجة ٣٠ أو ٤٠ ضعفا . وهو الى جانب ذلك الغذاء الرئيسى للانسان والحيوان لدرجة أنه كانت تدفع به لا أجور العمال فحسب بل وأجرة حيوانات الحرث وحتى مرتبات بعض الموظفين .

وفى عصر أور كان السعر المعتاد للقرض من الشعير $\frac{1}{3}$ فى السنة أى ثلث رأس المال وقد ظل هذا السعر قائما فى قانون حمورابى الا أنه أخذ فى الانخفاض بعد ذلك . وفى عصر البابلية الجديدة عندما شاعت القروض بالفضة نزل هو كذلك الى نفس سعرها . وقد حدد هذا فى كل العصور ب ٢٠٪ فى السنة أى خمس رأس المال .

ومع ذلك فقد كانت هناك حالات - نادرة جدا على كل حال - يطلب فيها القرض فائدة أعلى . ولدينا مثال من عصر أور وآخر من العهد البابلى بلغ فيهما سعر الفائدة لقرض من الفضة ٢٥٪ وغالبا ما رضى الرأسمالى بفائدة أقل وهو فى هذا كان ينهج نهج الدولة التى كانت تمنح القروض المالية بفائدة ١٢٪ أو نهج أولئك الذين يديرون شئون المعابد ممن كانوا يطلبون أقل من ذلك . وقد اعتاد الاله شماش اله سيبار أن يقرض الشعير بفائدة قدرها ٢٠٪ وبعد سنوات قليلة كان يقرض الفضة بفائدة مقدرة على أساس $\frac{1}{3}$ من رأس المال ، أى بفائدة تقل عن ثلث السعر القانونى للفائدة .

ولحماية المستدين من المرابين أمر حمورابى أن يكتب عقد القرض ذى الفائدة فى حضور موظف كان مكلفا منذ عهد أور بمعرفة ما يسلم من أموال وحبوب وحيوانات وسلع من مختلف الأنواع . ومنذ ذلك العهد اعتبر كل عقد يكتب ويختتم - حين لا يكون الاشراف قائما - ملغيا من تلقاء نفسه وكأنه لم يكن . وليس للمقرض أى حقوق للمطالبة بما أقرضه فكان الطرفان المتعاقدان قبل تقرير هذا الاجراء القانونى يعترفان عادة بأن التسليم تم على يد « رجل عادل وصادق » وقبل ذلك وبعده كان الطرفان يقرران فى كثير من الأحيان أن الوزن والمكيال سيجريان بالأوزان والمكاييل الرسمية المحفوظة فى قصر الملك أو فى معابد الآلهة .

ورغم حضور الموظف المختص فانه كان من المحتمل تحرير العقد على وجه يحتال به على القانون ترفع به الفائدة الى سعر أعلى من الحد المرخص

به فى القانون وفى هذه الحالة كان الاتفاق يعد لاغيا ان عرف هذا التحايل ويفقد الدائن حقه فى الدين ولكنه يحتفظ بالفائدة التى تسلمها • أما المدين فلا تتخذ ضده أية اجراءات •

وقد احتاط قانون حمورابى ضد الدائن غير الشريف الذى تسلم الفائدة ولكنه ينكر ذلك بقصد مضاعفة ربح قرضه • ولسوء الحظ لم يصلنا النص الجزائى • وكان الأمر يتطلب على أية حال تحرير لوحة جديدة يحدد فيها أصل الدين وما يتبقى على المدين • وحين لا يستطيع الدائن غير الشريف أن يتهرب من هذا الالتزام فإنه كان يسعى جهده كى ينتفع منه فى سبيل أهدافه الربائية - من ذلك أنه كان يخصم الفائدة التى تسلمها فعلا ولكنه كان يعنى فى الوقت نفسه بأن يضيف فى الأصل الجديد قيمة الفائدة - التى لاتزال واجبة السداد - الى رأس المال وبذلك يجعل المدين يدفع فائدة الفوائد أو بعبارة أخرى يحصل على فائدة على أساس سعر أعلى من السعر القانونى • وكانت العقوبة فى هذه الحالة الزام الدائن بأن يدفع ضعف مقدار المبلغ الذى تسلمه بغير وجه حق • ولئن لم تكن هذه العقوبة أشد فربما كان سبب ذلك أن المشرع راعى أن المدين قد أهمل بعض الاهمال فى تأدية واجبه الذى كان يحتم عليه أن يحقق الأرقام المنقوشة على اللوحة وأن يعارض فى أعمال الغش التى أصبح ضحية لها •

وكان استعمال موازين ومكاييل زائفة سواء فى تسليم القرض أو دفع الدين يعرض الدائن لسقوط حقه •

وكذلك نرى أن المدين الذى يحميه القانون من كل تصرف غير شريف من قبل المقرض يستطيع أن يحصل على تسهيلات للدفع حينما يكون من المستحيل عليه أن يرد الدين النوعى فان كان قد استعار مالا وكان لا يملك منه شيئا بينما يكون لديه بعض الشعير فإنه على الدائن أن يتقبل الشعير وان كان له أن يسدد فائدة قرضها $\frac{1}{33}\%$ وهى الفائدة الرسمية للشعير بدلا من $\frac{20}{100}\%$ أقصى فائدة للفضة • أما اذا لم تكن لدى المدين فضة أو شعير فان فى استطاعته أن يقدم أية سلعة يمتلكها ليتخلص من ربة الدين ، وعلى المقرض أن يتقبلها ان كان العرض قد تم فى حضرة شهود • أما حين لا يكون هناك شئ يستطيع المدين تقديمه لسداد الدين فهناك مجال لعقد جديد يتفق الطرفان على فحواه ولا يعتبر هذا العقد عقد قرض بفائدة •

٨ - الرهنون

لم يقصر المشرع رعايته على المدين وحده لأنه كان من العدالة أن يضمن للمقرض حقه في استعادة رأس المال والفائدة ولذا فإنه سمح له أن يطلب رهنا أو ضمانا .

ولقد نظم قانون حمورابي رهن الحقول فكان لكل من يتسلم حقلا غير مبدور بصفة رهن ليزوجه الحق في أن يأخذ وقت الحصاد ما يعادل القرض مضافا إليه الفائدة ونفقات الزرع . أما ان كان قد أخذ حقلا مبدورا فليس له حق مباشر على المحصول ، بل ان من حق صاحب الأرض أن يبيعه قبل أن يسدد للدائن .

وعلاوة على ذلك كانت توجد أنواع أخرى من القروض مقابل رهن ففى حكم « سامسو ايلونا » أقرضت كاهنة إحدى زميلاتهما قدرا من المال يساوى ثمن حقل وذلك مقابل اتاوة سنوية وهدايا فى أعياد معينة وكان الضمان الحقل نفسه الذى يصبح من أملاك الدائنة مقابل الدين المقدم ان لم تف المدينة بالتزاماتها . ولقد انتشر رصيد الرهن انتشارا كبيرا خلال عهد البابلية الجديدة . وكان سداد الفوائد وكذلك الدين يحدث أحيانا عن طريق استعمال الرهن المودع لدى الدائن . . . من ذلك - الى حد معين - قضية الخباز « اينا تسيلى بابى رابى » الذى ألزمه أبوه أن يخدم السيدة « اها تا » سدادا لقرض قدره ٤٢ شاقلا من الفضة (١) ولقد ظل فى خدمتها مدى عشر سنوات اذ أن خدمته كانت مقدرة على أساس أجر يومى قدره ٦ قا من الشعير استهلكا للمدين . ومما هو جدير بالذكر أن القانون عدل ففى أيام الأسرة الأولى كانت العبودية الجثمانية لا تمتد لأكثر من ثلاث سنوات أما الآن فليس لأمرها من حدود ما لم يتيسر السداد .

وكان من الممكن استعمال المنقول وغير المنقول رهنا كالزوجة والأطفال والعبيد والحقول والمنازل والقروض وأدوات المنزل . . . وفى السنة الحادية والعشرين من حكم نبوخذ نصر الثانى استعار « بابيا » وزوجه « شاناناشى » « مينا » من الفضة من « نابوبان أهى » وقدمتا له ضمانا لذلك بابا من أبواب هسكن البواب لبوابة ساليمو وكان الخشب نادرا كما هى الحال فى أيام الأسرة الأولى وكان الباب شيئا له قيمته ومع ذلك فقد أضافا إليه « كل ما كانوا يملكون فى المدينة والقرية » مع النص على السلع بمواصفاتها التى لا يستطيع دائن آخر أن يدعى حقا عليها قبل انتهاء أجل

(١) راجع صفحة ٨٤ .

الدين (١) ولقد فعل نابو باللاتسى أقبى نفس الشيء حين استعار نصف مينا من الفضة من جاميللو بفائدة قدرها ٢٠٪ وذلك في السنة السادسة عشرة من حكم نابونيد وقد رهن بيته ونص في مستند البرهنية على أنه : « لا حق لأى دائن آخر على هذا البيت حتى يتم السداد » .

وإذا حدث أن اقترض رجل عدة قروض متوالية من نفس المقرض فإن هذا الأخير كان يعنى بأن يورد فى اللوحات الجديدة ذكر القروض السابقة تلافيا للخلط بينها وبين القرض الأخير وهكذا نرى « ادين مردوك » يقرض « نابو اهيدين » نصف مينا فى التاسع من يسوان من السنة الثامنة من حكم نابونيد ولقد كتب « لقوال أخرى يسلمها - أي نابو اهيدين - » وفى العام التالى فى ٢٤ نيسان أعطاء $\frac{1}{3}$ مينا و $\frac{2}{3}$ شاقلا من الفضة وذكر أنه كانت هناك سلف أخرى سابقة دون إغفال ذكر فوائدها كذلك . وفى التاسع من كيسلو أعطاء (٤٥ جور) من الشعير بفائدة ٢٠٪ وفى هذه المرة أشار المقرض : « يضاف الى ذلك القروض السابقة » (٢) .

وهناك عقود ثلاثة مؤرخة بالسنة التاسعة من حكم الملك نابونيد تبين كيف أنهم كانوا من الناحية العملية يفكون الرهن الذى قد يكون المقرض نفسه رهنه ضمانا لقرض آخر فلقد استعار نابو تولتابشى ليشير ٣٥ شاقلا من الفضة من السيدة بنانوتوم وأعطاها أمة كرهن . ولما كانت بنانوتوم وزوجها فى حاجة للمالهم فانهما طلبا من ابنا ايساجيل بعليت قرضا قدره ٣٠ شاقلا وسلماه الأمة وباع نابوتولتابشى ليشير ثلاثة خدم بما فيهم الأمة المرهونة الى ادين مردوك مقابل ٢ مينا و ٥٠ شاقلا . وفى الحادى عشر من آذار (مارس) طالب ادين مردوك من موله أن يدفع ٣٥ بنانوتوم وهذه بدورها خلصت الأمة بأن سددت دينها الى ابنا ايساجيل بعليت . وفى الخامس عشر من آذار تسلم نابوتولتابشى ليشير باقى ثمن البيع ولكنه أعطى مع ذلك مخالصة كاملة عن المبلغ كله مادام وكيل الأعمال قد أعاد اليه لوحة القرض الذى كان قد أخذه من السيدة بنا نوتوم (٣) .

ولم يكن الرهن يحول دائما الى المقرض ولم يكن له فى أحيان كثيرة حق فعلى عليه الا من التاريخ الذى يستصدر فيه حكما من المحكمة بالاستيلاء عليه وذلك فى حالة عدم استطاعته استرداد الدين . وهذا

CXIV NBK. 129.

CXIV, NBN 294, 325, 369.

CXIV, NBN 390, 391, 395.

(١)

(٢)

(٣)

ما حدث قتيما يختص بالباب الخاص بـ « بابينا » أما إذا كان الرهن قديم سلم
فأنة كان هناك مجال لعقد اتفاقية بشأن الأرباح التي قد تنتج من استغلاله
وشروط هذا الاستغلال .

وكان الرهن أحيانا يستطيع أن يسدد رأس المال والفائدة معا ، ففي
آخر خدمة ايننا تسيللى بابى رابى حسب متجنوع الفائدة ولم يكن استهلاك
سبينوى .

ولقد استعاز « شاييك زر » من « شولا » ورهن بيته وقدم شولا
تليعيشن فيه ولم يكن على « شولا » أن يدفع ايجارا أو على « شاييك زر »
أن يدفع فوائد . حينئذ اعتلن الأيجار مساويا لفائدة المبلغ المقرض . وفي
السنة الثالثة من حكم كيروشن وضع « بعل أوبالليت » ١ مينا و ١٣ شاقلا
تحت تصرف « نابو زر اقيشما » وقد أعطى له هذا الأخير عبدا لقاء الفائدة .
وفي السنة المتابعة عشرة من حكم دارا رهن حقل كان يأخذ منه المقرض
أرباحه وقد نص في العقد على أن يظل المدين ملزما بدفع الفرق في حالة
عجز المحصول عن الوفاء بالاطواب .

وكان في استطاعة عدة مدينين أن يتعهدوا متضامنين ففي السنة
العاشرة من حكم دارا ضمن زوجان معا قرضا برهن كل ما يملكان من
أموال .

وكان من الممكن أن يعحول الرهن الى طرف ثالث فلقد أعطت السيدة
« بنانانوم » أمة كانت قد تسلمتها من « نابوتولتا بشى لتسير » الى « ايما
ايساجين بعليت » وتوضح اللوحة المركز الحقيقي لهذه الأمة « شولا
مدينينى - أمة نابوتولتا بشى لتسير - ضمان بنانانوم » كما أن « شولا »
عقد قرضا مع « نرجال أوبالليت » وأعطاه ضمنا البيت الذى كان قد
أخذه من « شاييك زر » وأضاف اليه كل أملاكه في المدينة والقرية وكذلك
عبدا .

٩ - الضمان

كثيرا ما لا يضمن الرهن سوى الفوائد الخاصة بالقرض أما رأس المال
فكان يكفله الضمان (١) ٠٠٠ فلما كان « بعل أوبالليت » ، مثلا ، غير قانع

تُعبد « نابوزر اقيشبا » فاته طلب ضمانا من « موشاليم مردوك » فضمن
 هذا الأخير رأس المال بكل ممتلكاته ، وفي دلبات في السنة السادسة
 والعشرين من حكم دارا استدان « موشاليم مردوك » آخر مبلغ ١٠ مينا
 نقدا من معبد انو لمدة شهر وضمنه « ساقاي » و « نابو بالتسو » فان
 استطاعا في اليوم المحدد أن يحضرا « موشاليم مردوك » ويجعلاه يستند
 دينه أخليا من الضمان والا فانهما يلزمان بالسداد طبقا للشروط المعينة .

وكان من الممكن أن يكون الضمان مشروطا ولا يسرى مفعوله الا في
 ظروف خاصة ففي حالة « قدما المدين خارجتان عن يدى الدائن » مثلا فان
 معنى هذا الاصطلاح القانوني اختفاء المدين وعدم استطاعة الدائن الحجز
 عليه . وفي السنة الثالثة من حكم كيروش ضمننت المرأة « دينيتوم »
 « فدمى نابوزر لشير ان خرجتا من يدى جيميل شماش » فأصبحت ملزمة
 بأن تدفع ٣٥ جور من السليح - وهو ما يعادل بقية دينه - ان هو استطاع
 الهرب .

وفي أيام الأسرة الخامسة كانت العادة أن يقدم ضمان حين كان
 الموظف عند تعيينه لا يستطيع أن يباشر أعمال وظيفته الا بعد تاريخ
 التعيين . وهاك المثال التالي من سيبار في عهد سامسو ايلونا ، فان
 « سيباز ليبير بمحض اختياره وبناء على طلبه استخدمه امجوز شماش
 وقد تسلم أجره عن شهر شاقلا من الفضة ٠٠٠ سوف يأتي ولا يذهب
 ٠٠٠ تعهد ملكي : (والا) فانه يدفع هذا المبلغ . يده (ضمانه) » ادين
 داجان « بن « شماش رابي » (١) فاذا حدث فيما بعد أن اضطر ادين
 داجان لاطلاق سراح سيباز ليبير لأنه لم يحافظ على تعهده فانه يقال انه
 « سحب يده » (٢) وهذا اشارة الى ما معناه أن يد الدائن التي كانت
 تستطيع أن تقبض على المدين لاستعباده والتي استبدلت بالضمان في
 احتفال رمزي ضربت أثناءه المدين على أعضائه الخلفية لتضعه تحت
 حمايتها .

أما المدين الذي يتعذر عليه سداد الدين في الموعد المحدد فقد كان من
 الجائز استعباده . وغالبا ما كانت تقوم اتفاقية لدفع تعويض . أما ان
 كان مدينا لعدة دائنين وكان واحد منهم قد استعبده، فقد كان من حق الآخرين
 مقاضاته . واذا كانوا من مدن مختلفة فإنه يتجهتم عليهم أن يقيموا عليه
 الدعوى أمام محكمة بابل : وكان للمدين المعسر من ناحية أخرى الحق في

LXXI, No 276.

I, t. XIV.

(١)

(٢)

استبدال نفسه بزوجته أو أطفاله (مادة ١١٧) لمدة أقصاها ثلاث سنوات أو بعيد أو أمة (مادة ١١٨ ، ١١٩) مع الاحتفاظ بحق استرداد الأمة التي امتنسلها عن طريق الشراء . وكان يسمح له كذلك - بموافقة دائنيه - أن يحول ديونه لابنه وحالما يحرر العقد ويقبله الدائنون يفقدون الحق في ادخال أى تعديل عليه .

١٠ - الوديعة

الوديعة هي العملية التي يعهد فيها شخص بمنقول إلى آخر ليعنى به مجانا على أن يعيده عند الطلب وقد نظمها قانون حمورابى شأنها فى ذلك شأن القرض .

وكان يوجد نوعان من الودائع : وديعة المحصولات ووديعة الأشياء الأخرى أما فيما يختص بالمحصولات المودعة فى شون أو مخازن ، فإن القانون قد حدد ايجار الشونة أو المخزن بخمسة قائل للجور (١٢٪) واعتبر صاحب المبنى مسئولا عن التلف . وفيما يختص بإيداع الأشياء الأخرى كان القانون قد قضى بأن يصحب الايداع تحرير لوحة بحضور شهود يذكر فيها المودع التزامات المودع لديه ، وليس للغير أية صفة دون ترخيص من المودع للاستيلاء على المحصولات أو الأشياء الأخرى المودعة بقصد استرداد ما قد يكون على المودع من دين لهم . فإن فعلوا فإنهم يفقدون كل حقهم فى الدين ويلزمون باعادة ما استولوا عليه . وكان المودع لديه مسئولا عن اختفاء الوديعة كما من الممكن أن يتم اتفاق بينه وبين المودع على استعمالها على أن يعيد قدرا مساويا لها الى مكانها نفسه أو فى أى مكان آخر يحدد .

١١ - المعبد - الادارة الزمنية

لم يكن المعبد فى بابل مكانا للعبادة والصلاة فحسب بل كان كذلك عنصرا هاما ، للادارة الزمنية . وكان الأمر يتطلب موارد ضخمة لاطعام موظفى الادارة الذين يعملون فى خدمة الاله وللقيام باصلاح المباني التى تتخرب بمرور الزمن أو التى يجتاحها العدو . وكانت لاله اراض تجمع محصولاتها وترعى فيها قطعان الماشية . وأما فى المدن فكانت له الأهرام والمخازن حيث كانت تكس أيضا تقدمات الأمراء والمؤمنين ونصيبه من الأسلاب بعد النصر . وكذلك كانت له فيها أبنية من كل نوع .

ولقد كشف في تالو عن أجران لـ « انيننو » بناها الملك المسن أورنيننا^(١) ولدينا من عصر لوجالاندا حسابات منتظمة هي دليل على تنظيم ديني متقدم، وهي تحوى قوائم المدفوعات الشهرية لخدم الباو Baou مع ذكر المخازن، التى سحب منها الشعير اللازم وكذا سجل لخدم ضيعة الاله - ١٤٥ وجلا و ٣١ امرأة مع بيان نصيب كل منهم واسماء الوسطاء ان مست الحاجة الى ذلك والأجور المدفوعة مقدما وحالة الصيادين البالغ عددهم ٤٤ وقائمة بعربات وأمالك الاله وطعام الحيوانات (١) - وكان لمعبده انليل فى عصر أور. متنزه ضخيم على مسيرة نصف ساعة من نيبور حيث كانت تفيض عليه الالتزامات (الضرائب) من المدن والايشاكوهات (٢) - وفيما بعد - فى سيار مثلا - نجد خزانة المعبد تمنح قروضا من مال وحبوب وحين كانت تقدم أحيانا للفقير أو المريض لم تكن تطلب عنها فائدة وهى تخضع لمطلب الاله من تعويض حين يتم الشفاء أو عند معاودة الحظ والسماح بسداد الدين (٣) وكان القادرون يتعهدون عن طريق النذر بتقديم تقديمة فى يوم شفاء من يهتمون بهم من المرضى وعند تقرير قرض بفائدة كان من النادر أن يطلب المعبد الفائدة القانونية بل غالبا ما كان يقنع بنصفها أو ثلثها على الأكثر - ويظهر أن كل معبد كان مقرا للعدالة وكان الكهنة يستمعون عند بوابته الى الشهود وينطقون بالحكم - وحين لم يكن من المستطاع تقديم مستند مكتوب الى المحكمة المدنية أو الدينية - فى حالة فقدان عقد مثلا - فان القسم كان يتم من أحد الفريقين - المدعى عليه غالبا - وكان هذا القسم يؤدي فى المعبد كقاعدة -

وكان كثير من الوظائف فى المعبد وراثيا وان كانت أحيانا تباع أو تؤجر - وفى زمن حمورابى كان من الممكن أن يجد الوريث من نصيبه فى التركة ايرادا معيننا عن فترة ٦ أو ٨ أو ١٥ يوما فى السنة أو كهانة لمدة محدودة - وهناك باشيهو - ووظيفته مسح التماثيل الالهية ومواد العبادة بالزيت - باع وظيفته وحقلا بمقدار عشرة شواقل من الفضة وكان كبار موظفى الدولة يؤخذون من هذه المعابد التى كان يفخر الأمراء بأنهم يشغلون وظائفها المقدسة - وفى ظلال المعابد كانت تقوم المدارس التى تخرج الكتاب - ومن الثابت أن الكتابة وجميع المتون من كل نوع كان يعهد بها لرجال الدين وهى التى كان لها الفضل فى احياء الحضارة البابلية -

LII.

(١)

LIII, LVI

(٢)

LXXI No. 76 ; I, t. XIII, p. 202.

(٣)

الكتاب الثالث

المعتقدات والحرف

الفصل الأول

الدين

١ - الآلهة

لا يزال من الغسير أن نحدد في الدين السوميري الاكادي ما يرجع أصله إلى العنصر السامي من السكان وما هو من أصل سوميري ذلك لأن العقائد الأصلية قد استقرت كما أن الطقوس جرت في خطوطها الرئيسية منذ بدء التاريخ وكانت اللغة السوميرية تستعمل في العبادة حتى بعد اختفاء هذا الجنس وكان لنفس الآلهة الكبار هياكلهم في كلتا المنطقتين ولكن هياكل سومير كانت كما يقال أمعن في القدم وكان أولها وأعلاها شانا الايساجيل الذي أقيم في أريدو على شواطئ الخليج الفارسي .

وقد كانت الفكرة الأساسية في كل دين هي الاعتقاد في كائن متسام أو أكثر تلتزم أمامه الانسانية بواجبات معينة . ولقد آمن السوميريو أكاديون بوجود عدم ضخم من المعبودات كانت جميعا كائنات سماوية وكان الرمز الذي يميز عن فكرة الاله يصور كنجم كان معناه الحقيقي « سماء » ، على حين كانت مختلف النجوم تدل عليها نفس العلامة مكررة ثلاث مرات . وكان الاله الأعظم انو يعرف بنجم واحد فقط لقد كان الاله السماء على حين كانت الآلهة الأخرى تكون جيش السماء فيلق النجوم .

ولقد نشب السوميريو أكاديون إلى معبوداتهم فضائل وعواطف انسانية وأسبغوا عليهم نفس طريقة الحياة وان رفعوهم عن الجنس البشري بأن منحوهم الخلود وآمنوا بهم كخيرين ورحماء في كل الظروف حتى حين كانوا يقاضون البشر جزاء اثمهم وأخطائهم . ولم يكن هناك اله شرير بل ان الشر كانت تسببه في العالم أرواح خبيثة ربما كانت أسمى من البشر ولكنها دون الآلهة . ولم تكن تقام لهذه المسوخ عبادة دينية وكان الناس يحاولون مقاومتهم واتقاء شرهم عن طريق ممارسة السحر .



(شكل ١٢) اله سوميرى
(حفائر دلفر - متحف جامعة ثلاثفيا)

ولم يستطع السوميريون
والأكاديون أن يتخيلوا كائنا أزليا
دون بدء وكانوا يرون أنه لم يكن هناك
شيء كائن عند نشأة العالم وان في
هذا اللاشيء كان يستصعب تمييز
عنصرين من الرطوبة مختلفين : ذكر
هو « أبسو » وهو محيط الماء العذب
الذى كان يحيط بالعالم والآخر انثى
هى « تيامات » (البحر) وقد ولدت
لهما كل الكائنات • هذا هو ما تدل
عليه « قصيدة الخليفة » ومطلعها :

« حين لم تكن السماء العلا قد سميت بعد
ولم يكن للأرض من تحتها اسم
اختلطت الأمواه من أبسو الأولى أبيهم
ومن تيامات الصاخبة أم الجميع فصارت واحدا •
ولم تكن الآجام والأغصان مثبتة ولم تكن غياض القصب مرئية
حين لم يكن هناك اله له اسم
حين لم يكن هناك قدر مرسوم
خلق الآلهة (١) » •

ولقد أدخل علم تكوين الخلق عند الكلدانيين فى احدى الرقى نفس
عناصر الرطوبة فى أصل الأشياء ومن الزوج الأول خرج أولا « لاهمو »
وزوجه « لاهامو » وهما معبودان لم يكن الدور الذى لعباه ملحوظا ثم مرت
فترة غير محددة وانبثق من الزوج الأصلى « انشار » و « كيشار » وهما

يمثلان في ذاتيهما كل السماء والأرض ومنهما جاء ثلاثة آلهة آخرون هم
الثالث الأعظم لمجموعة الآلهة البابلية : انو وانبيل وايا .

٢ - الثالث الأول

قسم هؤلاء الآلهة الثلاثة الكون (المعمورة) فيما بينهم لأنه طبقا
للأراء السامية لم يكن الشئ يستطيع أن يوجد دون أن يكون له سيده . وكان
انو الاله الأكبر يحكم في السماء وكان انليل سيد الجو والأرض وكانت
ايا - المسماة انكى في السوميرية - تحكم أمواه المحيط البدئي وكان لكل
منهم طريقه الخاص على مدار الشمس وكانت مساكنهم على قمة
السيجوات (١) .

وكان يعتبر انو الاله الأعظم منذ أقدم العصور التاريخية . وكانت
« دير » مدينته في أكاد ، أما في سومير فكانو يمجّد بـ « أوروك » في « آي » .
أنا ، آي « مسكن أنو أو بيت السماء » ، حيث حلت عبادة ابنته عشتار الهة
اللذة محل عبادته حتى قبل عصر أقدم الآثار العتيقة . وقد حدث مثل ذلك
تماما في لجش في حي جيرسو اذ كان هناك كذلك « آي - أنا » حيث كانت
تعبده ابنة انو منذ عهد اياناتوم تحت اسم « نني » Ninni . ولقد
التمس لوجال زاجيسى ملك أوروك من انليل أن يقدم دعاءه الى انو كما
يذكره جوديا في صدر اللعنة المصوغة ضد من يفتصب منشأته . ولقد كان
هو أول اله يمجده ال « آي - ننو » وكان « ملك الآلهة » كذلك لقبا منحه
إياه اور انجور ويسميه حمورابي « الاله الأعظم » في استهلال قانونه .
ولقد كان يسكن قمة قبة السماء « سماء انو » وكان يحرس بوابته معبودان
تموز وجيزيدا وكان يوضع أمامه « الصولج والعصابة والتاج وعصا
القيادة » قبل نشوء الملكية على وجه الأرض . وحين كان الآلهة في خوف
من الطوفان هربوا وصعدوا الى سماء انو وجثوا كما يفعل الكلب على الحائط
ورقدوا وظلوا هناك حتى اشتموا الرائحة الجميلة للضحية (٢) .

ورغم أن انو كان أسمى الآلهة ويعتبر كاب لهم وأول نموذج للخليفة ،
إلا أنه لم يستطع أن يحتفظ بالسلطة العليا حين ركزت بابل القوة في يديها
واخضعت سومير وأكاد الى صولج ماوكها .

CXII, t. I, p. 259 XLIII, p. 179.

(١)

XLIII, p. 155, 167, 111, 115.

(٢)

وكان على التفكير الدينى أن يلائم ما بين القصص القديم والمركز
السياسى الجديد . ولما لم يكن هناك شىء كائنا فى هذا العالم بغير أمر
الآلهة والمصائر التى قرروها ، فإن تعظيم اله بابل فوق الآلهة الآخرين كان
يستلزم أن يتبع سمو بابل على المدن الأخرى رفع الهها فوق جميع الآلهة
الآخرين . وأصبحت كلمة مردوك « مثل كلمة انو » وكان يشار الى خلق
هذا الأخير منذ بدء الزمان فحين كلف « انشار » العجوز « انو » بأن يحارب
الثائرة تيامات لم يجد فى نفسه الشجاعة لمواجهة فكر راجعا ولكن
مردوك - على نقيضه - أصبح البطل المنتقم لآخوته . وفى مأدبة علنية
وقد أسلموا أنفسهم أثناءها للسكر رسموا له مصيرا لا يبارى وأعلنوه
ملكا عليهم .

وقد اغتصب انليل سيد الارض أحيانا ألقاب انو وكان يسمى
« أب الآلهة » وقد أطلق عليه هذا اللقب فى نص من عهد « انتمينا »
ايشاكو لاجش وكذلك فى قصيدة « ايا » و « اتارهاسيس » . ومن جهة
أخرى فإن رموزه الموجودة على عدد من الكودورو من العهد الكامنى هى
- مثل انو - العرش والتاج . وهو فوق كل شىء مستشار الآلهة وهو
الذى أحدث الطوفان ولذلك أرادت عشتار الغضوب أن تمنعه من أن يكون
له نصيب فى تضحية « اوتانا بشتيم » وهو نوح البابلى فصرخت قائلة :
« دعوا الآلهة يأتون للتضحية ولكن لا تذهبوا اقليل يأتى لأنه لم يمعن الفكر
بل أحدث الطوفان وأنزل الهلاك بقومى » وقد أنبه « ايا » كذلك من أجل
نفس العمل « أنت أعقل الرجال ! أيها البطل ! لم ؟ لم لم تمعن الفكر
وأحدثت الطوفان ؟ » وعلى أية حال فانه حدد مصير « اوتانا بشتيم »
وجعله يسكن « مصب الأنهار » وقد كان فى الواقع سيده الكائنات
الانسانية وعهد بهم الى أمراء يقودونهم فى مسالك العدالة . . . هو اله
ثيبور سيد سومير (١) .

والاسم السامى لـ « ايا » ثالث اله فى الثالث الأعظم معناه « بيت
الماء » أما اسمة السوميرى فهو انكى « سيد الأرض » وكانت مملكته
الـ « ايسو » « مسكن المعرفة » المياه التى تحمل الأرض وتحيط بها . وكان
يرمز له بكائن برمائى هو « العنزة السمكة » .

وكاله للحكمة خلق الانسان بتشكيل كتلة من الطين منحها الحياة
بنسمته الالهية وهو الذى انقذ البشر من الهلاك الكامل فى زمن الطوفان .

LXXVI. p. 62, 38, 286, 280, 212, XLIII, p. 133, 125, 103 (١)
107, 119.

ولقد كشف عن صناعات مختلفة للانسان ومنح الذكاء للملوك وساعد الكهنة على تادية وظائفهم المقدسة وخاصة فى طقوس السحر التى كان يستعمل لممارستها ماء مقدسا يؤخذ من حوض ايسو فى معبد اريبدو (١) .

٣ - الثالث الثانى

كان هناك ثالث ثان مكون من « سن » الاله القمر وطفليه « شماش » الاله الشمسى . و « عشتار » نجم الزهرة .

وكان سن يقيس الزمن وهو الذى ينهى الايام والشهور والسنين للملوك المذنبين بالدموع والتأوهات . وكان رمزه الهلال . وكان يعبد فى اور تحت اسم نانا . ولقد انتشرت فى معبده فى حران Harran عبادته فى البلاد الارامية .

وكان شماش فوق كل شىء القاصى الاعظم وكان له طفلان هما كتو وميشارو ، اى العدالة والحق . وكان يطا الظلم تحت قدميه ولقد املى شخصيا قوانين العدالة على اورانجور وحمورابى . وكان رمزه قرصا مزينا بنجم ذى اربعة اطراف تفصلها عن بعضها مجاميع من الاشعة المموجة . وهو يميز على الآثار المحفورة - أسطوانات عصر اجاده وقانون حمورابى وتابو البا دين (القرن التاسع) - بشعلات ترتفع الى ما فوق كتفيه (٢) .

اما عشتار « العطوف » فمعبود ذكر فى الصباح والهة أنثى فى المساء وهى احيانا ابنة انو و احيانا أخرى ابنة سن وهى الهة الحرب والهة اللذة وهى أخت شماش الاله النور وفى الوقت نفسه أخت « ايرشكيجال » معبودة العالم السفلى . وقد حلت عبادتها فى اوروك محل عبادة أبيها وكان محبوها لا يحصيهم العدد وكانت تسعى لغواية البشر . وكانت تعتبر فى هالاب Hallab ابنة ل « سن » وسيدة المعارك . وأما فى اجاده وسيبار فانها تحت اسم انونيتوم كانت على ما يظهر تمزج بين الشخصيتين وذلك فى عهد نابونيد على الأقل لأنه يسميها « سيدة العراق التى تحمل الجعبة والقوس » وكانت فى نفس الوقت تصنع له الفأل المناسب عند شروق الشمس وغروبها . وقد طغت شخصيتها على الالهات الأخريات وكان ،

TLXCVI, p. 389, 38, 66, 94.

(١)

(٢) راجع شكل ٧ ص ٥٥ .

اسمها المفرد يعنى آية واحدة منهن أما مدلول اسمها الجمع فهو الالهات عامة . وكابنة لـ « سن » كان رمزها نجما . وكانت تمثل كالهة للحرب واقفة منتصبة على أسد أو اثنين وهى تحمل الجعبة وفى إحدى يديها سلاح مقوس وفى الأخرى صنولج مكون من عصا تتصل بسلاحين مقوسين يملوها رءوس أسود .

٤ - مردوك

كانت كل قوى الطبيعة وكل قوى الخير وعلى العموم كل الأجسام

السمائية تؤله عند السومريو أكاديين ، وكان عدد المعبودات التى يلتمسونها كبيرا جدا . وكان لكل مدينة معبودها وكان كل رجل فى حماية زوج الهى . ومع ذلك فقد استطاع أحدهم أن يتفوق على الآخرين بدرجة أنه فى التفكير الدينى لعصر البابلية الجديدة كان الآخرون يعتبرون كمظاهر له . وقد تم تفوقه حين وحدث الأسيرة الامورية فى بابل نهائيا أراضى سومير وأكاد ، فى مملكة واحدة . وعندئذ استطاع حمورابى أن يرفع مردوك الاله المحلى الى المرتبة الأولى فتألفت أناشيد جديدة من القصص القديم تتفق والوضع الجديد . وكان انليل



(شكل ١٣)

الاله مردوك : القرن التاسع (متحف برلين - حفائر بابل) يتمتع بلقب « بعل »

« مسيّد » وهو يملك لوحات القدر منذ زمن لا يمكن تقديره .
وقد اخترعوا - من أجل استلابها منه - قصة عن بدء الخليقة مؤداها أن
مردوك هو الذى هزم تيامات (الفضاء) فمنحته الآلهة حق تقرير المصير
مكافأة له . وكان الاحتفال يقام فيما بعد فى « دو أراج » فى بابل أثناء
أعياد رأس السنة . ولقد تخلى انو عن سلطانه لـ « مردوك » ومنحه ابوه
« ابا » اسمه « ألا فليس » ايا « مثلى » وكانت له بالاضافة الى ذلك
كل الحكمة بدليل أن ايا قال له : « أى بنى ! ماذا هناك لا تعرفه وأستطيع
أن أعلمك اياه ؟ ان كل ما أعرفه تعرفه أنت أيضا » وهذا هو السبب
الذى اعتبر من أجله - مثل أبيه - ساحر الآلهة وواله الكهنوت وخالق
البشر . وكان يمثل بأذنين كبيرتين ترمزان الى فهمه الكثير ويحمل السلاح
المقوس الذى قهر به تيامات وتحت قدميه الوحش الذى أخضعه وكانت
الحربة رمزا له على كودورو العصر الكاسى والاختام البابلية الجديدة .

وكان آلهة بابل وبورسيبا يأتون سنويا فى يوم عيد السنة الجديدة
ليقتسموا له ولاهم وكان موكب عظيم ينظم فى الطريق المقدس وعندما كان
يتوجه رسميا الى معبده اkitى كان يتوقف فى الذهاب والعسودة عند
« دو أراج » . وفى اليومين الثانى والحادى عشر كان الآلهة يجتمعون هناك
ويحيونه فى رهبة ويركعون أمامه وكانت المصائر تحدد أثناء ذلك تحديدا
قطعا للسنة بأكملها . وكان توقف هذه الاحتفالات فى زمن الحرب أو عند
حدوث مصاب كارثة تذكر بصفة خاصة فى حوليات المدينة .

٥ - بعض المعبودات الأخرى

يذكر من بين المعبودات الأخرى اينورتا أول مولود لانليل وهو بطله .
وكان اله حرب « خبيرا فى العراك » لا تستطيع البلاد أن تحتل وطاقته
الثقيلة « وكان يمتزج بالـ « بعول » (السادة) لبعض المدن وعندئذ كان
يطلق عليه اسم اله المكان : ففي لجش فى حى جيرسو كان يسمى ننجرسو
أى « سيد جيرسو » وفى سوسه كان يسمى « أن شوشيفاك » « السوسى »
وكان يمثل فيه آلهة آخرون مثل زابابا فى كيش ، وأوراش فى دلبات .
وكان له على الأقل عشرون سلاحا مختلفا فى يمينه كان يمسك بالـ « شار
أور » وهى حزمة من العصي والأسلحة بسنان محدبة تعلوها رأس أسد .
وعلى كتفيه يظهر غالبا مقدم أسد كما يظهر نفس الحيوان الرمزى بين
قوائم عرشه أو تحت قدميه . وقد قرنه عناء النجوم بمنكب الجوزاء
Beteigeuze فى الجوزاء وكانت الجوزاء ككل تكون جيشه .

وكانت باو الزوجة الالهية لـ « ننجرسو » كبرى بنات أنو نلقب
« بالمرأة الخيرة » وكانت أما لسبع توأما وكانت زوج اينورتا يطلق عليها
فى عصر حمورابى اسم « نكر اك » كما كان يطلق عليها جولا فى عصر
الكاسيين : وتحت هذين الاسمين كانت هى الهه الطب تضمم الجراح التى
يسببها الاله وتشفى الأمراض .

ولقد عبد المصريون النيل واقام اليونان الهياكل لاله النهر وندن
السوميرواكاديين كانوا قد فعلوا ذلك من قبلهم فاختروه هو وجيبيل
« اله النار » « ليقضى قضاءه بين البشر » و « حين احتفرو الآلهة العظام
وضعوا الخير على ضفتيه » ومنحوه قوة التمييز بين العادل والظالم .
وطبقا لقانون حمورابى كان من يتهم بالسحر يلقي به فى النهر المقدس الذى
يلقى على عاتقه وحده أن يكشف عن مدى براءته أو ذنبه . وهو يمثل
على الأختام الأسطوانية من عصر أجادة يرأس المحاكمة مستقرا على
عرش وممسكا فى احدى يديه باناء ينبعث منه مجريان تسبح فيهما
الأسماك .

وكانت تعبد كذلك الهة للماء هى « نينا » ابنة « ايا » وكان يرمز
لها بسمكة فى وسط حوض وكان لها هيكل فى لجش وكانت احدى
ضواحي المدينة مكرسة لها . وفى بعض أيام الأعياد حين كانت تخرج فى
الموكب كان قاربها المقدس يبحر فوق القناة .

وكان « أداد » اله الجو مبعث خوف واحترام فى وقت واحد . اليس
هو الذى يمنح الغيث أحيانا وأحيانا أخرى يلقي الرعب فى النفوس حين
يطلق الرعد ؟ ولقد كان يمثل مرتديا ثيابا قصيرة ويقف فوق ثور وهو
مسلح بصاعقة ورافعا سلاحا فوق رأسه .

وكان ينسب الى « نيسابا » أخت « نينا » نمو القصب العظيم وهو
أحد مصادر ثراء الاقليم ، اذ كان يستعمل فى تشييد الأكواخ وعمل الحصير
وفى صنع الكراسى والموائد والسلال كما يستعمل وقودا . وكانت الساق
— ان أحسن قطعها — تستعمل قلما للكتابة على ألواح الطين كما يستعمل
الرماد لغسل القماش . وكالهة للكتابة والخصوبة اعتادت نيسابا ان
تجلس فوق كومة من الأغصان وكانت تحب أن ترسل شعرها حتى يسقط
متموجا على كتفيها اللتين تنبثق منها سيقان القصب وكانت تمسك فى
يدها اناء يفيض وهو رمز الخير الذى توزعه .

ولقد آله السوميرواكاديون عددا من الأبطال الخرافيين وبعضهم يظهر
فى القوائم الملكية لعصور ما قبل التاريخ مثل « دوموزى » وهو تموز

السوريين الذى نقش اسمه فى المكان الرابع بين أمراء الأسرة الأولى فى اورك وهو ابن « ننجزيدا » وحفيد نينازو « سيد العرافة بالماء » وقد أصبح زوجا لـ « ارشكييجال » الهة العالم السفلى بعد أن أحب عشتار ربة اوروك التى كانت سببا فى هلاكه . وكان بصفة عامة إله النباتات فكان يولد من جديد فى كل عام فى الربيع « هو يستقر صغيرا » فى اناء يغوص ثم ينام كبيرا فى حصاد المحصول ويظل راقدا فيه . وهو صورة من أدونيس اليونانى ففى شهر الصيف المكرس له حين يلقي الحاصد آلة حصاده ويجمع السنابل فى الحزم يموت وينزل الى العالم السفلى وعندئذ تكرر النساء الولولة السنوية التى رسمتها عشتار :

« الى متى ستظل الحبة أسيرة ؟ »

الى متى ستظل الخضرة مقيدة بالسلاسل ؟ » .

وتخرج الالهة وتنسبر الى « البلد الذى لا يرجع منه أحد » لتبحث

عن حبيبها وتعيده الى الأرض .

٦ - الأمراء المؤلهون

وقد كان كثير من الأمراء الذين خلفوا لنا وثائق رسمية يستمتعون كذلك بامتيازات التاله حتى فى حياتهم . ولعل قائمة الأعلام لحكم مانشتوسو تقوم دليلا على ذلك فى الاسم « شوروكين ايلي » « سرجون الهى » وتتزايد الأدلة فى حكم « نارام سن » فهو فى الكتابات يسمى « إله أجاده » و « إله بلده » . وعلى لوحة النصر نراه يلبس على رأسه التاج ذا القرون التى يسميها الملك الكاسي « اجوم كاكزين » « عصابة السيادة - علامة الألوهية » . وقد قامت فيما بعد مؤسسات دينية فى لجش لعبادة الايشاكو جوديا . وكان ملوك أور معبدهم وكان هناك شهر فى كل عام يخصص لـ « دونجى » وألفت الأناشيد فى مديحهم وحرق البخور أمام تماثيلهم وقدمت التضحيات لهم . ومنذ أيام ملوك أور كان الناس يقسمون لا بالآلهة وحدها بل بالملك الحاكم كذلك والقسم وعمل دينى محض .

٧ - المعبد

كان الاله يسكن المعبد مع زوجته وأطفاله وخدمه . ولسوء الحظ لا يسمح لنا الوصف الذي أورده جوديا عن هيكل فنجرسو في لجش بمحاولة تصويره تماما . ولم تكشف الحفائر سوى عن كتلة من ركن المعبد ومدخل له (١) يستند على طبقتين من اللبن تفصلهما طبقة من الرمال . وكان الركن موجهاً الى ناحية الغرب . والحائط على الجانب الجنوبي الغربي مستو خال من الزينة أما الحائط الشمالى الغربى فمزين بخطوط من جزئين وعلى بعد خمسة أمتار من الركن كانت هناك فتحة واسعة يعترضها على كلا جانبيها بروز يتكرر ثلاث مرات . وليس هناك أثر لثقب يرتكز عليه الباب أو أية علامة لبوابة تغلق المدخل . وعلى مسافة ليست ببعيدة كان أحد أسلاف جوديا وهو الايشاكو « أورباو » قد بنى كذلك معبداً لم يبق منه سوى الركن الغربى من أرضيته وقد كشف تحته عن تمثال صغير من النحاس ولوحة أساس موضوعين فى اناء من الفخار بقاعة ثلاثة ثقب (٢) .

ولدينا من عصر البابلية الجديدة أربعة معابد (٣) فى نفس المدينة الواحدة وهى بابل وقد أمكن الكشف عن التصميم الكامل لها ودراسة هذه البقايا تبين أنه وإن كانت هناك قواعد تحتملها التقاليد ، فإن الممارسين كانوا يتمتعون بحرية كبيرة فى ترتيب الأجزاء المتعددة للمبنى . وكانت هذه المعابد منشآت مستطيلة على وجه التقريب لها زوايا (أركان) تحدد اتجاهاتها كمباني أورباو ، جوديا ولكننا نرى انه بينما استعمل ايشاكو لاجش الآجر والقار نرى نابو بولاسر وخلفاءه يستخدمون اللبن فقط . وفى الخارج كانت الحوائط مقسمة على مسافات متساوية بأعمدة مربعة تزينها قنوات مدرجة فى معبد نمار وشبه دائرية فى معبد ايساجيل ومستطيلة فى غيرها كما هى الحال فى معبد ازيدا فى بوريشيا ومثل هذه الأعمدة المربعة لا توجد فى أى مبنى مدنى . ويؤدى الى الفناء الأوسط مدخل أو أكثر ببوابات مزدوجة مغطاة بالبرونز ومركزة على دعائم حجرية ويربطها مزلاج مثبت الدعامة فى الأرض . وكان هذا الفناء الأوسيط - شأنه فى ذلك شأن الفناء الخارجى - مزينا بأعمدة مربعة تزداد تعقيدا بالقرب من البوابات وعند المدخل الرئيسى وأمام الهيكل . وكان هذا

XLI, p. 18 et plan K. Cf LXX, p. 396 et pl. 50 fig. 1. (١)

CXX, p. 241, 400 ; LXXVI, p. 96, 98. (٢)

CX b, fig. 98, 114, 119, 137, à 139, 142, 143, 244 à 247. (٣)

الهيكل يقع عند طرف البهو الى الغرب فى معبد ايساجيل وفى الجنوب الغربى فى معبد ايماء . وقد غطى نبوخذ نصر الثانى حوائط مقصورة مردوك بالذهب واللازورد والرخام (١) وكان السقف المصنوع من أحسن أرز لبنان مغطى كذلك بالذهب اللامع . أما لعشتار أجاده ، فإن الحوائط قد طليت فقط بالجير الأبيض وغطيت المشكاة التى تحوى تمثال الالهة بمحلول الأسفلت مع وضع شرائط بيضاء قرب الأطراف كما هى الحال بالنسبة للمداخل الرئيسية . وفى معبد ايماء كان الاله يسكن مبنى صغيرا عنر على أساسه . وكان أمام الهيكل الذى تبلغ مساحته ١٢ × ٥ مترات غرفة وكان لكل من هاتين الغرفتين مخزن للأمتعة المقدسة .

وكان من الممكن رؤية الصنم من الفناء ولكن ليس من الشارع لأن باب الدخول والفناء لم يكونا فى محور المبنى . وفى معبد « اينورتا » لم تكن هناك غرف جانبية ولكن كان هناك مزار صغير على كل من جانبي الهيكل . وحول الفناء الذى كانت تختلف مساحته بين مبنى وآخر - الایماء كانت وأجهته ٣٠ مترا وعرضه ٥٠ مترا ، والایساجيل كان مربعا طول ضلعه ٦٠ مترا - كانت تصطف (وأحيانا تتجمع حول الأبنية الملحقة) غرف لا تعرف على وجه التحديد فيم كانت تستخدم كما كانت هذه الحجرات موزعة أحيانا على أحواش اضافية . وفى ايماء يوجد علاوة على ذلك ممران ضيقان ينتهيان بزقاق غير نافذ ، وفى ايساجيل لوحظ وجود مزار صغير فى الجانب الشمالى .

وكان من المعتاد أن توضع فى أساس كل معبد صور واقية : فعند البوابة الرئيسية لـ « ايماء » وضع طائر - وهو رمز الالهة - فى مشكاة مكونة من ستة قوالب من اللبن . وتحت أرضية قدس أقداس « اينورتا » أسطوانة الأساس باسم نابوبولاسر .

ولم يكشف عن أى مذبح داخل معابد بابل ومع ذلك فإنه يوجد مذبح من اللبن موضوع على أرضية من الطوب أمام مدخل معبد ايماء كما يوجد مذبح آخر من اللبن المجفف فوق أرضية أمام معبد اينورتا . وكانت التضحية تتم فى الخارج ولم يكن مسموحا لغير الكهنة والأمير بالدخول الى قدس الأقداس فى حضرة الاله وكذلك ، فإنه طبقا لما جاء بهيرودوت « يرى خارج قدس الأقداس - (بالایساجيل) مذبح ذهبى وآخر كبير جدا للمذبح الماشية » (٢) .

XXXII. b p. 124, 126.

(١)

Hérodote 0, 183.

(٢)

وكان يقوم الى جانب المعابد الرئيسية مبنى أصم مكون من منشورات. رباعية مبنية فوق بعضها البعض وتقل حجما كلما ارتفعت وهذا الجبل الصناعي المسمى زيغورات مثلث صورته على كودورو لـ « مروداش بالادان الأول » 1 Mérodach-baladan . وكان زيغورات بابل - ال « ايتمينانكي » - (١) يقع الى شمال الايساجيل بعد الطريق المقدسة وكان مبنيا من اللبن المجفف ومغطى بالآجر ومكونا أعمدة مربعة عثر عليها في جانبيين متجاورين طول كل منهما ٩١ مترا - وهذا الزيغورات ليس محفوظا مثل حالة زيغورات بوركسيبا التي لم يكشف عن خرائبها بعد - وهي ترتفع الى أكثر من ٤٠ مترا فوق السهل ولم يبق من هذا الزيغورات سوى طابق واحد والسلالم الثلاثة التي تؤدي من الناحية الجنوبية الى المدرج الأول . وهناك لوحة في اللوفر أرخت بالسنة ٨٣ من حكم السلوقيين (٢٢٩ ق م) (٢) تقدم وصفا هندسيا لهذا الأثر وملحقاته الخارجية وكان في مجموعه يكون مستطيلا طوله ٢١٩٠ قدما وعرضه ١٢٠٠ وكان المدخل الرئيسي الى الشرق - على الطريق المقدس - يؤدي الى شرفتين متتاليتين تسبقان الفناء المربع الذي كان شرفة كذلك حيث يقوم البرج . ويبلغ طول قاعدة البرج ٦٠٠ قدم . وكان الطابق التالي - ال « كيجال » - يرتكز على الجانب الغربي للقاعدة وكان طوله ٣٠٠ قدم فقط (٣) وكانت به عدة مزارات فهذا الذي الى الجانب الشرقي كرسى لمردوك ونابو وتاشمتوم وهذا الذي الى الشمال كرسى لـ « ايا » و « لوسكو » وذلك الذي الى الجنوب كرسى لـ « انو » و « سن » . وكان يرى فيه كذلك « بيت السرير » و « بيت الأدوات » و « بيت الشباك » وفناء محاط بحائط تنفتح فيه أربع بوابات . وفي وسط ال « كيجال » كانت هناك خمسة طوابق متعاقبة يقوم فوقها مزار يتوج المبنى . ويصف هيرودوت ال « ايتمينانكي » كـ « مربع منتظم طوله استادان (٤) في كل جانب . وفي الوسط يرى برج ضخم يبلغ كل من طوله أو عرضه استادان واحدا . وفوق هذا البرج يقوم آخر ثم ثالث وهكذا الى أن يبلغ عددها ثمانية أبراج . والصعود اليها من الخارج عن طريق منحدر يدور تباعا حول جميع الطوابق . وفي منتصف الطريق المنحدر تقريبا توجد غرفة ومقاعة يجلس ليستريح عليها أولئك الذين يرغبون في الصعود الى القمة . وفي

(١) CX b. fig. 119.

(٢) Memoires de l'Académie des inscriptions, t. XXXIX, 1913.

(٣) CXI : 106 mètres.

(٤) يبلغ الاستاد نحو ١٨٥٣ مترا - (المترجم) .

أعلى المطابق يوجد هيكل كبير به سرير مزخرف زخرفة فخمة تقوم الى جانبه مائدة من الذهب . ولا يوجد في هذا المزار ولا يمضي الليل فيه أحد سوى امرأة من الريف يختارها من بين رفيقاتها الاله نفسه على حد قول الكلدانيين وهم كهنة هذا الاله « (١) » .

وقد أخذ نابوبو لاسر مؤسس الامبراطورية البابلية الجديدة على عاتقه إعادة بناء ال « ايتمينانكي » تنفيذًا لأمر مردوك (٢) . وكما فعل جوديا من قبله ثم يفعل شيئًا دون أخذ رأى الآلهة ولقد استشار وحيهم وقام بالتطهيرات المطلوبة . ومثل الملك القديم أورتيند حمل مواد البناء فوق رأسه على حين حمل ولى العهد الطين الذي يصنع منه الطوب واستخدم ابنه الآخر « نابوشوم ليشو » المجرفة والمعول . ويظهر أن الطقوس الدينية الخاصة بتشييد أبنية العبادة ظلت متوارثة سليمة مدى عشرين قرنًا رغم الثورات .

ونستطيع أن نرى مثلاً آخر لروح التقاليد هذه في الصعوبات التي لقيها نابونيد حين أراد ترميم التاج الذي كان نابوبال ادين قد قدمه الى شماش - سيبار في القرن التاسع (٣) ، وقد أراد الملك أن يعيد صياغته كله من الذهب ولكن الشيوخ ادعوا أنه يجب ألا يدخل عليه أى تغيير . ولقد استشار وحي « شماش » و « اداد » ثلاث مرات وأجاب الوحي ثلاث مرات بالرفض فاتجه نحو مردوك يسأله الا أن الرواة قرءوا في كبد الذبيحة تصميم الآلهة على عدم قبول أى تجديد . فنزل الأمير على ارادتهم وأمر بإعادة التاج الى حالته الأولى .

٨ - كبار رجال الدين

كان الأمير الكاهن الأكبر لاله مدينته وكان الملك الكاهن الأكبر للاله الوطني . فانتمينا كان الايشاكو الأكبر ل « ننجرسو » وكان جوديا يقدم بنفسه القرابين ويقوم بالاهراق وكان يستبين بالفال ويتلقى مباشرة أوامر الاله وهو الذى طهر المدينة قبل اقامة المعبد وقام بالتقديس المطلوب ونطق بالبركات السبع عند التكريس . كما أن لوجال زاجيسى ملك أوروك أطلق على نفسه كذلك لقب كاهن أنو اله أوروك ثم الايشاكو الأكبر

Hérodote I, 181.

XXXII, p. 60-62.

Hérodote I, 181.

(١)

(٢)

(٣)

لأنليل اله سومير بعد فتح سومير : « عينه (الآلهة) فى هياكل سومير
كايشاكو للبلاد وفى أوروك ككاهن » .

وكان كبار كهنة الهياكل الهامة شخصيات لها قدرها فكان يتطلع
الى شغل مراكزهم أبناء الأمراء وكان الفأل وسيلة تعيينهم وكان هذا
احداث يستحق التخليد بأن تسمى به السنوات . وهكذا اختير ابن
« اور انجور » خلال حكم أبيه ، اختاره المعبود كاهنا أكبر للآلهة
« اننا » (عشتار) فى أوروك ويعيد تاريخان خاصان بدونجى الى الذاكرة
اختيار كبير كهنة نانا . فلقد مر عامان بين الانتخاب والتتويج وفيما بعد -
خلال حكم « جونجونوم » ملك لارسا بلغت هذه الفترة ثلاث سنوات فى
حالة الكاهن الأكبر لشماس . ومنذ أقدم العصور ربما كان هناك مجمع
لكبار الكهنة الى جانب بعض المعابد : وهناك نص من جوديا ينهض دليلا
على ذلك . وكان الأمير الذى يخلع عن عرشه لا يستخف أبدا باحتفاظه
بوظائفه الدينية فلقد ظل ننجوسو بن جوديا كاهنا لأنو ونيينا حتى
بعد أن زالت عنه صفة ايشاكو لجش .

وكانت تنتظم تحت الكاهن الأكبر (en) بمعنى سيد وفى السامية
(enou) طبقات متعددة من الكهنة يجمعهم الاصطلاح العام سانجو
(وفى السامية سانجو) ويظهر أنه كان يطلق بصفة خاصة على مدير
المعبد وان كان يطلق كذلك على أى شخص يشغل الوظائف المقدسة .

٩ - الطبقة الأولى من رجال الدين (السحرة)



كان رجال الكهنوت
ينقسمون الى ثلاث مراتب :
السحرة وهم الذين يستعطفون
الآلهة ويعدون الأرواح
النجسة ، والمنجمون الذين
يتنبأون بالمستقبل ثم المقننون
الذين يباشرون وظائف
الشماسة . ونحن نعرف
حوالى ٤٠ وظيفة مختلفة .

(شكل (١٤) بالاجو (متحف اللوفر))

وكان الكاهن من الطبقة الأولى يحمل لقب ماشماش (وفى الأكادية أشيبو) ولكن الوظائف قسمت منذ أقدم العصور فكان يدعى « كالو » الكاهن الذى يناط به أن يخفف الغضب عن قلوب الآلهة الغضبية بغناؤه (١) وكان عليه فى أيام معينة أن يذهب الى المعبد ليقدّم التضحيات ويرتل المراثى المقدسة مستعينا بمختلف آلات الضرب فكان يستعمل الـ « بلاجو » وهى طبلية ضخمة عثر على صورتها على قطعة من اناء فى اللوفر (٢) وهى تكرر للاله « لومها » حامى الـ « كالو » - حين يغنى تمجيدها لانليل او عشتار - واحدة من هذه القصائد المتعددة التى تحمل كذلك اسم بالاجو ومع الـ « شم » او « هالهااتو » كان يصحبها « ارشم ما » . وكانت لديه كذلك آلة أخرى هى الـ « للسو » وهى طبل نحاسى مغطى بجلد الثور . وقد احتفظت لوحة من واركّا ترجع الى عصر السلوقيين (٣) بطقس تكريس هذه الآلة . وهناك لوحات أخرى (٤) تحوى الصيغ التى تتلى خلال الاحتفال .

وكان الـ « كلاماه » أو كبير الكالو أهم جماعة « الكالى » . ويظهر أن وظيفته كانت وراثية وكانت هناك وظائف تؤدي أعمالها بعيدا عن أعين عامة الناس ولكن كان يسمح للمبتدئين بالحضور وهكذا يتلقون التعليم الأول . وكان الكالو يتوسط فى ظروف استثنائية معينة فمثلا عندما ينظر فى إعادة بناء معبد مخرب حين يتلقى المنجم فألا بالموافقة على ذلك نرى الكالو فى يوم رائع يتجهز ويضحى خلال الليل بخمس تضحيات تكريما للآلهة الخمسة ويرتل مرثية و « ارشم ما » ثم يقدم ثلاث تضحيات لاله المعبد والآلهة زوجته ولصاحب المعبد . ويقدم عند الفجر ثلاثة أخرى هى فى هذه المرة للبعول (الأسياذ) الكبار انو وانليل وأيا . وكان الاحتفال التمهيدى ينتهى بأغنية « حين خلق انو وانليل وأيا السماء والأرض » التى تغنى أمام طوب أساس المعبد القديم . وبعد ذلك يوضع أساس المبنى الجديد ولا يتوقف الكالو عن تقديم التقدمة والمرثيات حتى يتم البناء .

وكانت مهمته تلمس فى مناسبة الفال السيمى فان أُنذرت زلزلة

I. t. XVI, p. 121 ; XVII, p. 58.

(١)

I. t. IX pl. III.

(٢) انظر الشكل ١٤ .

I. t. XVII, p. 56.

(٣)

I. t. XVII p. 95.

(٤)

بهجوم لعدو (١) فانه هو الذى يقدم التضحيات ليلا لاله واليه الملك بعد
تطهيره ثم يضحي فى الصباح للآلهة انو وانليل وايا . وبعد أن يسجد
الملك ويخلق له يأخذ هو فى اناء « لاهان سهار » شعر جسم الملك ويذهب
للقائه على حدود العدو قبل أن تعمل فى جميع المدن المراثى الاستعطافية
على معطف الملك : « ان أنت أدت هذه الواجبات كما قررتها الطقوس
فان الشر لا يقرب الملك » .

والى جانب الكالو نجد هناك ال « اشيبو » وعليه واجب تطهير
المرضى والأثمة وخاصة بواسطة الرقى والطقوس السحرية وهو يعمل
بفضل ايا اله اريدو أو - فيما بعد - بفضل مردوك بن ايا حين بسطت
بابل نفوذها :

« السيد العظيم الاله ايا أرسلنى
لقد أحل رقيته المقدسة محل رقيتى
ووضع فمه المقدس مكان فمى
ووضع لعابه المقدس مكان لعابى
ووضع صلاته المقدسة مكان صلاتى » (٢) .

وكانت هناك رقى لكل المناسبات وضد كل الشرور « ضد الأرواح
الشريرة » أوتوكى ليمنوتى « Outoukki limnouti » والشبح « اديمو »
وال « لبارتو » . أما ضد الساحر فكانت تستعمل رقية « ماقلو »
(الاحتراق) أو « شاربو » (الالتهاب) ذلك لأن صورة الساحر كان
يلقى بها فى النار . وكان الصداغ والحمى والروماتزم تعتبر كائنات
حقيقية يجب أن تختفى نتيجة لعمليات السحر . وكان ال « اشيبو »
يقدم الصلوات للآلهة كما يتقدم بالتضحيات ويصب الأهرق .

١٠ - الطبقة الثانية من رجال الدين (المنجمون والعرافون)

كانت الطبقة الثانية من رجال الدين تضم المنجمين وقد عرفتهم
لجش منذ فجر التاريخ وكانوا ينقسمون الى فرق عدة تبعا لمختلف أنواع

Ibid, t. XVII, p. 87.

(١)

XLIV, p. 287.

(٢)

الظواهر التي يمكن ملاحظتها . ففي عصر أورنيانا التمس كبير المنجمين « بآزو » من الاله أنكى أن يحصل على وحى بشأن تشييد بيت جيرسو (١) وتحت حكم أسلاف « أورو كاجيني » كان على الرجل الذي يرغب في صب الزيت على الماء حتى يعرف مشيئة الآلهة أن يدفع خمسة شواقل من الفضة للايشاكو وواحدا لكبير الوزراء وواحدا للمنجم « ابكالو » الذي كاو يكرس ذاته خاصة لادراك الغيب عن طريق دراسة الألوان (٢) . وفي نفس العصر كان هناك كهنة آخرون يفسرون الأحلام - ال « انسى » - أو يلاحظون مختلف الظواهر ال « اجيدو » . وكلهم يحملون الاسم العام « بارو » .

ولم يكن اللجوء للعرافة يتم فقط بالنسبة للشخصون الخاصة ، بل كان كذلك وقبل كل شيء يتصل بالشخصون العامة فلم يكن أمير يقبل على أمر هام دون استشارة المعبود سواء أكان ذلك بأن يبدي المعبود رأيه عن طريق ظاهرة غير عادية أو غير متوقعة أم - كما هو الأمر في أغلب الأحيان - بأن يلتمس السائل تدخله بالبحث عن الرغبة الالهية في الظواهر التي يلاحظها المنجم . ولقد استشارهم « أمي ديتانا » ملك بابل فيما يختص بنقل حمولة قمح (٣) .

وكانت مهام المنجم وراثية وكان هو « نسل كاهن مولود من كاهن سليم » ويجب ألا يكون فيه عيب جثماني . أما العلم الذي لديه فقد وصى إليه عن « انميدورانكى » سابع الملوك السابقين للطوفان (٤) الذي أقام صرح الكهانة . . . أما - بعد قرون - ان هو « ارتدى ثيابا طاهرة » فان ذلك يرجع فقط الى تعديلات أدخلت في الطقوس لانه في الأصل كان عريان عريا تاما عند مباشرته لمهام عمله كما تبين تبين ذلك اللوحات العتيقة من نيبور والأختام الأسطوانية .

١ - ادراك الغيب عن طريق دراسة الكبد والأواني

كانت العرافة تتناول كل الظواهر المحتملة وغير المحتملة . وفي المجموعات المختارة التي يستعملها المنجمون دون في عناية ما تم من أحداث ، بعد ظاهرة أو أخرى من الظواهر والتي كانوا يعتقدون انه

LXXVI, p. 19.

(١)

Ibid, p. 80.

(٢)

LXXXIX p. 159.

(٣)

XLIII, p. 143.

(٤)

سيكرر حدوثها في نفس الظروف . . . بل وأكثر من ذلك اخترعت
فروض معينة وبصور مختلفة من تداعي الخواطر استنتجوا ما ينبغي
حدوثه .

وكانت أكباد الحيوان تعتبر مقر الحياة . ومن ثم كان هذا العضو
يسمح للمرء أن يرى فيه كما يرى في المرأة نوايا الاله الذي تقبل الحيوان
المضحى كتقدمة . ومع ذلك فقد كان من الضروري لمباشرة ادراك الغيب
عن طريق الكبد أن يختار حيوان مبرا من العيوب وأن يضحى به وفقا
للشروط المقررة في الطقوس والتي تختلف باختلاف ساعات النهار .
ففي الفجر مثلا كان المعبود على استعداد لأن يتقبل شاة وكان العراف
يضع أمام الاله موقدا وعلى مائدة خلف الموقد أربعة أوان بها خمر السمسم
و ٣٦ كعكة ومزيجا من الزبد والعسل ثم الملح أخيرا . وبعد أن ينفخ
الكاهن الموقد يمسك بصاحب الفربان من يده ويتلو هذه الصلاة :
« فلان عبدك » ! هلا يقدم تضحيته في ساعة الصباح ! ألا فليقدم نفسه
أمام عظمة ألوهيتك ! ألا فليكن سرعيا لعظمة ألوهيتك بفضل هذه الشاة
ذات اللحم الجيد والأعضاء الصحيحة ، وبعد أن تضحي التضحية كان
نصيب الاله الفخذ اليمنى والكليتين وقديدا . وقد عدد أحد الكتب
العلامات التي قد يكشفها العراف في الكبد وحدد أيها مناسب وأيها
غير ملائم . ولقد احتفظ بالملاحظات التي بنيت على الأحداث التي حلت
بأسرة أجاده . ولدى المتحف البريطاني كبد من الطين تنقسم الى خمسين
قسما يتصل كل منها بعلامة من العلامات المختلفة .

أما ادراك الغيب عن طريق استقراء الأواني فقد كان الاشتغال به
ايسر وكان العراف يستطيع دون تردد أن يذكر أن كان المريض موضع
الاستشارة سيشفى أو يموت ، وإن كان المشروع المقترح سيصيبه النجاح
أو الفشل وذلك تبعا للوضع أو الصورة اللذين تسقط بهما نقطة الزيت
في اناء الماء .

(ب) الظواهر العرضية :

ولكن هناك ظواهر لا يبحث عنها الانسان بل تفرض نفسها للملاحظة
وهذه الظواهر يمكن أن تكون أيضا بشيرا بالحظ الحسن أو نذيرا بسوئه
مثال ذلك الشذوذ في ولادة الأطفال أو الحيوانات ذلك الشذوذ الذي
يعتبر قالا للبيت الذي يحدث به وأحيانا للمدينة أو الولاية . فربما دعا
تشابه طفيف في الرأس الى القول بأن المرأة ولدت أسدا وهذا يوحى
بفكرة القوة والسيطرة وهي علامة طيبة للبيت أو البلد . وإن كان رأس
الطفل يذكر بالحمار أو الحمل فإن هذه أيضا علامة طيبة . أما الكلب

والثعبان فيحملان الفأل السيئ . وحركات الحيوانات وتصرفاتها لها قيمة تنبؤية تختلف باختلاف زمان ومكان الملاحظة : فدخل كلب أبيض الى القصر ينبئ بحصار المدينة ودخول الجارح من الطير الى البيت نذير بموت صاحب هذا البيت والصراصي فال سيئ للبيت الذي توجد به . هذا الى أن جميع ظواهر الجسم الانساني قد أوجدت مجالا لتفسيرات تناقلتها الأجيال بعضها عن البعض جيلا بعد جيل وجمعها آشور بانيبال في مكتبته العظيمة في نينوى .

(ج) الأحلام :

كان الآلهة يحبون أن يتصلوا بالأتقياء من الناس وأن يعلنوا اليهم ما سوف يحل بهم من أحداث عن طريق الأجلام . وجين كان يحزب الأمر كان الأمير أو العراف يلتبس هذه المنحة بالتوجه الى المكان المقدس والنوم فيه . ولذا نرى اياناتوم ايشاكو لجش حين هاجمه رجال أوما - وهم الذين هزموا جو ادين ننجرسو - ولم يكن مستعدا لذلك نراه يرقد في معبد الهة حتى يعرف عن طريق الحلم أى طريق يجب عليه أن يسلكه . ووقف ننجرسو عند رأسه وكشف له عن أن بابار سيسير الى جانبه ووعدته بالنصر (١) .

كذلك كان حلما ذلك الذي تلقى فيه جوديا الأمر باعادة بناء « اننو » المعبد الرئيسي في لجش (٢) « تنهد جوديا قائلا هلم فلا تكلم فلأرزد هذه الكلمات ! أنا الراعى . لقد أعطيت لى السيادة كهدية . حضر الى شئ في منتصف الليل . . . شئ لا أعرف معناه . . . هلا يسمح لى ان أمكن أن أقص حلمى على أمى عسى العرافة - تلك التى لديها معرفة ما يناسبنى - عسى الهة نينا أخت سيرا را شوم تفسره لى ! » وقد قدم توضيحات الى ننجرسو والى الآلهة جاتوم دوج . وبعد توضيحية جديدة ، تمجيذا هذه المرة لـ « نينا » ، وجه دعاءه لها قائلا : « أى نينا أيتها الملكة يا سيدة القرارات التى لا تقدر ! أيتها الملكة التى هى مثل الليل تحدد المصير ! أى نينتى ! ان كلمتك صادقة وتلمع فى أعلى نقطة . . . أنت عرافة الآلهة أنت ملكة الأقطار - أيتها الأم مفسرة الأحلام - فى وسط حلمى لقد أمرنى رجل ترتفع هامته الى السماء وهيكله ينافس الأرض ضخامة . . . كان الها ما دام التاج على رأسه والى جانبه الطائر المقدس امجيج وعند قدميه اعصار وعلى يمينه والى يساره أسد رابض . . . لقد

LXXVI. p. 27.

(١)

Ibid, p. 137 et suiv.

(٢)

أمرني أن أبني بيتي ... لم أعرفه ... أشرقت الشمس من الأرض ...
 امرأة ... ألم تكن هي ! من كانت ؟ ... كان في يدها قلم طاهر وكانت
 تحمل لوحة نجم السماء السعيد ... وكانت تحمل النصح في شخصها ...
 رجل آخر شبيه بالمحارب كان يحمل في يده لوحة من اللازورد وكان
 يخط تصميم معبد ووضعت أمامي الوسادة الطاهرة ووضع فوقها القلب
 انطاهر وفي القلب كان طوب القدر ... وضع أمامي ... المقدس ...
 وكان الحمار مضطجعا على يمين ملكي ، فأجابت نينا أم الايشاكو عليه
 قائلة : « أي راعي ان حلمك سافسره أنا لك ... أما الرجل الذي تنافس
 قامته السماء وتنافس الأرض الذي هو اله بالنسبة لما هو على رأسه
 والذي الى جانبه الطير المقدس امجيج وعند قدميه اعصار والى يمينه
 ويساره يربض أسد ... اني أخى ننجرسو ... انه أصدر اليك أمرا أن
 تبني بيته ال « اننو » أما الشمس التي أشرقت أمامك فانها الهك
 ننجريدا : انه يخرج من الأرض مثل الشمس ... أما المرأة الشابة التي ...
 التي تمسك في يدها قلما طاهرا وتحمل لوحة النجم السعيد وتحمل
 النصح في شخصها ... انها أختي نيسبايا : لقد أعلنت لك النجمة
 الطاهرة عن بناء المعبد ... أما الرجل الآخر الذي يشبه المحارب والذي
 يحمل في يده لوحة من اللازورد ... انه « نندوب » هو ... تصميم
 المعبد ... أما الوسادة الطاهرة التي وضعت أمامك والقلب الذي وضع
 فوقها وطوب القدر بداخل القلب ... انه الطوب المقدس ل « اننو » ...
 أما ... المقدس ... الموضوع أمامك الذي ... فان هذا معناه انه لكي
 تبني المعبد فانه يجب ألا يكون أمامك سرور ... أما الحمار الذي يضطجع
 الى يمين الملك انه أنت ... أنت تضطجع على الأرض في اننو مثل ... »

وبعد أن نبهت الى ما يعمل بصدد تقديم هدايا معينة للاله أنهت
 حديثها بقولها : « ننجرسو ... سيكشف لك عن تصميم معبده ...
 والمحارب الذي له القرارات العظيمة سيباركك ». وبعد ألفي عام دعى
 نابونيد آخر ملوك بابل بواسطة الحلم ليعيد بناء معبد هو معبد « أي
 هولبول » للاله « سن » في « حران » ...

وكان يعهد بتفسير الأحلام الى كاهن خاص هو « الشائيلو » .

(د) التنجيم : الظواهر الجوية

كان يظهر الآلهة وغيبتهم كذلك على طريق حركات النجوم وكان
 المنجم يستطيع أن يقرأ على القبة ذات النجوم ما سوف يحدث على الأرض ...
 و (سن) اله القمر مثلا لم يكن يظهر دائما في أول الشهر وكان أحيانا
 يختفي في اليوم السابع والعشرين وأحيانا في الثامن والعشرين وأحيانا

يظهر تاجه في أقصى لمعانه في الثالث عشر أو الرابع عشر وأحيانا في الخامس عشر وأحيانا في السادس عشر . ومن هنا خرجت تفسيرات مختلفة خاصة بشيئون الدولة التي تتصل بها هذه الظواهر مباشرة . وكان الأمر كذلك بالنسبة لظواهر اله الشمس شمش وللالهة عشتار (كوكب الزهرة) ومردوك (المشتري) ونجوم أخرى : واليهما كانت تنسب الأحداث السعيدة أو السيئة التي تحل بالبلاد : مثل الحملات الحربية والغزوات ومرض الأمير أو موته والقحط والفيضان . . . الخ .

وقد أضيفت اليها الظواهر الجوية كالزوابع والأمطار والبروق والزلازل كظواهر للاله « أداد » سيد العاصفة .

١١ - الكاهنات

لم يقصر الدين السوميريواكادي الوظائف المقدسة على الرجال ، بل كان من الجائز أن تكون النساء كاهنات وساحرات وعرافات ومغنيات . ولقد كانت أم سرجسون الأجادى كاهنة وفقا لتقليد معين . أما والدة (كاهنة) جلجامش فكانت تفسر الأحلام وهي التي أخبرت البطل بوجود « انكيدو » (١) . وبالمكتبة الأهلية بباريس خاتم أسطوانى لكبيرة كاهنات الاله « أداد » . وكان تعيين كبيرة الكاهنات يتم عن طريق الفأل كما هي الحال بالنسبة لكبير الكهنة ولدينا دليل على ذلك اسم لغام سابق لعصر أور (٢) . وبعد عشرين قرنا أعلن نابونيد الذي كانت أمه كاهنة ل (سن) في حران انه ان كان قد كرس ابنته لمعبد أور فانه فعل ذلك بناء على رغبة المعبود : (٣) « لما كنت مشغولا بهيكلك ودعوت جلالته غنيت بالرغبة التي كشفها لي وقدرتها حق قدرها ولم أرفض رغبته ولبيت دعوته فرفعت الى مرتبة الكاهنة الابنة التي خرجت من قلبي وسميتها باسم « بل شالتي نسا » ثم أدخلتها الى (أي جيبار) . » وكان الأيجيبار مسكنا بنى فوق شرفة مزروعة أشجارا وكان مخصصا لسكنى الكاهن الأكبر والكاهنة الكبرى .

ومن بين اصطلاحات أوركا جينا إشارة الى مخصصات كبيرة الكاهنات . ويقابل اسمها السوميرى « نن دنجير را » زوجة الاله الكلمة السامية « انتوم » مؤنث « أنوم » en بالسوميرية) وهو اسم كبير الكهنة . وقد

XLI, No. 96.

(١)

LXXVI, p. 329.

(٢)

I. t. XI, p. 144.

(٣)

نظم قانون حمورابى مركزها القانونى سواء أكانت متصلة بمعبد مردوك أم نذرت لخدمة إله آخر . وكما أنه من المحتمل وجود عدد من كبار الكهنة لنفس الآلهة تحت سلطان كاهن أعظم بمثابة رئيس عليهم فإن الحال كذلك بالنسبة للمعابد الرئيسية حيث توجد مجامع حقيقية من كبريات الكاهنات مختارات من أرقى طبقات المجتمع وكانت ال « سال مى » (زوجة الإله) وال « قاديشتوم » (المكملة الصحة) وال « زر ماشيتوم » كاهنات كذلك وكانت عبادة عشتار تضم كذلك طبقات ثلاثا من بنات الهوى اللواتى يعشن فى ال « جاجوم » تحت رعاية إحدى ال « او كورتوم » كما أنه كان يوجد بالقرب من نفس المعبد مبنى للرجال يديره كاهن أكبر يدعى « أكوروم » .

ولم تكن بنات عظماء النبلاء يحتقرن الوظائف الدنيا فى العبادة المقدسة والدليل على ذلك أن حفيدة نارام سن المدعوة « ليبوش ياو » كانت عازفة على القيثارة للإله سن (١) . ومن العصر الكاسى مثلت على كودورو - ناقص لسوء الحظ (٢) - امرأة تحمل جعبة وقوسا فى موكب من الكهنة الموسيقيين وهى تضرب على نفيرة (طبله) وكذلك يظهر أنها امرأة تلك التى تضرب على آلة موسيقية وترية كبيرة فى صحبة يافع فى منظر لحفل دينى من عصر جوديا (٣) .

١٢ - ضرورة الدين

فسر السوميريون أكاديون أصل الإنسان بمختلف الوسائل فى الأشعار الدينية والشعبية ولكنهم اتفقوا جميعا على نقطة هامة هى أن المعبود صنعه من كتلة من الطين وأنه خلق من أجل خدمة الآلهة . ويبين علم تكوين المخلوقات الكلدانى (٤) « أن مردوك قد خلق البشر كي يقدم للآلهة مسكنا يأوون إليه حتى يسعد قلبهم . وقد سهم معه أرورو فى اخراج بذرة البشر » . وفى « قصيدة الخليفة » نرى نفس الإله ينوى إيجاد الإنسان عن طريق عجن الطين بدمه هو (٥) حتى يقيم عبادة الآلهة .

LXXVI, p. 237.

(١)

XVIII t, VII p. 149.

(٢) انظر الشكل رقم ١١ .

I, t. IX, pl. III

(٣) انظر الشكل رقم ١٤ .

XLIII, 87.

(٤)

Ibid, p. 64.

(٥)

وكان هذا الخلق يتم في صورة المعبود وكان كل اله يستطيع أن يسهم فيه نظرا لأنه يتكرر كلما حلا لهم ذلك . وكان الخالق يشكل في قلبه « صورة انو » ويأخذ طينا يشكله بهذا الشبه . وقد فعل أرورو ذلك ليخلق جلجامش والمسح « انكيدو » أما ايا وهو أحد الآلهة الذين ينسب اليهم القصص البدائي* ظهور الانسان على الأرض فانه خلق « أسوشوتامير » و « ادايا » بنفس الطريقة . وفي زمن الطوفان أدعت عشتار أنها أم البشر وصاحت قائلة : « أخلقت الناس كصغار السمك ليملاوا البحر ؟ » (١) .

وكان الآلهة - اذا قصرت البشرية في مهمتها - توقع بها عقوبات مروعة : كالفيضانات التي تحيل البشرية طينا ووحلا والقحط والمجاعة والأوبئة . وفي كل هذه المصائب كان الاله ايا يظهر نفسه دائما عطوفا يسعى الى انقاذ البشر .

١٣ - الرجل والاله

وكان كل انسان يعتمد على اله هو ملاكه الحارس وكان يطلق على نفسه « ابن » هذا الاله . وكان أمراء لجش من أسرة أورنيينا تحت حماية اله واحد « دون اكس » ، أما أوررو كاجينا فقد ادعى نسبته الى ننتشوبور . وأما خصمه « لوجال زاجيسي » فقد كانت المعبودة نيسابا معبودته الشخصية . وقرر جوديا صراحة أنه ابن ننجزيديا وكثيرا ما نراه يدعو « الهه » ويقره بصفة خاصة . وفي القرن السابع نجد « شماش شوم أوكين » ملك بابل يستمر في تقاليد الألف الثالثة حين يقول في رقبة : « أنا شماش شوم أوكين ابن الهه ، الذي الهه مردوك والهته زرر بانيتوم » .

وأنا لنجد بصفة خاصة في عصر الأسرات الأمورية في إيسين وبابل اشارات الى هذا المذهب الديني في قوائم الأسماء . فهناك أسماء مركبة من ايلي (الهى) : ايلي دورى (الهى قلعتى) وايلي أنام (كن رحيدا يا الهى) وايلي أمرانى (الهى انظر الى) وايلي جملانى (يا الهى اعف عني) وايلي اشمينى (الهى استمع الى تضرعى) وايلي اموروم (الهى أمور) واليما أبى (حقا أن الاله أبى) وما نوم كيما ايلي (من مثل الهى ؟) وهناك غيرها تحوى مقطع ايلوشو وايليشو (الهه) مثل : ايلوشو أبوشو

(الهه أبوه) وإيلوشو إبنيشو (الهه خلقه ، وإيلوشو إبنيشو (الهه سماه) وشا إيليشو (ملك الهه) وجميل إيليشو (عطية الهه) وإيل إيليشو ، مار إيليشو (ابن الهه) ، ومانوم بالو إيليشو (من يستطيع الحيات بغير الهه ؟) .

وأسماء النساء. كذلك تقدم دليلا على نفس المعتقد الدينى ف « إيل امدى » (الهى سندی) و « إيل إيليم رابى » (اله الانسان عظيم) . وكان الاله يهتم بالرجل الذى هو حارسه . وكان يعمل كوسيط بينه وبين المعبودات الأخرى . وينهى أوروكاجينا بعض نقوشه بهذه الصيغة : « ألا فليسجد الهه ننشوبور فى الأيام القادمة من أجل عمره أمام ننجرسو » ونحن نجد صيغة مماثلة فى نصوص انتمينا ولكن هذا الأمير يكتفى بأن يختم قصصه بإشارة بسيطة الى حاميه « الهه » هو « دون اكس » .

ولما أخذ جوديا على عاتقه أمر إعادة بناء ال « اننو » أمسكه الهه ننجزيدا من يده خلال الموكب الذى كان يسبق صنع اللبنة الأولى فى هذا الأثر . وهذا واحد من الطقوس التى يتكرر ظهورها فى الآثار المنقوشة . ويمثل الختم الاسطوانى للايشاكو المشهور (١) منظرا مماثلا . ونحن لو كان لدينا بقية من التردد فى معرفة الأشخاص فان واحدة من اللوحات المقامة تطرد كل الشكوك فانه فوق نفس صورة الأمير نجد اسمه مكتوبا داخل خانة ملكية (٢) .

وفى العصر المذكور كان الموضوع المحفور على الأسطوانة يمثل عادة منظر طقس يقاد فيه صاحب الختم الى حضرة معبود آخر بواسطة الهه . وأحيانا حين يقاد من يده كان يرفع يمينه الى فمه وأحيانا يقف فى خشوع ويداه معقودتان الى بعضهما وخلفه الهه يتشفع له (٣) ذلك لأن اله الرجل هو حاميه وشفيعه لدى المعبودات الأخرى . وهكذا فاننا نجد فى عصر الأسرة البابلية الأولى أنه حيث تقوم الأسماء الشخصية دليلا فى أمثلة عديدة على الاعتقاد فى اله حارس نرى الحفر على الأحجار يقدم كذلك شهادة تؤيد ذلك الأمر . فان البابلى التقى كان يحب أن تنقش أسماء الهه والهة فى الكتابة التى على أسطوانته سواء أوصف نفسه كخادم أم تناسى نفسه أمام المعبود ولم يذكر شيئا عن شخصيته وانه لمن الخطأ

(١) شكل ٣١ .

CIV, fig. 368, d.

(٢)

XLI, p. 49, 57.

(٣)

أن نبحث عن أية رابطة مباشرة بين النص والموضوع الذى يحفر على نفس الحجر : فإن هذا لم يكن أمراً يشغلهم (١) .

ولقد كان أداد إله الصاعقة : وقد مثله خادمه أويل أداد . ويتميز إله الغرب بعصا معقوفة : وهو يحمى زازوم الذى مثله كذلك على خاتمه . وفى مكان آخر نستطيع أن نقرأ إلى جانب إلهة الحرب أسماء إنليل وإنليل ونرجال وباد . كما تظهر أسماء إله شماش وإله أيا منذ عصر أور أمام الملك المقدس إلى جانب أسماء أداد وشالا كذلك . وهى موجودة فى عصر الأسرة الأولى ليس فقط مع إله الشمس فحسب ، بل معبودات أخرى كذلك . وهذان الاسمان منقوشان على أسطوانات معينة مثل فيها الحفار إله الغرب . ولقد بدأت تنتشر عادة اختصار الموضوع تحت حكم الملوك الأخيرين للأسرة ثم شاعت تحت حكم الكاسيين فلم يعد يمثل سوى شخص واحد وهو يقدم وعاء . ولكن الكتابة التى عليها اتسعت وتحولت إلى نص طويل . وقد حدث ذلك بالنسبة لأسطوانتين تحملان تقديماً لـ « جولا » وإله الغرب دون وجود صورة ما (٢) ، وفى مكان آخر نقرأ : « إلى جيرا المولى العظيم الذى يزيد فى الغلال ويكثر فى الكائنات الحية ويخلق خلقاً ورثاً واسماً لـ « مانوم بالوايليشو » بن « أدن بلتو » خادم جيرا وإلهة أجاده » (٣) كما نقرأ : « إلى مردوك إله المتعالى إله الرحيم على شماش شيبير الخادم الذى يوقره » (٤) .

١٤ - الخوف من الآلهة

(الصلاة والقربان « التمجيد »)

كان أول واجب فى الدين هو الخوف من المعبود . وكان حمورابى ، « يخشى الآلهة » وكان نبوخذ نصر الثانى « بكل قلبه المؤمن يحب خشية معبوداته » ويرتعد أمام سطوتهم . أما نابونيد « الذى يمتلئ قلبه رهبة فيرعى كلمة الآلهة » فإنه مع ذلك يقول كيروش أن مردوك عاقبه وهجره « لأنه لم يرهبه » .

(١) Ibid Nos. 250, 256, 233, 227, 228, 226, 106, 116, 117, 118, 160, 148, 149, 203, 217, 162, 280, 291, 295, 296, 288, 294

(٢) I, t. XVI, p. 6 et 89.

(٣) XLII, 298.

(٤) XLIX, 266.

وكان الواجب الثانى فى الدين هو الدعاء أو الصلاة والتضحية :
« قدم الخضوع كل يوم لالهك :
التضحيات والصلوات والبخور الواجب
ليكن قلبك نقياً أمام ربك !
ان هذا هو ما يرضى المعبود
ان أنت قدمت التوسل والدعاء والصلاة والسجود فى كل صباح
فانه سيمنحك كل الكنوز
وسوف تزدهر أيامك بفضل الهك
وبعقلك راع اللوحة :
الخوف يولد الرفض أو العاطفة
والتضحية تطيل العمر
والصلاة تخلص من الاثم » (١) .

وكان القربان يتكون من طعام مقدم للمعبود يصحبه حرق بعض
النباتات ذات الرائحة . وكانت السوائل تستخدم عن طريق اهراقها
(اذاقتها) وتبين الأسطوانات واللوحات المحسورة ذلك . وقد قدم
« لوجال زاجيسى » ملك أوروك خبز التقدمة وماء نقياً لاله نيبور وأقام
جوديا فى ال « باجا » مائدة القربان التى اجتمع حولها آلهة لاجش ، كما
وضع حمورابى مأكولات وأطعمة طاهرة أمام الآلهة . وصب نبوخذ نصر
نبيذا « فى وفرة ماء النهر » على مائدة مردوك وزربانيتوم .

وتقدم قوائم الطقوس بيان التضحيات التى تختلف تبعا للغرض
المراد وهاك ما قدمه بارو عند الفجر من أجل متعبد تقى لشماش فقد
وضع موقدا أمام كل من المعبودات الثمانية : شماش ، أداد ، مردوك ،
ايا ، بونين ، كيتو ، ميشارو واله المتعبد الشخصى . وعلى مائدة خلف
كل موقد وضع أربعة أوان من نبيذ السمسم و ٣٦ رغيفا ومزيجا من
الزبد والعسل ثم - أخيرا - الملح وبعد أن ينفخ الكاهن الموقد أمام شماش
أخذ صاحب التقدمة من يده وبدأ يتلو صلاته « فلان خادمك » ألا فليسمح

له في ساعة الصباح أن يقدم لك التضحية • ألا فليرفع الأرن ويقف أمام عظمة ألوهيتك • ألا فليكن مرضيا لعظمة ألوهيتك بفضل هذه الشاة ذات اللحم الطيب والأعضاء المكتملة » (١) ثم تذبح التضحية ويتقبل الآله نصيبه وهو الفخذ اليمنى والكليتان وقديد •

وكانت ذبيحة الدم عادة حملا أو جديا • وهي تصور كثيرا في المناظر المحفورة في الألف الثالثة والواقع أن الحيوان كان يمثل حقيقة صاحب القربان :

« الحمل فداء للبشر

لقد قدم حملا بدلا من حياته

لقد قدم رأس الحمل بدلا من رأس الانسان

لقد قدم عنق الحمل بدلا من عنق الانسان

لقد قدم صدر الحمل بدلا من صدر الانسان » (٢) •

وكانت الحيوانات الأخرى على كل حال تستطيع أن تؤدي نفس الغرض للتكفير عن أخطاء المريض كان يضحي خنزير • يقول الكتاب : « قسم الخنزير الى ستة أجزاء وضعها على المريض وظهره بالماء المبارك للابسو وأحضر اليه الموقد والمشعل وضع بالقرب من الباب المغلق مرتين سبعة رغفان سويت تحت الرماد • وقدم الخنزير بدلا منه • • • اللحم بدلا من لحمه والدم بدلا من دمه • • • دمع الشياطين تتقبله • أن القلب الذي وضعته الى جانب فراشه أعطه بدلا من قلبه وليتقبلوه » (٣) •

وكانت الذبائح المضحاة تنظم في عناية • وقد حدد جوديا - بعد أن عمل لوجال أوشو مجال ذلك أيضا - عدد الأسماك والثيران والنعاج والحمelan والخيول التي يضحي بها في معابد لجش باسم المدينة المناسبة أعياد السنة المهمة • وقد فرض دونجى مبالغ لمحافظى المدن ليضمن تنظيم الذبائح الشهرية تكريما لانليل • ويوضح نابوابال ادين تفاصيل عن

Ibid, p. 107.

XLIV, p. 274 ; XLI No 157.

XLIV, p. 273.

(١)

(٢)

(٣)

القرابين التي كانت ستقدم مستقبلا لشماش وذلك في لوحته الخاصة بعبادته في سيبار (١) .

وكانت الذبائح (التضحيات) المنتظمة العامة تختلف بالضرورة تبعا للموارد التي كانت تحت تصرف كل معبد . ففي أوروك (٢) في معبد أنو وفي عصر معين كانت هناك يوميا وجبتان تتكونان من الشراب والخبز والفاكهة واللحوم تقدم للآلهة كل صباح كما تقدم اثنتان أخريان كل مساء وذلك طبقا لوثيقة أعيدت كتابتها في حكم السلوقيين .

وكان شراب أنو يقدم في ١٨ انا زهيبا : أربعة أنواع من الحبة والنبيد المعصور . أما في الصباح فاللبن فقط في انا من المرمر . وكان يقدم له ٣٠ رغيفا كل منها مصنوع من ٢ ١/٢ لترا من الدقيق (٣/٤ من الدقيق الشعير و ١/٤ من القمح) يقدم منها ثمانية في كل من وجبتى الصباح وسبعة في كل من وجبتى المساء . وكان يقدم البلع من بابل . والبلع من دلمون على شريحة من الخبز منقوعة في الزيت . وكان يضاف الى ذلك التين والزبيب .

أما المعبودات الأخرى فكانت تتقبل أنصبة أصغر فـ « انتو » لم يكن يقدم لها النبيد . وكانت عشتار تحصل على ١٢ انا شراب بينما لم تكن نانا تحصل على أكثر من عشرة . وكانت كل من هذه الآلهات الثلاث يقدم لها ثلاثون رغيفا كباقي الآلهة يوضع منها ١٢ رغيفا أمام العرش الآلهي والآله المحلي للهيكل وأربعة أمام التاجين و ١٦ أمام البرج المدرج والآله المحلي .

وكانت الصحف الرئيسية تقتضى وجود ٢١ خروفا عمر الواحد منها سنتان علفت بالشعير . وأربع نعاج أطعمت باللبن و ٢٥ نعجة من المرتبة الثانية وثوران وعجل رضيع و ٨ حملان و ٦٠ طيرا من نوعين مختلفين و ٣ دجاجات و ٧ بطات و ٤ خنازير من المستنقعات و ٣ بيضات لورمو و ٣ بيضات من بيض البط . وكانت وجبات الصباح هي الأكثر أهمية فكان لافطار الصباح ١٨ نعجة وثور واحد وعجل رضيع . وللغداء ٦ نعاج والثور الآخر والحملان ومعظم الدواجن والبيض . وأما وجبة المساء فعشر من النعاج ومثلها من الطيور . وأما العشاء فعشر من النعاج فقط .

XLIII, p. 391.

LXXVII, B.

(١)

(٢)

وتقدم كتب الطقوس الخاصة تفاصيل العمليات المقدسة التي تباشر خلال الأعياد ، وان نحن ضمنا النصوص المجزأة المتعددة الى بعضها لاستطعنا أن نعيد منها تشكيل أعظم جزء من نظام الاحتفالات خلال « اكيثو » مردوك وهو أعظم أعياد بابل شأننا (١) .

وكان ال « أوريجاللو » (كبير كهنة اكوا) يستيقظ في اليوم الثانى من شهر نيسان قبل نهاية الليل بساعتين ويظهر نفسه بماء النهر ويرتدى ثوبا من الكتان ويدخل الى قدس أقداس مردوك ويتلو فى السر دعاء ثم يفتح الأبواب حتى يباشر السحرة والكالى والمغنون واجباتهم الطقسية كالمعتاد . وكانت تعمل فى نفس اليوم استعدادات مختلفة وكانت توضع أشياء معينة أمام الآلهة . وفى اليوم الثانى كان احتفال الهجعة الأخيرة الشهرية مماثلا لما سبق . وبعد غروب الشمس بساعات ثلاث كان يستدعى ثلاثة من الصناع وأحد النساجين الى المعبد ، ليصنعوا تمثالين صغيرين ارتفاعهما سبع أصابع مزينين بالذهب وبالأحجار الكريمة ومرتدين ثوبا أحمر ومحزومين بحزام من سعف النخل . وكان أحدهما يصنع من خشب الأرز ويمسك فى يسراه ثعبانا والآخر من خشب الأثل (الطرفاء) ويمسك عقربا . وكلاهما يرفع يمناه أمام « نابو » عند وصوله الى ال « اى هورساج تيلا » فى اليوم السادس . وعندئذ يقطع رأسيهما سياف ويرميهما الى الموقد . ومن اللحظة التى يبدأ العمال فى صنعهما حتى ساعة احراقهما يتناول هؤلاء العمال خير القطع المنتقاة من موائد التضحيات . وكان الصائغ يعطى صدر نعجة . ونحات الخشب فخذا . والنساج الضلوع . وكانت الكتف تحجز وتخصص لصانع ثالث يدعى « جورجورو » (أى حفار المعادن) .

وفى اليوم الرابع كان الاحتفال السرى يحوى وردين ويبدأ قبل الفجر بأربع ساعات . وبعد مشرق الشمس بساعتين يبدأ تطهير المعبد فيرشه أحد السحرة بالماء الذى يؤخذ من بئر الفرات ومن خزان دجلة ثم يقرع الدفوف النحاسية ويستعمل مجمرة ومشعلا ولا يدخل الى هيكل مردوك حيث يظل ال « أوريجوللو » داخله والباب مغلق عليه . ثم يذهب بعد ذلك الى معبد نابو ويباشر نفس الطقوس هناك ويلمس بزيت الأرز مصاريع الأبواب ويمسح الحوائط بجسم شاة لا يزال دافئاً ويكون السياف قد قطع رأسها لتوه . ثم يخرج هذان الرجلان الى الخلاء وأحدهما يحمل جسم الحيوان والآخر رأسه ويلقيان بهما فى الفرات . ولما كانا

قد تدنسا كنتيجة لاتصالهما بالدييحة ، فانهما يبقيان خارج أسوار المدينة طيلة عيد ال « اكيتى » أما ال « أوريجاللو » فكان يظل داخل قدس الهيكل كى يجتنب التدنيس ولو بمشاهدة المعبد أثناء تطهيره .

وعقب الساعة الثالثة بقليل يخرج ويستدعى الموظفين التابعين له ثم يذهبون الى الخزانة لاستحضار « السماء الذهبية » ويغطون معبد نابو من أعلاه الى أساسه وبعد حين يعد ال « أوريجاللو » ذبيحة أمام مردوك ثم تنقل المائدة الذهبية التى استعملت فى هذا الغرض الى ضفة القناة حتى يستطيع نابو استخدامها فى لحظة رسوه .

ويصل الملك فى نفس اليوم وربما كان يصحب ال بورسيبا ويقاد الى الايساجيل ويترك وحده فى الفناء الرئيسى وعندئذ يخرج الأوريجاللو من الهيكل ويخلع عن الأمير علامات الملك والصولج والدائرة والعصا ذات الأسنان والتاج ويذهب ليضعها جميعا على مقعد أمام تمثال مردوك ثم يعود الى الأمير ويضربه على الخد ويقدمه الى حضرة الاله ويشد أذنيه ويجعله يركع . ثم يتلو الملك اعترافا سلبيا :

« أنا لم أرتكب اثما يا سيد الأرضى . أنا لم أهمل فيما يختص بالوهتيك

أنا لم أحطم بابل ولم أمر بتفريقتها .
أنا لم أهز الايساجيل ولم أنس طقوسه
أنا لم أضرب الزوار على خدودهم ولم أسبب لهم مذلة
لقد عنيت ببابل ولم أهدم حوائطها » .

فيجيب الأوريجاللو الملك « لا تخف . سيباركك بعل الى الأبد
وسيحطم أعدائك وسيهزم خصومك » .

ثم يخرج الملك من الهيكل وتعاد اليه علامات الملك ويضربه الأوريجاللو مرة أخرى على الخد ويجب عندئذ أن تتساقط دموعه والا كان ذلك طالعا سيثا معناه أن الاله غاضب وأن اعتداءات ستحدث وأن نهاية الحكم أذنت .

وفى نفس اليوم بعد غروب الشمس بقليل يصنع الأوريجاللو حزمة من أربعين قصبة تربطها الى بعضها سعفة نخيل ثم يضعها فى حفرة فى وسط الفناء الرئيسى للمعبد ويسقيها بالعسل والقشدة والزيت ويقاد الى هناك ثور يضحي ويشعل الملك بنفسه الحزمة بواسطة غصن مشتعل .

وربما كان اليوم السابع من الشهر - كما هي الحال فى أوردوك - مخصصا للاستعدادات النهائية للموكب والبأس مردوك .

أما اليوم الثامن فكان الاله يغادر فيه هيكله . وكان الملك هو صاحب الحق فى « أخذ يده » ليقوده الى ال « أكيلى » . أما فى المدن الأخرى حيث كان يتمتع بنفس الامتياز فانه كان يجوز للملك أن يرسل ثيابه لتمثله . ولكنه كان مضطرا فى بابل أن يحضر شخصيا والا فان الموكب لا يتحرك وفى هذا كارثة شاملة لأن أقدار السنة سوف لا تقرر .

وكان مردوك يتوقف عند خروجه من الهيكل . كان يتوقف « بين الأستار » فى مذبح مقام فى وسط الفناء الرئيسى حيث تكون وضعت (طبقا للنظام المقرر للاحتفال) العلامات المقدسة والآلهة الذين يسمح لهم أن يكونوا فى الركب وقد حدد الطقس التضحيات التى تقدم والأغاني التى تردد . أما فى المحطة الثانية فكان مردوك يجلس على مقعد أمام نجمة نجهل اسمها . وتقع المحطة الثالثة فى « دو - أزاج » هيكل الأقدار .

وعند مغادرة الدو أزاج يترك الموكب أبهاء الايساجيل ويتحرك على الطريق المقدس متجها الى الشمال ومارا خلال بوابة عشتار حتى يصل الى الفرات . وهناك يدخل الاله الى قاربه كى يذهب وينزل الى البر على رصيف ال « اراهو » ومن هناك يذهب الى ال « أكيلى » الخاص به المسمى « ايزور » أى « معبد الصلوات » ويظل فيه حتى اليوم الحادى عشر من الشهر ثم يخترق الموكب مرة أخرى نفس الطريق فى الاتجاه المضاد . وبعد وقفة أخرى عند ال « دو أزاج » يدخل مردوك الى هيكله مرة أخرى . وفى اليوم التالى يعود نابو الى بيته فى بورسبيا .

١٥ - الخطيئة

كان مصدر كل خير للرجل رضى الهه عنه وكان فقدان هذا الرضى أصل كل المتاعب . وكان الاله الحارس مسئولا بطريقة ما عن الأخطاء التى يرتكبها من هو فى حمايته ضد الآلهة الآخرين وكان عليه أن يعاقبه عليها . ويقول كاتب لاجاش الذى كان يرثى تدمير بلده صراحة : « لم يكن هناك اثم من ناحية أورو كاجينا ملك جرسو . أما من ناحية لوجال زاجيسى ، ايشاكو أوما ، فلتحمل نيسابا الهته هذه الخطيئة فوق رأسها » (١) . ولكن كيف كان المعبود الغاضب يعبر عن سخطه ؟ انه كان فى الأوقات العديّة يسكن جسد خادمه وحين يضطر لظهار عدم رضائه من أجل اثم فانه كان ينسحب منه فتأتى الأرواح النجسة للتو لتحل محله وتجبر معها فى موكبها المصائب والشقاء . « ان من لا اله له

يدثره الصداع كثوب يسير فى الشارع » • « ان من ليست له آلهة
حامية يحطم كيانه الصداع » (١) •

ولكى يعود اليه رضى'اله كان يلجأ الى السحر لطرد الأرواح.
وتكتسب رعايته من جديد عن طريق التكفير والتضحيات والتطهيرات
- فوق كل شيء - الصلاة المصحوبة بمظاهر طقسية • وتحوى « مزامير
التوبة » الاعتراف بالخطيئة المعروفة أو غير المعروفة وتنتهى أحيانا
بأنشودة مديح :

« مولاي ! ان آثامى كثيرة وذنوبى فظيعة

الهي ! ان آثامى كثيرة وذنوبى فظيعة

الهي ! ان آثامى كثيرة وذنوبى فظيعة

أيها الاله الذى أعرفه أو الذى لست أعرفه ان آثامى كثيرة وذنوبى
فظيعة

أيتهى الالهة التى أعرفها أو التى لست أعرفها ان آثامى كثيرة
ذنوبى فظيعة

ألا فليخف الغضب فى قلب مولاي

ليهدأ الاله الذى أعرفه أو لا أعرفه

لتهدأ الالهة التى أعرفها أو التى لست أعرفها » (٢) •

ويكشف الاعتراف السلبي جزئيا عن الذنوب التى قد يقتربها
المؤمن وفيه - بعد الإشارة الى الخطأ الذى يرتكب فى حق الآلهة - يأتى
ذكر أولئك الذين يبذرون الفروقة والكذابين والمشاكسين والتجار الذين
يغشون فى النوع أو الكمية أو يطففون وأولئك الذين ينقلون علامات
الحدود من أماكنها ويسلبون بضائع الغير أو يضررون به والذين يزنون •

١٦ - المجازاة (العقاب)

كان كل اثم - مهما يبلغ أمره - يعاقب عليه فى هذا العالم وبالمثل
كان للفضيلة هنا جزاؤها • ولم يكن الانسان الذى خلقه المعبود على
صورته ومن أجل خدمته ليتوقع شيئا وراء هذه الحياة التى سيغادرها ان
عاجلا أو آجلا لينزل الى العالم السفلى الذى ليست هناك عودة منه « ولقد
قالت الجنية سابيتو الى جلجامش انه حين خلقت الآلهة البشر وضعوا
الموت نصيبا لهم واحتفظوا بالحياة فى أيديهم » وكان نبات الحياة الذى

XXIII t. XVII pl. XIV ch XIX.

(١)

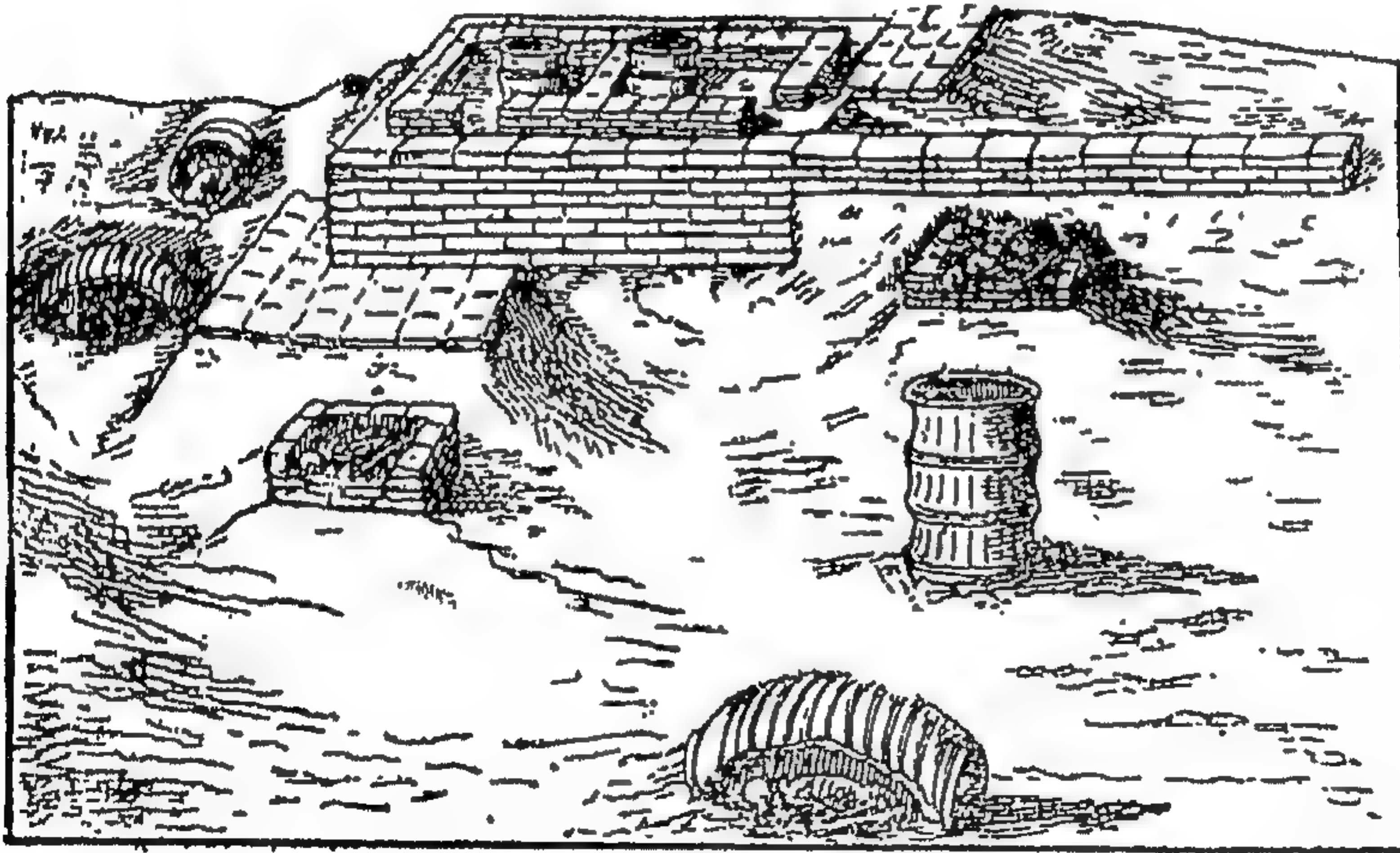
XLIV. p. 237.

(٢)

يجب أن يؤكل للحصول على الخلود ينمو في « الأيسو » • وقد حصل عليه جلعامش بعد رحلة بالغلة المشقة ولكن سرقة منه ثعبان • ولقد كاد أدايا يخلص من رق الغناء لو أنه تقبل الطعام والشراب المقدم إليه من الآلهة انو ولكن قدره شاء له أن يرفضه • وحتى عشتار - رغم خلودها - لم تكن لتستطيع أن تهرب من الجحيم عندما نزلت إليه تبحث عن محبوبها لو لم تكن قد رشت بماء الحياة •

وعلى ذلك فإن البابلي - خوفا من الموت - كان يلتمس من آلهته أن يطيلوا في حياته الحاضرة ولقد طلب لوجال زاجيسي (صاحب) أوروك أن تضاف حياة إلى حياته (١) والتمس جوديا أياما طويلة من أجل أعماله التي تنسم عن تقواه (٢) ورغب أراسن ، أجوم كاكريم في « مصير من الحياة » وأطلق نبوخذ نصر الثاني على الأصر الذي بناه « ألا فليعيش نبوخذ نصر ! ليعش حتى الشمس تخبو قهرمان الإيساجيل » وقدم نابونيد هذه الصلاة إلى إله القمر : « خاصني من الأثم ضد عظمة ألوهيتك وامنحني الحياة أياما طويلة وأما بالنسبة « لبعل شار أوتسور » أكبر الأبناء الخارجين من قلبي فضغ الخوف من عظمة ألوهيتك في قلبه اجعله لا يرتكب اثما - ألا فلتمتلئ نفسه بالحياة الكاملة » (٣) •

١٧ - بعد الموت



(شكل ١٥) مقابر في لجش (منقولة عن كتاب الحفائر الحديثة في تللو ،

صفحة ١٢٦) •

LXXI, p. 55.

(١)

LXXVI, p. 175.

(٢)

XXXII, b, p. 253.

(٣)

مهما يظل بقاء البسابل فإنه سيأتى يوم يموت فيه . وكان الأحياء
يعنون بأن يهيئوا للميت دفنه مشرفة تختلف باختلاف تراء الميت . وقد
تطورت وتبدلت على مر القرون (١) ففي سيبار مثلاً فى نحو نهاية الألف
الذاتة كان الميت يوضع على ظهره فى حوض مستطيل الزوايا من الطوب
وتوضع فى متناول يده آوان من الطين والبرونز . وفيما بعد تحول الحوض
الى مستطيل وأصبح الأثاث الجنزى يتكون من أشياء مختلفة : كالسكاكين
والموازين والحبات من العقيق والبراميل الصغيرة والسهم ٠٠٠ ثم
استبدل الحوض فيما بعد باناءين كبيرين من الفخار . وكان طعام القربان
يقدم مرة كل شهر للراحل اتقاء لأذاه ، أكثر منه تكريماً له لأنه كان من
المعتقد فى الواقع أن ظل الميت يفترق عن جسده مباشرة عقب الموت
وينحول الى روح شريرة تسمى « اديمو » وتنضم الى طبقة الـ « أوتوكى »
الأشرار وهى لا تستريح طالما لم تدفن الجثة « ان من تبقى جثته ملقاة فى
الحقول يظل خياله غير مستقر فى الأرض . وان من لا يعنى أحد بخياله
يقتطع ما يصل الى يده فى مطافه السريع من بقايا الأطعمة الملقاة فى
الشارع ليأكلها » (٢) وعلى ذلك ، فإن الحرمان من الدفن كان أقصى عقوبة
« فلتسقط جثته وذ يجد لها قبراً » (٣) . وحين تودى آخر الواجبات
للجسد ينزل الاديمو الى « الأرض العظيمة » الى « بيت الظلام » مسكن
رجال « الى البيت الذى لا يخرج منه من يسخل فيه » وطبقاً لما جاء فى
قصيدة « نزول عشتار الى الجحيم » (٤) كان ذلك المكان مسوراً بسبع
حوائط تتخلل كل منها بوابة وكان يشمله ظلام حالك فى كل الأوقات
وكان الموتى « وهم يلبسون ثياباً من الريش كالطيور » يأكلون التراب
ويتغذون بالطمى وكان على رأس هذه المملكة نرجال واللاتو الملقبة
اريشكيجال وكانت تحت امرتهم أرواح الطاعون والمرض ترقب الموتى
وتمنعهم من الصعود لمهاجمة الأحياء .

ولما رأى انكيدو رفيق جلجامش نفسه فى رؤيا يتحول الى أحد
ساكنى الجحيم رأى هناك الموتى والكاهن والساحر والنبى وكل أنواع
البشر مجتمعين هناك دون تفرقة بينهم (٥) ولما استدعاه جلجامش بعد

CX b, p. 214, 265 et suiv.

(١)

XIII, p. 315.

(٢)

Ibid. p. 397.

(٣)

Ibid., p. 326.

(٤)

Ibid. p. 215.

(٥)

هوته ليستعلم عن « قانون الأرض التي كان قد رآها » كان تصويره لذلك
مريرا للأحياء الى درجة أبكتة . ومع ذلك فان المصير المحزن بالنسبة
للموتى جميعا لم يكن واحدا فبعضهم كانت تأكلهم الديدان كقطع من
الثياب القديمة وبعضهم كان يملؤهم القبار ولكن كان هناك بعضهم أقل
تعاسة يستريحون فوق أسرة ويشربون ماء نقيا على حين كان أولئك
الذين يسقطون في الممارك ينالون عون آبائهم وزوجاتهم (١) .

أما السماوات التي كانت مقسمة الى مساكن مخصصة للآلهة فلم
تكن من نصيب البشر . فبطل الطوفان وزوجه اللذان أصبحا خالدين قد
وضعا في جزيرة نائية « عند مصب الأنهار » ولم يصعد الى السماء سوى
رجلين فقط هما أدايا الأريدي واتانا ملك كيش (٢) ، وكان على أدايا بعد
أن كسر أجنحة الريح الجنوبية أن يظهر أمام أنو وقد رفض - مستمعا في
ذلك الى نصيحة ايا - الطعام والشراب للذين قدما له وقد هدا غضبه أنو
بعكس ما كان يظنه اله أريدو : ولقد كان ذلك الطعام والماء طعام الحياة
وماؤها فقال له : « لم لم تأكل ؟ لم لم تشرب ؟ سوف لا تعيش ! » .

ولقد صعد اتانا - الملك الثاني عشر للأسرة الأسطورية عقب
الطوفان - الى السماء كذلك بقصد سرقة الشعاع الملكي الموضوع أمام
أنو . وقد تعرف عند الجبل الذي ذهب اليه لبحث عن « نبات انجاب
الأطفال » ليضمن لزوجته أن تلد ولادة موفقة ، تعرف الى النسر الذي
عرض عليه أن يحمله الى السماء . ولقد حدث ذلك الأمر مما أدهش الرعاة
وكلابهم (٣) وأراد النسر بعد وصوله الى سماء أنو أن يرتفع صاعدا الى
عرش شعتار نفسه ولكن الدوار أصاب اتانا الذي يجر معه النسر أثناء
سقوطه . وتوجد ثنائية الاديمو الخاص بـ « اتانا » - كباقي المؤلهين - بين
الموتى في العالم السفلي (٤) .

Ibid, p 325.

Ibid, p. 148 et 162.

XLII, t. 97 ; CIV fig. 301.

XLIII, p, 215.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

الفصل الثانى

الفنون

١ - العمارة

كانت المساكن الأولى لسكان سوميروأكاد خياما أو أكواخا من القصب ، وكما هى العادة اليوم فى هذه الأقاليم كان القصب يزرع فى دائرة أو فى صفين متوازيين . وكانت السيقان ترتبط الى بعضها عندئذها حتى تصبح على شكل مجموعة من الأقواس (القباب) وهناك شاهد قوى على ذلك من بعض المناظر المرسومة على الأسطوانات . ولما لم يكن فى البلاد أحجار فان المبانى كانت تغطى بطبقة من « الطين » (طمى مختلط بقش) وسرعان ما لوحظ أن الطين يكتسب من حرارة الشمس فى الصيف صلابة وقد أدى ذلك الى تشكيكه فى صورة مكعبات تترك لتجف : ومن هنا كانت قوالب اللبن المجفف فى الشمس . ويوضعها فوق بعضها البعض قبل أن تجف تماما استطاعوا الوصول الى ما يربطها دون الاستعانة بالمونة : ومن هنا جاءت فكرة الحائط من الطوب . وقد استطاعوا أن يبنوا منازل سرية صغيرة الحجم من اللبن المجفف فى الشمس صنعت سقوفها من القصب المغطى بالطين وترتكز على ركائز من أخشاب النخيل (العروش) أما اختراع الآجر الذى يسجل تقدما جديدا يرجع الى الصدفة : فان اللبن أصبح أشد صلابة فى الموقد منه حين يترك ليجف فى الشمس . وهكذا استعملت تلك الطريقة البدائية ثم تعلموا فيما بعد أن يصنعوا الآجر فى أتون مغلق (قمينة) .

وأقدم أنواع الطوب من عهد الملك أورنيينا فى تللو وغيرها فى أبو شهرين مستطيلة ومقببة على أحد وجوها وأما فيما بعد فهى ملساء . وفى المبانى الرسمية نرى عليها نقوشا محفورة أو مختومة . أما أحجامها فكانت تحدد فى كل عصر على حدة سواء أكانت مستطيلة أم مربعة أم مثلثة الأركان كما هى الحال فى مغير أو على شكل أقواس محزومة للأعمدة كما هى الحال فى تللو . وأما أنواعها فتختلف من عصر الى آخر . فتللك التى تمت الى عصر نبوخذ نصر الثانى فى بابل عبارة عن طوب مربع طول ضلعه $3\frac{1}{2}$ سم وهى تامة النضج .

وكان هناك دفعة أخرى في هذه الصناعة الى الأمام وهي اختراع القاشاني الذي ساد استعماله في الامبراطورية الجديدة لتكسية حوائط القصور وقد نقل البابليون هذا الفن بواسطة الآشوريين .

ولم يكن الحجر يستعمل قبل حكم نبوخذ نصر الثاني سوى في أرزاق الأبواب في المعابد والمنشآت العامة ويرجع هذا الترف الى عصر سحيق وطبقا لما ذكره هيرودوت وديودور كانت هناك قنطرة من الحجر فوق الفرات عند بابل في القرن السادس ولكن واقع الأمر أن الأحجار لم تستعمل فقط الا لتغطية الدعائم ولتسند روافد الخشب .

ومن الملاحظ أن الدعائم السبع التي كشف عنها مصنوعة من الآجر (١) وقد استعملت الأحجار في هذا العصر لرصف الطريق المقدس في بابل وللحدائق المعلقة وللحائط الشمالية للقلعة .

وكان المبني دائما مستطيلا متوازي الاضلاع سواء كان خصرا أم معبدا أم مسكنا خاصا يركز أصلا على مرتفع من البناء يدرا عنه الفيضان . وكان هذا المرتفع ويسمى « تمنو » عبارة عن أربع حوائط من الطوب الذي غالبا ما يكون أجرا يملأ ما بينها بالتراب والانقاص وغيرها . وكانت تتخلله مجار بقصد حمايته وتجنبها لتجمع ماء المطر . وقد عثر في سومير على بعضها عمودية مصنوعة من أنابيب فخارية ملأى ومحاطة بالخفاف ومغلقة بواسطة قبة مثقوبة بممرغاة « مطفحة » في مستوى الأرضية (البلاط) . وكما عثر في بابل في المدينة من عصر البابلية الجديدة على بعضها من أحجام كبيرة مقببة بشكل جمالون وأخرى صغيرة من قالبين من الطوب على شكل V مغطاة بقالب ثالث أفقى .

وكانت المنازل تشيد أحيانا كلها من الآجر وأحيانا أخرى تقوم على بعض صفوف (مداميك) منه وقد استعملت الطريقة الأخيرة في بابل منذ أيام حمورابي حتى سقوط الامبراطورية . أما في الأحياء الخاصة فقد كانت للبيوت حوائط ضعيفة وكان من النادر أن يبنى فوق الدور الأرضي غرفة علوية وكانت البيوت متلاصقة بحيث لا تتحرك فيما بينها الا ممرات أو حارات ومع ذلك فإن المبني لم يكن يقوم بغير نظام ، لأنه منذ الأسرة الأولى نجد هناك تصميمات للشوارع لا مثيل لها في المدن السوميرية القديمة . وكان هذا التصميم (الذي ظل محتفظا به رغم الثورات) يحدد الشوارع الرئيسية التي تتجه من الشمال الى الجنوب ، وتتقاطع معها شوارع عرضية .

ولسنا نعرف كيف كانت توضع السقوف فاننا نرى في كل مكان بقايا الحوائط القديمة قائمة الى ارتفاع بضعة أقدام فقط وليس لدينا أى أثر لما كان يعملوها وليس من شك في أن أصحاب المباني الخاصة كانوا يستخدمون النخيل الذى كان ينمو في الاقليم ثم يغطون أفلاقه بطبقة من الطين تثبت عليه تماما أما بالنسبة للمباني العامة منذ عصر أورنيينا فاننا نلاحظ استعمال جذوع الأرز التى ثبت أن خشبها لا يعطب . وقد كان يؤتى بها من الجبال وخاصة من لبنان . وقد كان من النادر عمل فتحات أخرى غير الأبواب وأقصى ما كان يعمل هو بعض فتحات صغيرة فى أعلى الحوائط . ولقد كان شكل المبنى عامة لا يوحى بمنظر لطيف . وكانت الحوائط تغطى بطلاء ملون يزينها ويحميها من التقلبات الجوية .

ولقد شهدنا حتى الآن الترتيبات الخاصة بالمعابد (١) . أما قصر نبوخذ نصر الثانى فى بابل فكان مكونا من مبان موزعة حول أربعة أفنية رئيسية . أما قاعة العرش - وطولها ٥٢ مترا وعرضها ١٧ مترا - فكانت تواجه الشمال . وتقوم فى ثالث الأفنية وأوسعها وتتصل بكل المباني المجاورة . وكانت الزينة الوحيدة لهذه القاعة مشكاة ضخمة حيث يجلس الملك وكانت ترى من الفناء . أما سمك الحوائط فكان ستة أمتار وكانت كلها مطلية باللون الأبيض . أما حوائط البهو فعلى العكس من ذلك اذ كانت مزخرفة بطوب مغطى بالميناء وزخارف ، مستوحاة من الفنين الحيثى والاشورى ، وهى تتكون من عمدة صفراء على أرضية زرقاء سماوية اللون تحمل شريطا عريضا مرصعا بوريدات بيضاء ذات لون أصفر فى الوسط ومعينات زرقاء محاطة باللون الأصفر (٢) . أما الغرف الشخصية فكان يتقدمها دهليز يمكن الوصول اليه بعد اختراق غرفتين وقد عثر هناك على بشرين دائريتين .

أما فى الركن الشمالى الشرقى من القصر فقد عثر على مبنى ضخم مكون من أربع عشرة غرفة مقببة رتبت فى صفين . وان وجود بشر وأحجار تناولتها يد الانسان بالتهذيب لما يدفعنا الى التساؤل ان كان ذلك هو أساس الحدائق المعلقة احدى عجائب العالم القديم . وعلى أية حال ، فان الحدائق كانت قائمة داخل أسوار القلعة طبقا لما ورد فى مؤلفات اليونان .

وكان يحيط بهذه القلعة التى كان يشغل القصر معظمها - شأنها فى ذلك شأن المدينة - سور مزدوج . وكان الحائط الخارجى لمدينة نبوخذ

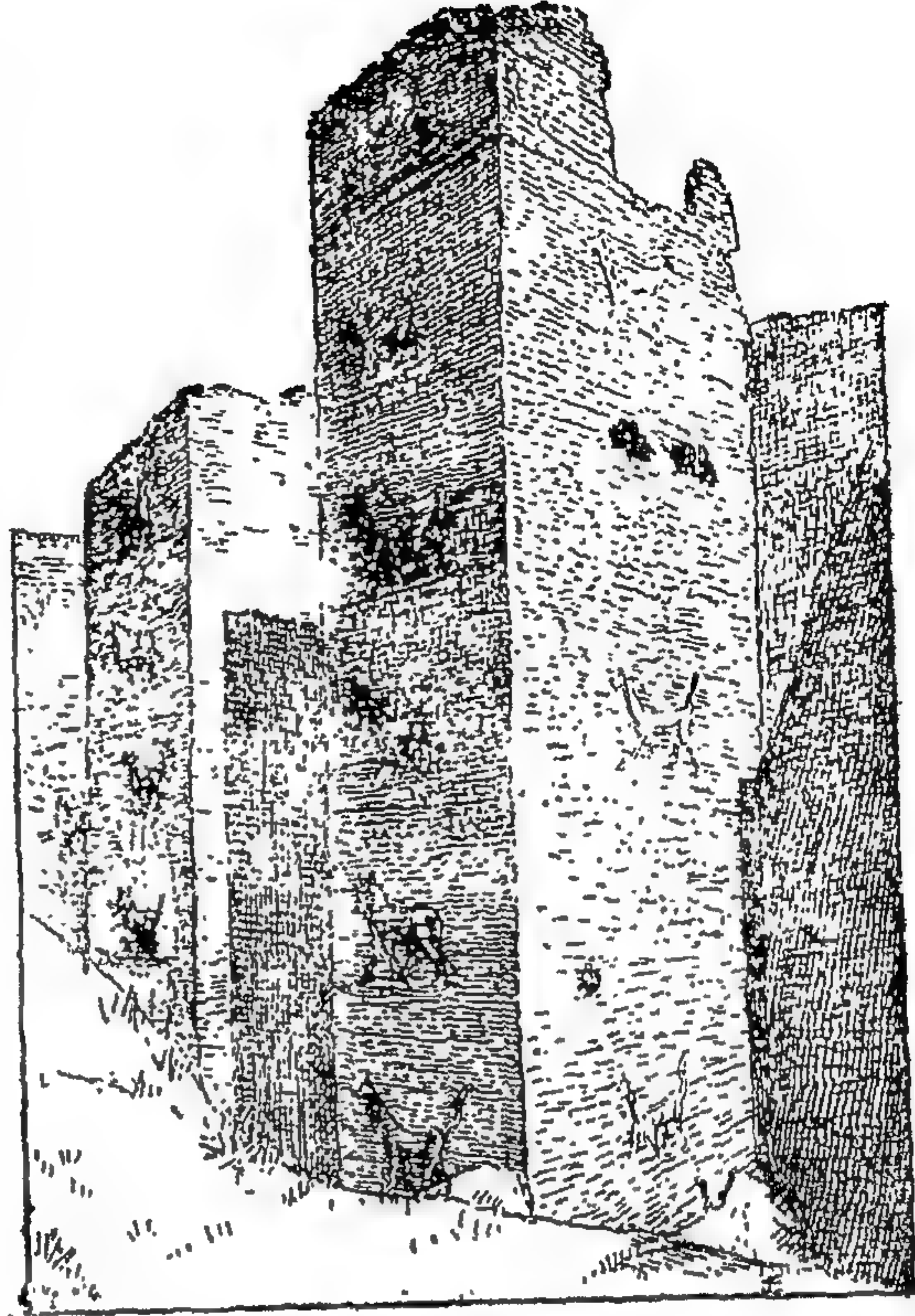
(١) انظر صفحة ١٤٥ وما بعدها .

(٢) انظر شكل ٢٧ .

تصير مصنوعا من الآجر وبين طبقاته القار وسمكه ٧ر٨١ مترا وقد دعم من الخارج من خندق التحصين حتى مستوى الأرض بحائط آخر سمكه ٣ر٢٥ مترا . أما الحائط الداخلى (الذى تفصله عن الحائط الآخر مسافة ١١ر٢٥ مترا) فقد بنى من اللبن بسمك أقل (٧ر١٢ مترا) . وجهاز أبراج على مسافات متباعدة منتظمة بارزة فى الجانبين . وكانت تبعد هذه المجموعة من الاستحكامات مسافة ٢٤٠٠ متر من الايساجيل - معبد مردوك - الذى يعد قلب المدينة . وفى القرن السابق تحت الاحتلال الآشورى لم تكن المدينة تشغل سوى مساحة صغيرة . وكانت تحصيناتها التى لا تبعد أكثر من ١٤٠٠ متر من الهيكل تتكون من سور مزدوج من اللبن عرضه ٦ر٥٠ مترا تقع على جانبيه أبراج ضخمة بينها أبراج أخرى صغيرة . ومن المحتمل أن المدينة كانت أصغر من ذلك فى القرون السابقة ولكن أسوارها الدفاعية القديمة لم يكشف عنها بعد . وكانت المدن السوميرية كذلك محاطة بحوائط من اللبن كشف عن بقايا منها فى تللو .

ولعل أجمل أثر فى بابل هو بوابة عشتار التى أعاد بناءها نبوخذ نصر الثانى وهى تقع بالقرب من القلعة عند النقطة التى يبدأ عندها الطريق المقدس دخول المدينة القديمة . وكانت مكونة من مبنين من الآجر يمت كل واحد منهما الى أحد حوائط المدينة وكان كل مبنى منها ينغلق عليه باب من الأمام والخلف ويفصلهما بهو يحيط به حائطان صغيران . أما فى الجانبين الآخرين فإن البوابة يقع على جانبيها جناح يتخلله ممر . وعلى ذلك فإنه كانت هناك ثلاثة مداخل مختلفة تغلق عليها ثمانى بوابات . ويلاحظ أن البرجين المركزيين اللذين يقعان على جانبي المدخل فى جهة الشمال والغرب شأنهما فى ذلك شأن الواجهة كلها والممر الرئيسى والواجهة الجنوبية الشرقية المواجهة للمدينة قد زينت جميعها بحيوانات رتبت فى صفوف أفقية يمثل كل منها نوعا معينا : ثور أداد وتنين مردوك . وهناك صفوف ستة كائنة الى أسفل ما يظن أنه كان ممر قديما للطريق المقدس وهناك ثمانية أسفل الممر من اللبن وعشرة أسفل ممر نبوخذ نصر المرصوف بالحجارة . والحيوانات فى الصفوف التسعة الأولى منقوشة وهى تتكون من طوب غير مطلى بالمينا . أما الى أعلى فهناك صفان من الحيوانات من الطوب المغطى بالمينا ولكنها ليست منقوشة ثم صفان من الطوب الخزفى المنقوش . وقد أحصى عدد الصور التى توجد بهذه الجاميع الثلاث عشرة من الحيوانات فوجد أنها ٥٧٥ صورة منها ١٥٢ مازالت قائمة فى أماكنها . وهى كلها تواجه - بقدر الامكان - الأشخاص الذين يدخلون المدينة . ولقد صور نبوخذ نصر الطريق المقدس بواسطة تحصينات جديدة عند هذه البوابة وذلك بواسطة حائط

سمكه ٧ أمتار تقع على
جانبه أبراج تقوم بينها
سباع منقوشة نقشا
بارزا ومزينة بالمبناى يبلغ
عددها ستين فى كل
ناحية وهى تواجه
المدينة :



وقد رصف الطريق
المقدس ببلاطات عريضة
من الحجر الجيرى
استجلبت من Hit
على الفرات من بين
طبقتين من البرشيا
الحمراء المعروفة
بالأبيض . وتقوم
الأحجار - التى يربطها
ببعضها البعض
الأسفلت - على أساس
من الآجر المغطى بالقار .
ويظهر أن الطريق كان

شكل (١٦) بوابة عشتار فى بابل (نقلا عن كولداى

Das wieder ershende Babylon

مخصصا للمشاة وللمراكب الدينية . ولا يلاحظ عليه آثار مركبات على
الاطلاق . وبعد أن يسير بجوار الزيجورات فى الشرق نراه ينحرف فى
زاوية تاركا معبد مردوك على اليسار حتى يصل الى كوبرى الفرات ثم
يهبط مرة أخرى من الشمال الى الجنوب فى اتجاه بورسبيا .

ويظهر أن البابليين كانوا يهدفون الى ضبط زوايا مبانيهم على
اتجاهات البوصلة مما كان يسمح بعدم حرمان أية واجهة حرمانا تاما من
أن تطل فى الشمس . ولم يكونوا يقيمون أى مبنى دون تأدية طقوس
معينة . وقد أعدوا تحت الحائط أو الرصيف مخايب صغيرة خبئت فيها
نقوش تذكارية ترافق تماثيل صغيرة واقية وأحيانا تمائم وأشياء أخرى .
وحين كان يسقط أحد المباني ويتحول الى أنقاض ويسمح الآلهة بإعادة
بنائه فإنه كان من الواجب أن يبحثوا عن النص القديم وأن يرش بزيت
مقدس ثم يعاد وضعه فى الطبقة السفلى (بدروم) للمبنى الجديد .

وكانت الأكوام الصناعية تتكون من البقايا والمخلفات توضع بين الحوائط من الآجر عادة : وكان الطوب يجفف تماما قبل استعماله • وكان يراعى فى الرصيف السميك ترك فتحات عديدة ضيقة حتى يكون الجفاف محققا • أما فى آشور حيث كانت المواد تستعمل وهى لا تزال رطبة فان مثل هذه الفجوات لم يعثر عليها •

وكان الملاط يصنع من الأسفلت المختلط بالطين أو القش • وقد استعمل فى عصر نبوخذ نصر ملاط من الجير • كما استعمل الأسفلت وحده لحائط الفرات فى عهد نابونيد وكما استعمل ملاط الطين فى مباني الفرس واليونان •

أما الزخرفة الخارجية للمباني فكانت تتركب من نقوش وزخارف من الطوب أو العملة المربعة كان الهدف من استعمالها كسر حدة الملل فى الحوائط وكان الطوب يغطى فى كل مكان بطبقة من الطلاء من الجير أو الأسفلت لحمايته من التقلبات الجوية • ومن المحتمل أن استعمال الطوب المغطى بالمينا لم يعرف قبل الاحتلال الآشورى • وقد استخدم يقصد الزيادة من روعة هذه الزخرفة • التى اكتملت بما كانت عليه الأبواب المشغولة من أبهة وفخامة فبوابات جوديا فى انيسو فى لجش صنعت من الالوز المغطى بالمعدن شأنها فى ذلك شأن الأبواب المتأخرة لمعايد بابل التى رسمها نبوخذ نصر • أو مصاريع بوابة عشتار المزينة بالنحاس • وكانت هذه الأخيرة تدور على « رزاز » من البرونز مثبتة فى عتبة من نفس المعدن وربما استعيرت النقوش التى عليها من الفن الآشورى •

٢ - النحت

ولقد كان فن النحت السوميرى أكادى فى تقدم حتى عصر جوديا وملوك اور الى أن انتهى به الأمر الى الانهيار منذ قيام الأسرة الأولى فى بابل فحل محله طراز جديد هو الفن الميزوبوتامى فى عصر الكاسيين • ولقد كان السوميرى أكادى يهدف الى تمثيل الطبيعه فى تماثيله الكبيرة من الديوريت التى جاءت ثقيلة نوعا ما ولقد نجح فى التماثيل فى اظهار شكل الضلات رغم صلابه الحجر كما حاول ابراز ثنيات النسيج وهو أمر لم يعن به الفن البابلى فيما بعد مما يجعل العصر الفارص فى القدم فى مقدمة العهود من حيث الكمال فى تمثيل الصورة الانسانية •

أما التماثيل فنادرة • وبمتحف اللوفر ثمانية من الديوريت كان قد وضعها جوديار فى معابد لجش وكلها تبين الايشاكو فى مظهر الولاء أمام المعبود ويدها معقودتان الى بعضهما وهو اما واقف أو جالس ويمسك أحيانا على ركبتيه تصميميا للمعبد أو مسطرة أو قلما ولكن كلها - لسوء

الحظ - مقطوعة الرأس • والرؤوس المنفصلة التي عشر عليها في الانقراض لا تناسبها • ولقد أمكن ترميم واحد من التماثيل الجالسة ذات الحجم الصغير (١) ويلاحظ في الرأس بعنقه القصير - ويكاد يكون سليما - أنه مخلوق كنه وتغطيه عمامة • وقد عني بنحت الشفتين والخدين ولكن علينا ألا نعتقد أن هذه صورة الأمير فسان هذا لم يكن غرض النحات الشرقي القديم على الأقل قبل العصر الاكيميوني لأن كل تماثيله كانت تقليدية • وقد ظل النحاتون يعنون بإبراز العضلات والتمثيل الدقيق للحركة الطبيعية للملابس خلال عهد ملوك أور ولكن شأن النحت لم يكن كذلك فيما قبل كما يبين التمثال الصغير المنحوت من الرخام لملك من آداب أقدم من جوديا يرتدى ثوبا كالقرباب (الجراب) وليست به عضلة واضحة أما العين فمفرغة جوفاء شأنها في هذا الشأن كثير من التماثيل العتيقة والرأس مخلوق تماما (٢) • ولم تكن النسب الصحيحة مرعية دائما ومن أمثلة ذلك تمثال أورباو (٣) أحد أسلاف جوديا ؛ إذ أنه قصير قصيرا غير متناسب • وكذلك نرى

في أحد التماثيل العتيقة (٤) أن الارتفاع كله لا يبلغ أربعة أمثال الرأس وحده •

وكانت التماثيل الكبيرة من الحجر الصلب الصخري • أما الصغيرة فمن حجر لين في معظم الأحيان من الحجر الجيري أو المرمر أو الأونكس • ولقد بذلت محاولات أحيانا لجعلها طبيعية تنض بالحياة وذلك عن طريق التطعيم



(شكل ١٧) قطعة من نقش بارز دائري
(متحف اللوفر - حفائر تللو)

(١) شكل ٥ صفحة ٣٦ •

LXX, pl. 21 fig. 4.

Ibid., pl. 6, et 8.

Ibid, p. 1 ter fig. 3.

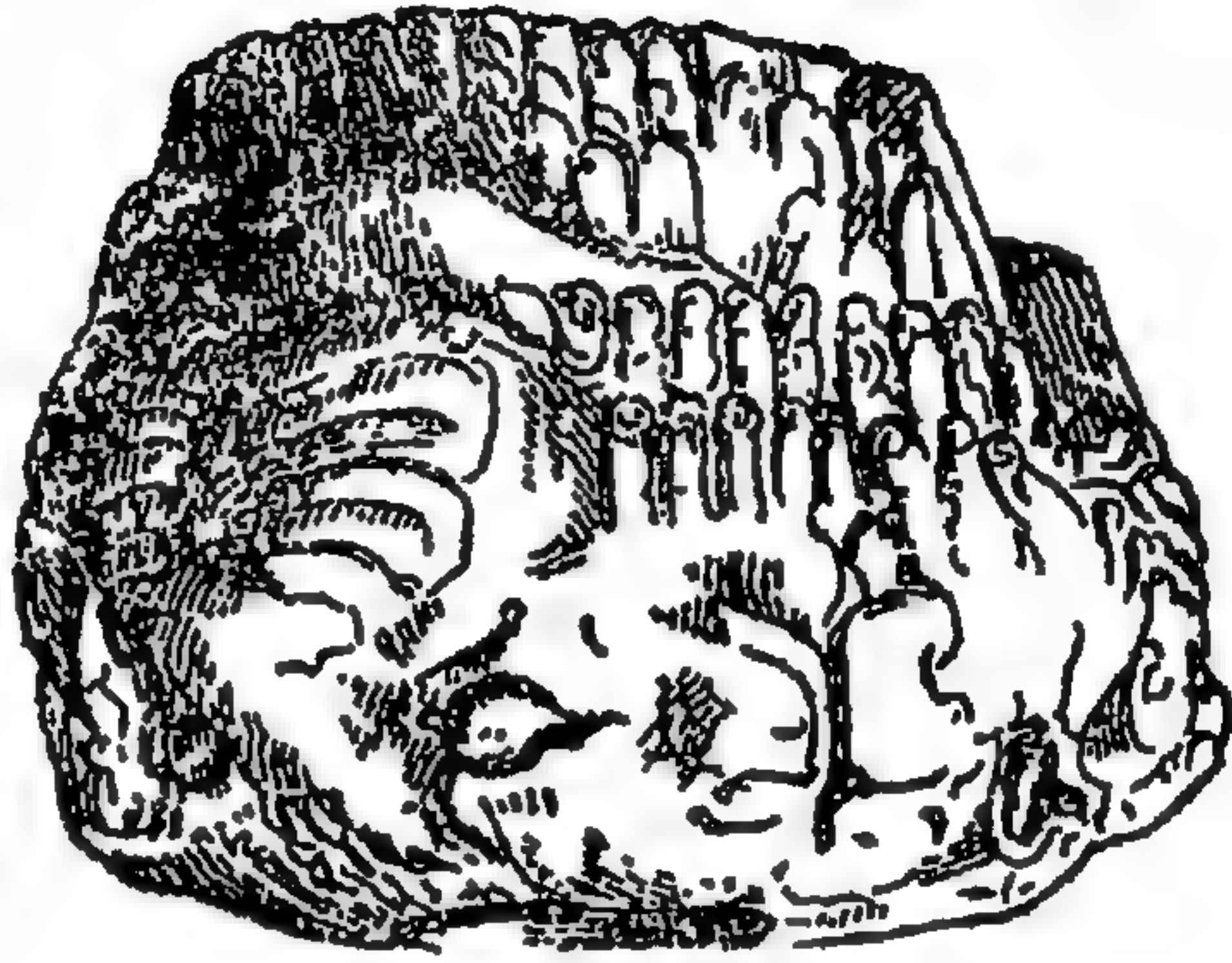
(٢)

(٣)

(٤)

بأحجار من ألوان أخرى أو بالمعادن وليس من شك في أن تماثيل ملك آداب كانت عيناه موضوعتين • وهناك تماثيل امرأة من الحجر الجيري الأشهب يرجع إلى عصر جوديا حلى معصمه بأساور نحاسية مكسوة بالذهب (١) وهناك آخر أحيط عنقه بعقد من العقيق والفيروز وحببات (خرز) النحاس المذهب (٢) • وتسمح لنا مجموعة النقوش البارزة - وهي أكثر كمالات مجموعة النحت في التمثيل المجسم (التمائيل) - بأن نتتبع التطور والنمو الفني في تمثيل الشكل الانساني ابتداءً من الصورة ذات الريش (٣) حتى لوحات جوديا مارين فيما بين هاتين المرحلتين بالنقش البارز الدائري (٤) وصور أسرة أورنيينا (٥) ولوحة العقبان (٦) والنقش البارز لـ « دودو » ولوحات سرجون ونارام سن (٧) وفي لوحة العقبان يوجهها - وأحدهما تاريخي والآخر أسطوري - المقسمين إلى صفوف

متعاقبة نرى تنفيذا أكثر حرية من نقوش أورنيينا • ولقد استطاع الفنان في آثار نارام سن أن يستخدم في تكوين موضوعه سطحا غير مستو مثل فيه الملك واقفا فخورا مما يجعله يحتل المقام الأول



(شكل ١٨) رأس ديبوس جوديا
(متحف اللوفر - حفائر تللو)

وتمثيل الحيوان - شأنه في هذا شأن الصور الانسانية يكون سلسلة حلقاتها مستمرة ولقد أمر جوديا بنحت أساد بالحجم الطبيعي لم تبق منها

XLVIII, no 108.

(١)

Ibid, No. 121.

(٢)

LXX pl. 1 bis, fig 2.

(٣)

LXX pl. 1 bis fig. 2.

(٤) انظر شكل ١٧ •

Ibid, pl. bis fig. 1

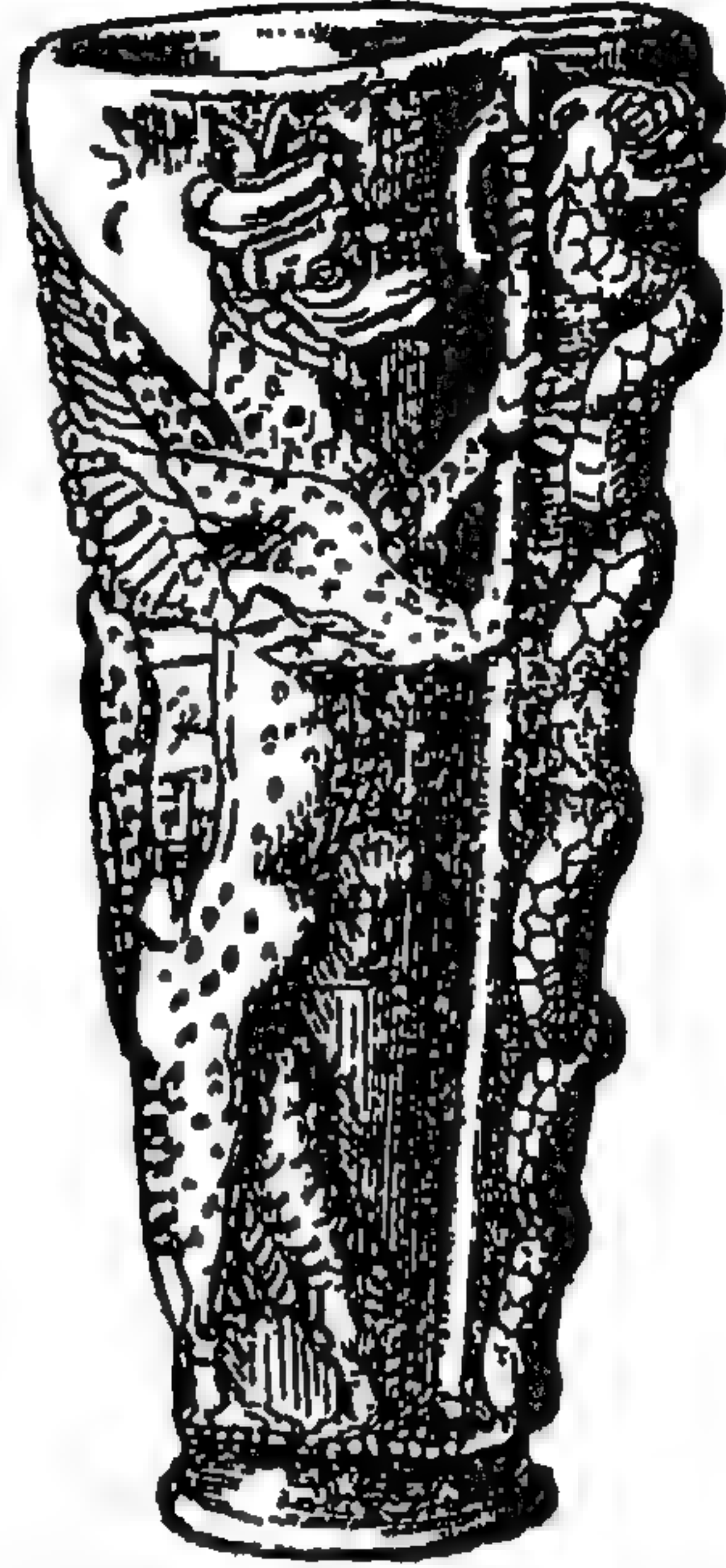
(٥) انظر شكل ٣ صفحة ٢٨ •

Ibid pl. 3 à 4 ter.

(٦) انظر شكل ٨. صفحة ٨٤ •

(٧) انظر شكل ٤ صفحة ٣٥ •

الا قطع قليلة (١) وحوض مزين بصور جانبية لسباع (٢) ولا يزال رأس الحيوان ومقدمه يحملان اسم أورنيثا (٣) وصناعتها بدائية عتيقة والمقارنة بين صولج « مسيليم (٤) المنقوشة عليه رسوم أساد ونظيره لـ « جوديا » (٥) تكشف عن التقدم الفني في معالجة الموضوعات الدائرية . والمنقوش التي تمثل المواشي كثيرة كذلك . فعلى النقش البارز لـ « دودو » نرى ثورا مضطجعا وعلى لوحة العقبان نرى ثورا مهيأ للتضحية وهو مربوط الى وتد . وهناك رأس عجل من الحجر الجيري (٦) يقدم لنا فكرة عن التطعيم : فلقد صنع محجر العين من الأصداف وقطع انسان العين (سوادها) من القار .



ولم يكن السومروا كادي - أكثر من ذلك - ليقنع بتمثيل الكائنات الحقيقية ، إذ كان شديده الميل لاختراع مخلوقات مختلطة غير متجانسة الأجزاء انتقلت خلال الأجيال من عصر الى عصر معتمداً في ذلك على تشابه معين قل أو كبر بين الانسان والحيوان وعلى ما كان يلاحظه من مظاهر شذوذ في الطبيعة . فالتسر برأس الأسد حفائر تلو)

شكل (١٩) أثناء نصب السوائل
كاهن بجوديا (متحف اللوفر -
حفائر تلو)

مثلا - وهو رمز الاله ننجرسو - كثيرا ما نجده على آثار لاجش . والثور بالراس الآدمي مزاج من نوعين يظهر أنه جاء مباشرة من محاور لظهار

Ibid pl. 24.

(١)

Ibid pl. 24.

(٢)

Ibid, pl. 25 bis.

(٣)

Ibid pl. I ter. fig. 2.

(٤) انظر شكل ٢ صفحة ٢٦ .

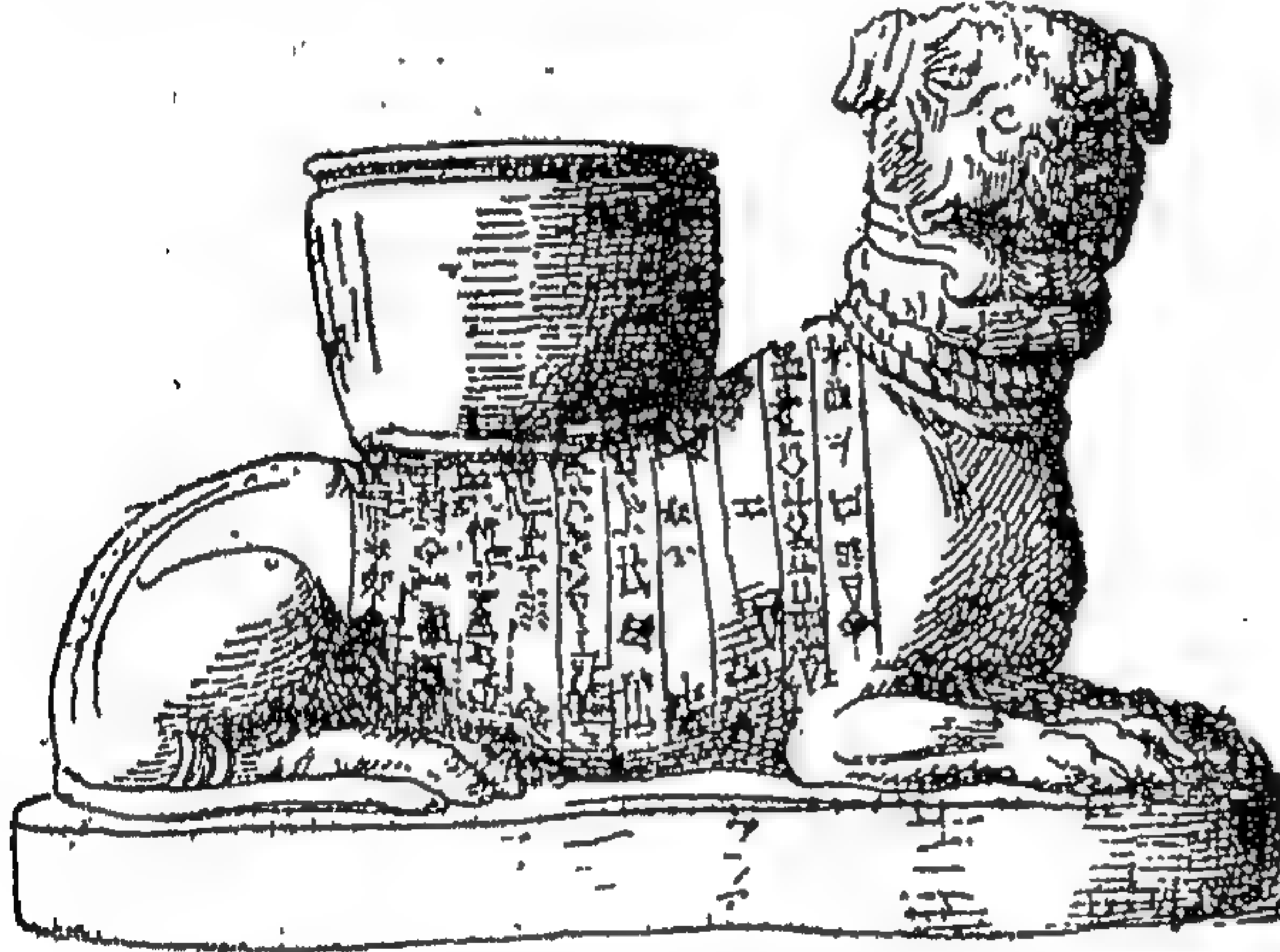
Ibid, pl. 25 bis, fig. 1.

(٥) انظر شكل ١٨ .

Ibid, p. II, ter. fig. 1.

(٦)

نوع من الجاموس • وفي واحد من هذه الحيوانات المنحوتة من
 الـ « ستياتيت » استعملت الأصداف ملء فجوات العينين فيما عدا انسانها
 الذي لم يعثر عليه • وهذه القطعة أحدث من عصر جوديا ويمكن مقارنتها
 برسم آخر أكثر ثباتا وبدون تطعيم (١) غطى كل جسمه بصفائح مثلثة
 من الأصداف • وعلى أواني التقديمات للايشاكو (٢) نرى التين برأس
 الثعبان مغطى بحفر كان يملأ من غير شك أصلا بمادة مضادة للون أرضيته
 وسيصبح هذا التين رمزا لمردوك بابل وهو في نفس الوقت الوحش
 العجيب الذي نراه بعد عشرين قرنا في أيام نبوخذ نصر الثاني على نقوش
 بوابة عشتار بنفس الجسم ذي القشور ومخالبه الأمامية مخالبا نسر وله
 ذيل ورأس ثعبان ويعلو رأسه غطاء ذو قرون تتحول إلى التفاف وريش
 يتحول إلى قرن مدبب • ولم يختلف سوى الأجنحة وحلت محلها ذؤابة



ملفوفة بطول
 العمود الفقري (٣) •
 هذا وهناك
 قطعة فنية
 رائعة (٤) تمثل
 كلب سوموايلوم
 سابع ملوك

(شكل ٢٠) كلب - سوموايلوم (متحف اللوفر - حفائر تللو)

أسرة لارسا حوالي ٢٠٠٠ ق م • ولكنه لازم قيام الوحدة السياسية واختفاء
 السومريين كشعب عهد انحطاط بالنسبة للفن • والنقوش البارزة لعمورابي
 دليل واضح على هذا الانحلال • ومنذ عهد الكاسيين تقدم الكودورو دليلا

Monuments Piot, VII, pl. 1.

(١)

(٢) شكل ١٩ •

(٣) شكل ٣٦ •

(٤) شكل ٢٠ •

على الاهمال (الابتعاد) المعتمد للصورة الحقيقية بحثا وراء التفصيلات
الخاصة بملايس الشخص الذى يمثل .

ولانزال نجد حقا ملفات بدون نقوش ولكنها لا تكون ثيابا . ونلاحظ
كذلك ظهور الثياب المطرزة التى تنتشر عليها الازيدات والشجر المقدس
والحيوانات . وهى كلها موضوعات تثبت لنا تأثير الفن الحيثى الذى ربما
وصل الى بابل عن طريق آشور . واننا لنجد نفس الترف فى القرن التاسع
على الكونوكو من الازورد الذى حفره « مردوك زاكر سوم » (١) تمجيدا
للالة مردوك وكذلك على مثيله فى اللوفر (٢) .

٣ - الصور المعدنية

لم يلجأ بابل الى الحجر وحده كمادة لصنع التماثيل والنقوش التى
تصور الآلهة والرجال والحيوانات بل انهم مهرؤا منذ عصر ممعن فى القدم
فى استعمال المعادن وخاصة النحاس ، فلقد كشف فى تلو (٣) عن قرن آشور
بالحجم الطبيعى مكون من رقيقة من النحاس ملفوفة حول قالب خشبى
وملصقة به عن طريق مسامير صغيرة ويظهر أن هذه الطريقة قد استعملت
فى صنع أشياء أخرى ذات أحجام أكبر مثل أشجار النخيل التى أقمها
« جونجو نوم » ملك لارسا فى معبد شماش فى السنة الثانية من حكمه
(٢٢٦٣ ق م .) ولقد نصب فيما بعد تماثيل نحاسية فى هياكل متعددة
كما أمر خلفه الثانى « سوموايلوم » بصنع أسود نحاسية . وهناك من
نفس الفترة ذكر لعدد من التماثيل من المعادن الثمينة الى جانب تماثيل من
العقيق والازورد أوصى على صنعه « أبى سارى » . ولقد صنع « سن
ايشام » (٢١٧٣ - ٢١٦٩) لنفسه أحد عشر تمثالا من الفضة وواحدا
من الذهب للالة « شماش » كما قدم واراد سن تمثالا ذهبيا لأبيه
« كودورما بوج » لنفس معبد الاله . وصنع « رم سن » واحدا ل « سن
ايدينام » أحد أسلافه لمعبد آداب . ومن المحتمل أن هذه الأشياء لم تكن
تصنع من معدن خالص وربما كانت تصنع من النحاس أو البرونز وتغطى
بطبقة من الذهب أو الفضة وهى لم يعثر عليها ولا بد أنها هُشمت وان كان
لدينا من حفائر سوسة تماثيل ذهبى صغير موجود باللوفر الآن .

أما المستندات النحاسية فلدينا منها بالعكس عدد كبير فهى تماثيل
صغيرة صلبة موضوعة تحت الأساس تحمل نقشا وتصحبها لوحة تخلد

(١) شكل ١٣ صفحة ١٤٢ .

XLII, pl. 39. A. 830.

(٢)

LXX, pl. 45 fig. 1.

(٣)

ذكرى اقامة المبنى . ولعل أقدمها تماثيل نصفية لنساء ذوات شعور طويلة مموجة ذات منظر جانبي حاد التقاطيع كما هي الحال بالنسبة للنقوش البارزة وتنتهي هذه التماثيل النصفية بمسامير وكانت تثبت في دوائر ذات مركز واحد في مكانين في الطابق الأرضي (بدروم) من مبنى يرجع عهده الى ما قبل عهد أورنيثا (١) وفي عهد أورنيثا نفسه (٢) وفي عهد خلفه الرابع انتميثا (٣) وكانت هذه الصور لا تزال صور نساء ميزت في الحالة الأخيرة بوضوح كأنما هي حوريات بقرون واضحة على الجبهة . وفي حكم « أوربساو » اختلف الموضوع فظهر اله راكم ولم ينته بسن لينغرس في الأرض ، ولكنه يمسك بيديه وتدا ضخما كأنما هو يهزم بغرسه في الأرض (انظر شكل ٢١) ولعل هذا هو أجمل مثال لهذه المجموعة من التماثيل (٤) وفي حكم جوديا (٥) لا نجد نفس الطراز يصل الى هذه الدقة من التنفيذ ثم يبدأ بعد ذلك ظهور حملة السلال واقفين على أوتاد وكن من النساء في عصر دونجى ، بورس و قد ظهوروا مرة أخرى في عصر رم سن . وكانت تماثيل الحيوانات تحمل أحيانا محل الصور الانسانية فمن عهد جوديا صنعت تماثيل لثيران على قاعدة تقوم على مسار ضخمة وفي عهد دونجى (٦) نجد نفس الموضوع ممثلا تمثيلا خيرا من ذلك .

وكانت التماثيل المعدنية الأكبر حجما تصب جوفاء (٧) وهناك رأسان لثورين هما نموذج طيب لعصر ما قبل السرجونية . وكما هي الحال في بعض التماثيل الحجرية كانت العيون ترصع . وفي هذه الحالة كانت



(شكل ٢١) معبود واق
(تلو - اللوفر)

LXX, pl. 1 bis.
Ibid, pl. 2 ter.
Ibid. pl. 5 bis.
Ibid. pl. 8 bis.
Ibid, pl. 28.
Ibid, pl. 28.
Ibid., p 51 ér.

(١)
(٢)
(٣)
(٤)
(٥)
(٦)
(٧)

من الصدف وكان انسان العين من اللازورد . وهناك ثور من البرونز (١) من أصل غير معروف مطعم بالفضة وقائم على قاعدة يعتبر دليلا واضحا على اثبات ودوام الطراز السوميريواكادي . وطبقا لنقوش نبوخذ نصر الثاني نراه أقام ثيرانا من البرونز وتنانين عند بوابة عشتار ولم يكشف عن واحد منها بل ان نفس قطعها قد اختفت .

ولقد اشتق فن النحت في الحجارة أو المعدن أو حتى الطمي المجفف في الشمس - مثل نقوش بوابة عشتار - من التشكيل بالطين واننا لنجد من عصر ما قبل السرجونية الى جانب التمثيل من الطمي (maquette) تماثيل صغيرة مشكلة بأكملها في قوالب من قطعة واحدة شكل الجانب الآخر منها باليد مثل الهات عاريات أو مكسوات وآلهة بالتيجان فوق رؤوسهم (٢) . ويقدم لنا عصر جوديا موضوعات متعددة عنيت القوالب بأعدادها : وهي خاصة بالهة والبطل جلجامش وحامل الجدى والهات لابسات وبصفة خاصة الهة تقوم بحركة الشفاعة وقد ظلت هذه التماثيل الصغيرة حتى العهد اليوناني الفارسي وازداد تكاثر الالهات العاريات أكثر من غيرها (٣) . ويوجد في ودائع الأساس من المعابد البابلية الجديدة عادة تماثيل صغير من الفخار لـ « بابسوكال » .

٤ - النقش

يرجع الحفر على الأصصاف الى عصر بعيد جدا . ومن « كلوملا » أصصاف معينة كانت تؤخذ وقائق صغيرة أو شرائح مقدسة . وربما جاء استخدام الأختام الأسطوانية من استعمال الأصصاف . واننا لنجد على قطع الأصصاف نفس ما نجده على الأختام الأسطوانية العتيقة من نسر برأس أسد منقض على ثور برأس بشرى بقصد التراسه (٤) كما نجد



(شكل ٢٢) نقش على الصدف
(متحف اللوفر - حفائر تللو)

Monuments plot VII, pl. 1,

(١)

LXX, pl. 39.

(٢)

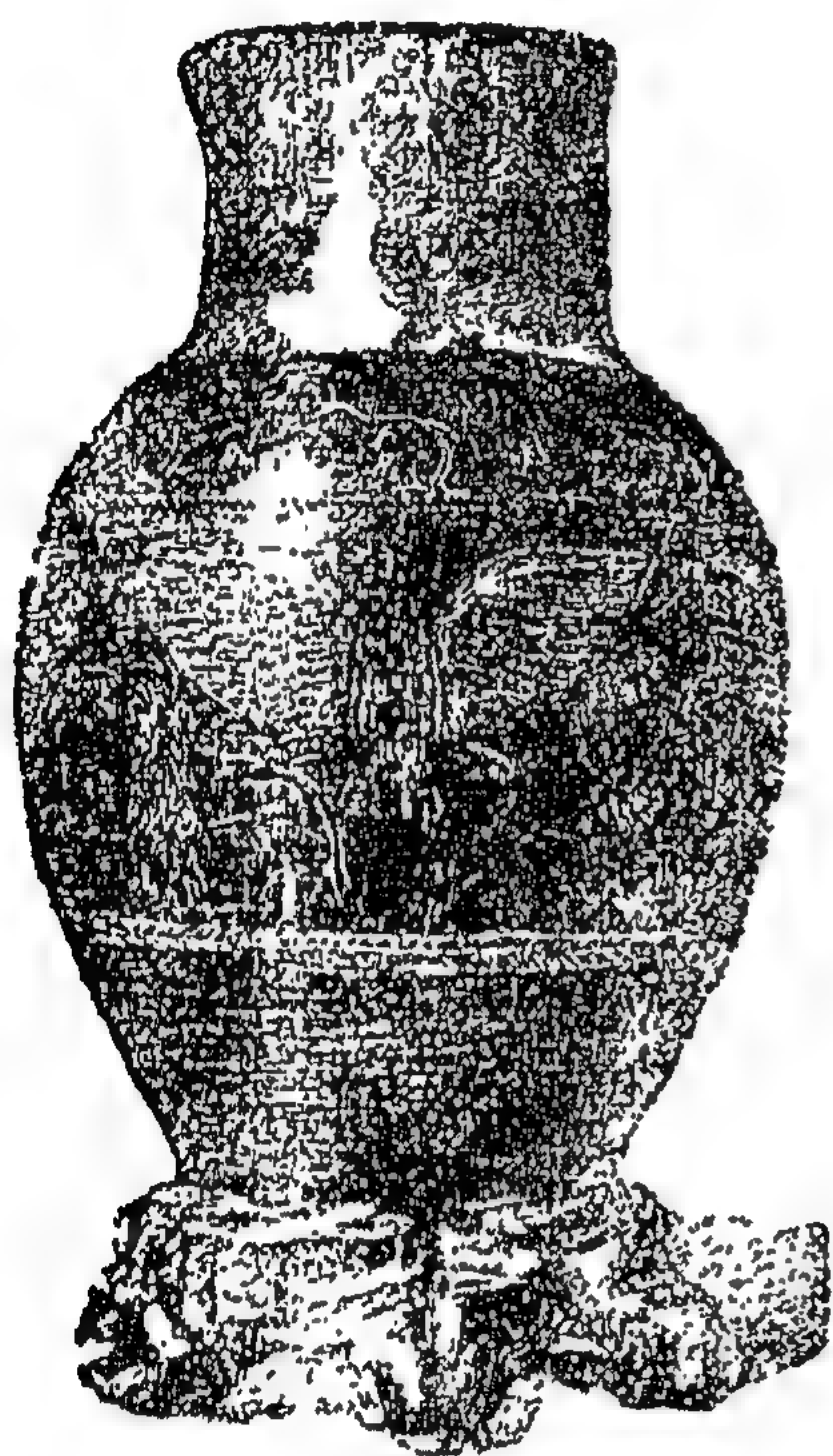
XL.

(٣)

LXX pl. 46.

(٤) انظر شكل ٢٢ . ٢٣ .

فلى قطعة من اناء صورة أخرى شائعة هى الصراع بين أسد وثور
تتدخل فيه شخصية ثالثة يذكرنا بطراز الدبابيس من عهد مسيليم
وهناك حامل زاد (١) هو أقدم كذلك من أورنيانا ان نحن استطعنا الحكم
على ذلك من رداء ستر عورته (كادناكس) الذى يتصل به صنف واحد
من الأسداب . وهناك أدوات أخرى معدة لتطعيمها مثل جدى يقفز أو جذع
مكبسور ثقب بعناية فيما بين الصدر والذراعين ، ولكن لعل خير قطعة من
الصدف ترجع الى هذا العصر السحيق هى رأس أسد عرضها ٢٤ ملليمترًا
مجسمة بعيون مطعمة وانسانها من اللازورد (٢) .



(شكل ٢٣) نقش على الصدف
« حفائر تلولو - متحف اللوفر »

(شكل ٢٤) اناء فضى « تلولو - اللوفر »

ولقد بدأ اللؤلؤ: يحل محل الأصداف . وانحدر الحفر على هذه المادة
السريعة القصف الى تخطيط مستقيم (٣) . أما الحفر على المعدن فمثاله

LXX, pl. 46.

LXX, pl. 46

LXX, p. 271.

(١) انظر شكل ٢٢ ، ٢٣ .

(٢)

(٣)

حربة ضخمة حفر عليها ملك من ملوك أجاده صورة أسد (١) وكذا اناة
فضى لأنتمينا (٢) وجسمه مزين بنسور لها رؤوس سباع ترتبط على
التوالي بأسود وأياثل ثم أسود مرة ثانية وأخيرا وعول (تيوس وحشية) .
وهذه المجاميع الأربع ليست مستقلة . وكل أسد يعض الأيل في فمه
أو الوعل في المنظر المجاور . وفوق الخط الذى يحد الحقل (الساحة)
توجد سبعة عجول يرقد الواحد منها خلف الآخر وكل منها يرفع أحد
حوافره الخلفية . وقد تم الحفر بعناية زائدة . والخطوط حادة ومتساوية
وقد مثلت الحيوانات من الجانب (يروفيل) بأمانة بينما نرى الوجوه
المثلة من أمام للنسر والأسد ليس لها نفس الطابع كما هى الحال في
أسطوانات هذا العصر لأن الفنان لم يستطع إعطاءها شيئا بالحقيقة .

٥ - اختتام الأسطوانية

كان الحفر على الحجر يمارس منذ العصر العتيق . وقد حفظت أطلال
نيبور ولاجش بعض الأمثلة له على لوحات كبيرة الحجم ، ولكنه تطور أكثر
ما تطور على اختتام الأسطوانية التى ظلت تستعمل حتى العصر الفارسي
لتوثيق المستندات . وهناك آلاف من تلك الأحجار في المتاحف والمجموعات
الخاصة الأولى مستخرجة من الحفائر الرسمية والأخرى وعددها هائل قذف
به الى السوق الحفاريون الوطنيون : وهى مرتبة طبقا لفترات تاريخية محددة
تماما دون أى اعتبار لماهيتها الفنية وذلك اما نظرا للكتابات المحفورة عليها،
واما بالمقارنة بما هو منقوش على اللوحات المؤرخة . أما الموضوعات فليست
تختلف كثيرا عن نظائرها في النحت ولكن بالنسبة لانتشارها في عدد
كبير من الأشياء الخاصة نراها تمثل الذوق السائد في كل عصر واختبار
نوع الحجر نفسه فيه الدلالة الكافية : فقبل عهد ملوك أجاده كانت
الأصداق الحلزونية والحجر الجيرى والحجر اليماني الأخضر واللازورد
كثيرة الشيوخ .

أما الرخام فكان نادرا في عصر أجاده . وقد بدأ ظهور الستياتيت
والحجر الأرقط serpentine وحجر الحديد Hematite . وكانت
لحجر الحديد السيادة في عصر جوديا وملوك أور وظل الحفاريون يستعملون
الحجر الأرقط واللازورد وبدءوا يقومون بتجاربهم على بعض أنواع اليشب
والبلور الصخري . وقد ظلت لحجر الحديد المكانة الأولى خلال عهد الأسرة

LXX, pl. 5 ter.

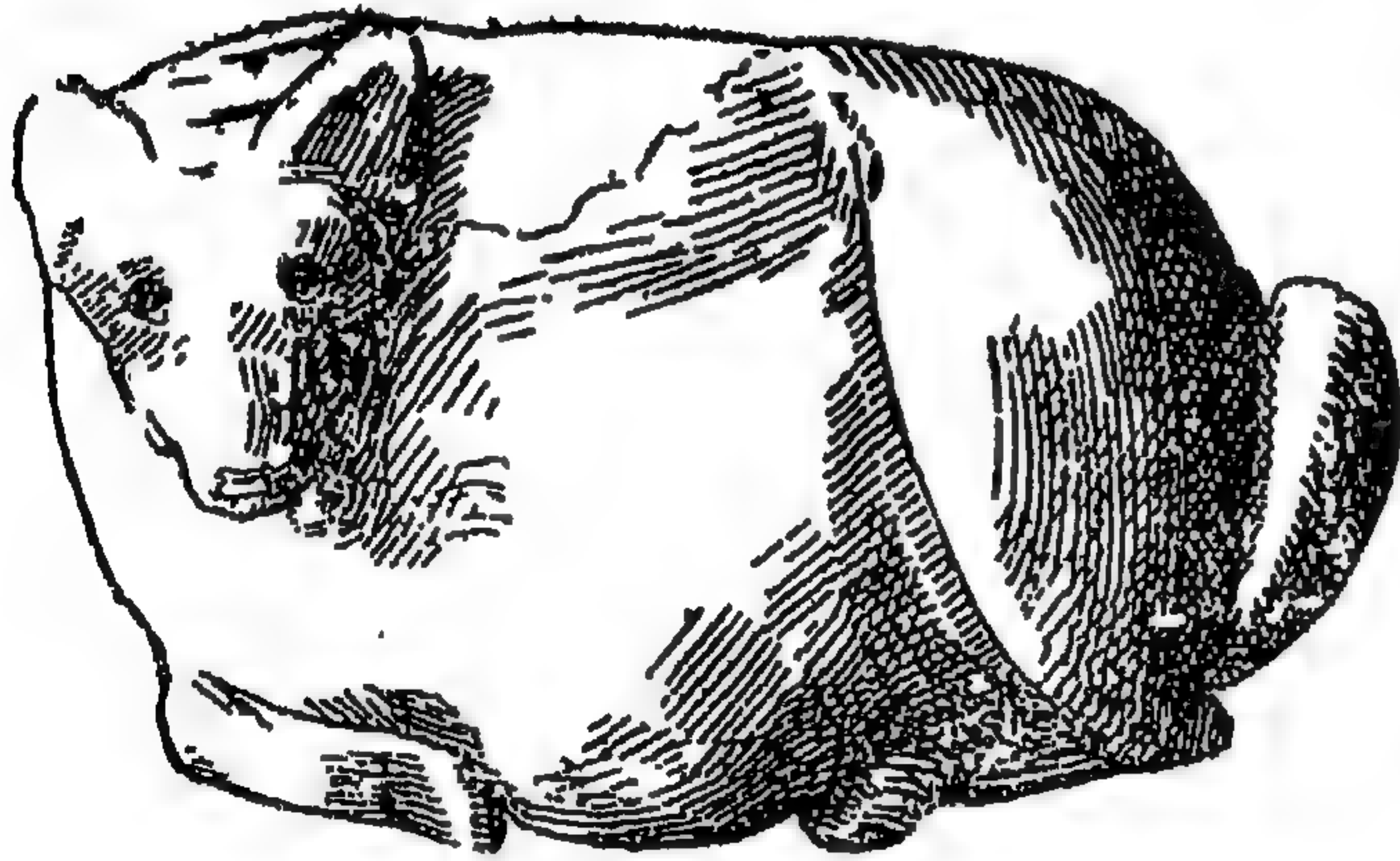
(١)

LXX pl. 43, 43 b.

(٢)

الأمورية في بابل • ولكن في عصر الكاسيين كثر استعمال اليشب وبدأ العقيق اليماني يأخذ دوره في الاستعمال • وبدأ استعمال العقيق الأبيض يكثر في القرن السادس وخاصة في الأختام المسطحة بينما كان صانعو الحلي الفرس يستعملون العاج والكوارتز البلوري (البلور الصخري) واليشب والعقيق •

ويمتاز أقدم العصور العتيقة بمجموعة من الرسوم الهندسية (١) مشتقة من الرسوم الاصطلاحية لبعض الأشياء والحيوانات والصور الانسانية ثم مجموعة متناثرة من الحيوانات يحفرها الصانع بالثقوب بغير دقة • وكانت صورة الانسان تنقش بنفس الطريقة ، فلقد كان وجهه يمثل على شكل منقار الطائر ان استعمل الفنان الثقاب ، أو على شكل المعين ان هو استعمل المنحت (المسمار) • أما الأسطوانات (٢) فكانت لاتزال نادرة وكان يفضل عليها الختم المسطح المحفور في شكل حيوان بأعين مستديرة مجوفة وربما مطعمة (٣) ثم تظهر مناظر عراك الحيوانات اما بين بعضها البعض أو ضده الأبطال مثل جلعامش وصاحبه الوفي انكيدو • وهناك نحو اثني عشر منظرا تتجمع حول اسم « لوجالندا » ايشاكو لاجش الذي أمكن العثور على طبقات لثلاثة أختام مختلفة له (٤) •



(شكل ٢٥) ختم عتيق « متحف اللوفر »

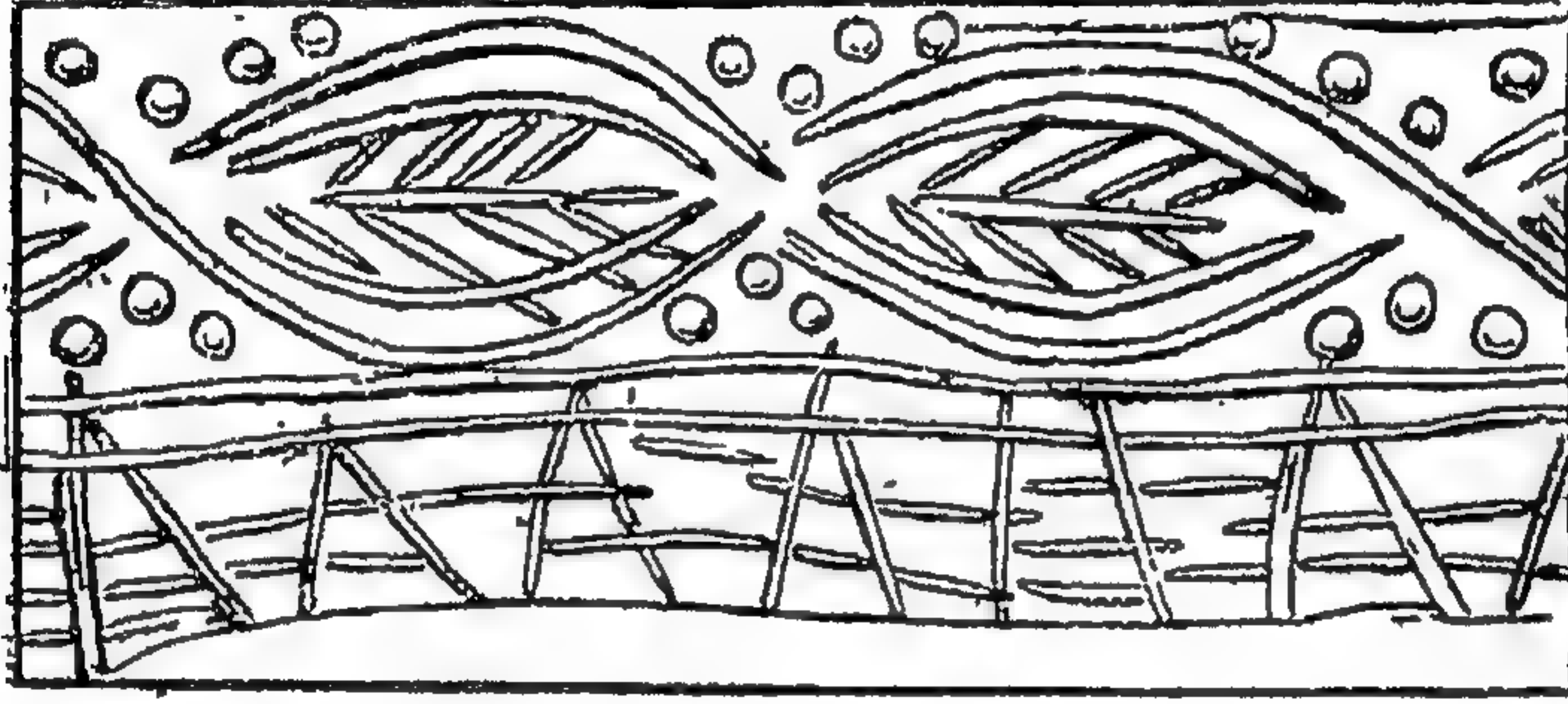
- (١) شكل ٢٥
- (٢) شكل ٢٦
- (٣) شكل ٢٧
- (٤) شكل ٢٩



ويستمر في خلال حكم « نارام سن »
و « شار جاليشاري » ظهور معارك جليجامش
وانكيدو مع الأسد والثور . وتمتاز إحدى
الأسطوانات من تلوو بعمق الحفر وبراعة
تصوير الوجوه وهي تحمل الاسم الإلهي
ل « نينين » (١) .

ولعل هذه هي أروع فترات صناعة
النقش على الأحجار الكريمة حين يبذل
الفنان قصارى عبقريته في تنويع الموضوعات

(شكل ٢٦) أسطوانة

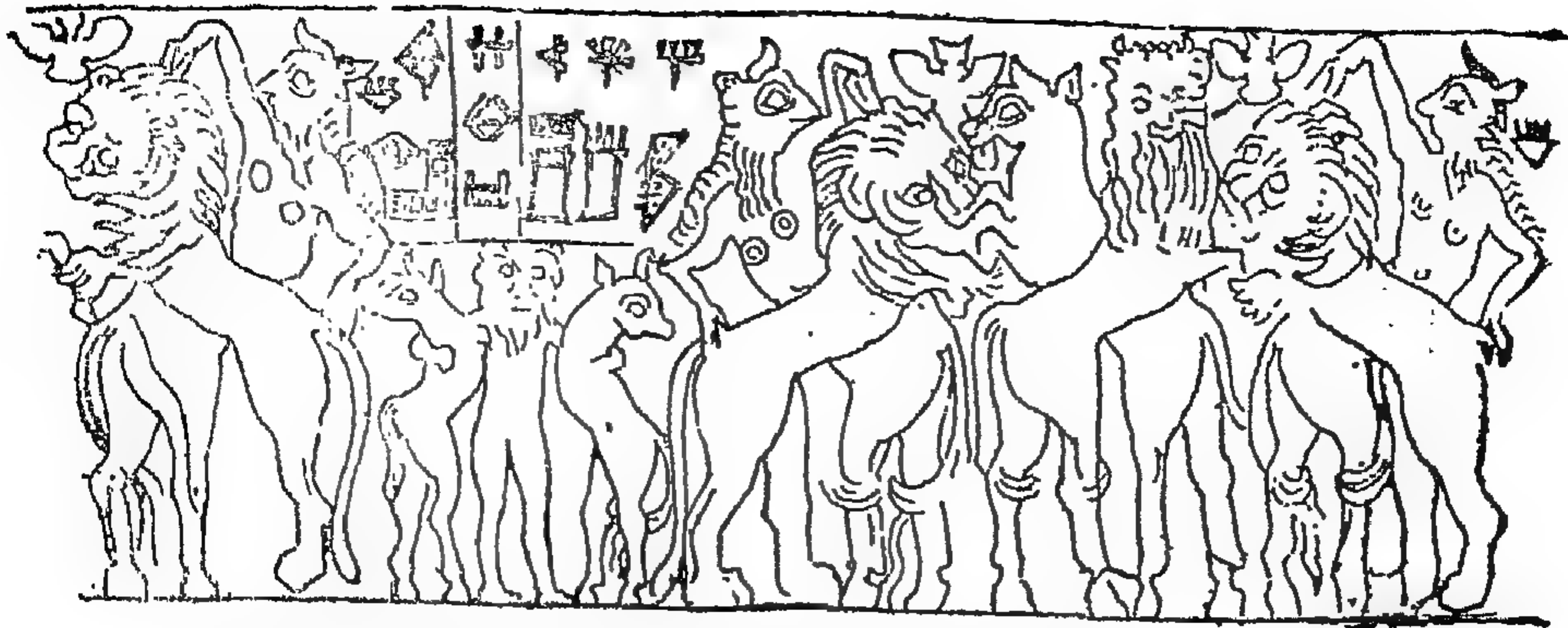


(شكل ٢٧) أسطوانة اركية « متحف اللوفر »



(شكل ٢٨) أسطوانة من عصر اجاده « متحف اللوفر - حقائق تلوو - »

(١) شكل ٢٨ .



(شكل ٢٩) اسطوانة لوجالاندا ايشاكور لاجش « مجموعة الوت دي لافي »



(شكل ٣٠) اسطوانة زو - عصر اجاده « المكتبة الاهلية »

المشتقة من الأساطير الهامة • ومجموعة شماش اله الشمس والقاضي الأول
أعلاها: شأنا اذ عولجت معبودات الزراعة ومحاكمة زو (١) الذي حاول سرقة
لوحات القدر وأسطورة اتانا الذي رفعه نسر الى السماء والشجرة
المسحورة ••• عولجت جميعا ولكن ليس بنفس الدقة •

وفي عصر جوديا وملوك أور كانت تفضل المناظر الدينية التي كان
يمثل فيها المخلوق وهو يتصل بالمعبود عن طريق وساطة الهه الخاص
الحارس •

(١) شكل ٣٠ •

والأمثلة لهذا
عديدة جدا ولا
تختلف عن بعضها
البعض كثيرا
وتكاد لا تكون
هناك مناظر معينة



(شكل ٣١) اسطوانة جوديا ايشاكولجش «حفائر تلو - متحف اللوفر» تسترعى التفاتنا
خاصا . ويمتاز ختم جوديا بفنه (١) الخاص وبتكوين الموضوع بالهته
موضحة توضيحا تاما وبالتنين ذى رأس الثعبان الذى تظهر دقة تفصيلاته
واضحة رغم صغر الوجه . كما يظهر كذلك واصحا على اناء السكب
الخاص بالايشاكو .



وبعض الاسطوانات
لا تتصل بهذه المجموعة ولئنها
— كما هي الحال فى القرون
السابقة — تصور صراع بطل
مع الحيوانات البرية .

ولقد ظلت الحال كذلك
خلال حكم ملوك الأسرة الأولى

(شكل ٣٢) اسطوانة كاسية « متحف اللوفر »

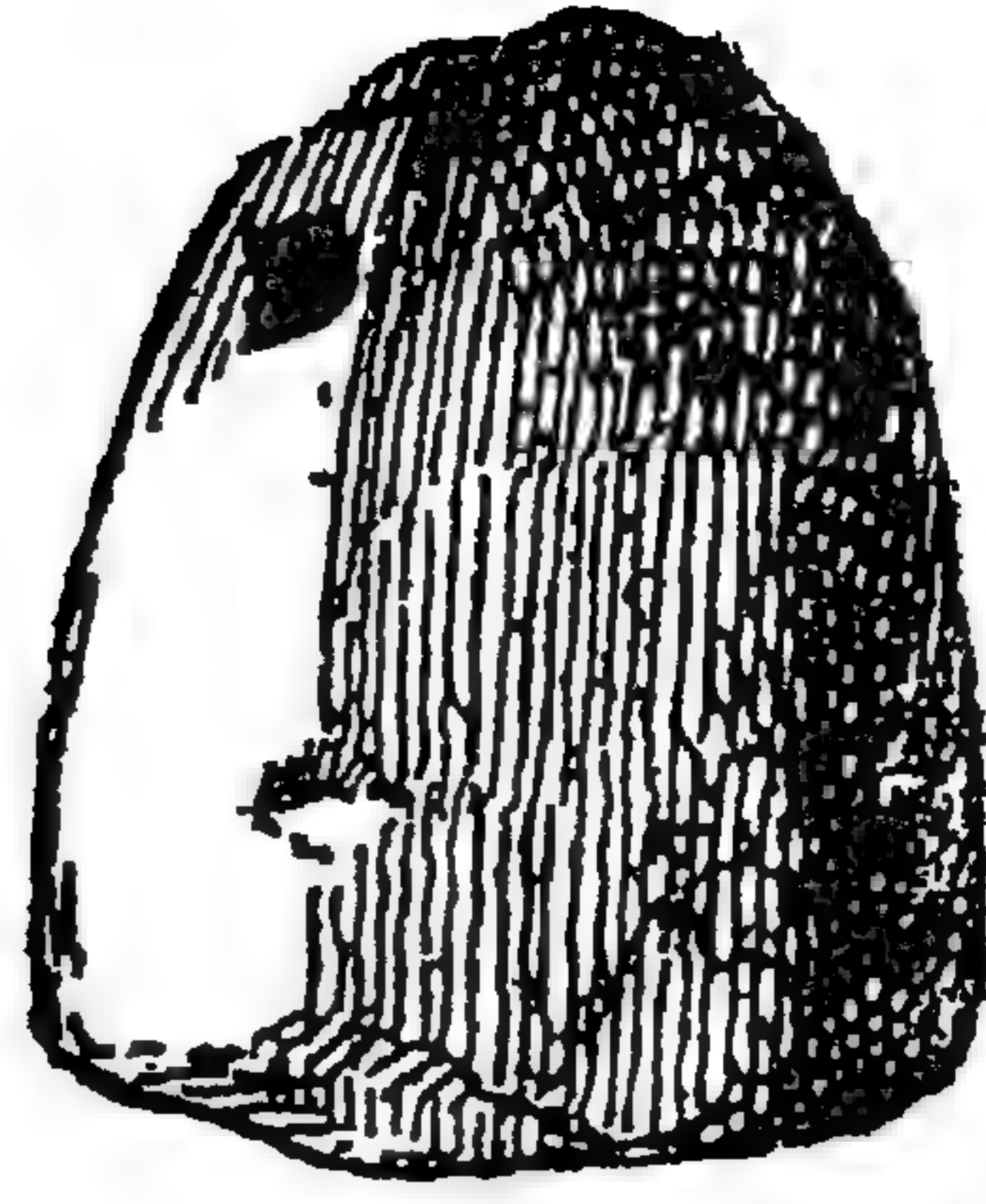
البابلية : فلجلجامش لايزال شخصية شعبية وبطلا قويا على أتم استعداد
للنزال وهو فى صحبة انكيديو نراه يتولى تقديم الجدى الى المعبود وخاصة الى



شماس . ثم يظهر اله آخر للمرة
الأولى فى زى قصير وهو معمم
ومسلح بهراوة ويظهر أنه أمررو
اله الغرب . كما يظهر أداد وفى النادر
مردوك والهة حرب والآلهة
العارية لتكمل قائمة (مجموعة) هذا

(شكل ٣٣) اسطوانة نيو بابلية « متحف اللوفر »

(١) شكل ٣١ .



(شكل ٣٤) قالب ختم نيوبابلي (شكل ٣٥) ختم نيو بابلي (متحف اللوفر)

العصر وفي خلال الفترة الكاسية نرى الموضوع يقتصر في كثير من الأحيان على تصوير شخص واحد فقط أو بضعة رموز مقدسة ، وتصبح الكتابة لها القدح المعلى وهي عادة دعاء للمعبود لالتماس العون والحماية والعمر الطويل لصاحب الختم خادمه الأمين (١) .

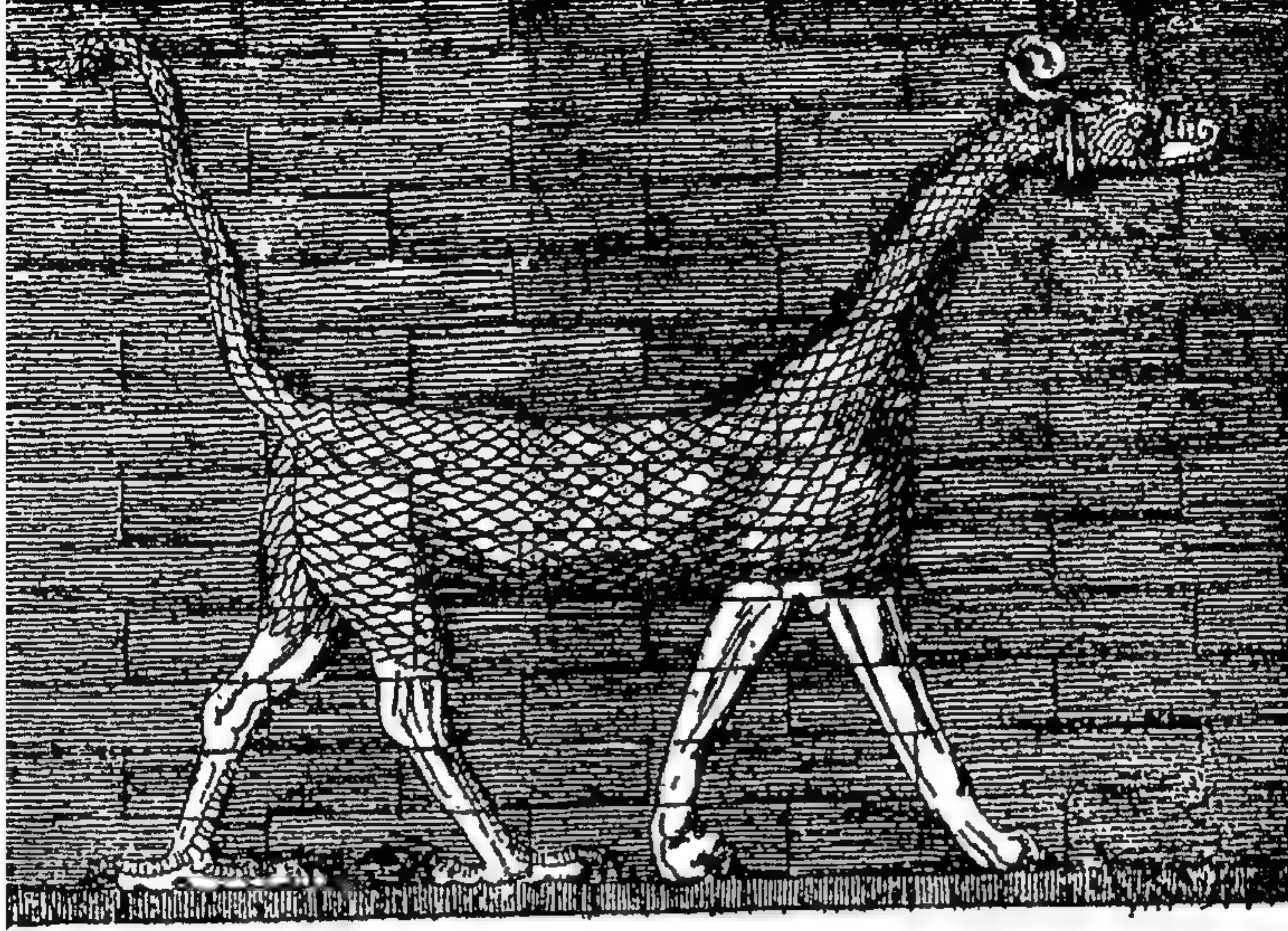
وفي خلال الاحتلال الاشوري قلما نجد الحفر أو النقش على الأحجار يقدم لنا شيئاً له مميزات خاصة فلقد سمح لنفسه أن يتنزل ليحل الختم المسطح (٢) ذو الحجم الصغير محل الأسطوانة ، وأخذ منذ ذلك الحين يقدم المناظر المميّزة للفترتين النيوبابلية والاكيمينية : وفيها يظهر كاهن وهو يقوم بشعائر الصلاة ويده مرفوعتان أمام المذبح الذي توضع فوقه رموز مقدسة (٣) .

ولم يتوقف انحطاط فن الحفر على الأحجار الكريمة منذ عصر أجاده : فلقد استبدل بالسعى وراء التكوينات الأصلية والفنية منذ أيام ملوك أور مجرد صنع الأختام بالجملة وبسرعة إلى أن أصبحت مجرد رسوم . وخاصة في القرن السادس .

(١) شكل ٣٢ .

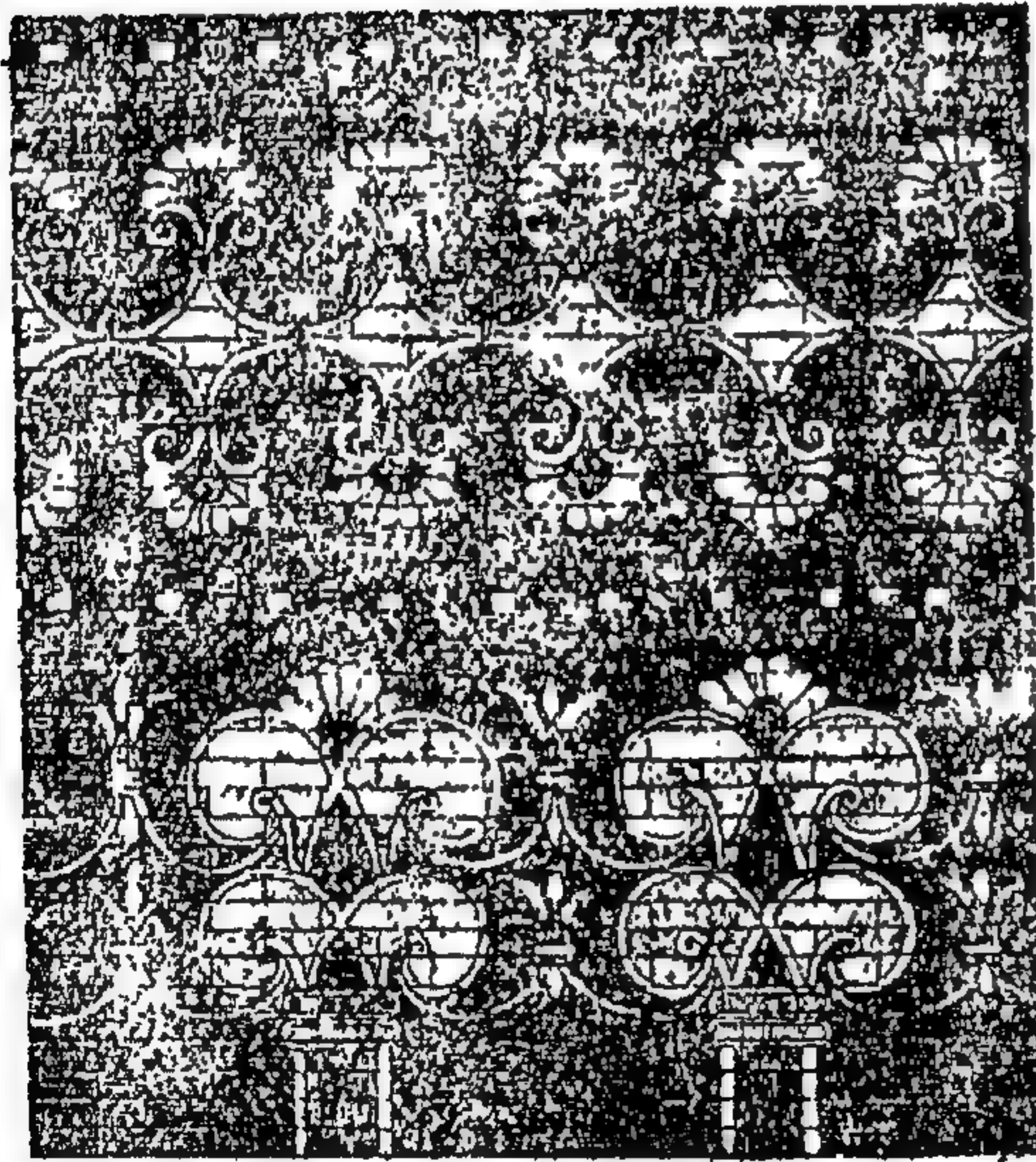
(٢) شكل ٣٤ .

(٣) شكل ٣٥ ، قارن شكل ٣٣ .



(شكل ٣٦) تنين مردوك على بوابة عشتار نقلا عن كولدواي
Das Wieder erstehende Babylon

٦ - الطوب الخزفي



(شكل ٣٧) زينة التوائط الخارجية لقاعة العرش
في قصر نبوخذ نصر في بابل ، نقلا عن كولدواي
Das Wieder erstehende Babylon

استعمل البابليون في
الامبراطورية الحديثة - كما
سبق أن لاحظنا - طوبا خزفيا
لتزيين المباني العامة وهذا هو
أهم استعمال للألوان في
الزخرفة الى جانب التطعيم في
التمثيل والنقوش * ولقد
كانت حوائط بوابة عشتار
مزينة بحيوانات غريبة الشكل
وثور اداد وتنين مردوك التي
توجد تسعة صفوف منها
منقوشة على طوب المبنى والى أعلاها
صفان من حيوانات مشابهة
من الطوب الخزفي يعلوهم
أيضا صفان آخران من الطوب
الخزفي المحفور * أما الأرضية

الزرقاء فقد توصلوا الى صنعها عن طريق اللازورد المسحوق كما هي الحال في القرن الثامن في آشور في قصر سرجون . ولون الثيران أصفر ولها قرون وحوافر خضراء أما أهداب الذيل والشعر فزرقاء وتنين مردوك أبيض ، أما قرونيه ولسانه المشعب ومخالب الأسد ومقدماه وكعبا مؤخره فمن الأصفر الخفيف ، وأما الأقدام الخلفية فمكونة من معجون زجاجي ملون أحيانا بالخزف المجاور له . وقد كشف أخيرا عن طريقة معالجة هذا الطوب (١) . ويظهر أنه أخذ من الآشوريين الذين ربما نقلوه عن الحيثيين ثم انتقل الى فارس حيث استخدمه دارا في زحرفة قصر سوسة . أما اختيار الألوان واستخدامها فمأخوذ من غير شك عن آشور ، وأما فكرة المناظر نفسها فتقليد للفن الحيثي فمثلا ، نجد ذلك على الحوائط الخارجية لغرفة العرش حيث تغطي الأعمدة الصفراء من أعلى بتاج مزدوج من الحلزونات الزرقاء التي تعلوها وريعات بيضاء ذات لون أصفر في الوسط على أرضية داكنة الزرقة وهو طراز كان معروفا في آسيا الصغرى انتقل منها كذلك الى الفن القبرصي .

٧ - الزرى

يمتاز الآلهة في كل الآثار المصورة من كل العصور عن الناس بلباس الرأس الذى هو عبارة عن قلنسوة مزينة بقرون تتقابل أطرافها من أمام كل اثنين معا . وإذا نحن استثنينا بعض الحالات النادرة جدا فيما يختص بالمعبودات الثانوية نرى صورها انسانية بحتة وللتمييز فيما بينها نراها تخصص بالأسلحة التى تمسكها بأيديها وبرموز معينة فوق أكتافها أو بالحيوانات التى تطل عليها بأقدامها . وقد استبدلت صورها فيما بعد برموز مشتقة من شخصياتهم الأسطورية وصفاتهم وبعض تقاليدهم الموروثة . ولقد كان انو سبدا للآلهة وكان رمزه التاج ذا القرون وهو الرمز الالهى البحت يوضع على العرش . أما مردوك فقد استحوذ على السلطان بعد صراعه مع تيامات ولذا فائنا نرى عند قدميه تيننا مهزوما . وأما رمزه فحربة . وأما نوبو اله الكتاب فميز له قلم أو طائر وأما « اداد » اله العاصفة فيرمز له بالصاعقة . وأما شماش اله الشمس فيرى محاطا باللهب كما تظهر نيسابا الهة الزراعة في وسط القصب .

Bigot : Reconstitution des frises du palais de Darius, 1913. (١)

وكان تمثيل الأشكال العارية نادرا • ومن بينها معبودات في نزاع مع بعضها البعض وكاهن يباشر عملية الاهراق (السسكب) وبعض الأشخاص الثانويين في بعض المناظر المحفورة على الأحجار الكريمة والهة الخصب وخاصة في التماثيل الصغيرة الفخارية وعلى أسطوانات أسرة حمورابي • وكان جسم البطل جلجامش في النقش الغائر الأركي مشدودا في حزام ينزل طرفه في محاذاة الساق • وفي عصر أجاهه نرى بعض الآلهة أو الجان يلبسون قطعة من قماش يمر فيها بين سيقانهم ويمسكها حزام •

- وأقدم زى للسوميريين والأكاديين كان يتكون من ملفعة (شال) مستطيلة تلف كالنقبة (الجونلة) حول العجز وتنسدل حتى الركبتين وكانت من لون واحد ولها أهداب على شكل الخيوط أو العنكبوت تنتهي بأهداب في صفوف منتظمة وهو ما عناه اليونان بكلمة « كادناكس » الذي كان ينسج في اكبتانا في أيام أرستوفان •

ولقد كان ذلك زى الالهة على أقدم الآثار وعلى ذلك فانه كان أيضا زى اورنيثا الملك العجوز للاجش • ثم أضيفت قطعة أخرى تدور حول الكتف اليسرى مثل زى الملك « اياناتوم » على لوحة المقبان • وبمرور الزمن ازداد حجم الملفعة حتى غطت الجسم كله وأصبحت تربط تحت الإبط وتلف الذراع اليسرى ثم تمر نهايتها الأخرى تحت الذراع اليمنى ولقد كان ذلك لباس الآلهة والرجال منذ عصر سرجون الأجادى ، كما كان لباس جوديا وحمورابي • أما الكاسيون فقد ارتدوا قميصا ذا أكمام طويلة ضيقة • وتدنثروا بملفعة « شال » مزركشة أو منسوجة من ألوان متعددة (١) وهى من الأشياء التى كانت تستعمل منذ عهد بعيد ودليلنا على ذلك أن أنوال ملوك أور كانت تورد للأمراء قطعاً من الثياب الثقيلة المنسوجة من الصوف المختلف ذى الصبغات المتناسقة الألوان • وتظهر الزخارف والوريدات والأشجار المقدسة والجان والحيوانات حوالى عام ١٠٠٠ ق.م • فى أقهشة الزى الملكى وقد أخذت جميعاً عن الفن الحيثى أما مباشرة (ذلك لأن التأثير الحيثى ظهر فى الفن حتى السلاسل المحيطة بأيران) أو عن طريق آشور حيث ظهرت نفس الطرز •

أما رداء الأشخاص العاديين فقد ظل بسيطا ذا لون واحد وكانت له عادة أهداب • وقلما يضع جلجامش على رأسه لباس رأس بينما نجد رجالا من عصر أورنيثا يلبسون أحيانا تاجا ذا عريشة بشبه « الكلاثوس » الذى

عرفه اليونان • ثم ظهرت في عصر جوديا العمامة التي أصبحت لباس الرأس عتده حمورابي • وكان الآلهة ملتحين بشعور طويلة معقودة عند القفا مزدوجة أصلاً ثم بسيطة فيما بعد وكانوا يعنون دائماً بتصفيفها • وكانت للالهات أحياناً ضفائر وأحياناً عقائض تمسكها عصابة • وللأبطال القدامى لحى وشعور طويلة هي فيما يختص بجلجامش يقسمها فرق دقيق واضح يكون ثلاثة صفوف من الحلقات (البوكل) على كل من جانبي الرأس • ولقد صور كورجال بن أورنيا برأس مخلوق مرة وبشعر طويل معقود على القفا مرة أخرى • ويرى « نارام سن » بلحية على لوحة النصر • أما جوديا ومعاصروه في لجش فلهم عادة بشرة ناعمة ورأس حليق مثل أشخاص لوحة الكودورو الخاصة « بمردوك بالاتسو اقبي » (١) فيما بعد •

أما كهنة البابلية الجديدة فيضعون شعرا مستعارا يربطه الأكليل وكانت نساء السوميريين والأكاديين يعنين عناية خاصة ويبذلن جهداً ملحوظاً في تصفيف الشعر في أشكال مختلفة وينبتونه في مكانه عن طريق شرائط وشبك وملفحة يثبت أحده أطرافها عن طريق الأهداب التي تصبح شكل عصابة • وكان الرجال والنساء في أكثر الأحيان حفاة في الفترة البدائية ثم انتعلوا النعال في عصر أجاده • وكانوا يضعون حول رقابهم عقوداً من أصداف أو أحجار منحوتة أو تماثيل وكانوا يضعون أساور حول أذرعهم •

٨ - الأثاث

كان الأثاث يتكون من أسرة وكراس وسوعة وأدوات منزلية • والقوائم دلالة تشهد على وجود عدد كبير من المقاعد ذات الأشكال المتباينة والآثار المصورة تقدم لنا ما يكفي لتعريفنا ببعضها ابتداءً من المقعد البسيط الذي يجلس عليه جوديا إلى العرش المحفور للمعبود على أسطوانة « حاشها مر » المعاصر « لبورسن » ملك اور • فهذه الآثار تصور لنا : مقاعد مكعبة ذات اطار من عصر أجاده وأخرى مغطاة بالكاوناكس من عصر دونجى وكذا مقاعد وكراسي ذات ذراعين من طرز متباينة •

وكانت الأواني تصنع من الأحجار والطين وكذا من المعدن • وكانت تصنع من النحاس أو من معادن أخرى أشد نفاسة ومنها الاناء الفضى

لانتميننا عند بدء الألف الثالثة المزخرف بحفر دقيق والمركب على قائم نحاسي (١) . وكانت الأواني الحجرية رمزا للترف وكان يحتفظ بها عادة للمعابد وكثيرا ما كانت تحمل تكريسا (٢) .



أما الأواني الطينية وبعضها مصنوع باليد والبعض الآخر على العجلة فكانت تغطيها النقوش أحيانا ولكن هذه الصناعة لم تكن متقدمة في سومير

(شكل ٣٨) اناء مزخرف (حفائر تللو - متحف اللوفر)

وأكد كما قامت في سوزيانا حيث كرس الفنانون جهودهم مدى فترتين طويلتين عشيقتين لتنويع زخارفها (٣) .

ويمكن حصر طرزها في ثلاثة أشكال : اناء الشرب المخروطي والصفحة ذات الحافة المثقوبة لوضع الطعام بها والقدر لحفظ ونقل السوائل .

(١) انظر شكل ٢٤ صفحة ١٨٥ .

LXXI, p. 261.

(٢)

XVIII. t. XIII : cf. LXXIX, p. 349.

(٣)

الفصل الثالث

الآداب والعلوم

١ - الكتاب

لقد استعمل الاصطلاح العام « عقد » استخداما في غير موضعه حين أطلق في مختلف العصور على جميع الوثائق القانونية التي تنشئ التزاما يقره القانون أو العرف . ولقد ذاع استعمال الاتفاقيات المكتوبة ولم يكن لمعظم التصرفات المدنية التي ينشأ عنها تعهد أو التزام أية قيمة قانونية ما لم تكن على صك مكتوب .

ويحوى الخط المسماري عدة مئات من العلامات وكانت علما قائما بذاته يتطلب الالمام به مجهودا كبيرا ووقتا طويلا وذلك لصعوبته . بيد أنه كان يوجد في جميع العصور عدد كبير من الكتاب ، رجالا ونساء . وقد بلغ بعضهم اسمى مراتب الشرف حتى أن كلا من « لوجال أوشو مجال » الذي عاصر نارام سنن « وأور آبا » في أيام ملوك أور أصـبـح إيشاكو لجش كما أن آشور بانيبال ملك آشور يفخر بأنه ملك زمام الكتابة .

ولقد قامت المدارس حيث كانت تعلم المطالعة وتدرس مبادئ الكتابة والرسم على الطين . وكانت مدارس سيبار (١) أشهرها وذلك في الألف الأولى فيما يتصل بقديم النصوص المحفوظة في أضيابرها . ويكشف لنا عدد من اللوحات من قرن سومرأبي . بعضها نماذج وبعضها نسخ - عن طرق التعليم : هي قراءة وكتابة العلامات البسيطة أولا مع دراسة قيمتها الصوتية ثم تعليم التلاميذ تدريجا استعمال مجاميع العلامات والاشارات ثم الصيغ

المتداولة • وكان التلميذ يعطى بعد ذلك دروسا فى النحو فى صورة الصيغ المختلفة من تصريف الأسماء والأفعال وينهى تعليمه فى آخر الأمر بالرياضيات : بقواعدها الأربع والموازين والمقاييس والمعايير والمسكوكات •

وأحس الكاتب منذ البدء بحاجتهم الى مفكرة أو جدول يجمع شتات العلامات والكلمات والجمل • وهناك لوحة اركية تحشد معا كل مركبات « كا » وساج • وهناك أخرى من عصر أجادة تحوى العلامات التى تظهر فيها « جال » وهناك ثالثة تقدم أسماء عدد معين من المراهم وهى تضم بذلك كافة العبارات التى تدور حول « شم » (١) •

وكان الكاتب يفخر بعلمه • وكانت الدراية بالقراءة والكتابة لقبا يعادل لقب مدير المعبد أو القاضى • ولم يكن هناك من يغفله فى عقود • وكان لا يفوت أحد ذكر اسمه فى العقود أو نقشه على الأختام الأسطوانية • وفى عهد لوجالاندا خصص كاتب لبيت زوجته الأميرة « بارنا متارا » ويحمل خاتمه النص الآتى : « أنيجال - كاتب بيت الزوجة » وبعد اصلاحات أورو كاجينا حين أعيدت الأملاك الى الآلهة بعد أن كانت قد استخدمت فى أغراض دنيوية بغير وجه حق استبدل هذا النص بـ « أنيجال كاتب الآلهة باوو » وكان تمرين الكتاب يتم فى ظل المعابد ولهذا نراهم يكونون تدريجيا طائفة معينة متصاة بمديرى الهياكل حتى ان الوظائف اختلطتا ببعضهما فى عصر البابلية الجديدة فى بعض المدن وخاصة سيبار • فهناك كان يذكر اسم الشانجو (مدير المعبد) فى غالب الأحيان على الألواح بينما قلما يظهر لقب دويشارو (كاتب) •

وكان اعداد اللوحات يتطلب طميا ناعما تم عجنه مدة طويلة يوضع فى شكل قوالب تختلف حجما ولونا وشكلا باختلاف المكان والزمان •

وأقدم ألواح لجش قبل عهد أورنيينا مصنوعة من الطمى الذى لم يدخل النار ، وهى مستديرة وهناك ألواح أخرى تعادلها فى القدم مستديرة مثلها ولكنها سويت فى النار ومصدرها شوروباك ووجهها مستو بينما الوجه الآخر مقبب • ولم يختلف شكل اللوحات فى عصر لوجالاندا وأورو كاجينا فى لجش ولكنها كانت تسوى فى النار • وبعد أقل من نصف قرن حدث

تغيير واضح فأصبحت الوثائق المعاصرة ملوك اجد تختلف اختلافا بينا عن سابقتها : فالطين لم يعرف النار وفيما عدا النصوص المتصلة بالمساحة نجد اللوحات مستطيلة وهو الشكل الذي سيحتفظ به منذ هذا الوقت .

وكان الكاتب يرسم علاماته والطين لا يزال طريا وذلك بواسطة قلم مثلث منشوري الشكل يمسك به مائلا وهو يضغط بخفة . وكان الركن يترك خطا صغيرا بينما تترك القاعدة علامة أكثر أو أقل عمقا . ويكون كل ذلك شكلا يشبه الوتد أو المسمار ومن هنا جاءت كلمة المسماوية التي أطلقها المحدثون على الكتابة السوميرية أكادية . ويرجع شكل عناصر العلامات الى استعمال القلم والطين . ولقد سرى استعماله بعد ذلك في الكتابة على الأحجار ولكننا لا نراه في العصور البدائية على المواد الصلبة التي لا تشهد عليها سوى خطوط بسيطة .

وحتى عصر ملوك أور لا نستطيع أن نرسم سوى طريقتين لحساب الأعداد والأرقام وبعضها مكون من مسامير - شأنها في ذلك شأن باقي علامات الكتابة - والبعض الآخر من دوائر وأشكال مشتقة من الدوائر . وكانوا يتوصلون الى رسمها عن طريق قلم أسطوانى يوضع عموديا أو منحرفا على اللوحة . ولقد أبطلت هذه العادة في النصف الثانى من الألف الثانية حين لم يعد الكاتب يستعمل سوى القلم المثلث .

ولم تكن هذه الاداة تسمح برسم الخطوط المستديرة وعلى ذلك كانت كل العلامات مكونة من خطوط مستقيمة رأسية أو أفقية أو منحرفة كما تحولت دوائر الأرقام الأصلية الى مربعات أو معينات وكانت كل المسامير الأفقية لعلامة ما ترسم قبل المسامير المنحرفة أو الرأسية التي غالباً ما تتقاطع معها وكانت كل علامة تكمل قبل الانتقال الى علامة أخرى لأنه قد يحدث أن العلامة القديمة تغطي على سابقتها . ولكن حين نتكلم عن المسامير الرأسية أو الأفقية ، فإن هذا يعنى تبعا لطريقتنا الحديثة في القراءة المبنية على أساس ترتيب النص على الآثار الحجرية ابتداء من العصر الكاسى . وكانت العلامات ترتب فى خطوط رأسية فى العصور القديمة كما هى الحال بالنسبة لقانون حمورابى ومسلة « مانشتوسو » ولوحة العقبان . وربما كان الكاتب يرسم على اللوحات كل المسامير من أعلى الى أسفل . ثم يدير اللوحة فى زاوية قدرها ٩٠° من اليمين الى اليسار ومن اليسار الى اليمين : وكل عناصر العلامات تتشابه تماما فى الواقع مع بعضها البعض . واننا لنرى

أنه إذا ضغط القلم في عمل المسامير الفقيه فإن هذا الضغط يحدث عند تخطيط المسامير الرأسية .

ولقد تغيرت الكتابة من قرن إلى قرن ولم تكن متشابهة تماما في كل المدن في عصر من العصور . وكان لكل مدرسة تقاليدها وطرائقها الخاصة : ففي أيام ملوك أور مثلا كانت مدارس أوما تختلف اختلافا بينا عن مدارس لجش المدينة المجاورة .

ولقد كانت الكتابة على الطين بقلم مثلث سببا في تحريف الكتابة المقدسة الأصلية حتى أنه من الصعب التعرف عليها ومع ذلك فإن بعض المستندات يرجع بنا إلى عصر كان الشيء فيه يمثل بصورته الطبيعية . فعلى لوحة يملك المتحف البريطاني قطعا منها نرى كاتباً آشوريا قد جمع أقدم الصور المعروفة لديه جنباً إلى جنب مع العلامات المستعملة خلال حكم آشور بانيبال (١) . وعلى لوحة حجرية عثر عليها في أوما (٢) نجد أناء ذا صنوبر (بزبور) بقاعدة مخروطية مغطى بقطعة من النسيج وهناك أناء آخر مشابه له موضوع على قائم . وأما لنرى العلامة التصويرية لـ « مولى » و « قلعة » - التي نستطيع متابعة تطورها حتى آخر الامنراطورية البابلية - بمثلة - كما هي الحال على تميمة بالوفور - بواسطة مبنى مستطيل على جانبه برج . أما القدم فلها شكل يمكن إدراكه في أحدث الكتابات وعلى قطع أخرى يمكن تمييز أنواع من الألوان والصاعدة والمشط والقيشار والفأس والقوس والسهم والأغصان والأزهار .

وكان الأمر كذلك في عيلام حيث ظهرت كتابة خاصة تفرعت من نفس نقطة البدء وتطهرت تطهراً مستقلاً عن ذاك التطور الذي أدركناه في سومر وأكاد . وقد أخذت حفائر سوسة علامات أركية يظهر من بينها عدد من علامات الكتابة المقدسة البدائية ٣٠ .

وكان النص قبل ملوك أجاده - وفيما بعد على اللوحات الكبيرة الحجم - يرتب في أعمدة تقسم إلى خانات وكان كتاب لجش في عصر « لوجالاندا » و « أوركاخينا » بعد أن يملأوا الوجه الأول من اليسار إلى

LX, t. I, p. 727.

(١)

XVIII, t. II, p. 130.

(٢)

XVIII, t. VI.

(٣)

اليمين يقلبون اللوحة من أسفل الى أعلى ويستمررون فى الكتابة على الوجه الآخر من اليمين الى اليسار . وعلى هذا فان الخانة الاولى للوجه الثانى تقابل الخانة الاخيرة للوجه الاول . ولم يكن ملخص النص يتبع النص الكامل ، بل يبدأ فى رأس العمود الأيسر من الوجه التالى ويستمر فى الاعمدة المجاورة ان لزم الأمر . ومنذ عصر أجاده نرى فيما يختص باللوحات الحسابية أن مسافة تترك فراغا لتفصل بين مختلف العمليات الحسابية والمجاميع النهائية . وفى عهد الأسرة الأولى البابلية أخذ استخدام الخطوط بين سطور الكتابة يختفى . ومع ذلك فقد ظل باقيا ليفصل أحيانا قائمة الشهود وأحيانا أخرى التواريخ أو المجموع . وفيما بعد نرى خطوطا مرسومة متوازية مع أطول جانبي اللوحة ، كما نرى النص مقسما الى أقسام يفصل ما بينها فراغ .

والوثائق الممهورة بأختام كثيرة العدد . وكثيرا ما كان الكاتب يشير اليها فى النص . وقبل الأسرة الأولى البابلية كانت الأسطوانة تدار أحيانا فوق سطح اللوحة كلها وأحيانا أخرى كانت يكتب اسم ومهنة وأجداد صاحبها . وكانت هذه العملية تسبق كتابة النص . ومن عهد السيادة البابلية كان أغلب الشهود يثبتون أختامهم فى العقود بالقرب من أختام المتعاقدين ويفضل أن يكون ذلك على أطراف الوثيقة . ولما كانت هذه الأختام غير منقوشة عادة فان اسم صاحبها كان يكتبه الكاتب على القرب من البصمة . ولقد انحدرت العادات المحلية عن طريق المدارس . ففى نيبور نرى فيما يختص بعقود معينة أن قالبا معيناً تم صنعه ، بعد أن نقش عليه اسما المتعاقدين . وفى عهد الامبراطورية الجديدة نجد أن بصمة الأختام توضع أحيانا على الأطراف وأحيانا أخرى فى الفراغ الكائن بين الخانات المختلفة للنص بعد تحريره .

ويظهر أن هذه الاحتياطات لم تكن كافية لحماية المستند ومنع تزويره ، ولذا فاننا نرى أنه منذ فترة ما قبل السرجونية روعى فى بعض اللوحات الهامة أن يرش عليها مسحوق من الطمي الجاف وأن توضع فى غلاف طمي يكرر عليه النص وكان عليه وحده عادة بصمات الأختام (١) فاذا قام نزاع كأن أنكر الطرفان صحة المستند مثلا ، فان الغلاف يفض فلا يستطيع أحد التشكيك فى اللوحة الموجودة بداخله .

وقد استعمل الغلاف الطيني كذلك في المراسلات الرسمية أو الشخصية وكان ذلك على الأقل منذ عصر أجاده . ولكنه كثيرا ما كان يستبدل بقطعة من القماش تلصق بها كتلة صغيرة من الطين تحمل بصمة الخاتم وتؤدي وظيفة ختم الرصاص الحالي .

وحين الفراغ من اللوحة كانت تسلم نسخة منها لكل من يهمه الاحتفاظ بوحدة . وغالبا ما كانت تودع أخرى في محفوظات المعبد أو القصر . وكان أمين المحفوظات يخزنها في سلال عليها بطاقات وضعت بعناية . وكانت البطاقات من الطين كذلك . وفي خلال حكم لوجالاندا كانت مشابهة للوحات واحداها تحمل النص التالي : « سلة لوحات (لما) جاء به سماكو البحر وسماكو الماء العذب - « بارنامتارا » زوجة لوجالاندا ايشاكو لاجش : السنة الثانية » ثم أخذت فيما بعد شكل الزيتون المثقوب الذي يمر بداخله خيط . وطبقا لترتيب متسق للموضوعات من عصر أور نرى أمين المحفوظات يجمع في سلة الأحكام التي أصدرتها هيئة أو أخرى من هيئات القضاة . وكذلك القرايين التي قدمت للمعابد أو الآلهة في مناسبة الأعياد أو مدفوعات المستأجرين سنة بعد سنة مع ذكر اسم الموظف المختص بالحسابات أو قيمة الأجر من الشعير والصوف للعمال الذين يعملون في المؤسسات الملكية للنسيج أو بيانا بمقدار الشعير الذي يسلم للبذر أو الاستهلاك . . . وهكذا فيما يختص بكل فرع من فروع النشاط الاجتماعي (١) .

وكانت الرسائل ترسل من مدينة إلى أخرى في سلال مختومة . وكانت تثبت كتلة من الطين إلى عقدة الخيط الذي يربط السلة ثم تبصم بخاتم المراسل ويكتب عليها اسم المراسل إليه . وائنا لمدينون إلى هذه العادة بالمعلومات التي لدينا عن مجموعة من النماذج الطيبة للنقش على الأحجار من عصر أجاده .

ولقد انتشرت اللغة الآرامية في بابل في عهد الإمبراطورية الجديدة . وكان للأسرى المستجلبين من سوريا طريقة كتابة أبسط وأقرب من الناحية العملية من الخط المسماري . ومع أنها لم تستعمل إلا أن العادة جرت منذ القرن الثامن على استعمال الآرامية في مناسبات كثيرة في تدوين ملخص المستند على هوامش اللوحات المسمارية . وكان هذا من عمل

XIX Nos, 810, 695, 713, 651, 7911 etc.

(١)

الكتاب الذين يتقنون اللغتين معا . ولقد كان ذلك أمرا له قيمته في أكثر من ناحية. وأعان على تحديده نطق بعض الحروف في اللغة البابلية للمصر المذكور .

٢ - الآداب

لم يقنع الكتاب السوميريون والبابليون بأن يضمنوا لوحاتهم حسابات أو عقودا بل دفعهم الأمراء الى ذكر أهم أحداث حكمهم على أوقاب الأبواب وقوالب المباني والألواح الحجرية واللوحات . ولقد سجلوا القوانين ونسخوا القصص والطقوس والدعوات والرقى ، بل ان هناك بعض ما خلفوه مما يهم القارئ من الناحية الأدبية البحتة .

وهاك بدء القصة السوميرية التي يحكى فيها انتحينا معارك لجش مع جارتها أوما :

« حدد ننجرسو (اله لجش) وشارا (اله أوما) تخوم حدودهم تبعا للكلمة الحقّة لـ « انليل » ملك البلاد . وأقام مسيليم ملك كيش تنفيذا لصوت آلهته « كادى » فى مكاتها لوحة . وتصرف أوش ايشاكو أوما طبقا لخططه الطامعة .

فحزح اللوحة وأتى الى سهل لجش فحدث صراع مع أوما طبقا لكلمة العدل من ننجرسو محارب انليل وكنتيجة لصوت انليل العظيم هزمت الشبكة (الالهية) العدو . وأقيمت فى السهول فى مكانها أكوام جنزية .

وأقام اياناتوم ايشاكو . لجش سلف انتميننا ايشاكو لجش تخوم الحدود : فحفر حفرة من النهر العظيم الى « جو ادين » وأقام لوحة على هذه الحفرة وأعاد لوحة مسيليم مكانها ولم يغز سهل أوما .

وبعد أن يقص كيف أنه هو بنفسه أملى السلم على العدو الذى عاد الى غزو مقاطعة لجش فراه ينتهى بهذه اللعنات : « اذا عبر رجال أوما حفرة الحدود لننجرسو وحفرة الحدود لـ « نينا » بواسطة رجال أوما أو رجال بلاد أخرى بوضع أيديهم على القطر . . ألا فليهلكهم انليل ويقضى عليهم تماما . . . ألا فلتهمهم شبكة ننجرسو العظمى ! ألا فلتسقط (عليهم)

يده الرفيعة وقدمه السنية من عل • ألا فليمتلىء جند مدينته غضبا وليدخل
الخوف في كل قلوب أهل مدينته (١) •

وهكذا - أي باللعنات - كانت تنتهى نصوص عديدة يذكر فيها
الملوك مؤسساتهم ونظمهم ومبانيهم وقراراتهم • وهذه هي خاتمة لوحة كتب
عليها كاتب من لجش هذه المراثية المؤثرة حقا عند تخريب مدينته فى أيام
أوركاجينا (٢) •

« رجال أوما فى ال « ايكى » ••• أشعلوا النار ••• أحرقوا
ال « انتاسوررا » ونهبوا الفضة والأحجار الثمينة وأسألوا السماء فى قصر
« تيراش » وأسألوا السماء فى ال « ابزوباندا » وأسألوا السماء فى هيكل
انليل وهيكل بابار • وأسألوا السماء فى « أهوش » ونهبوا منه الفضة
والأحجار الكريمة وأسألوا السماء فى « أى بابار » ونهبوا منه الفضة
والأحجار الكريمة • وأسألوا السماء فى جيكانا - نَمَا بِالْغَايَةِ الْمُقَدَّسَةِ ونهبوا
منه الفضة والأحجار الكريمة » •

ويتكرر هذا الدعاء دون اغفال هيكل واحد ودون أن ينسى حتى الحقل
المقدس لننجرسو الذى سلبت منه غلاله • وأمام هذه الكارثة لم يستطع
هذا اللجاشى العجوز التقى الا أن يبدى هذه الأمنية :

« ان رجال أوما باتلافهم لاجش قد ارتكبوا اثما ضد ننجرسو ،
وستسترد منهم القوة التى كانت منحت لهم ••• ان اثما لم يحدث من جانب
أوركاجينا ملك جرسو أما بالنسبة الى لوجال زاجيسى ايشاكو أوما فلتضع
الهته نيسابا هذا الاثم على رأسه » •

قصيدة الخليقة :

أنشئت قصيدة الخليقة تمجيدا لمردوك اله بابل وهدفها وصف لكيفية
ظفر هذا الاله بمكان الصدارة فى عراكه مع تيامات :

فلقد أخرجت تيامات البحر وأبسو المحيط من اختلاط أمواهما
الآلهة جميعا ولما لم يرضيا عن خليقتهم قررا - بنصح من موممو أول
مولوداتهم أن يحطماها ويقضيا عليها • وعرف أيا اله الحكمة مؤامرتيها
وأسر أبسو وموممو • وأرادت تيامات الانتقام لهما فخلقت جمعا من الجبابرة
تردد الآلهة انو وايا فى الدخول معهم فى معركة ••• وطلب مردوك عندما

LXVI, p. 68.

(١)

Tbid p. 91.

(٢)

دعاه انشمار الى أن يمجّد من مجمع الآلهة قبل الموافقة على الدفاع عنهم
فأرسل انشمار رسوله جاجا ليدعو أولا أقدم المعبودات لاهمو
ولاهامو ٠٠٠ (١) .

« ذهب جاجا وسار في طريقه
وأمام لاهمو ولاهامو الآلهة والديه
تواضع ٠ وقبل الأرض أمامهما ٠
وركع ثم قام وقال لهما :
« أرسلنى انشمار ابنكما
وكشف لى عن بغية قلبه
وهى أن تيامات أمنا حملت الكراهية ضدنا
وهى تجمع حشدا ٠٠٠ وهى تعصف غضبا
استجاب لها الآلهة جميعا
حتى أولئك الذين خلقتهم ٠٠٠ يسرون الى جنبها
هم يلعنون اليوم ٠ والى جانب تيامات يتقدمون
انهم غاضبون ويتآمرون ليل نهار دون راحة
انهم يستعدون للقتال ويدمرون ويشثرون
ويكونون عصابة وينظمون المعركة
أم الجميع خالقة الأشياء كلها
جمعت أسلحتها التى لا تبارى وولدت أفاعى ضخمة
حادة الأنياب لا ترحم فى القتال
استبدلت الدم بالسّم فى أجسادها
والبست التنانين المخيفة ثوب الرعب
وملاتها بالجلال والبهاء وأعطتها سحنة متعالية
حتى يهلك فزعا من يراها
حين تقوم أجسامها لا يستطيع أحد أن يقاوم هجماتها
لقد أمرت بتدفق الأفاعى والزواحف الوحشية واللهامو

ووحوش العواصف والكلاب الغضبي والرجال العقارب
والأعاصير القوية والرجال الأسماك والكباش
التي تحمل أسلحة لا ترحم ولا تخشى العراك .
وبعد أن ذكر الرسول أن « قنجو » على رأس هذا الجيش المكون من
أحد عشر نوعا من المسوخ استمر يقول باسم انشار :
« لقد أرسلت أنو ولكن لم تكن له القوة ليقرب منها
وخاف ايا وتراجع
فقام مردوك العاقل من بين الآلهة من ذريتكما
واستحثه قلبه ليواجه تيامات
وذكر لي هن فمه :
« ان كان لي . . . أنا المنتقم لكم
أن أقيد تيامات بالأغلال لتبقوا أحياء
فأجمع مجعما ومجدنى وأعلن مصيرى
اجلسوا جميعا فرحين فى ال (ابشوكينا)
ولتقرر كلمة فمى المصائر كما تقررها كلمتكم
ليكن كل ما أعمله غير قابل للتغيير مستقبلا
لتكن الكلمة التى تخرج من شفتى غير قابلة للتغيير أو التبديل
كى يذهب ويهاجم تيامات عدوكما المرعب
أسرعا - سارعا وحددا له مصيركما
وسمع لاهمو ولاهامو ذلك وصرخا بصوت عال
وبكى ال « اجيجى » (١) معا بدموع مريرة قائلين :
« من هو العدو الذى جعل المحيط يطفح
لسنا نقر عمل تيامات »
واجتمعوا وذهبوا
الآلهة الكبار معا - الذين يحددون المصائر
واتوا أمام انشار وملأوا . . .
واحتضنوا بعضهم بعضا فى المجمع

(١) الهة السماء .

وتحدثوا معا وجلسوا في مادة

وغير النبيذ الخلو من ...

وواصلوا الشرب حتى سكروا وانتشيت أجسامهم موحا

وأخذوا يصيحون كثيرا وقلوبهم فرحة سعيدة

وحددوا لمردوك المنتقم لهم مصيره *

ولما انتهى العراك وأعلن مردوك المنتصر عزمه على أن يعجن الطين
بدمه ليقيم الانسان ... اجتمع الآلهة مرة أخرى وأعلنوا أسماءه
الخمسين « (١) » *

ولسنا نستطيع أن نغفل ذكر قصص الطوفان واحداها هي التي
نورد منها الفقرات التالية مأخوذة من قصيدة « جلجامش » وفيها يصف
« أوتا نابشتيم » - نوح البابل - ملك أوروك كيف أنه اكتسب الخلود *
ولقد بنى سفينته بناء على طلب الآلهة أيا :

« قال : حملتها بكل ما كنت أمتلك ... كل بذور الحياة

أنزلتها إليها .. أسرني كلها وأقاربى

ماشية الحقل وحيوانات الحقل والصنار ... أنزلت كل ذلك

ثم دخلت السفين وأغلقمت الباب *

وعهدت الى « بوزور انليل » الملاح بقيادة السفينة

عهدت اليه بها بكل ما تحوى

ولما أضاء الفجر

خرجت من بطن السماء سحابة داكنة

وزار اداد (٢) فيها

وكان نابو (٣) والملك (٤) يسيران في المقدمة

وسار المنادون في الجبال والسهول

وانتزع نرجال (٥) الصاري

ومضى اينورتا (١) يقود المعركة
وحمل الـ « اتوناكي » (٢) المشاعل
والهبوا الأرض بأضوائهم
وارتفع ضوضاء اداد الى السموات
وانقلب كل ما هو مضيء الى ظلام
فلم يعد الأخ يرى أخاه
وأصبح الناس في السماء لا يعرف الواحد منهم الآخر
وخشى الآلهة من الطوفان
فهربوا وصعدوا الى سموات انو
وربض الآلهة واضطجعوا ككلاب على الحائط
واستمرت الريح والطوفان ستة أيام وست ليال
وساد الأرض اعصار
فلما أشرق فجر اليوم السابع هزم الاعصار
وكذلك الطوفان الذي كان قد حارب كجيش بأسره
وارتاح البحر وهدأت الريح الرديئة وتوقف الطوفان
ونظرت الى البحر وكان صوته قد سكت
وكانت البشرية قد تحولت طينا
وارتفع المستنقع الى السقفوف
وفتحت النافذة وسقط الضوء على خدى
وانهرت على مقعد وظلمت جالسا أبكى
وأخذت الدموع تسيل على خدى
نظرت الى العالم ٠٠٠ الى أفق البحر
فرايت هناك على مبعدة ١٢ (مقياسا) جزيرة برزت
وبلغ السفين جبل نتسير (٣)
واستوقف جبل نتسير السفين ولم يدعها تتحرك

(١) اله الحرب .

(٢) الارواح الجهنمية .

(٣) بين دجلة والزاب الصغير .

ولما جاء اليوم السابع
أخرجت حمامة وأطلقتها
ذهبت الحمامة ولكنها عادت
عادت لأنها لم تجد مكانا
فأخرجت مسنونو وأطلقته
فذهب ولكنه عاد
عاد لأنه لم يجد مكانا
أخرجت غرابا وأطلقته
ذهب الغراب ورأى الماء يختفى
وأكل ومشى فى الطين ولعب ولم يعد
فأخرجت من السفين عددا أطلقتته الى الجهات الأربع وسكنت
سكيبا
وقدمت قربانا على قمة الجبل
ووضعت ١٤ انا « ادا جورو »
ونشرت من تحتها القصب والأرز والآس
واشتم الآلهة عبيرها
اشتم الآلهة عبيرها المعطر
وتجمع الآلهة كالذباب فوق مقدم القربان
وفى أسطورة « اتانا » أحد أوائل الملوك قبل العصر التاريخى نجد
خرافة طريفة هى خرافة النسر والثعبان . فلقد عقد نسر نيته على الثمام
صغار الثعبان ورغم نصيحة ملؤها السداد من أحد صغاره العقلاء أنفذ
مشروعه وشكا الثعبان الى شماش اله العدالة (١) .
« فحين سبى صلاة الثعبان
فتح شماش فمه وقال للثعبان :
اذهب فى طريقك حتى تصل الى الجبل
وسأحجز لك جاموسة

افتح أمعاءها واخترق بطنها
واتخذ بطنها مسكنا لك
وستنزل من السماء كل أنواع الطيور
لتأكل من لحم الجاموسة
وسينزل النسر معها
وما ليس يعرفه ...
وسيبحث عن مدخل الى اللحم في ال ... سيرفرف حولها
وسيحلم بالمكان الخفى للقلب
فحين يصل الى الداخل اقبض عليه من أجنحته
واقطع هذه الأجنحة وريشها ومقالبه
ومزقه وارمه في حفرة
ودعه يموت ميتة الجوع والظما ،
وأطاع الشعبان واختبأ في بطن الجاموسة
« ونزلت كل طيور السماء وأكلت من اللحم
ولو كان النسر يعرف ما قدر له من سوء طالع
لما نزل مع صغاره ليأكل من اللحم
ولكنه فتح فاه وقال لهم :
« لننزل ونأكل نحن من لحم هذه الجاموسة »
ونطق نسر صغير ملئ بالفهم الى أبيه النسر قائلا :
« لا تنزل يا أبى ربما كان هناك شعبان يرقد مختبئا في بطن الجاموسة .
وقال النسر لنفسه كذلك كلمة
انه لم يفهم ما قيل له ... انه لم يتدبر ما قال الصغير
فنزل وجثم فوق الجاموسة
ونظر النسر الى اللحم وقدر ما أمامه وما وراءه
وكرر الأمر ونظر ثانية الى اللحم وقدر ما وراءه وما أمامه
وأخذ يطوف في ... وأخذ يحلم في حفايا القلب
وحين دخل قبض عليه الشعبان من أجنحته ...
وفتح النسر فاه وقال للشعبان :

« ارحمنى وساعطيك بائنة كما يعطى للعروس »
وفتح الشعبان فمه وقال للنسر :
« ان تركتك فكيف أستطيع أن أجاب شماش المعظم ؟ »
سوف ترتد العقوبة على
تلك العقوبة التي أفرضها عليك
وقطع أجنحته وريش أجنحته ومخالبه
ومزقه ورماه فى حفرة
حتى يموت جوعا وعطشا » .

ولقد كانت مشكلة الخير والبشر تسبرعى انتباه البابليين فالألم يحل
بالمستقيمين ولا يمس أهل السوء مما دعا الرجل التقى الذى يرعى الواجب
الى أن يتساءل عن سبب نكبته (١) :

لم أكد أصل الى الحياة حتى عبرت الزمن المحدد
فاستدرت ... انه شر ... وشر أكثر
زاد الجور على ولم أستطع بلوغ سقى
صرخت الى الهى ولكن لم ينظر الى
توسلت الى الهتى ولكنها لم تعن برفع رأسها
ان العراف بعرافته لم يحدد مستقبلى
والساحر بضحية لم يستطع أن يجعل محاكمتى جليلة
لقد تحدثت الى العراف ولكن لم يعلمنى شيئا
ان الساحر برقاه لم يستطع أن يحل اللعنة التى أنا هدفها
ما أكثر اختلاف الأحداث فى العالم !
لقد نظرت ورائى : فوجدت الشر فى عقبى
كأنما لم أكن أقدم التقدّمات بانتظام لالهى
وكانما كنت لا أخلد ذكرى آلهتى فى الوليمة
وكانما لم أحن وجهى وكانما لم ينظر الى عبادتى
فكنت كمن توقفت الصلوات والابتهالات فى فمه

وكنت كمن انتهى يومه الالهى • لقد مات القمر الجديد
وأصبحت مثل ذلك الذى اضطجع على جانبه واحتقر صورهم
والذى لم يعلم أتباعه الخوف والاجلال
والذى لم يذكر الهه والتهم الطعام المخصص له
والذى هجر الهته ولم يأت بالمقرر عليه
والذى كان ظالما ، والذى نسي مولاه
والذى نطق كلمة الهه القوى باستخفاف
اننى أصبحت مثل ذلك الرجل
ان مضطهدى يتبعنى كل يوم
وعند قدوم الليل لا يدع لحظة أتنفس فيها
ان أعصابى تتفكك من كثرة اضطراسى
وقواى تنحل وادى فالأ سينا
فأرأى ملقى على سريرى كالنور ملوثا ببرازى كالشاة
لقد عذبت الساحر عضلاتى المريضة .
وضللت العراف التنبؤات النبى بجاته عنى
ان صاحب الرقى لم يفهم شيئا عن مرضى
ولم يضع العراف حدا لعجزى
ولم يأت الهى لعونى ولم يأخذ بيدي
ولم ترحمنى الهتى ولم تسر الى جانبي
القبر مفتوح ومسكنى تم الاستيلاء عليه (١)
وانتهى الحزن على حتى قبل أن أموت
لقد زددت كل الناس « كم هو مهدم ! »
وسمع عدوى بذلك وتهللت أسارىه
لأن بشارة الخير قد وصلتته فانبثق النور من قلبه « . . . »

وقلما اختلفت أساليب الانشاء على در العصور • واننا لنرى لوجال زاجيسى ملك أوروک فى القرن التاسع والعشرين يذكر بركات الآلهة عليه فى مقدمة نقوشه السوميرية كما نجد نابونيد آخر ملوك الامبراطورية البابلية الجديدة يستعمل نفس الصيغة فى القرن السادس • فقد قال الأول (١) :

« حين منح انليل ملك البلاد الى لوجال زاجيسى ملك أوروک سيد البلاد •

كاهن أنو نبى نيسابا بن أوكوش ايشساكو اوما ونبى نيسابا الملحوظ بعين رعاية أنو ملك الأقاليم الايشاكو الأكبر لانليل الممنوح ، فهما من أنكى الذى ردد اسمه بابآز كبير وزراء أنزو شاكاناكو بابار قهرمان أنينا طفل نيسابا الذى يطعم على لبن •

« ننهار ساج » المقدس ، رجل الاله مسن ، كاهن أوروک • • • تلميذ « نئابوهادو » سيدة أوروک • • الأباراكو الكبير جدا للآلهة • • • حين منح انليل سيد البلاد الى لوجال زاجيسى ملك الأرض • • • حين جعله ينجح أمام الأرض • • حين أخضع البلاد لسلطانه • • حين هزم الجميع من مشرق الشمس الى مغربها • • فى ذلك اليوم • • •

ويقول الثانى (١) :

« حين خلق مردوك سيد الآلهة العظيم سيد العالم • • حين خلق الأمير سماء نابونيد ملكا مكرسا للعبادة ليمارس السلطان • ورفع رأسه فوق الملوك جميعا • سعد الآلهة العظام بكلمته من أجل ملكه ولقد منحه أنو انليل العرش الى الأبد ، والتاج والصولحان وعصا الملك وكتاب الطقوس الملكى • • جعله ايا خالق جميع الأشياء • • كامل الحكمة • • أما بعليت ايل خالقة العالم فأكملت تكوينه • وأما « نابو » مراقب العلم فقد منحه العقل • وأما سن ابن الأمير فقد تبصر فى صورته • وأما بشماش ضوء الآلهة فقد جعله راعيا لقطيعه ووضع رعاياه تحت امرته • وأما ايرا العظيم القوى بين الآلهة فقد منحه القوة وأما زبابا المعظم فقد جعله كاملا زينة • وأما نوسكو المخيف فقد زينته بأبهة الملك ثم استندار الى روحه الحارسة حتى يستطيع تنظيم الرؤيا الالهية واتخاذ القرارات وتحديد المستقبل • واستدعته الآلهة المعظمة لمعاونته حتى يستطيع انفاذ أوامره • •

وأما بقية النص فنموذج طيب للنصوص التاريخية البابلية (١) :
« نابونيد ملك بابل الأمير العظيم الراعى الفطن الذى يحترم الآلهة
العظمى الوكيل التقى »

الذى يعنى برؤيا الآلهة والذى يشغل نفسه كل يوم بطقوس الآلهة
والالهات ابن « نابو بالاتسو اقبى » الأمير العاقل .

اننى منذ عين مردوك السيد العظيم اسمى سيدها أعلى للبلاد ومجد
نابو ابن الأمير اسمى الملكى . . . اننى أكرر كل يوم احترامى لجلالته
وأشغل نفسى باستمرار بما يرضيهم وأزيد من عنايتى بالاييساجيل (٢)
وال « أزيدها » (٣) . اننى أقدم لهم خير ما لدى من أشياء جميلة وأهتم
بألا ينقطع تقديم القرابين وأبنى الهياكل تمجيدها لهم كما ابنى مدنهم
العظيمة وأمجد أسماءهم على لسان كل الأحياء .

أما بالنسبة لشماش القاضي العظيم والاله الفخم سيد سيبار وان
ال « أبارا » الهىكل الطاهر ببيته الأصلى الذى لم يدع ملكا من قبلى يرى
ال « تمن » الخاص به فان شماش انتظرنى حتى أقيمه وقد وضعت أساسه
على « تمن » نارام سن . ورفعت رأس حائط أوجال أمارو ، حائط كوئا
وأمرت بحائط « ميلام كوركورا دولا » حائط كيش أن يرتفع كالجبال .
أما بالنسبة للسيد العظيم أوراش فقد جدت - كما كانت الحال من قبل -
قصر الأعياد الهادى . وأما عن المدينة - بين بابل وبورسيبا - فقد رفعت
أبراجها بالأسفلت والآجر وأدخلت نانا الآلهة المؤمرة الى هيكلها .

أما عن سن السيد العظيم الذى يسكن « اكيس شرجال » التى تقع
فى أور فقد قررت أقصى كمية من تقدماته الثابتة وعانيت بأن تكون تقدماته
الاختيارية فخمة . ولما كنت مهتما بهيكله متضرعا الى جلالته ، فقد أظهرت
احترامى للرغبة التى أبدأها . واهتممت بها ولم أرفض طلبه وأطعت أمره
ورفعت الى مرتبه الكهنوت الابنة التى أنجبها قلبى وسميتها بعل شالتى
نانا ثم أدخلتها الى « اجيببار » (٤) وقادنى قلبى الى أن أعنى بمدن جميع
الآلهة العظام فمجدت سيدى لوجال ما زادا المحارب الصنديد والبطل

L. t. XI, p. 114.

(١)

(٢) معبد مردوك .

(٣) معبد نابو .

(٤) مسكن كبير كاهنات أور .

الرائع الكامل القوة الاعصار الذي لا يقاوم الذي يغرق الاراضى المعادية ويغتنال ارض الاعداء الذي يسكن في معبده ال « اى ايجى كالاما » .
أما بالنسبة لعجلته - عربية جلالته رمز شجاعته التى تغتنال ارض العدو المعدة للمعارك تلك العربية التى لم يعد مثلها منذ أقدم العصور ملك آخر من قبلى فقد وجدت أحجار زخرفتها وطاقمها فى أساس ال « اى ايجى كالاما » هذه العربية فأعدت بناءها من جديد وزينتها بالفضة النقية والذهب اللامع والأحجار الكريمة ثم قدمتها له . أما معبده « اى ايجى كالاما » الذى كان قد أقامه ملك سابق ورفع رأسه ولكن لم يحط الأسوار بحوائط تسندها ولم يدعم حائط الحراسة فقد كان هيكله مخربا وأحجار عتبة بابه غير متماسكة فقد هدمتها وفحصت ال « آمن » القديم وحددت أساسه على « تمنه » وأعدت بناء الأسوار وقويت حائط الحراسة وحددته ورفعت قمته أعلى مما كانت

أى لوجال مارادا ! أيها السيد العظيم والمحارب القوى !
حين تدخل فرحا الى معبدك وحين تشهد كل الأعمال الطاهرة التى أتممتها . . . ألا فلتكرر كل يوم أمام مردوك ملك السماء والأرض ما يسعدنى . . . ألا فلتطل أيام حياتى ! ألا فلاكلل بذرية ضخمه ! . . . ألا فلتسحق أعدائى بذراعيك القويتين ونقضى على كل أعدائى ! » .

٣ - التعامل بالمراسلة

يظهر أن التعامل بالمراسلة كان معروفا منذ أقدم العصور . فكان الخطاب يكتب على لوحة جففت فى النار عادة ثم تغلف بغلاف من الطين . ولم يكن يستطيع أحد مطالعتها دون كسر الاختام مما كان يسمح بتلافى افشاء محتوياتها . وكان يكتفى أحيانا بلفها فى قطعة من القماش تثبت عليها قطعة من الطين تحمل بصمة ختم مرسلها .

ولعل أقدم خطاب حفظ لنا رسالة تتصل بالغزو العيلامى لأرض السوميريين (١) وهى موجهة الى « انيتارزى » الايشاكو المقبل للاجش .

ومرسل الخطاب المدعو « لو انا » يخبره أنه هزم العدو ثم يعدد الأسلاب وربما ما وقع من نصيب الايشاكو الذي ضاع اسمه لسوء الحظ وكذا ما كان من نصيب « الابراركو » والالهة « نمار » .

« هذا ما يرسله « لو انا » سانجو (مدير) نمار الى « انيتارزى سانجو »

ننجرسو ليبلغه : لقد استطاع ٦٠٠ عيلامي أن يستولوا من لاجش على أسلاب لأخذها الى عيلام : لقد حارب « لو انا » سانجو (نمار) ضد العيلاميين ولقد هزم العيلاميين (وقتل أو أسر) ، ٥٤٠ عيلاميا . أما أورباو ، أحد عمال نجلو نوتوم رئيس السباكين فقد استلم ٥ مينا من الفضة الخالصة

و ٥٠٠٠٢٠ أثواب ملكيه و ١٦ مينا من صوف أغنام الأكل ٠٠٠ ل ٠٠٠ ايشاكو لاجش وهو ما يخصه . ولايناناتوم سيزيد (الابراركو ما يخصه) ألا فليؤخذ ال ٠٠ الى نمار « السنة الخامسة » وهما كخطابا آخر كتب في زمن لوجالاندا (١) :

« بخصوص ال ٦٦٠ نعجه وحمل وال ٢٤ ثورا وبقرة وال ١٦ جحشا التي أرسلها «جوبى» له انه يقول ل « لوجالمو » : لقد نفذ الكاتب أمر ارسالها فليبلغه ذلك - (السنة / الرابعة » .

ولعل صيغة « ما يرسله س له أنه أبلغه الى ص » تعيد الى أذهاننا تلك الفترة حين كان يعهد بالرسالة شفويا الى رسول ، اد أنها موجهة الى الكاتب الذى سينقل الى المرسل اليه محتويات المستند ذلك لأن أغلبية السوميرواكاديين لم يكونوا ملمين بالقراءة ، وكان من الضرورى أن يلجأوا الى خدمات المتعلمين . ولقد طرأ بعض التعديل على هذه الصيغة فى عهد أجاده (٢) وان بقيت جارية الاستعمال مهما تكن وظيفة أو صفة المرسل اليه « ما يرسله لوبا ال « نوباندا » (الرئيس) أبلغه الى ملكي » وقد اختصرت الصيغة أحيانا الى « الى ملكي ما يرسله انيجلولا » وقد اختفى فى عهد ملوك أور الجزء الأول الذى كان يحوى اسم المرسل ولم يبق سوى : « أبلغه الى فلان » .

ولدينا عدد من الخطابات ابتداء من عهد الاسرة الأولى البابلية يشير بعضها الى شئون الدولة والبعض الآخر الى أمور خاصة وليس هدف النوع

I, t. XVII, p. 95. .

(١)

XIX, no. 1058, 1170, 1261.

(٢)

الأول - كما هي الحال بالنسبة للنقوش الرسمية - أن يبقى للأجيال القادمة ولكنه يهدف الى تصفية منازعات أو ابلاغ أوامر أو تقارير . وهذا النوع أحسن ما يقوم مثالا لتعريفنا بالعرف المتبع والتقاليد والعادات والأحداث . وهكذا تبين مراسلات حمورابى مع « سن ادينام » محافظ لارسا كيف كانت السلطة المركزية تعنى بإدارة شئون الدولة وتهتم بأقل التفاصيل وتركز فى بابل إدارة جميع الشئون . واننا نرى أن وحدة الامبراطورية تحققت فى النهاية وأن الملك يشغل نفسه ويهتم باستقرار كل الأنظمة التى وضعها أو عدلها وقد نجح فى ذلك . ولقد كانت ثروة المعابد ضخمة وكان للمشرفين عليها نفوذ واسع وكان حمورابى يطلب حسابا عن ايراداتها ويعنى بالترميمات أو إعادة البناء أو زخرفة الهياكل . ولما كان الأمر يتطلب أعمالا انشائية كبرى ، فانه كان يهتم بتعيين العمال وتحديد أجورهم وكان البت فى بعض الشئون من اختصاص السلطات المحلية فأصبح من اختصاص السلطة المركزية . ولقد كان التقويم من هذه الشئون اذ كانت كل مدينة تحدد ان كانت السنة الحالية بها ١٢ أو ١٣ شهرا . وقبلما كان يتم اتفاق على هذا الأمر بين الأمراء المتجاورين لأن كلا منهم كان يتصرف حسب هواه . الا أنه منذ ذلك الوقت بدأ العمل بحساب واحد لكل الامبراطورية وكان الملك بما له من سلطة ملكية يقرر ما اذا كان يجب اضافة شهر الى السنة الجارية وهكذا نرى حمورابى يخطر « سن ادينام » فى واحد من كتبه أنه قد حل احتساب أيلول آخر فى تلك السنة .

ولم يكن الملك يكتفى بجمع الأحكام القضائية ووضع التشريعات واصلاح بعض المساوىء فحسب ولكنه كان يتولى الحكم بنفسه فى القضايا الكبرى ويتلقى التظلمات ويوجه قضاة المقاطعات . فلقد ضبط حادث رشوة فى « دور جور جورى » فأمر بالتحقيق والتحرى وأشار بأن يرسل المجرمون الى بابل ليعاقبهم بنفسه .

« الى سن ادينام قل : هذا نطق حمورابى ! هكذا نطق شوما ايلو لا ايلو . . . هكذا يقول : حدثت رشوة فى دور جورجورى ان أولئك الذين سمحوا لأنفسهم بقبول رشى وشهود الحادث هنا . . . هكذا قال : اننى أرسل لك شوما ايلو لا ايلو بنفسه . . . لتقم بالتحقيق بمجرد وصول هذا الخطاب فإذا كانت هناك رشوة فلتؤخذ الفضة ، أو ما أعطى كرشوة ولتوضع فى حوز مختوم وترسل الى . اما المرتشون وشهود الحال الذين سيكشف .

عنهم شوما ايلولا ايلو فليسوا ان « (١) » .

وقد نزعنا أرض ايلوباني منه وقدّم صك بسند الملكية الى الملك فأمر هذا بردها الى صاحبها (٢) . ولقد شكّا أحد أهالي سيبار من أن الحبوب التي أودعها مخزن غلال قد سرقت فاتصل الملك بـ « سن ادينام » لانتهاء هذه المسألة (٣) .

« الى سن ادينام قل : هكذا تكلم حمورابي ؟ أخبرني تمومو من نيبور بنا يأتي : قال : لقد أودعت ٧٠ جورا من الشعير في مخزن في « أونابو » وفتح « اويل ايلي » المخزن وأخذ الشعير ... هذا ما أخطرني به . اننى أرسل تمومو بنفسه . استدع « اويل ايلي » واستمع اليهما وليعد اويل ايلي الى تمومو شعيره الذى أخذه منه ... » .

وكان « ايلوشو ايقيش » (٤) قد أعار « سن ماجير » ٣٠ جورا من الشعير وأخذ ايصالا عنها ولكنه ظل مدى ثلاث سنوات يطلب السداد دون جدوى . وقد أطلع الملك على الايصال فلم يكن هناك من داع لتحقيق الأمر ، وحل الملك المشكلة بنفسه فكتب الى الحاكم يقول : « ليرجع سن ماجير الشعير والفائدة وليعظهما الى ايلوشو ايقيش » .

ولم يكن جباة الضرائب يتعجلون تقديم حساباتهم اذ أنهم كانوا مزارعين يدفعون مبلغا معينا الى الخزانة ويحصلون على مسئوليتهم الضرائب المستحقة فى الناحية التى سبق أن تعاقدوا عليها . ولقد اشتهر « شب سن » بتباطؤه فى دفع التزامه وقد طالبه الملك ذات مرة بتسديده ما عليه (٥) . وفى مرة أخرى اعتذر بصعوبة جمع المال المستحق لمعبدين معين (٦) وأخيرا غضب حمورابي وكتب الى سن ادينام (٧) :

« اننى كنت قد كتبت اليك طالبا اليك فيما يختص برئيس الجباة شب سن أن ترسله معه ١٨٠٠ جدر من السمس » .

LXXXIX, No. 11.

(١)

Ibid No 76.

(٢)

Ibid, No. 12.

(٣).

Ibid No. 24.

(٤)

Ibid. No. 16.

(٥)

Ibid No. 30.

(٦)

Ibid No. 33.

(٧)

١٩ مينا من الفضة واجب عليه سدادهما • وكذلك رئيس
الجباة سن موشتال ومعه ١٨٠٠ جور من السمس •
٧ مينا من الفضة مستحقة عليا • وأرسلهما الى بابل •••
ولكنك أخبرتنى بأن رئيسي الجباة هذين قالوا : لقد حل
موسم الحصاد وسنذهب بعد الحصاد • - هذا ما قالاه وأخبرتني
به •• والآن وقد انتهى الحصاد فحالما ترى هذه اللوحة التي أرسلها
لك أرسل الى بابل « شب سن » رئيس الجباة ومعه ١٨٠٠ جور
من السمس و ١٩ مينا من الفضة مستحقة عليه وكذلك
سن موشتال رئيس الجباة ومعه ١٨٠٠ جور من السمس
و ٧ مينا من الفضة مستحقة عليه كذلك • وأرسل معهما حارسك
الأمين • وكلفهما بأن يقدمتا نفسيهما أمامي بكل ما يملكان •

ولقد تعرض موظفون آخرون للوم عتيف واستدعوا كذلك أمام
الملك • وهذا ما حدث لـ « اتيل بي مردوك » بسبب ما اعتساده من
ربا فاحش (١) فلقد طلب ايشاكو خاضع لأوامره أن ينقل الى خدمة
سيد آخر (٢) ، كما شكوا أحد الرعاة من أنه فرض السخرة على رعاة كانوا
معفين منها (٣) وكانت صيانة القنوات من أهم الأمور ليس لرى الأراضي
وصرفها فحسب بل لأنها وسيلة للعلاقات التجارية كذلك • وكان أولئك
الذين يعيشون على ضفافها يخضعون للسخرة تحت إشراف المحافظين •
ولم يكن الملك ليأنف من أن يعطى أوامره باستدعائهم وتكليفهم بتطهير
القنوات في فترة يحددها (٤) • ولقد تبين له ذات يوم أن تطهير قناة معينة
لم يتم فأمر بإتمامه خلال ثلاثة أيام (٥) • وكانت قطعان الملك وأراضيه
الخاصة موضوع خطابات عديدة • وكان يتلقى عنها تقارير ويرسل
ضباطا من رجاله لمراقبة الرعاة • وكان يستدعى الى القصر أحياانا
٤٧ راعيا في وقت واحد ليستقى منهم الأخبار مباشرة • وكان يهتم بجز
الغنم ومحاصيل البلع والبقول وتخزين الأخشاب ••• الخ •

Ibid., No. 18, 30, 73.

(١)

Ibid, No. 38.

(٢)

Ibid., No. 3

(٣)

Ibid, No. 26.

(٤)

Ibid, No. 5.

(٥)

وقد حدث في خلال حملة ضد ايموتبال (وهو اقليم على حدود عيلام) أن استولت الجيوش الملكية على آلهات هذه البلاد وحملتها عند عودتها الى بابل . وطبقا للعقائد الدينية كان يجب أن تعامل هذه الآلهة الأسرى باحترام ، وأن توضع في معابد الآلهة البابلية حتى تصبح موالية للغزاة فيسمح لها أن تعود الى هياكلها توطئة لتسهيل الغزو السلمي للمقاطعة التي تخضع لسلطتها الشرعية . ولقد كتب حمورابي عنها الى سن ادينام (١) :

« ضع الالهات حالا على (مركب) مواكب وأرسلها الى بابل .
ودع العاهرات (داغرات المعابد) .

يصحبها . ولتحمل السفين طعاما من أجل ولائم الالهات وكذا شرابا وصغار ماشية ومستلزمات ومعدات للعاهرات حتى يصلن الى بابل .

وليعلن من يعملون في جر المركب ولتأت الالهات الى بابل دون عائق ولا يتأخرن بل يأتين بسرعة الى بابل ، . ولسنا ندري كيف نفذ ما جاء في هذا الخطاب . وهناك كتاب آخر كذلك موجه الى حاكم لارسا يأمر فيه بإعادة نفس المعبودات الى معابدها :

« قل لـ « سن ادينام » : هكذا يتكلم حمورابي : ان
الهاث « ايموتبال » اللواتي تحت رعايتك سوف تحضرها
جيوش « انوحسامار » لك تحت حراسة قوية وحين تصل
اليك ضم هذه الجيوش الى جيوشك وأعد هذه الالهات
الى هياكلها » (٢)

وقد شكّا « لالو » الى ساموايلونا ، خليفة حمورابي من حاكم كان يدعى حقوقا على محصول من متعلقات « ايلكو » واستولى عليه . وكانت اللوحة في القصر . وكان المدعى في الواقع صاحب حق استثمار عدد ٢ جان من الأرض . فأرسل أمر الى سن ادينام (٣) للتحقيق وأن يلام الحاكم ان كان قد أعطي سلفة على رهن هذه الأرض .

Ibid, No 34.

(١)

Ibid, No. 45.

(٢)

Ibid, No 6.

(٣)

وكان هناك في ذلك الوقت نظام خاص بصيد الأسماك • وكانت كل ناحية تحتفظ لنفسها بحقوق معينة في حدود أراضيها تعويضا عما يؤدي من أعمال خاصة بصيانة القنوات وتطهيرها • وحين تلقى « سامسو ايلونا » شكاية أعطى الأمر التالي (١) :

« الى سن ادينام ••• قل ل « كارمنيبار » وقضاة سيبار :

هكذا يقول سامسو ايلونا : لقد وصل الى علمي أن قوارب الصيادين تنزل الى نواحي ، رابي » و « شامكاني » تصيد سمكا هناك • لذلك فأنني ارسل ضابطا من ضباط « بواية القصر » وحين يصل اليك استدع قوارب الصيادين التي تصيد سمنا في نواحي رابي وشامكاني ولا تسمح مرة أخرى بأن تنزل قوارب الصيادين الى نواحي رابي وشامكاني • »

ويشهد خطاب ل « أمي ديتانا » محفوظ في اللوقر (٢) بعادة القينم بطقوس شهرية للموتى :

« قل ل « شوما ايلوم بن ادين مردوك » : هذا ما يقوله أمي ديتانا : لا يوجد اللبن والزبد اللازمان للتقدمات الشهرية لشهر آب • فبمجرد وصول لوحتي هذه اليك دع خادمك يأخذ ٣٠ بقرة ، ٦٠ قا هن الزبد ويأتى الى بابل • ودعه يحضر لبنا حتى تنتهى التقدمات الجنازية • ولا تدعه يتأخر بل دعه يأتى سريعا »

وهناك خطاب آخر من « سامسو ديتانا » (٣) يكشف عن ظروف اضطراب الأمن خلال أخريات عهد الأسرة الأولى :

« بالاشارة الى ما كتبت الى قائلا عن الحبوب التي تنمو في مقاطعه سيبار - ياروم وأنه ليس من الصواب

Ibid, No. 80.

XXIV, p. 160.

Ibid, p. 161.

(١)

(٢)

(٣)

أن تترك في الحقول تحت رحمة جند الأعداء ٠٠٠ إلا
فليسمح سيدنا بإعطاء الأمر بإرسال تعليمات إلينا
لفتح بوابة شماش ونقل هذه الحبوب إلى المدينة ٠
هذا ما كتبته لي ٠ وبمجرد جمع الحبوب من كل الأراضي
فلتفتح حالا بوابة شماش وحتى يتم ادخال الحبوب
هناك فلتستمر جلسات القضاة منعقدة ولا تدعهم يهملون
حراسة البوابة ٠

أما الخطابات الشخصية التي تعالج شئوننا خاصة فهي غامضة ، لأننا
لا نعرف شيئا عما وراء نصوص اللوحة نفسها ٠ ونصها في أغلب الأحيان
مقتضب جدا ومحشو بالإشارة إلى أمور يعرفها المرسل إليه ونجهلها نحن ٠
فهناك فلاح أغار العدو على ماشيته يسأل مولاه أن يزوده ببقرة وهو
يرسل له خمسة شواقل من الفضة ويعد بدفع باقي الثمن حين يتسلم
البقرة ٠

« إلى سيدي قل - هكذا يقول « ايجاتوم » خادمك :
كما علمت ياسيدي استولى العدو على ماشيتي ٠
اننى لم أكتب اليك من قبل والآن أطلب تحرير
خطاب اليك ياسيدي ٠ أرسل لي ياسيدي بقرة
صغيرة وسأزن وأرسل لك خمسة شواقل ياسيدي ٠
أرسل البقرة الصغيرة مع أخى إيلي إيشام ولكي
بوافق مولاي بدون تأخير ويرسل لي البقرة الصغيرة ٠
فاننى سأزن في الحال وأرسل لك ١٥ شاقلا من الفضة ياسيدي ٠
وكان أريب سن ، ابني نابو شريكين في عمل من الأعمال ٠ وطلب
الأول من الأخير أن يدفع ١٤ شاقلا إلى المدعو « شماش بل إيلاني » وأجابة
الأخير بأن يأخذها من مبلغ الـ ٢/٣ مينا من الفضة السابق تسليمها إلى المدعو
« واران إيليشو » (١) ٠

« أما فيما يختص بـ ، واران إيليشو ، ابن « ابني ديارا
فاننى سلمته ٢/٣ مينا من الفضة واعترف بذلك كتابة

بمضور شهودي . وقد ذهب الى آشور ولم يدفع المال
الى « شماياتو » . وقد تقابل « شماياتو » معي في داجانا
وتناقشنا في هذا الموضوع وقلت له : « لقد أرسلت لك
النقود مع واراد ايليشو » فأجاب قائلا : « ان كان
واراد ايليشو قد دفع النقود بالابل ... »
أما فيما يختص بما كتبه عن ال ١٤ شاقلا الخاصة
« بشماش بل ايلاني » فاني لم أدفع له النقود . اقبض
على واراد ايليشو وألزمه بأن يزن الفضة بفائدة أكثر
أو أقل وخذ من هذا المبلغ ١٤ شاقلا وأرسل لي الباقي » .
وهناك رجل ألقى في السجن منذ خمسة شهور يشكو تعاسيه
ويلتمس من مولاه بأن تيسر له سبل العيش (١) :
« أرسل لي نصف مينا من الفضة أو ٢ مينا من الصوف
لاستعمالها لي الا لا يرجع ما رابوللي فارغ اليدين .
ان رجع خاوي الوفاض فان الكلاب ستنهشني
انه لم يلق بي في السجن من أجل سطو أو اقتحام منازل .
أنت تعلم يامولاي كما يعام كل أهل سيبار وبابل
لقد أرسلتني يامولاي عبر النهر بزيت فهاجمني السوتيون
وسجنتمني ... لتقل كلمة في مصلحتي لاختصاء « اباراكو » الملك
أرسل لي شيئا حتى لا أموت في بيت البؤس . أرسل لي
« قا » من الزيت وه قا من الملح . ان ما سبق أن
أرسلته الي لم يسلم الي » .

وقد وصلتنا عن طريق الحفائر في نيبور خطابات موجهة الى الملوك
الكاسيين ومراسلات بين الموظفين في القرنين الخامس عشر . والرابع عشر
وهناك مذكرة بغير امضاء تبين أن طريقة مسك حسابات المعابد والضرائب
الواسعة ظلت معقدة كما كانت منذ البدء (٢) .

Ibid, p. 331.

(١)

XXV, t. XVII, 76.

(٢)

« هكذا يقول أبوك : أعط وجهك - كن عطوفا وأرسل
بأسرع ما يمكن التقرير الى « رئيس الشعير » حتى أستطيع
أن أرسل تقريراً من عندي . . »

وكان الأمر يتصل بحسابات أمراء أو صوامع مختلفة في عهدة نفس
الموظف وكان على كل حارس أن يقدم قائمة بالسلع حتى يستطيع عمل
القائمة الاجمالية التي ترسل الى السلطة الرئيسية . وقد بدأت تظهر
اذ ذاك اصطلاحات « أب » و « أم » بمعنى « رئيس » واصطلاح « أخ »
بمعنى زميل أو صديق أو ند : تلك الاصطلاحات التي انتشر استخدامها
في الرسائل الكتابية في عهد الدولة الحديثة .

وهناك آخر يشكو من خطأ : انه كان قد طلب بعض الاواني وأرسل
له تبين بدلا منها (١) ، كما نرى السيدة « انبي ايرى » تكتب الى رئيس
حراس المخازن المعبد نيبور وتأمره أن يسلم كمية معينة من الشعير :

« الى اينانى قل : هكذا تقول انبي ايرى :

أعط ادين زجال ٣ جور من الشعير .

لاتعاملنى معاملة لاتنطوى على روح المودة ولكن

- كما قلت له - دعه يأخذ ويحضر هذا الشعير .

أما فيما يختص بضمانه الناس فارسلها الى سن ايساهارا

وارسل الى « دينى » ابنة « ايبا » ٤ جور من الشعير ،

وكان الملك غالباً ما يحكم فى القضايا بنفسه كما كانت الحال خلال
عهد الأسرة الاولى :

قل الى اديل مردوك : هكذا قال الملك :

هكذا يقول الى اديل مردوك : ان « ابريش نادين شوم »

ابن « اباناي » الذى افترى على هائيبى ودامجو بن . . .

الذى افترى على سن . . . أحضره أمامى (٢) .

وكان اديل مردوك هذا رئيس شرطة نيبور أيام حكم « شاجاراكتى
شورياس » (حوالى ١٢٧٠ ق م .) ويبدأ امجوروم تقريراً مقدماً الى

Ibid. 76.

(١)

Ibid, 4٤.

(٢)

الملك « بورنا بورياش » عن الشئون التى تحت رعايته على الصورة التالية :

« خادمك امجوروم : ألا أستطيع أن أحضر أمام سيدى ؟
تحيات الى بيت مولاي ا » .

ثم يصف حالة العمل فى مختلف المباني الجارى بناؤها بعضها من اللبن والبعض الآخر من الآجر ثم يشير الى عدم وصول الصوف من « بعل أوساعتوم » ويبين كيفية توزيع الصوف الذى تسلمه ويلتمس من الملك أن يرسل بعض الصوف ما دام لا يستطيع الحصول على شيء منه فى دور كوريجا لزو ويقرر أنه « لا يجد لذة فى هذه الوظيفة » ثم ينهى خطابه بأن يطلب الافراج عن النساجين المسجونين فى بان بالى . وكان قد تحدث الى الملك من قبل وكتب اليه ثلاث مرات فى هذا الشأن دون أن يتلقى جوابا .

وهناك شخص آخر يدعى « كالبو » (١) يصف نفسه بأنه متواضع كالتراب وخادم محب لمولاه ويبدأ خطابه بهذه الجملة :

« الى مولاي الرائع فى بهائه ذى الأصل السماوى ، القوى ،

الجبار ، العاقل ، ضوء اخوانه الذى بضئ مثل الفجر ،

هادى السادة الجبابرة والمرعبين ، قوت الشعب ،

مائلة النبلاء ، بطل عشيرته ، ذلك الذى منحه أنو

وانليل وايا وبعليت ايلي اقطاع النعمة والعدل . . .

الى مولاي أقول : هكذا يتكلم كالبو التراب والخادم الذى يجبك » .

كان هذا المتملق حاكما على « مانوجير رمان » واجتاحت مقاطعته . . . اجتاحتها « أمطار السماء وأمواج الهاوية » . . . حطم الفيضان البوابات وقضى على قطيع من النعاج عمرها عامان ولم يبق شيء لغذاء السكان . وبعد أن يعرض بعض الشئون الأخرى نراه ينهى خطابه ملتصقا ردا عاجلا :

ومن العصر نفسه فإن المجموعة التى لا تقدر من خطابات تل العمارنة تلحق ضوئا قويا على سياسة الامبراطوريات الشرقية وسياسة مصر فى كنعان وفى عمورو . وهى أقطار كان يطمع فيها دائما جيرانها الأقوياء ليس لأنها كانت أقطارا غنية فحسب بل ولأنها أيضا كانت الطريق التجارى

الوحيد الذي يهبط من بلاد بابل وأشور ومن المملكة الحيثية نحو
امبراطورية الفراعنة . وليس خطاب « خاتوسيل » ملك الحيثيين الى
« كاداشام - اليل » ملك بابل (١) بأقل قدراً أو أهمية في المعلومات التي
يقدمها لنا عن العلاقات بين البلدين .

ويحمل خطاب بابل من القرن السابع - كتبه ملك آشوري - أمرا
بالبحث عن وثائق قديمة كان يحتاج لنسخ منها لمكتبته . وهو يعطى لمحة
واضحة عن الطرق التي كان يتبعها آشور بانيبال في تكوين مجموعة
كبيرة من النصوص في قصره في نينوى :

« أوامر الملك الى شادونو . . . أنا بخير . . . ليسعد قلبك
في اليوم الذي تقرأ فيه لوحتي ، خذ « شوما » بن « شوموكين »
وأخاه « بعل اتير » و « إبلا » بن « أركات ايلاني » وصناع
بورسينا الذين تعرفهم . . . خذهم في خدمتك وابحث عن
كل اللوحات التي في منازلهم وكل اللوحات المودعة في « أزيديا » ولوحات
تمائم (٩) الملك والأنهار والحرائق (٩) وشهر نيسان وإل . . . الأنهار
وشهر تشرين ومنزل الرش وال . . . الأنهار (٩) واحصاء الأبنام
وأربع (٩) تمائم وسادة سرير الملك و . . . الملك
وسلاح « ارو » لوسادة سرير الملك ورقية « ايا ومردوك الحكمة التي
يباشرانها واجتماع . . . » وقصص المعركة وكل ما هو كائن مع
اللوحات الكبيرة مما هو هناك ، (والمجموعة) : « لا تدع (السوء)
« آس مي جي » يقرب الرجل . . . »

الذهاب الى الحقول (أو) الداخل الى القصر ، . وابحث عن
النصوص الخاصة .

بالطقوس ورفع الأيدي والنقوش على الحجر وكل ما يفيد بجلالتي
و (مجموعة) تطهير

المدنية (٩) كلها وكل ما في القصر خاصا « بالكروب والحاجة
الملحة ، وكل اللوحات

الشمينة في منازلكم (الخاصة) غير الموجودة في آشور . . . ابحث

(١) قارن ما ذكر قبلا في صفحة ٥٦ .

(عنها) جميعا وأرسلها الى . ولقد كتبت فورا الى الوكيل والضابط .
 وضعها في مخزنك . لا تدع
 أحدا يرفض اعطاء لوحة لك . وإذا وجدت لوحة أو نصوص خاصة
 بالطقوس لم أكتب لك عنها
 وتري أنت أنها ذات نفع لقصرى فخذها وأرسلها الى (١) .

٤ - المقاييس والموازين

هناك تمثالان من بين تماثيل جوديا المحفوظة في اللوفر يرى فيهما
 الإيشاكو جالسا وهو يمسك على ركبتيه لوحة تستقر فوقها مسطرة
 مدرجة : لعلها المقياس الوحيد لدينا لتقدير الأطوال في الألف الثالثة .
 وأحد النموذجين كامل ويبعد أقصى خدشين فيه عن بعضهما بمسافة
 ٢٦ر٤٥ سنتيمترا وأحد المقياسين مقسم الى ١٦ جزءا متساويا أربعة منها
 مقسمة الى جزئين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أجزاء . أما الآخر
 فمقسم كذلك الى ١٦ قسما متساويا من بينها اثنان مقسمان الى ١٢ و ١٨
 جزءا . والتماثيل أصغر قليلا من الحجم الطبيعي ولسنا ندرى على وجه
 التحقيق أتمثل المسطرة مقياسا حقيقيا أم هي مصغرة وتمثل مقياسا
 للرسم فقط (٢) وهناك دلالات أخرى أهمها أحجام طوب البناء مما يسمع
 لنا باعتبار الأقسام كأنما يساوى كل منها كسرا من وحدة الطول المعمول
 بها في هذا العصر . وهذا الكسر الجزئي لا يمكن أن يكون سوى الأصبع
 وهو $\frac{1}{3}$ من « المقياس » أو الذراع المستعمل في لجش منذ عصر ما قبل
 السرجونية . والذراع يساوى على وجه التقريب $\frac{49}{3}$ سنتيمتر (٣) .
 أما كسور الذراع ذي ال ٣٠ أصبعا فهي « المقياس » أو القدم ذو
 العشرين أصبعا و « اليد المفتوحة » ذات الخمس عشرة أصبعا و « يد البناء »
 ذات عشر الأصابع وأخيرا الأصبع . ومضاعفاته هي : « القصبة » وتعادل
 ست أذرع و « الشاخص » ويعادل ١٢ ذراعا و « التسوبان » ويعادل ٦٠
 ذراعا وشريط المساح ويعادل ١٢٠ ذراعا .

LVIII, p. 19.

(١)

LXX, pl. 15.

(٢)

V, t. XVIII, No 3.

(٣)

والجدول التالى يبين قيم هذه المقاييس بالنظام المترى :

الإصبع	=	٠.١٦٥ ر	مترا
يد البناء	=	١٠ أصابع	= ٠.١٦٥ ر
اليدين المفتوحة	=	١٥ أصبعا	= ٠.٢٤٧٥ ر
القدم	=	٢٠ أصبعا	= ٠.٣٣٠ ر
الذراع	=	٣٠ أصبعا	= ٠.٤٩٥ ر
القصبة	=	٦ أذرع	= ٢.٩٧ ر
الشاخص	=	١٢ ذراعا	= ٠.٩٤ ر
نصف الشريط	=	٦٠ ذراعا	= ٢.٩٧٠ ر
شريط المساح	=	١٢٠ ذراعا	= ٥.٩٤٠ ر
الفرسفخ	=	١٨٠ شريطا	= ١٠.٦٩٢ ر

ومنذ الأسرة الثالثة البابلية نجد مقياسا ثالثا أو ذراعا طوله ٤٥ أصبعا وكان يسمى « بالمقياس الطواف » أو الذراع الكبير ويعادل $\frac{1}{3}$ متر تقريبا (١) ولقد أمكن تحقيق هذه التحديدات بمقارنة مقاييس سيجورات بابل. التى تقدمها لنا لوحة من عصر السلوقيين مع المقاييس الصحيحة التى عملت لاطلال هذا الأثر حين الكشف عنه .

وكانت وحدة المساحة فى الألف الثالثة هى ال « سار » (ربع الفدان) وهو مربع طول ضلعه شاخص وأجزاؤه $\frac{1}{4}$ و « القمحة » التى تعادل $\frac{1}{4}$ ال $\frac{1}{4}$ وأما مضاعفاته فهى : ال « جان » أو الحقل ذو ال ١٠٠ سار ثم ال « بور » ذو ١٨ جان وتحقيق هذه المساحات بما يقابلها من مقاييسنا الحديثة هو :

القمحة	=	٠.١٩٦ ر	سنتيمترا مربعا
	=	٠.٥٨٨ ر	»
ربع الفدان	=	٣٥٢٨٣٦ ر	»
الفدان	=	٣٥٣٨٣٦ ر	آر
البور	=	٦٣٥١٠٤٨ ر	هكتارا

وقد ظهر مع الكاسيين مقياس مساحى جديد يرتبط بمقياس الجديد . وكما أن هناك ذراعا كبيرا يرتبط بالخطوة المعادلة ل ٧٥ سم

وهو $\frac{1}{3}$ الذراع المعتاد ، فانتا نجد الأمر كذلك بالنسبة للأراضي التي تسمح
بـ « الحان الذي يقاس بالذراع الكبير » وهذا الجان أو الحقل الذي ظل
ثابتا موافقا مع لجان القديم حتى سقوط بابل كان مقياسه ٧٩٣٨٨١
آر ونسبته الى الجان الآخر كنسبة ٩ : ٤ ، أما وحدة مقاس الأحجام فكانت
 $\frac{1}{12}$ من الذراع المكعب وتعادل ١٧٤٦٥ مترا مكعبا وأجزاؤها الـ « جن »
أو الـ - (١) .

والوحدة الأساسية لقياس المكاييل كانت الـ « قا » ويعادل $\frac{1}{12}$
من الذراع المكعب أو حوالي ٨٠٤٢ ديسيلتر وكان هناك تقسيم لمكاييل
السوائل قال « جن » أو الـ $\frac{1}{12}$ الذي يذكر كثيرا في لجش في عصر أور
في تعيين كميات الزيت التي تعطى لمناسبة مآدب الموظفين المرشحين الى
جانب مكيال آخر هو الـ « أجام » الذي يظهر انه كان يساوي ٥ جن
أو $\frac{1}{12}$ قا . أما مضاعفاته فـ « الوعاء الصغير » سعة ٥ قا و الـ « نجن »
سعة الـ ١٠ قا و الـ « دج » أو الوعاء سعة ٢٠ قا في عصر ما قبل
السرغونية - وكان الوعاء يعادل ٣٠ قا في عصر الأسرة أجاده بـ ثم
الـ « سادوج » أو « الجرة » سعة ٣٠ قا ، ثم الجرة المزدوجة ثم
الـ « أدابا » سعة ٣٠٠ قا .

وقد عرفت المكاييل للمواد الجافة سعة ٦ ، ٣٦ ، ٧٤ ، ١٤٤ قا في
عصر لوجالاندا وأورو كاجينا . والمكيال الأخير يسمى الـ « جور سجال »
وكان له كذلك مضاعف يعادل حجمه ٣٦٠٠ مرة . وقد ظل مستعملا
حتى عصر أور ولكن كان هناك في نفس الوقت مكيال آخر هو الـ « جور »
سعة الـ ٣٠٠ قا (٢٥٢٦ لترا) الذي سمي فيما بعد جور أجاده
أو الجور الملكي . وقد ظل استعماله قائما حتى عصر الأسرة الثالثة حين
حل محله الجور سعة ١٨٠ قا (حوالي ١٥١٥٦ لترا) .

أما وحدة الوزن فكانت الـ « مينا » وزنتها $\frac{1}{60}$ من الذراع المكعب
من الماء وليس من الـ « قا » التي كانت $\frac{1}{12}$. وكانت المينا مقسمة الى
٦٠ شاقلا وكانت كل ٦٠ مينا تعادل « وزنة » . وهناك عدد من الأوزان
البابلية والأشورية والعيلامية استطعنا عن طريقها أن نحدد وزنة المينا
بحوالي ٥٠٥ جرامات . وكانت المينا مقسمة في الألف الثالثة الى ٦٠ شاقلا
والشاكل الى ١٨٠ قمحة . وكانت كل ٣ قمحات تعادل شاقلا صغيرا
وكل ٦٠ تعادل « مينيت » وكل ٩٠ نصف شاقل وكل ١٢٠ مينيت
مزدوجة وهذا هو الجدول :

(١)

القمحة	٥٠٤٦ ر	جراماً
الشاكل الصغير	١٤٠ ر	«
المينيت	٢٨٠٠٥ ر	«
نصف الشاكل	٤٢٠٨ ر	«
المينيت المزدوجة	٥٦٦١ ر	«
الشاكل	٨٤١٦ ر	«
المينا	٥٠٥ ر	«
الوزنة	٣٠٥٠٥ ر	كيلو جراماً

وكان الشاكل يقسم في العهد البابلي الجديد الى $\frac{1}{2}$ ، $\frac{1}{3}$ ، $\frac{1}{4}$ ، $\frac{1}{5}$ ، $\frac{1}{6}$ ، $\frac{1}{8}$ ، $\frac{1}{10}$ ، $\frac{1}{12}$ ، $\frac{1}{15}$ ، $\frac{1}{20}$ ، $\frac{1}{30}$ ، $\frac{1}{40}$ ، $\frac{1}{60}$. وكان اسم الأخير هو ال « أوبول » ويعادل ٣٥ سنتي جرام . وكان السوميريون أكاديون يقسمون محيط الدائرة الى ٣٦٠ درجة بكل منها ٦٠ دقيقة وقد ظل هذا التقسيم قائماً رغم عدم تكافؤه مع النظام المترى . ويظهر انه لم تكن به قابلية للتقسيم الى درجات (Grades) لتسعين كثيرة بعد ذلك .

كيف توصل السوميريون القدماء الى اختراع الطريقة الستينية .
 المبدأ . ان أسماء الأعداد نفسها تقدم لنا الإجابة : فهم من أول الأمر لاحظوا الأصابع الخمس لليد وبدعوا في العدد : « آشن (١) » ، « من (٢) » ، « اش (٣) » ، « لو (٤) » ، « أي أويأ (٥) » ولما كان العدد ٥ غير كاف كما هو واضح فانهم زادوا في الترقيم بالاضافة الى الأربعة الأولى وهذا يعطينا آشن (ياش) (٦) ، ايمن (اي - مين = ٧) ، أوشو (اي - اش = ٨) ، ألو (اي - لو = ٩) . وللمجموعة الخمسة اخترعوا اسماً جديداً جعلوه وحدة جديدة أعلى هي العشرة « أو » (١٠) وضعفها ٢٠ المئبة نش (٢٠) . ومن هاتين التسميتين للعشرات صنعوا مركبات تعني أربعة أمثال هي : أوشو (أوش أو ثلاث عشرات = ٣٠) ، نيمين (نيش مين = عشرينين = ٤٠) ، نينو (أو = عشرينين + عشرة = ٥٠) أما الستون فجعلوا لها اسماً جديداً هو « جش » .

وكان أعلى الآحاد المربع والمكعب والقوة الرابعة ل ٦٠ . وكانت ستون مربعا تسمى سار (٣٦٠٠) وكانت القوة الرابعة (١٢٩٦٠٠٠٠) تسمى « بالسار العظيم » أو « السار العظيم الذي لا تدركه الحواس » .

وكانت الأرقام تطبع أولاً على اللوحات بواسطة قلمين مستديرين . في القاعدة لكل منهما قطاع نصف قطري يختلف عن الآخر . وبضغط الدائرة

الصغرى بانحراف على الطين نستطيع الوصول الى ما يشبه نصف دائرة ممدودة تمثل الوحدة . وكان اثنان أو ثلاثة تصنع عن طريق تكرار هذه الوحدة على نفس الخط . ثم - ابتداء من ٤ - كانت ترتب الأرقام في صفين لتسهيل عملية القراءة وحين الوصول الى ٩ كانوا يفضلون كتابة (١ - ١٠) وكانت علامة الناقص يشار اليها بزاوية قائمة متجهة نحو العدد المطروح منه وكانت هذه العلامة كثيرة الاستعمال بقصد تجنب الخطأ ولتسهيل الكتابة : ولذا فاننا نجد أن رقم ٧ يكتب « ١٠ - ٣ » ونجد مبلغ ٥٦ شاقلا من الفضة يكتب « ٣ مينا - ٤ شاقل » .

أما العدد للعشرات فكانوا يصلون اليه بنفس القلم حين يمسك عموديا وليس مائلا حتى يتحرك دائرة تامة . وأما العشرات بعد ٣ فكانت ترتب في صفين كالأحاد .

وكانت أعلى وحدة وهي الستون تختلف عن العدد ١ بحجمها الأكبر وكانت تصنع بواسطة قلم كبير يستعمل مائلا . أما علامة عشرة ستينات فتعمل على شكل نصف دائرة تمثل ٦٠ مع الدائرة الصغيرة التي تمثل ١٠ منقوشة بداخلها أو متقاطعة مع حافتها وكان السار (الستون المربعة) يرسم بالقلم الكبير ويكون دائرة كاملة . ولتبيين عشرة من السار (٣٦٠٠٠) كانت تطبع الدائرة الصغيرة في وسط الدائرة الكبيرة وكانت ترسم ٤ خطوط صغيرة على شكل X مقاطعة للشكل المذكور وذلك لتشير الى مكعب ال ٦٠ .

وقد اخترعت منذ زمن بعيد علامات الكسور وكانت علامة الوحدة داخل ٩٠ درجة الى اليمين تقسم بواسطة خط صغير لتشير الى كسر ال ٢/٣ أو تصحب بزاوية لتمثل ال ٣/٤ أما الكسور أكبر من ٢/٣ فقد استخدمت لها بعض اصطلاحات ، ف « ايجي - ٣ جال » = ٢/٣ ، « ايجي - ٤ - جال » = ١/٤ ، « ايجي - ٥ - جال » = ١/٥ وهكذا .

ولبيان المساحات كان ال « جان » أو الفدان يمثل بوحدة وأما ٦ جان وتعادل ٦٠٠ سار فتمثل بالعدد ٦٠٠ والبور من ١٨ جان برقم ١٠ وأما ١٠ بور فبنفس العدد تقطعه ٤ خطوط على شكل X وكانت ٦٠ بور تبين على شكل دائرة كبيرة وأما ٦٠٠ بور فدائرة صغيرة داخل أخرى أكبر منها وأما ٣٦٠٠ بور فبنفس الشكل تقطعه علامة X المكونة من أربعة خطوط صغيرة .

ومع الجور كمكيال استعملت الأعداد العادية للحساب وهي ١٠، ١٠٠، ٦٠، ٦٠٠ وكانت الوحدة الراقدة على الجانب الأيمن تشير الى الجور . وقد تكبر الى أربع مرات وكان نفس العدد اذا قطعه خطوط ما بين واحد وخمسة يمثل من ١٠ الى ١٠٠ من الجور على التوالي .

ومِنذ عصر لوجالاندا لا نجد الكاتب يستعمل دائما القلم بالقطاع الدائري لكتابة الأرقام وكان يستعمل أحيانا القلم المثلث الذي كانت ترسم به العلامات الأخرى وحينئذ كان يستطيع عمل مسامير مائلة بدلا من الدوائر ومسامير قائمة بدلا من أنصاف الدوائر .

وقد ظلت الطريقتان تستعملان جنبا إلى جنب حتى عصر ملوك أور. حين اختفت الطريقة الدائرية ولم تبق سوى الطريقة المسماة ، وفي النصوص التي تستعمل فيها الطريقتان معا نجد أن ذلك لم يكن في أغلب الظن يرجع إلى الصدفة أو إلى مزاج الكاتب ، لقد كانت الواحدة من الأثنين تستعمل عادة لهذا النوع أو ذاك من الحساب ولكنها تستبدل بالأخرى حين يراد إحداث تمييز من شأنه أن يساعد على وضوح البص كما نستعمل نحن الحروف الكبيرة لنفس الغرض ، (١) .

ويظهر أن مسح الأراضي كان نظاما وطيد الأركان قبل أن تصبح مصائر لأجش في يد لوجالاندا وأوركاجينا بزمان طويل ، ذلك لأن القوم هناك كانوا يرسمون تخطيطات ذات أرقام وكانوا يستطيعون أن يحسبوا مساحة الأراضي مهما بلغ من عدم انتظام شكلها وكانت للسوميريين صيغة لإيجاد مساحة المثلث والمنحرف والأشكال ذات الجوانب الأربعة غير المنتظمة وكانوا يقومون برسم صورة مساعدة تقاس بسهولة ثم تضاف إليها مساحة ما يقع خارجها لحساب الشكل ذي الزوايا والأضلاع الكثيرة العدد .

كانت القصبة ذات ست الأذرع هي الوحدة الطولية للمساح وطولها ٢٩٧ مترا وكانوا يتجاهلون عند قياس الحقول كل طول يقل عن القصبة كما كانت تحذف كذلك كل مساحة تقل عن $\frac{1}{4}$ جان وكان الخطأ الناتج لا يتجاوز (٤٥٠) آر . وفي حالة الأراضي المستعملة كحدائق ، فإن وحدة المساحة كانت السار وهو $\frac{1}{4}$ من الجان وذلك لارتفاع قيمتها وصغر حجمها وكانوا يتجاهلون الكسور الأقل من $\frac{1}{4}$ سار وكان تجاوز الخطأ في حدود ٩ سنتيمتر وأما في أرض المباني فإن القصبة لم تكن تصلح لذلك الأمر فاستعاضوا عنها بالذراع وكانت المساحة تعد صحيحة إلى $\frac{1}{4}$ من السار أو ما يعادل ٥٨ ديسيمتر مربع .

وقد خلف لنا مانشتوسو ملك أجاده ما ينبىء عن شرائه لضياح واسعة سجل أمرها على مسلة ولعل أكبرها جميعا كانت تحتوى على ٣٨٣٤

جان أو أكبر بقليل من ١٣٥٢ هكتارا وكانت الحدود تذكر أحيانا وإن كان يغفل أمرها في غالب الأمر . وليست هناك تفصيلات عن تحديد المساحات بل اقتصر على ذكر أن هدايا أعطيت للمساكين (١) .

وقد كشف حفائر تملو عن عدد كبير من مستندات المساحة من عصر أجاده إلى عصر أور (٢) وبعضها يقدم بالتفصيل حساب الوضوئ إلى مساحة التحقول : من طول جوانب للمستطاح الإضافي والأجزاء التي تضاف أو تخصم والمساحة الحقيقية للأرض التي تقاس . وفي بعض التصانيمات الأخرى يوجد منها ما هو خاص بالمنازل والمدن والأراضي المقسمة إلى قطع والأراضي التي تخترقها قنوات ولم تعد وحدة القياس هي القصبة ذات ست الأذرع بين الشاخص ذو ال ١٢ ذراعا الذي كان مربعه يعادل السار تماما (٣٠٢٨ سنتير) وهو يساوي من الجان وهكذا نجد على لوحة واحدة من أجاده (٣) قطعتين من الأرض بالتحديد التالي :

٢٠ من الأمام (مزدوج) ١٨٠ من الجانب (مزدوج) حقل مساحته ٢ بور
١٧ من الأمام (مزدوج) ١٨٠ من الجانب (مزدوج) حقل مساحته ١ بور
 $\frac{1}{2}$ ، $\frac{1}{3}$ جان .

ذلك لأن $20 \times 180 = 3600 = 260$ ومن الناحية الأخرى من المبادلة ٢ بور = ٣٦٠٠ سار فوحدة الطول هي على ذلك جانب السار أي الشاخص أما بالنسبة للقطعة الثانية فإن مساحة ما هو أقل من $\frac{1}{2}$ الجان كان يهمل كما هي الحال في عصر ما قبل السرجونية . وما دام حاصل ضرب ١٧ شاخصا \times ١٨٠ شاخصا يعادل ٣٠٦٠ شاخصا مربعا أو سار فإن هذا يعني $\frac{1}{2}$ بور ونصف جان و ١٠ سار .

ولم يتخلوا عن استعمال السطوح ذات الجوانب في عصر حمورابي (٤) وكانت أرض البناء تقاس مضبوطة إلى $\frac{1}{2}$ من السار أو ١٤٧ م٢ .
وقد أدخل الملوك الكاسيون تجديدات على مقاييس الأراضي أو بمعنى أدق على صيغ العقود . وبينما نرى « مانشتوشو » يشتري قطعة من الأرض مساحتها عدد معين من الجان قيمتها في أول الأمر مقدرة بالشعير ثم محولة إلى نقود ، نجد أن « كاشتلياشو » ، « نازيما رذنا شي » والأمراء الآخرون من أسرهم لديهم أملاك يتبادلونها حسب اتساعها ب « أجوار » من الشعير وكان الجور منها يساوي ٣٠ قا للذراع الكبير . ومن الواضح

XVIII, t. II.

LXXV, pl. 63 à 68 et 150.

XIX, No 2923.

LXXI et XLVI.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

أن هذه الكمية الصغيرة من الحبوب تمثل من الناحية التقليدية البذور المستعملة .

وقد ظلت هذه الطريقة الجديدة فى تقدير الأراضى قائمة حتى نهاية عهد الأمبراطورية البابلية الجديدة رغم اختلاف النسب .

ولقد أدخل الكاشيون كذلك طريقة جديدة لحساب ما لديهم من طوب . وكان المتبع منذ عصر أجاده أن تقاس جوانب الكومة ويسجل الكاتب ارتفاعها وطولها وعرضها . وبدأ منذ الأسرة الثالثة الأحصاء بالوحدات وظلت هذه هى القاعدة خلال حكم نابونيد وأرتكزر كسنيس الأول .

٥ - النقود

لم يعرف البابليون النقود حتى الاحتلال الفارسى وكان الشعير فى العصور القديمة واسطة التعامل وأضيفت إليه قبل الألف الثالثة سبائك من النحاس والفضة ومن ثم كان الشعير والفضة معيارين تحدد بهما قيمة كل شئ .

وكانت العلاقة بينهما تختلف وعلى ذلك كانت التقاليد والعادات تفرض عمل الحساب فى بعض الظروف بأخذ المعيارين لإيهما وهكذا نرى أن أجور الموظفين الملكيين فى عصر حمورابى شأنها فى ذلك شأن الأجور الزراعية كانت تحسب شعيرا وإن الصناع والقلايين ضاربى الطوب والبنائين والتجارين كانت تدفع أجورهم فضة شأنهم فى ذلك شأن المعمارين والأطباء .

ولعل من الطريف أن نتابع التغيرات التى طرأت على قيمة المواد الرئيسية للمعاملة التجارية من البدء حتى نهاية الإمبراطورية ولكن ما لدينا من معلومات غير كاف ولا يسمح لنا بالقيام بأحصاء فى هذا الشأن . ولدينا « سن جاشيد » ملك أوروك الذى تمنى أن يمتد حكمه سنين عديدة مليئة بالخيرات (١) وأن يكون فى الاستطاعة الحصول على ٣ جور من الشعير و ١٢ مينا من الصوف و ١٠ مينا من النحاس ، ٣٠ قا من الزيت

مقابل شاقل من الفضة ومعنى هذا أنه يتمنى أن تبلغ قيمة الفضة ٦٠٠ حرة وزنها من النحاس أو ٧٢٠ مرة وزنها من الصوف . والواقع إن الأثمان كانت مرتفعة عن ذلك فمثلا نرى أن الصوف كان يبلغ ضعف الثمن المذكور والزيت ثلاثة أمثاله في عصر « اميد يتانا » و « أميزادوجا » . وكان سعر الشعير غير ثابت خلال السنة فكان ثمنه يتضاعف أحيانا : وكان يساوى في الشهر الرابع خلال حكم أميزادوجا ١٧ شاقل للجور بينما يرتفع في نهاية العام - قبل الحصاد بقليل - إلى أكثر من ٣ شواقل . وقد قدرت قيمة الذهب في بعض النصوص من مختلف العصور : فكان يساوى ثمانية أمثال وزنه من الفضة في عصر أجاده ووصل إلى نسبة ١٠ : ١ في السنة الثامنة (٨) من حكم بورسن ثم هبط إلى (٧) في زمن « جميل سن » و ٦ : ١ في السنة الخامسة والثلاثين لعمورابي ثم ارتفع مرة أخرى إلى ١٢ : ١ في السنة الحادية عشرة من حكم نابونيد .

٦ - التقويم (النتيجة)

بعد اليوم الذي فرضته الطبيعة على البشر كان أول مقياس للزمن اعتمد السوميريواكاديون هو الشهر القمري . وقد نظموا بداه بظهور الهلال في السماء وكان يستمر حتى ظهوره مرة ثانية . وما زالت هذه الطريقة التجريبية مستعملة في البلاد الإسلامية لتحديد نهاية رمضان شهر الصوم . ولقد كان الأمر كذلك عند اليهود فكانوا حتى عام ٣٦٠ الميلادي حين أنشئت نتيجتهم الحالية يحددون بهذه الطريقة بدء نيسان شهر عيد الفصح . وكان ظهور القمر الجديد والبدر واختفاء الهلال موضعا لاحتفالات دينية : وفي الحالتين الأوليين كانت تقدم التضحيات في القصر . أما يوم اختفاء القمر فكان يعتبر يوم حزن وكآبة .

وسرعان ما رثى أن من الضروري أن تدخل في حسابهم فترات أطول فقامت محاولات لايجاد عدد ثابت من الشهور تتفق ودورة الفصول ولكن ليس هناك مقياس مشترك بين وجوه القمر والسنة الشمسية وكان لابد لتحديد سنة مدنية يعترف بها في كل مكان انتظار تركيز السلطة في يد واحدة .

وكانت أسماء الشهور في عصر ما قبل السرجونية تختلف من مدينة إلى مدينة ويبلغ عدد هذه الأسماء في لجش وحدها خمسة وعشرين اسما على الأقل وقد أدخل أحد الاصلاحات في أيام ملوك أجاده أو غيرت بعض

الأسماء على الأقل . ولم ينجح ملوك أور في فرض قائمة واحدة لهذه الأسماء في كل أنحاء امبراطوريتهم اذ أن كل مدينة كانت لا تزال لديها طريقته الخاصة للحساب والعد وليس هذا فحسب بل إن بدء السنة كذلك كان مختلفا وكان اعتراض بعض الشهور الاضافية في نظام مخالف دون قاعدة معينة مما سبب ارتباكاً جديداً في التقاويم فهل لنا أن نعجب لهذه الحالة منذ أربعة آلاف سنة في الوقت الذي نرى فيه الناس في أوربا اليوم في القسطنطينية من غربيين ويونان وأرمن ومسلمين ويهود لا يزالون يستعملون تقاويم متباينة في مدينة واحدة ؟

وقد كان تحديد السنين التي يبلغ عدد الشهور فيها ١٣ بدلا من ١٢ يتم بطريقة تجريبية . وفي بعض الأحيان أيضا كانوا يقرضون شهرا عرضيا بعد الشهر السادس وآخر يقع بعد الشهر الثاني عشر فتصبح السنة مكونة من ١٤ شهرا . وقد لوحظ أن عدد الشهور الاضافية في السنة ٥٤ من حكم دونجى قد بلغ في « درهم » ثلاثة شهور (١) وقد ضمن حمورابى اصلاحاته واحدا خاصا بالتقويم (٢) . فقد جعل من حقه أن يقرر شخصيا متى يحل الوقت لاستبدال السنة العامة بسنة اعتراضية (٣) كما حدد أسماء الشهور نفسها في كل أنحاء الامبراطورية . ولكنه لم يدخل أى تعديل على العادة المتبعة منذ عهد ملوك أجاده حين كان يطلق على كل سنة اسم أهم حادث تم خلالها مثل اقامة تمثال أو تكريس معبد أو شق قناة أو حادث وقع أخيرا كاعتلاء الملك للعرش أو هزيمة بلاد معادية أو تعيين كبير الكهنة . وتدل هذه العادة نفسها على تقدم في طرق الحساب التي كانت متبعة في عصر ما قبل السرجونية حين كان الناس يبينون على اللوحة بواسطة رقم مسلسل عدد سننى حكم الأمير وذلك عندما كانوا لا يثمنون بنص كالاتى مثلا « في هذا الوقت كان أنتمينا ايشاكو وكان انلى تارزى سانجو ننجرسو » .

وقد بسط الكاسيون حساب السنين بأن جعلوا لكل حكم عددا من السنين غير محدود يبدأ بالسنة الأولى بعد ولاية العرش وقد ظلت هذه الطريقة متبعة حتى أيام السلوقيين الذين أدخلوا تاريخهم الى بابل واستمرت متبعة تحت حكم الارساكين .

I, t. XVII, p. 200.

(١).

I, t. XVII, p. 211.

(٢).

(٣) انظر صفحة ٢٦٠ .

٧ - الطب والفلك

كان الطب البابلي طباً تجريبياً بحتاً • وكان يلعب دوراً أقل أهمية من مزاولة السحر في شفاء الأمراض • وحين كان المريض يتلوى في سريره عللوا ذلك بأن الأرواح الشريرة الموجودة من حوله وفي جسمه تؤذيه بسحرها (١) وكان واجب الساحر أن يطردها ومع ذلك فقد كان للطبيب دوره. إذ كان يستخدم في حالات الرمد المنتشر في هذه الأقاليم نوعاً من المراهم للعين مكوناً من نباتات تطبخ في الدهن أو خلاصة النحاس الخام في الجعة • وكان يعطى من يشكو امساكاً مزيجاً من مركب النباتات المظبوخة تشرب بالجعة • وقد استخدم في دستور الأدوية كل أنواع العناصر سواء أكانت من أصل معدني أم نباتي أم حيواني كما أن روث الغزال لم يكن أشد ما تتقزز منه النفس • وكان بعض الأطباء يتمتعون بتقدير كبير • فقد كان « أور لوجال ادينا » المحفوظ نخته بالوفور (٢) أحد المشهورين في لاجاش في عصر أور نجرسو بن جوديا • وفي الألف الثانية كان ملوك الحثيين يطلبون إلى ملك بابل أن يرسل له أطباء إذا مرضوا هم أو مرض أقاربهم مرضاً خطيراً • وهذا وإن كان قانون حمورابي لم يشر إلى الأطباء إلا أنه يحدد أجور الجراحين تبعا لمركز المريض وهو يفرض جزاء قاسياً بسبب أي خطأ مهني مراعى نفس الاعتبارات •

وهناك نص من القرن الخامس هو عبارة عن مقدمة لدراسة علم الفلك يبين كيف أن العلم كان بدائياً في هذا العصر فالنجوم والأجرام الرئيسية وعددها ٧١ كانت مقسمة إلى ثلاث مجاميع يحكم كلا منها أحد الآلهة. العظام للثالوث الأكبر : فهناك ٣٣ من نصيب الليل و ٢٣ لأنو و ٥٠ ل « ايا » وهناك جدول آخر يبين الشروق الشمسي لبعض النجوم الهامة • وقد بينت كذلك أجور الملاحظين وهي ٤ مينا في النهار و ٢ مينا في الليل صيفاً ابتداء من ١٥ تموز إلى ١٥ تبت و ٢ مينا نهاراً و ٤ مينا ليلاً أثناء بقية الشهور • وهناك قائمة ثالثة تحوى ٥٥ نجماً تتفق مع الشمس في الشروق والغروب • وهناك أخرى تبين فترات من النهار بين الشروق الشمسي و ١٦ نجماً هاما • وقد تبينوا الوقت الذي تلاحظ فيه ظواهر معينة في شروق وغروب النجوم فهناك ١٤ نجماً ل « الليل »

LXVIII No 122 ; XLII, A. 831 ; I, t. XVII.

(١)

XLII, T. 98.

(٢)

نستعمل لضبط الملاحظات عن الشروق والغروب الشمسي • وكذا عن
النجوم والأجرام المنتشرة على طول مجرى القمر • ومن ملاحظة السنوات
سعى البابليون وراء الطيرة •

٨ - الجغرافيا

لم يكن البابلي بأقل شغفا لمعرفة حقيقة شكل الأرض التي يعيش
عليها • وقد استطاع هؤلاء الناس الذين تمكنوا منذ أقدم العصور من
وضع أسس دقيقة لمساحة أملاكهم وأراضيهم ••• استطاعوا كذلك أن
يرسموا خرائط للمدن والقنوات مجمعة أحيانا في حلقات • وقد وصلتنا
خريطة مفردة للعالم الذي يمثل على شكل دائرة تبرز من خارج محيطها
مثلثات مختلفة المساحة • أما التساج الدائري فيمثل « النهر المر » أو
الأوقيانوس الذي يحيط بالعالم حيث يمتد التأثير البابلي • أما مدينة
بابل نفسها فمبينة الى يمين وفوق الوسط • وحول المحيط من الداخل
من أعلى الى أسفل ترى على اليمين مدينة آشور واقليم دير وبيت ياقين
وهذا الاقليم الأخير الأبعد الى الجنوب تفصله عن بابل مجموعة مستنقعات •
ومن بين الأراضي الواقعة فيما وراء المحيط واحدة في الشمال « حيث لا ترى
الشمس » أفنستطيع من وراء ذلك أن نقرر أن البابليين عرفوا الأقاليم
القطبية ؟ أو ليس من المستحسن أن نعود بذاكرتنا الى ملحمة جلجامش
البطل الذي ذهب في رحلته الى نهاية الأرض - ربما الى الشمال الغربي -
حيث يتبع الطريق الليلي للشمس في جبال ماشو : « الظلام هناك كثيف
وليس هناك ضوء » • في مرحلة قطعها في عشر ساعات مزدوجة (١) •

أما اللوحة التي رسمت عليها هذه الخريطة فتتضمن صورة من نص
قديم عن حملات سرجون الأجادى في اقليم طوروس (٢) •

وقد استعاضوا عن عدم وجود خرائط جغرافية دقيقة بجداول تبين
مثلا الأبعاد بين نقطتين أو الأقاليم الواجب عبورها للوصول من بقعة الى
أخرى أو أسماء المدن والمعابد والقنوات في اقليم ما •

ولم يحاول الكتاب البابليون أن يفرغوا جهودهم لتصنيف رسائل
تهذيبية عن نظم العقل وكان التجرد شيئا غير مفهوم بالنسبة لهم •
وكانوا يقنعون بجمع حقائق فردية خاصة وحالات جامدة ، يختلف عددها
قلة أو كثرة ، طبقا لقواعد تعسفية • وهذا هو المبدأ الذي قامت عليه

XLIII, p. 275-277.

(١)

XXXI b, fasc. 6, p. 92.

(٢)

اللوحات الجغرافية والرياضية والنصوص التكهنية ومجموعات القوانين
وقد سادت نفس القاعدة فيما يتصل بالتعليم والآداب . ويضاف الى ذلك
انه - كما هي الحال في المجتمعات البدائية - كانت الفكرة التي تملك
خيال المخترع يكررها بقدر ما يستطيع في نفس الأسلوب في العمل
الواحد ثم يتناقلونها بغير نهاية في القرون التالية . أما قواعد الانشاء
في كل طراز فكانوا يتناقلونها عن بعضهم البعض دون تحريف منذ بدء
سومير وأكاد حتى بعد انهيار الامبراطورية البابلية الجديدة .

وقد لجأت أشور في كل قرن الى مثل هذه المصادر بقصد تدريب
كتابتها . وحتى حماس السرجونيين لترقية الآداب والعلوم في العصر
الذي بلغت فيه امبراطورية نينوى الذروة كان يقتصر غالبا على نسخ
صور من الوثائق البابلية القديمة تودع في مكتباتهم في نينوى .

الجزء الثاني

المفاهيم الأساسية

الكتاب الأول :

الحساب الناري

تقع آشور الى شمال بابل وتبدأ مع السهل المرتفع لميزوبوتاميا على ارتفاع قليل عن ملتقى الأدهم ودجلة وتشغل الجزء الأوسط من حوض هذا النهر حتى كورنيب ويفصلها من ناحية الشرق الجزء الأوسط من الزاب الكبير وجبال زاجروس عن الكاسيين ويحدها شمالا جبل ماسيوس . وهي لا تصل غربا الى الهابور أو الفرات .

وليس لهذا البلد المثلث الشكل الوحدة التي تتمتع بها بابل : والجزء الغربى من ميزوبوتاميا هضبة واسعة متموجة تنتشر فيها بعض التلال من الحجر الجيرى . أما فى القطاع الشرقى فيما وراء دجلة فتوجد كثير من التلال المليئة بالغابات والوديان التي تجرى فيها مجار مهمة كالكورنيب والزبان والأدهم وهو منطقة غنية فى معادنها خصبة فى الغلال والثمر . ويكون الزاجروس فى الشرق حدا طبيعيا مكونا من سلسلة من الجبال الوعرة التي لا يوجد بها الا ممران أو ثلاثة لا يمكن عبورها خلال فترة من السنة . ونحو الشمال تتلاحق مرتفعة الواحدة بعد الأخرى بمسطحات ترتكز فى النهاية الى جبل أرمينيا . وفى الجنوب يقع السهل الفيضى الذى يسكنه البابليون . وينفرد الغرب وحده بعدم وجود حدود طبيعية وهو الإتجاه الذى ستمتد منه فتوحات الدولة الآشورية نحو البحر المتوسط ومصر . وقد ذكر ج . رولنسن ان مساحة آشور تساوى مساحة بريطانيا على حين تقرب مساحة بابل من مساحة الدنمارك (١) .

وأقدم الوثائق التى اكتشفت تحت أحد معابد عشتار فى خرائب آشور أول عاصمة لآشور عبارة عن تماثيل تشبه التماثيل السومرية هى : تماثيل لرجل جالس ولكنه للأسف مشوه وبدون رأس . وتماثيل لرجل واقف بعينين واسعتين فارغتين ورأس حليق ولكن له ذقنا تكسوها لحية بخلاف ما هو متبع لدى السوميريين .

وقد اكتشف صدفة أثناء الحفر في « كالاتيبة » بالقرب من « كارا ايوك » وهو قل يقع على مبعدة ١٨ كيلو مترا من شمال شرق شيزارية بكبادوكيا لوحات مكتوبة باللغة السامية وعليها أسماء مركبة من الاله آشور: أنى آشور ، تابا آشور ، آشور ملك ، آشور موتايل ولم يعد هناك شك في أنه كان يوجد بهذه المنطقة النائية من آشور عباد لآشور في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد وذلك بعد نشر لوحة (١) من هذه المجموعة التي يحمل غلافها رسم ختم سوميري باسم أحد خدم « أبى سن » آخر ملوك أور . وهذا الختم مزين برسومات أخرى مقتبسة من الفن السوميري للحفر على الحجارة الكريمة في هذا العهد ولكن من طراز مختلف تماما يلاحظ فيه منذ ذلك العهد وفي أكثر الأحيان الميل الذي سببرز في الفن الميزوبوتامى الى عدم تشكيل الوجوه مقابل الاهتمام بصفة خاصة بالزينة الخارجية التي جرت العادة على أن تنقش



(شكل ٣٩)

تمثال كشف عنه في خرائب آشور (متحف برلين)

فيها الكتابة - فضلا عن التفاصيل المتصلة بالعبادة والعادات المحلية - في اتجاه القراءة المباشرة على الأسطوانة نفسها . وتدل النصوص على وجود مدنية تطورت تطورا كبيرا خارج نطاق الثقافة السوميرى-أكادية كما تدل على أن لها شكلها واصطلاحاتها الخاصة التي وجدت ثانية في

أشور حتى سقوط نينوى . من ذلك أنهم بدءوا يذكرون على الأغلفة
الاجتام المطبوعة لجعل الوثيقة صحيحة ولكن الشهود كانوا يضعون هنا
الى جانب اختتامهم ختم حامل السند على حين نجد أن هؤلاء الشهود في
نينوى في عهد السرجونيين يذكرون فقط في نهاية الاتفاق . وأشوة بالمتبع
في آشور كانت السنوات تعرف بأسماء الأشخاص لا الأحداث الهامة أشوة
بالعادة المتبعة في سومر وأكاد ولكن لا نستطيع القطع وقتئذ بأن الاسم
هو ذاته في آشور . أما أسماء الشهور فهي واحدة في كبدوكيا وفي
أشور .

ومن الميختمل جدا أن تجارة منتظمة في مختلف أنواع النسيج
والمعادن التي تستخرج من مناجم البلجار داج كانت تجري مع آشور :
وكانت القوافل تنزل الى الفرات حتى نقطة اتصاله بالهابور ثم تعبر بلاد
هانا التي كانت حضارتها واقعة تحت نفس المؤثرات وحيث كان جزء كبير
من السكان يمارس صناعة النسيج كما حدث بالفعل فيما بعد (١) .

وتثبت هذه المجموعة في آسيا الصغرى وهذه الشهود للحضارة
السومرية التي كشف عنها في آشور ان الآشوريين استطاعوا أن يكونوا
في القرن الخامس والعشرين شعبا متميزا بالعلاقات بالسومريوأكاديين
(الذين كان لهم تأثير بين عليهم) وان تمكنوا في الوقت نفسه من أن
يكون لهم طابعهم الخاص . أما أصلهم فلا يزال غير معروف . ويظهر
أنهم كانوا قد انتشروا في مساحة واسعة في الألف الثالثة دفعهم الآريون
منها الى آشور نفسها وان بلادهم نفسها احتلها الميتانيون - أو احتلوا
منها على الأقل الاقليم المحيط بنينوى . واننا لنجد الى شرق تلك المدينة
بالقرب من كركوك في الألف الثانية بعض الآريين من عباد تشوب أحد آلهة
الحيثيين . ويسود الاعتقاد أن الكاسيين المستقرين في الزاجروس من
نفس الجنس .

ولعل أقدم أمير وصلتنا عنه وثيقة مكتوبة كان يدعى زاريكوم
(حوالي ٢٤٠٠ ق.م) ، وكان معاصرا ومن موالى بورسنة ملك أور .
ونسلم عن سلف له هو أوجيبيا الذي ينسب اليه تشييد الأسوار وكذا
كيكيا مؤسس معبد آشور . وكان ايريكيا بكابو أيضا أميرا قديما : ويقول
« أداد نيراري » الثالث عنه انه كان ملكا قبل حكم « سوليلو » ولكن
سوليلو نفسه لا نكاد نعرف عنه شيئا .

وحوالي ٢٢٥٠ ق.م ظهر « بوزور اشير » الأول ومنذئذ تستمر
قائمة الملوك الآشوريين دون انقطاع تقريبا حتى نهاية الامبراطورية .

(١) فارن :
CONTENAU - trente tablettes cappadociennes :
S. Smith, cappadocian Tablets in the British Museum.

ولقد هاجم ايلو شوما الاشوري « سوموابوم » مؤسس الأسرة البابلية الأولى ولكن يظهر أنه هزم حسب ما ورد في احدى الوثائق البابلية وقد بنى ايلو شوما هذا معبدا للالهة عشتار وجدد ابنه وخلفه ايريشوم هيكلي الاله الوطني الذي كان قد شيده من قبل اوشيبيا كما خفر قناة عند قاعدة السيجورات . وأما ابنه ايكونوم فقد جدد أسوار المدينة وكرس معبدا لـ « نكيجال » وربما كان ذلك في نينوى . وقد شيده سرجون الأول الذي خلفه مزارا لعشتار . وأما « شامشي أداد » الأول (٢١٢٣ - ٢٠٨١) فكان معاصرا ومولى لعمورابي ولقد وضع حامية بابلية في آشور وساعد الأمير الاشوري مولاه البابلي - اما لغرض خاص أو بدافع الضرورة - في حربه ضد أمراء لارسا . واننا لنجد في وثيقة محفوظة في متحف جامعة بشفانيسا أن صيغة القسم تحوى اسم شامشي أداد الى جانب اسم حمورابي كما نجد هذا الاسم نفسه في نصوص أسطوانات مختلفة من الطراز البابلي . البحت (١) .

وأما بعد ذلك فيكاد يحجب الأحداث ديجور شديد الاظلام حتى القرن الخامس عشر حين استقبل تحتمس الثالث المصرى فى العام الثالث والعشرين من حكمه سفارة آشورية قدمت له ثلاث كتل من اللازورد وأحجارا أخرى ثمينة . وتكشف رسائل تل العمارنة عن الموقف الدولى عند نهاية ذلك القرن كما تضيف الوثائق التى عثر عليها فى بوغازكوى مكان عاصمة الحيثيين القديمة معلومات لها قيمتها . وكان امنحتب الثالث يجلس على عرش مصر . وكان الشاطىء السورى خاضعا لمصر ومقسما الى اقليمين : كنعان فى الجنوب وعامور فى الشمال . وكانت دولة الحيثيين البجار المباشرة لعامور وكانت تمتد فى آسيا الصغرى عبر طوروس كما تمتد من ناحية الشرق حتى انحناء الفرات . وهناك كانت تلامس دولة ميتانى التى تحدها بدورها من ناحية الشرق آشور التى كانت قد أخضعتها . وأما أصل الحيثيين والميتانيين فغير معروف . وكان الميتانيون يعبدون اندرا ، فارونا ، مشرا . وكانوا قد لعبوا من زمن بعيد دورا هاما فى التاريخ : فقد غزا الحيثيون ميزوبوتاميا فى القرن العشرين واحتلوا بابل وأنهوا حكم الأسرة الأولى فى تلك المدينة (١٩٢٥ ق م) . وكان ملكهم فى عصر امنحتب الثالث يدعى شوبليولما وكان ملك ميتانى نسيبا لفرعون هو دوشراتا الذى كان قد زوجه من احدى أخواته . وقد هاجمه الحيثيون ولكنه نجح فى ردهم واحتجز جانبا من الغنائم عربية وخيلا لملك مصر وكذا بعض الحلى الصديرية (حلى الصدر) للملكة أخته .

وكان نفوذه يمتد حتى على نينوى حيث كانت آلهتها يمجدها البابليون والأشوريون تحت اسم عشتار - التي يظهر أنها كانت في الأصل معبودة ميتانية . وكانت في عهد الملك السابق قد قامت برحلة الى مصر وحفظت خير الذكريات الممتعة من الترحيب الحار الذي قوبلت به هناك . وقد طلبت الى ملك ميتاني أن يبلغ عن مقدمها حين عازمت على تكرار الزيارة . ولقد منح فرعون في احدى المرات دوشراتا عشرين وزنة من الذهب وقد أثار ذلك غيرة « آشور أوباليت » ملك آشور (حوالي ١٣٧٠) وسرعان ما تساءل عن سبب عدم حظوته بمثل هذه المعاملة . ولقد ادعى « بورنابورياش » البابلي حق السيادة على آشور وحين سمع بالرسالة التي أرسلها آشور أوباليت شكها واحتج على أساس أن الأشوريين « وهم من رعاياه » ليس لهم حق الاتصال المباشر بفرعون . وحقيقة الأمر أن كل هذه الشعوب كانت تتنازع فيما بينها جميعا حق السيادة على الشاطئ السوري الذي كان سوقها المشترك وكان الحيثيون أقواها جميعا فاثاروا منافسين من بين الأمراء العاموريين وحاولوا أن يفصلوهم عن مصر وقد نجحوا في السيطرة على وادي الأورونت ولكن امنحتب الثالث أرسل جيشا وأعاد النظام فانتقم شوبليولما من دوشراتا ونهب حدود ميتاني ثم عاد الى سوريا واستولى على حلب .

ويظهر أن امنحتب الرابع الذي كان قد اعتلى عرش مصر لتوه لم يشغل باله بالحروب الداخلية التي كانت قائمة في سوريا كلها . ولقد استطاع « عزيزو » أحد الأمراء العاموريين ان يوسع رقعة نفوذه بعد حملة ناجحة ولكنه اعترف بسيادة فرعون وقدم الى مصر ليعلم ولاه له . وقد عبه شوبليولما خائنا فهاجمه وهزمه واستولى على سوريا وقضى على النفوذ المصري قضاء تاما .

وقامت ثورة في ميتاني وقتل دوشراتا وخلفه ابنه « ماتي يوزا » الذي تحالف مع الملك الحيثي ولكن « سوتارنا » ابن أخ الملك السابق استطاع ان يستولى على العرش فطرد ابن عمه الذي لجأ الى البلاط الحيثي ، وسرعان ما تقدمت آشور لاجتياح ميتاني فزوج شوبليولما ابنته الى ماتي يوزا وأعاد له حقوقه ولكن مع معاملته كمولى . وبعد وقت قصير اعتلى مورسيل العرش الحيثي وورث امبراطورية ضخمة تمتد شرقا الى الحدود الاشورية وجنوبا الى الكرمل والجليل . ومات بعد ان هزمه سیتی الأول بالقرب من قادش على الأورونت ثم رمسيس الثاني وشهد ابنه موتاللو وخاتوسيل قواهما تضمحل حتى ذلك اليوم حين رأى هذا الأخير نفسه مضطرا الى أن يعلن السلام في العام الحادي والعشرين من حكم رمسيس الثاني (حوالي ١٢٧٩ ق م .) ولكن سرعان ما بدأت مصر نفسها تنحل

كما بدأت بابل تفقد نفوذها • وكانت هذه هي اللحظة التي اختارها
العبرانيون للاستقرار في كنعان وبدأت جماعات من الآراميين في التسرب
عبر حدود آشور وبابل •

وقد تولى « آشور أوباليثيت » إصلاح العاصمة التي كانت أسوارها
قد دمرت حديثاً - ربما كنتيجة لجفاف - وقد أعاد بناء معبد في نينوى
وحارب الشوباري في الشمال الغربي من مملكته ووسع رقعة بلاده وقد
تدخل في بابل ضد حزب الكاسيين الذي اغتال حفيده « كارا انداش
الثاني » وأمن العرش لحفيده الآخر « كوريجالزو » الثالث • وأما ابنه
« ايلليل نيراري » (حوالي ١٣٤٥) فقد وسع أيضاً مملكته على حساب
أرض الكاسيين الفعلية وبعد مذبحة للبابليين في سوجاجي اغتصب أراضى
أخرى من ابن أخيه كوريجالزو (١) •

وقد قام « اريك دين ايلي » (حوالي ١٣٣٥) بخمس حملات مظفرة
على الأقل كانت أجداها ضد الهابور في ناحية خاران واستجلب من هتايك
غنائم كثيرة من قطعان ماشية وأغنام •

ويحدثنا « أداد نيراري » الأول (حوالي ١٣٣٠ - ١٢٩٠) عن حملات
أسلافه ولقد كان عليه هو نفسه أن يحارب ال « لولومي » في الشرق
وبابل في الجنوب وهي التي فرض عليها تعديل الحدود • وقد أصلح
القصر الملكي ومنشآت أخرى في آشور ونينوى • وقد تابع ابنه شلمنصر
الأول (حوالي ١٢٩٠ - ١٢٦٠) سياسة الغزو فقام بحملات ثلاث في
ناحية ديار بكر وهزم « ساتو وارا » ملك هانيرابات وهو الميتماني القديم
الذي كان قد تحالف مع الحيثيين والآراميين أهلامى وثبت ملكه حتى
قرقيش على الفرات • وقد اضطّر ال « لولومي » في الشرق كذلك إلى
دفع الجزية • ولما بسط شلمنصر على هذا النحو نفوذه على ميزوبوتاميا
جميعاً عول على نقل العاصمة السياسية لدولته • وكانت آشور تقع على
الضفة اليمنى لدجلة إلى ما دون ملتقاء بالزاب الأعلى فاختار موقع كالج
الضفة اليسرى فوق نفس الملتقى بقليل وقد دمر في عهده معبد آشور
وربما كان ذلك نتيجة زلزال كما دمر معبد عشتار في نينوى •

وقد غزا ابنه « توكولتي اينورتا » الأول (حوالي ١٢٦٠ - ١٢٤٠)
منذ السنة الأولى من حكمه الأراضي الواقعة إلى الشمال والشمال الشرقي
وهي « قوتو » و « شوباري » ثم نهب وأخضع الأقاليم الواقعة إلى الشمال
الغربي حتى كوما جين فتكون ضده اتحاد في « نايري » فيما يجاور بحيرة
« فان » • ولكن الأربعين من الملوك الصغار لهذه البلاد اضطروا إلى

(١) قارن ص ٥٤ وما بعدها •

الاعتراف بسيادته ودفع الجزية له ثم استدار نحو بابل (١) حيث حكم سبع سنوات ومد غزواته حتى الخليج الفارسي وابتنى هناك مدينة جديدة سماها باسمه « كارتوكولتي اينورتا » وزودها بالماء عن طريق قناة وبني معبدا لاشور فيها كما شيد لنفسه بها قصرا . وهناك اغتيل أثناء قتلة اثارها ابنه « اشور نادين ابلا » الاول .

ولقد ظل تاريخ اشور مدى قرن من الزمان لا يكاد يعرف عنه سوى القليل . واعيد تمثال مردوك الى بابل (١) كما أعاد « اشور دان » الاول (حوالي ١١٨٢ - ١١٤٥) رابع خلف لـ « اشور نادين ابلا » غزو منطقة الزاب التي كان قد اضطر لتركها للاستسلام لبابل كما غزا بابل نفسها وجلب منها غنائم قيمة . وانا لا نعرف شيئا عن « موتا كلى نوبيكو » اما « اشور رش ايشي » الاول وهو محارب (حوالي ١١٣٥ - ١١١٥) فاننا نراه يحارب منتصرا ضد الاهلامى واللولى والقوتى الذين كان اسلافه قد اضطروا لمحاربتهم مرارا من قبل كما انتصر على نبوخذ نصر الاول البابلى واعاد بناء او اصلاح معابد اشور وعشتار .

وبولاية « تجلات فلاسر » الاول بن « اشور رش ايشي » (حوالي ١١١٥ - ١١١٠) نرى اشور تتقدم وتمت سيادتها حتى البحر المتوسط .

وتعدد الكتابات على المنشور من اربع نسخ التي وضعها فى انس معبد انو واداد « فى اشور » . تعدد الحملات التي وقعت خلال السنوات الخمس الاولى من حكمه فنراه أولا يهاجم الموسكيانيين الذين يقطنون الجبال الى شمال كوماجين : والذين كان عليهم أن يؤدوا جزية لاشور فى أيام « توكولتي اينورتا » ولكنهم كانوا قد استطاعوا أن يستعيدوا استقلالهم الكامل منذ نحو ستين عاما . ونزل ٢٠٠٠٠ رجل تحت قيادة خمسة ملوك الى كوماجين فجمع الاشورى جيوشه وغبر تلال الكاشياري فوق نسيبا ، وانقض على كوماجين وأسر ٦٠٠٠ أسير واستحوذ على غنيمة طائلة كما قطع رهوس القتلى وزين بها أعلى قمم أسوار المدن . وبهزيمة كوماجين ضمت الى الامبراطورية وألحقت بها . وفى العام التالى تقدم الملك نحو جبال ارمينيا - وذلك بناء على طلب اشور فى الوقت الذى كانت جماعات من الجند تغير على كردستان - فى غابات لا يستطيع اختراقها لم يرتد لها أى ملك من قبل . . . تقدم فى هذه المنطقة الوغرة التى يتعذر استخدام المركبات فيها . . . تقدم بالمشاة فقط واكتسح كورهي وال « هاريا » وحمل آلهتهم أسرى ونفى الاهلين وصودرت ممتلكاتهم وأحرق مدنها . ثم بدأ الحبر ضد ال « نايرى » وحاول ٢٣ من ضغار الملوك أن يدافعوا عن أراضيهم ولكنهم هزموا وطردها حتى بحيرة

(١) تارن صفحة ٥٧ وما بعدها

فان واضطروا إلى قبول حماية آشور وتسليم أبنائهم كرهائن وتوريد ١٢٠٠ حصان ، ٢٠٠٠ رأس من الماشية كجزية .

وفي السنة الخامسة من حكمه « بعد تحديد يوم ملائمه بواسطة حلم » غادر « تجلات فلاسر » آشور ونزل الى أرض سنوهى وفي صعوده الى الفرات دمر آرام النهرين التى كان يحتلها الاهلامى ووصل الى قرقيش وهى قلعة الحيتيين على الفرات وعبر النهر وأخضع بلاد موتسرو التى تمتد من الطورونى الى نبال وواصل فتوحاته الى أرض عامور . وصاد الملك لجاموسة عند سفح لبنان وركب البحر فى أرواد وقتل كلب بحر (قرش) فى البحر المتوسط . وأصبح الشاطيء وحده تحت حكم آشور التى لم تكن تجرؤ بعد على مهاجمة ممالك الأراميين فى تشوبا ودمشق ولا حتى على مقاطعتي صور وصيدا اللتين كانتا قد استعادتا استقلالهما .

ولقد استطاع « تجلات فلاسر » بعد سنوات خمس من ولايته للعرش أن يفخر بأنه أخضع ٤٢ شعبا بسلوكمهم .

أما خلفاؤه المباشرون فلم يستطيعوا أن يسيطروا على مثل هذه الامبراطورية الشاسعة واستطاعت الولايات البعيدة أن تخلع النير عن كاهلها واحدة بعد الأخرى وذلك فى مدى قرنين من الزمان .

وقد أعاد « تجلات فلاسر » بناء معبد أنو ، أداد فى آشور ذلك المعبد الذى كان قد شيده « شامشى أداد » منذ ستة قرون ونصف ودمر فى خلال حكم « آشور دان » الذى كان قد اعتزم إعادة بنائه ولكنه لم يستطع أن يفعل وقد أصلح أيضا معابد آشور الأخرى وكذلك القصور الملكية وأقام من جديد أسوار المدن واستورد الخيل من البلاد التى فتحها وكذا الحمير والماشية كما استورد للصيد الملكى قطعانا حقيقية من الماعز الوحشى وأمر باستجلاب نباتات لم تكن معروفة فى آشور لتزرع فى الحدائق والأراضى الملكية .

وقد حارب تجلات فلاسر مرتين ضد بابل خلال النصف الثانى من حكمه وأما ابنه « آشور بعل كالا » فقد عقد معها الصلح وتزوج من ابنة الملك البابلى . ولم يستطع آشور رابى الثانى أن يمنع الأراميين من أن يستردوا مدن بترو وموتكينو : وأما خلفه الرابع أداد نيرارى الثانى (حوالى ٩١٠ - ٨٩٠) فقد بدأ فى بعث آشور فأشهر حربا انتصر فيها على بابل ثم عقد حلفا معها . وكان ابنه « توكولتى اينورتا » الثانى فاتحا عظيما (٨٩٠ - ٨٨٤) : اذ كان يقوم بحملة كل عام ويكتب يومياته أثناء حملاته ويظهر من يوميات حملة العام الأخير أنه خرج من آشور ونزل فى مجرى الترتار الى الصحراء المجدية ثم وصل الى دجلة مارا بدور كاريجالزو و « سيبار » ثم صعد مع الفرات حتى الهابور متابعا السير

عن طريق بيت حالوبى والشاديكانى ونسيبا متجها نحو بلاد الموسكيين .
 ويعتبر « آشور ناتسير ابلا » الثانى (٨٨٤ - ٨٦٠) بن « توكولتى
 اينورتا » أحد أمراء الأشوريين الذين تركوا نقوشا وآثارا مرسومة كثيرة .
 وتوجد كتابات ورسوم له فى أطلال قصره بكلح وفى معبد اينورتا وعلى
 نقوش بارزة وعلى سلة وعلى تمثاله وعلى مذبح وفى كل مكان توجد كتابات
 أو رسوم له . وكرجل رمم كلح نراه يملؤها بالأسرى الذين استجلبهم
 من الأقاليم التى فتحتها أسلحته وأتى بمياه الزاب عن طريق قناة زرعت
 ضفتاها بالأشجار .

ولقد هاجم
 كردستان فى حملته
 الأولى وفتح
 « كيرهى » الواقعة
 الى شمال
 « كاشيارى » وكوم
 هاجم أعدائه
 فى شكل هرمى
 وفى تحريف العام
 نفسه غزا كوماجين
 وتسليم هناك جزية
 من الموسكيين
 ولكن « بيت
 حالوبى » نارت ضد
 حاكدها الأشورى
 فأسرع الملك الى
 هناك مع جيوشه
 وقبض على
 المغتصب والشوار
 الآخرين ، وحكم
 بالموت على واحد
 أو اثنين منهم
 ولف بجلودهم أثرا
 أقامه أمام بوابات
 المدينة ، وأما جنثهم
 المقطوعة الرؤوس



(شكل ٤٠) لوحة آشور ناتسير ابلا الثانى

فقد وضعت فوق الجوازيق وعُلقت رؤوسهم كتاج فوق الأثر ونقل المدعي إلى نينوى حيث سلخ حيا وعلق جلده بالمسامير على حوائط المدينة .

وفي عام ٨٨٣ ق.م . علم بعد أن تسلم في نينوى هدايا « ايلو ابني » مجافظ سوهي - علم أن المستعمرة الآشورية التي أقامها شلمنصر الأول في هالزيلوها قد ثارت فقام إليها ليقر النظام ومر خلال منبع سوبينات وأقام لوحة له بجوار لوحات تجلات فلاسر الأول وثوكولتي اينورتا الأول ثم اخترق كاشياري ووصل إلى كينابو مركز المقاومة وأخذ نائب الملك حيا وسلخه ووضع جلده فوق حائط مدينة دامداموسا . أما « توشها » في « نربو » فقد أعيد بناؤها وشيد قصر بها كما أقيمت لوحة ملكية هناك . ولما أضر الجوع بالمستعمرين الآشوريين القدماء هربوا إلى شوبري واستقروا في تلك المدينة الملحقة بالأملاك الملكية وخضعت نربو بأكملها وأنت بيت زمانى والشوبري والنردون والأورومي وكل الناييري ليقدّموا ولاءهم .

وفي عام ٨٨١ ق.م . حدثت ثورة وتكتل عدائي في أقاليم الزاجروس وسد الثوار الممر البابيتي بواسطة متراس ولكن الممر اغتصب ودمرت ١٥٠ مدينة وقرية وعاد الملك في عام ٨٨٠ إلى زاموا للمرة الثالثة . وفي العام التالي دخل إلى كوماجين وكرس قصرا لـ « توليلي » وتسلم الجزية ثم اخترق ممر عشتارات وتوقف عند كيبالكى . ولما كان سكان كيرهي قد هربوا فإنه طاردهم في الجبال وقطع أيدي أولئك الذين وقعوا أحياء بين يديه . كما دمر في نايري ٢٥٠ قرية وعند عودته عبر دجلة نزل حتى الفرات وقابل أمير سوهي حليف ملك بابل الذي خرج لمقاتلته . ولكن هذا الأمير هزم وتم الاستيلاء على مدينته وأخذ القائد البابلي أسيرا . ولم يكد الملك الآشوري يرجع إلى كلح حتى وصل إلى علمه أن ثورة جديدة قد قامت في « سوهي » و « هندانو » و « لاقى » فسار في طريق مضاد للطريق الذي كان قد سلكه « توكولتي اينورتا » الثاني وهزم التكتل وبني مدينة على كل من ضفتي النهر هما : « كاراشور ناتسير ابلا » على أحد الجانبين و « نيبارتى آشور » على الجانب الآخر .

وفي عام ٨٧٧ ق.م . تقدم نحو قرقيش فأسرع « سانجار » ملك الحيثيين ليقدّم له هدايا ذات قيمة وكذا رهائن . وبعد عبور الفرات تقدم نحو أرض « هاتين » التي قدم ملكها « لوبارنا » حرسا وأثانا وعتادا حربيا وعبيدا ومعادن ثمينة وحيوانات . وعبر الجيش الأورونت وسانجورا وغزا أرض لوهوتى في جنوب حماة على الضفة اليسرى للأورونت وتقدم الملك نحو البحر المتوسط وغسل أسلحته في البحر وقدم التضحيات منبعا في ذلك الطقس القديم للأمراء السوميريوأكاديين . ورغم استمراره في التقدم غربا فإنه قنع بجزية من صور وصيدا وجبيل (بيلوس)

ومهاالاتا ومايتسى والعامور وأرواد . وكان من القطننة بحيث عرف أين يتوقف قبل أن يدخل فى صراع مع مملكة دمشق القوية .

وعند عودته من حملته أمر بقطع الأرز فى أمانوس لأحضار خشب من أجل تشييده مباني كلح (نمرود) حيث أسس عاصمته . وقد أعيد بناء هذه المدينة وهى المقر الصيفى القديم لأسلافه وهدم القصر القديم الذى كان قد شاده شلمنصر الأول منذ أمد طويل وحل مكانه مبنى أضخم منه . وقد كشف هناك عن تمثال للملك ولوحة مستديرة مكونة من قطعة واحدة أما النقوش الملونة التى زينت بها واجهة الحوائط فانها تسمح لنا بدراسة الفن الآشورى للقرن التاسع وأن نتابع الملك فى حربه أو خروجه للصيد وأن نرقب الأمراء المعادين وهم يقدمون خضوعهم وأن ندرك لمحة صحيحة من كثير من تفصيلات الحياة الآشورية .

وأما ابنه شلمنصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤) فقد كان جنديا محاربا قاد ٣٢ حملة فى مدة حكمه البالغة ٣٥ عاما ٦٠ ولم يكد يغتلى العرش حتى توجه الى سوريا ليتسلم جزية صور وصيدا . وفى السنوات التالية دعم نفوذه فى « أورارتو » و « نايرى » . وفى عام ٨٥٤ ق.م . عاد الى سوريا وغزا مملكة « حماة » التى كانت تسند ملكها « ايرهوليني » قوة متألفة على رأسها « أداد ادرى » الدمشقى الذى أنزل الى الميدان ١٢٠٠٠ مركبة ، ١٢٠٠٠ خيال ، ٢٠٠٠٠ من المشاة . أما « أشاب » ملك إسرائيل وهو صهر ملك صيدا فقد أرسل ٢٠٠٠ مركبة ، ١٠٠٠٠ رجل . وأما « قى » ، و « موتسرو » وهى أقاليم من قيليقيا الشهيرة بخيلها فلم يرسلوا سوى المشاة . كما ساهمت بنصيبها أربع مدن فينيقية والبعثة الأمونية . وجهاز ملك عربى ١٠٠٠ جمل . وأما صور وصيدا فقد امتنعتا عن الاشتراك فى هذه الثورة واستمرتتا بفطنة تدفعان الجزية .

وقامت المعركة فى قرقار بالقرب من الأورونت وطبقا لما جاء بالسجلات الآشورية فإن السهل كان أصغر من أن يتحمل الأعداد الضخمة من الجثث وأن الأرض الواسعة لم تكن تكفى لدفنها وقد أفعم نهر الأورنت بجثث الأعداء وأقيم منها معبر على الأورنت . والواقع أن النتيجة لم تكن حاسمة فإن شلمنصر لم يجسر - أو هو لم يستطع - أن ينتفع من النجاح الذى يفخر به . وقد عاد الى آشور بعد رحلة بحرية .

وفى عام ٨٥٣ ق.م . قاتل فى منطقة منابع دجلة ونى البلاد المحيطة ببحيرة فان وقد تسقى طريقه مرتين الى بابل (٨٥٢ ، ٨٥١) ليساند « مردوك زاكر شوم » الذى كان أخوه « مردوك يعل أوشاتي » قد رفع لواء الثورة ضده . وفى ٨٥٠ أغار على سنجار ملك قرقيش ، وأرامى ملك أرنى عند سنجح الأمانوس . وفى العام التالى قام بحملة ثانية ضد

أرض حماة وقاتل ملك دمشق وأحلافه الذين قاموا بحرب ثانية بعد ثلاث سنوات (٨٤٦) . وعلى أية حال ، فانه عند موت « أداد أدرى » استولى مفتصب يدعى حازائيل على عرش دمشق ومات كذلك « أشاب » وإنحل الحنف . فلما عاد الملك الأشوري للنزال فى ٨٤٢ واجهه حازائيل منفردا وكان قد حصن نفسه على الـ « سائير » عند مدخل سوريا المكتكتلة ولكنه لم يستطع أن يصمد أمام الهجوم وانسحب الى دمشق فخرب الجيش الأشورى الاقليم المحيط ودمر حوران وعاد ليعسكر عند مصب نهر الكلب حيث أحضرت صور وصيدا واسرائيل جزاها . وأهم الآثار المرسومة لهذا الحكم مسلة مزينة بنقوش وبعض لوحات من البرونز المطروق عشر عليها فى خرائب القصر الصيفى الذى بنى فى امجور ايلليل (بالوات) .

وقد أظلمت أخريات سنى الحكم من جراء ثورة الابن الأكبر للملك المدعو « آشور دانيئ ابلا » الذى انحازت الى صفه معظم مدن آشور . وقد استغرقت الثورة أربع سنوات حتى مات شلمنصر (٨٢٤) . وكان على ابنه الأصغر « شامشى أداد » الخامس أن يتابع الصراع مدى عامين آخرين قبل أن يتم له النصر . وقد حارب أيضا فى نايرى حيث قاد ثلاث حملات . بل وأكثر من ذلك نراه يتدخل فى بابل ويدحر « مردوك بالاتسو اقبى » فى « دور بابسو كال » وبعد مدة استطاع أن يهزم ويأسر « باو آخى أدين » خلف مردوك بالاتسو اقبى . وما زال اسم زوجته « سامورامات » التى كشف عن لوحها فى آشور مشهورا فى صورته اليونانية « سميراميس » .

وقد خبا
ضوء العظمة
الأشورية
خلال حكمه
لفترة قصيرة
فقد أضعفتها
الحروب الداخلية



ولما خط الملك
حدود

(شكل ٤١) جزية يبهو ملك اسرائيل
(المتحف البريطانى - مسلة شلمنصر)

امبراطوريته لم يجسر على أن يدفعها غربا الى ما وراء الفرات .

أما ابنه « أداد نيرارى » الثالث (٨١٠ - ٧٨٢ ق م) فانه لم يضمن حدوده فتوح شلمنصر الثالث فحسب بل مدها من الخليج الفارسى

وحدود عيلام حتى صحراء مصر . ولكن التوسع لم يكن يستحق الذكر في ناحية الشرق أو الشمال : وكان الميديون قد بدءوا يتحفزون ولم تكن أورارتو التي هزمها شلمنصر عام ٨٢٩ وشامسى أداد عام ٨١٩ ق.م. لتقبل الهزيمة ولكنها استغلت كل فرصة لمحاولة استعادة استقلالها . وقد حارب شلمنصر الرابع (٧٨٢ - ٧٧٢) الأراميين الذين كانوا يحاولون الانتشار في ميزوبوتاميا فقام دست حملات في أورارتو وواحدة في ناحية جبل امانوس (٧٧٥) واثنتين ضد دمشق (٧٧٣) ومدينة هزرق (٧٧٢) على التوالي .

وتابع آشور دان الثالث (٧٧٢ - ٧٥٤ ق.م.) الصراع ضد الأراميين (٧٦٩) فأرسل حملة الى ميديا في ٧٦٦ وضد هزرق في السنة التالية . وانتشر الظاعون في آشور وكسفت الشمس في سيمانو (٧٦٣) . وكان ذلك كافيا كي يوحى للناس بعقوبة السماء . وثارت آشور وتابعتها في ذلك ، محتذية مثالها مدن أخرى كثيرة . ولم يستطع الملك أن يعاود الكرة ضد مدينة هزرق الا بعد عشر سنوات من تاريخ حملته الأولى ضدها .

ولم تقم حروب في السنوات الأربع الأولى من حكم أداد نيرارى الرابع (٧٥٤ - ٧٤٦) ولكن نراه يقوم بحرب في عامي ٧٤٩ ، ٧٤٨ ق.م. ضد « نامرى » فيما وراء الزاب الأسفل وثار كلع في عام ٧٤٦ ق.م. وحارب تجلات فلاسر الثالث الذي ربما كان أحد أشقاء الملك . . . حارب العصاة واننا لنراه في العام التالي وقد اعتلى العرش . ولقد كان أميرا عظيما (٧٤٥ - ٧٢٧) استطاع أن يرتفع بأشور فوق كل جيرانها وأن يجعل لها سيادة مطلقة دون منافس . ولما استحوذ على الملك في الثالث عشر من أيار عام ٧٤٥ ق.م. هاجم نابوناسار البابلي في حريف تلك السنة ونهب مدينتي أو ثلاثا في أكاد وحمل آلهتها أسرى . وعند موت نابوناسار انتهز فرصة الحرب الأهلية فعاد الى أكاد و « أخذ بيد بعل » وجعل من نفسه « ملكا على سومير وأكاد وملكاً على الأقاليم الأربعة » تحت اسم بولو (٧٢٩) :

ولقد انتهز الأراميون فرصة الانحلال المؤقت لآشور لينشروا في سيزوبوتاميا وعرف تجلات فلاسر الثالث حوالي ٣٥ قبيلة من قبائلهم « مستقرة على ضفاف دجلة والفرات والسواربو حتى الاوكنو (كرخا) على ضفاف البحر الأدنى » .

ولقد قام بحملات أربع ضد مدينة « أرباد » وتدخل في الشؤون الداخلية ل « يودى » كي يعيد الى العرش بانامو الثانى الكارى الذى قتل أباه أحد المغتصبين وقد قدمت له الجزية كوماجين ودمشق وصوب

وصيدا وبيلوس (جبيل) وقى وقرقيش وخماة وجورجوم ومليد مدن
أخرى في قيليقيا ومليثين وأخيرا زيبية ملكة سبأ في بلاد العرب .

ولقد اتبع تجلات فلاسر الثالث طريقة جديدة في الغزو ، إذ إنه كان
ينفى سكان الأقاليم المغزوة ويحل حكاما آشوريين في مكان الملوك
المهزومين . وقد أقر في المنطقة الواقعة من حماة الى الشاطئ أقواما
استحضرهم من لولومو في الزاجروس ومن نايري قرب بحيرة فان .

وفي ٧٣٧ ق.م. قامت حرب في الشرق ضد ميديا . وفي ٧٣٥
حدث توسع جديد الى ناحية الغرب فكانت هناك حملة ضد فلسطين ونهبت
غزة ووضع هوشع على عرش اسرائيل . وفي ٧٣٣ و ٧٣٢ قامت حروب
ضد دمشق وتنافس العرب الذين كانوا يعيشون على حدود أراضي
الغرب . في سرعة ارسال الذهب والفضة والجمال والعطور للمرة الأولى :
وكانوا يأتون من تيماء وسبأ وبأدانا في أرض مدين ومن مدن كثيرة أخرى .

وقد تدخل في شئون اسرائيل عندما قامت ثورة ضد صنيعته
هوشع كما ثبت في عسقلان سلطان روكبتو الذي كان أبوه قد تنازل عن
العرش واستولى مقابل تدخله هذا على جانب من الامارة ثم عين أحد الحكام
على العرب أنفسهم .

وقد ترك تجلات فلاسر عند موته لابنه امبراطورية أوسع مساحة
وأقوى تنظيما منها في أي وقت سابق .

وحكم شلمنصر الخامس (٧٢٧ - ٧٢٢) مدى ست سنوات .
وقد عرف في بابل تحت اسم « أولولاي » ولقد كان حاكما على فينيقيا مدة
حملة عام ٧٣٣ ق.م. ولما عاد من هناك الى آشور ثارت صور فاضطر الى
معاودة زيارة شواطئ البحر المتوسط والتوجه جنوبا لتسلم جزية هوشع
وسرعان ما كان ملك اسرائيل يتآمر مع مصر فخرج الجيش الآشوري
ليحاصر عاصمته ساماريا مدى ثلاث سنوات .

السرجونيون

مات شلمنصر في الشهر العاشر من عام ٧٢٢ ق.م. وبعد أيام قلائل
اعتلى عرش آشور سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥) وهو من أصل مجهول .
وقبل نهاية العام استسلمت ساماريا وتبعاً للخطة التي استنها « تجلات
فلاسر » الثالث طرد الاسرائيليين . . . البعض منهم الى ناحية حران والبعض
الى ضفاف الهابور والبعض أخيرا الى ميديا . وقد حل محلهم الاراميون من

افايم حماة ثم لحق بهم العرب هناك فى عام ٧١٥ وكذا بعض الأهلين من
كوثا وبابل فى ٧٠٩ .

وقد ثارت بابل فى بداية عام ٧٢١ ق.م . واستطاع مردوخ بالادان
التانى الارامى من بيت ياكين أن يستولى على السلطة وأن يحكم مدى اتنين
عشر عاما . وقد عقد حلفا مع هومبانيجاش ملك عيلان الذى هزم
الآشوريين فى دير .

وكان تقدم آشور نحو شاطئ البحر المتوسط قد بدأ يقلق مصر فنجح
سيبو قائد جيوش فرعون الذى كان قد عقد اتفاقا مع هوشع ملك اسرائيل
فى بداية حكمه نجح فى تجميع حلفه تحت قيادة « ياؤو بعدى » ملك حماة
وقد أسهمت فيه ارباد وسميرا ودمشق وسميريا . وتمت المعركة فى قرقار
كما حدث فى عهد شلمنصر الثالث وأخذ « ياؤو بعدى » أسيرا وسلخ حيا .
وقد تكاثر الاشوريون فى حماة تحت قيادة أحد القواد .

وقد أعيد تكوين التحالف بعيدا الى الجنوب بزعامة « سيبو » وجر
وراءه ملك غزة فهاجمهم سرجون واضطروا الى التراجع نحو رفح على حدود
مصر وهرب سيبو تحت ضغط الاشوريين وحمل ملك غزة أسيرا الى
أشور .

أما فى شمال الامبراطورية فقد كان أحد القواد الطموحين ل « اورارتو »
وهو « اورسا الأول » يحاول أن يثير الدسائس منذ عشر سنوات فاستولى
ميتانى من زيكرتو فى عام ٧١٩ ق.م بايعاز منه وبدون قتال على مدينتين
ولكنهما استعيدتا ودمرتا بالنيران وطرد أهلهما الى سوريا .

وفى الغرب بدأ ملك الموشيين المدعو ميداس بن جورديوس الفريجى
يتحرك كنتيجة لنفس المؤثر . وفى عام ٧١٧ ق.م . خلع « بيسيريس »
الملك الحيثى لقمقميش وأصبحت مدينته مستعمرة آشورية . وفى الأعوام
التالية قامت حملات جديدة ضد اورارتو كما اجتاحت فى عام ٧١٦ البلاد
الواقعة فيما بين بحيرتى فان واورميا وقامت غارة جديدة فى عام ٧١٥ . وفى
عام ٧١٤ قامت حملة أخيرة انتهت بموت اورسا .

ثم استدار سرجون الى ناحية قيليقيا وتابال وموسكو واستطاع فى
عام ٧١٣ ق.م . أن يسيطر نفوذه حتى هاليس واستورد من هناك الأحجار
والمعادن والأخشاب الثمينة لتشبيد « دورشاروكين » وهى المدينة الجديدة
التي أنشئت فى شرق نينوى على موقع قرية ماجانوبا .

ويتميز عام ٧١١ بحملة على فلسطين ذلك لأن ملك أسدود كان قد تمرد وحاول بتحريض من مصر ان يحمل الفلسطينيين واليهود والارمن والموآبيين على التمرد فخلع ولكن الشعب رفض ان يعترف بالملك الجديد الذى نصبته اشور فهزمت جاث مع الاسدوديين وضممت الى الامبراطورية تحت رعاية حكام من القواد . وعندئذ حاول سرجون أن يعيد فتح بابل . وقد استهدفت قبيلة جامبولو للهجوم الأول وتجمعت قبائل أخرى على طول الكرخا حيث حوصروا واضطروا للتسليم . وقامت مظاهرة على حدود عيلام وهرب « مروداخ بالادان » وفتح كهنة بابل بوابات المدينة للمنتصر !

وفى بداية عام ٧٠٩ ق.م . أخذ ملك آشور بـ « يد بعل » وأصبح الحاكم الشرعى لبابل وعندما هدا اقليم الفرات الأدنى أقر فيه المنفيون من الأقاليم الحيثية وكوماجين كما أنشئت نقط للمحافظة على الأمن على طول حدود عيلام . ولأول مرة نرى ملك دلمون على الخليج الفارسى يرسل جزية وكذلك يفعل ميداس الذى قهر نهائيا . كما أرسل سبعة ملوك من جزيرة قبرص هدايا وسمحوا باقامة لوحة فى ستيوم (لارناكا) أمر سرجون بأن تحفر فيها صورته الملكية ورموز الآلهة العظمى لبابل وأشور .

وفى عام ٧٠٨ أصبحت كوماجين مقاطعة آشورية تحت قيادة حاكم مزود بقوات حربية عظيمة . وفى العام التالى افتتح سرجون القصر ومدينة دور شاروكين بعد رحلة فى جنوب كلديا ولكن لم يقدر له أن ينعم بهما طويلا وذلك لأنه قتل فى الشهور الأولى من عام ٧٠٥ ق.م .

وكان سرجون قد أتقن الطريقة التنظيمية التى وضع أسسها تجلات فلاسر فهو لم يكتف بأن نفى الشعوب المغلوبة على أمرها وعمل على مزجهم بأجناس مختلفة ، بل أنه استن طريقة جديدة للاندماج والاحتلال بأن جعل بعض الأشوريين يستوطنون فى المدن الرئيسية المغزوة . ورغم ذلك فإن الحيوية الخاصة بالشعوب المنقولة ظلت تنمو حتى اضطرت خلفاؤه الى الدخول فى حرب لبحافظوا على تماسك المجموعة .

وقد أنشأ سرجون مكتبة نينوى كما شجع التجارة عن طريق انشاء أسواق جديدة والزراعة عن طريق عمل خزانات وقنوات . وكان قصره فى دور شاروكين مزخرفا بالنقوش التى تجدر دراستها مع مقارنتها بنقوش قصر آشورنا تسيير ابلا فموضوعاتها لم تتغير تقريبا ولكن الذى تناوله التغير كان الأسلوب : فأصبح الأشخاص أكبر من الحجم الطبيعى كما تطورت النقوش وانتشرت . ولعل الأسد البرونزى المقيّد ككلب

الحراسسة عند بوابات هذا القصر يعتبر كمثل من أروع أمثلة الفن
الأشوري (١) .

ولم يكن سناخريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق م .) بن سرجون يعتلى
العرش حتى ظهر مدع استطاع أن يستولى على السلطة فى بابل فخرج
مروداخ بالادان من مستنقعه وطرده فى الشهر التالى (٧٠٣) وحكم هو
مدى تسعة شهور . وقد اعتمد - كما كانت الحال من قبل - على القوات
العيلامية لتسندة . وحالما خرج ملك آشور لمهاجمته جمع قوائمه بالقرب
من كيش على مبعدة ثلاثة فراسخ من عاصمته . ولكن الأشوري هزمه
واستقبلته بابل استقبال المنتصرين . وقد وضع الملك الأشوري عليهما
« بعل ابنى » بمثابة نائب ملك (٧٠٣ - ٧٠٠) وهو بابلى نشأ فى بلاطه .
ثم أمضى عاما كاملا فى تحطيم قوى القبائل الآرامية للفرات الأدنى وهم أولئك
الذين كان العرب قد تسروا بينهم والذين كثر عددهم فى أوروك ونيبور فى
سومير وفى كيش وكوثا فى أكاد . ثم ارتد مرة أخرى ضد الآراميين فى
ميزوبوتاميا ونفى وطرد أكثر من مائتى ألف من بينهم . وقام بغارة على
الكاسيين وبسط عليهم نفوذ حاكم أرافا ثم أكمل عمله فى الشرق ببعض
المظاهرات على حدود ميديا .

وأما فى الغرب فلم يكن ملك صور ليستطيع أن يحتل خضوع الأمراء
القبرصيين لأشور وهم الذين كانوا يدفعون الجزية من قبل ويتجرون مع
مدينته ولذا نراه يرسل جيوشا لاستعادة « ستيوم » وهى المدينة التى كان
سرجون قد أقام فيها لوحته . فأرسل سناخريب فى عام ٧٠١ جيشا قويا
وجهه ضد صور ولم تحاول صيدا أو عكا أو المدن الأخرى الساحلية المقاومة
ولكنها فتحت بواباتها للأشوريين فهرب ملك صور الى قبرص حيث مات
بها . أما المواطنون فنظموا الدفاع عن المدينة التى ظلت مصونة .
أما فينيقيا التى كانت قد نظمت شئونها كولاية واحدة فقد قررت عليها
جزية .

أما فى كنعان فإن مصر كانت قد استمرت تدبر اشاعة الاضطراب
فيها وكان عنصر التآمر صدقيا العسقلانى وقد انضوت تحت لوائه يافا
وأكرون وأورشليم ولكن صدقيا هزم وأسر ونهبت مقاطعة يافا فأرسل
أمراء الدلتا وفرعون مددا . وقامت الحرب فى سهل الى جنوب أكرون وخرج
الأشوريون من المعركة منتصرين واستولوا على المدينة وعلقوا جثث زعماء

الآشور على الأسوار ثم اتجه نحو يهوذا واستولى على ٤٦ قرية محصنة وحاصر أورشليم وتمردت حامية المدينة ، الأمر الذي اضطر الملك حزقيا الى المفاوضة وتعهد بدفع جزية قدرها ٣٠ وزنة من الذهب مضافا اليها مازنته عشرة أمثال ذلك من الفضة . كما رأى نفسه مضطرا علاوة على ذلك الى قبول الانتقاص من مقاطعته .

وقد وجد سناخريب نفسه مضطرا عقب عودته الى آشور الى مقاتلة « بعل ابني » ملك بابل الذي خان عهده ولم يبر بقسمه . فطارده « موشزيب مردوك » الكلداني الذي كان قد أعلن استقلاله وكذا « مروداخ بالادان » الثاني الذي هجر « بيت ياكين » وركب البحر وهرب الى « ناجيتي رقي » . وبأسر « بعل ابني » وضع « آشور نادين شومي » ابن الملك الآشوري على عرش بابل (٧٠٠ - ٦٩٣) .

وفي عام ٦٩٩ ق.م . قامت حملة الى كردستان والاقليم الغربي لبحيرة فان وفي عام ٦٩٨ اتجه جيش لاختصاع قيليقيا التي كان حاكمها قد روج لواء الثورة فأسر وأحضر الى نينوى وسلخ حيا . وفي عام ٦٩٥ قامت حملة الى أرض تبال .

ويتميز عام ٦٩٤ ق.م . بعملية حربية جديدة تماما - لم يكن لدى سناخريب أسطول ليطارد « مروداخ بالادان » الى عيلام بحرا فأمر بإنشاء أسطول جزء منه في « كارشو لمانو أشاريده » و (برجيك) على الفرات والجزء الآخر في نينوى على دجلة . وقد استغرق إنشاء هذا الأسطول عاما كاملا وكان العمال صوريين وصيدائيين وقبرصيين وأبحرت السفن من نينوى حتى أوبيس حيث نقلت برا حتى قناة اراحتو التي استطاعوا بواسطتها الوصول الى الفرات . وتم ضم جزءي الأسطول في « باب ساليمني » واتجه الأسطول كله الى مصب الأوليوس . وهزم « مروداخ بالادان » وأخذ جنده والجيش العيلامية التي سنده الى الأسر . وسرعان ما دخل المعركة « هاللودوش » ملك عيلام وغزا بابل وثار السكان ضد « آشور نادين شومي » وسلموه للعدو وأعلنوا المذبح « نرجال شزيب » ملكا عليهم . وعاد الجيش الآشوري وانتشرت المذابح في كل مكان وأسروا نرجال شزيب بالقرب من نيبور . أما « موشزيب مردوك » فقد ظهر مرة أخرى وعقد حلفا مع عيلام .

ولقد حاول الملك الآشوري أن يستغل - في نهاية عام ٦٩٣ - ثورة قامت في عيلام استطاع « كوتور ناهونتي » من وراثها أن يخضع « هاللودوش » . وقد تراجع العيلاميون في مبدأ الأمر الى الجبال ولكن

الأمطار والثلوج سقطت بغزارة فى بداية عام ٦٩٢ حتى اضطر الجيش الاشورى الى التراجع وهات « كوتور ناهونتي » بعد ذلك بفترة قصيرة وخلفه أخوه الأصغر « أومانيجاش » وقد أرسل جيوشا ضد آشور بناء على التماس ملك بابل : فقامت معركة كبيرة فى هالولى التى لا تبعد كثيرا عن ملتقى التورنات بدجلة ولكنها لم تكن حاسمة (٦٩٠) .

وفى نفس العام بسط سناخريب سبطانه على بعض القبائل العربية التى هربت جيوشها الى ناحية أدوماتو (الجوف) عند مدخل نفود « وهو مكان مجرب لا طعام فيه ولا شراب » وقد سار ملك آشور على طرف الصحراء حتى الحدود المصرية ونصب معسكره فى لاشيس وأرسل من هناك رسلا الى حزقيا ملك يهوذا فأسرع طهرقة الملك الاثيوبى نحو الميدان وتجهز الجيش الاشورى للمعركة ولكن بعد ما تحمله من حرمان من جراء قسوة الطبيعة فى أقاليم الصحراء هلك جزء كبير منه يضاف الى ذلك ما قاساه من جراء وباء انتشر عن طريق الفيران فدفع ذلك كله الملك الى أن يتخلى عن خطته التى كان قد دبرها للمعركة وأن يأمر بالانسحاب .

وكان « موشزيب مردوك » فى بابل يشير متساعب جديدة فقرر سناخريب أن يضع حدا لذلك فاستولى على المدينة وجعل عاليها سافلها وأشعل فيها النيران ثم أغرقها . وبعد ثمانى سنوات أى فى العشرين من تبت من عام ٦٨١ ق.م . بينما كان الملك يصلى فى المعبد اغتاله ابنه « اراد ملكات » و « ونابوشار أوتسور » الذى سمي العام المذكور باسمه .

وقد جدد سناخريب نينوى التى كان سرجون قد هجرها وزودها بكمية وافرة من ماء الشرب وبنى بها قصرا زينه بالنقوش التى بدأت تظهر فيها الصفوف العليا من اللوحات المصورة وميل واضح الى التدقيق فى نقش المناظر . كما وسع المكتبة التى أسسها أبوه وأدخل فى آشور عددا من النباتات والأشجار الجديدة .

ولم يستطع اراد ملكات أن ينتفك بما جناه من قتل أبيه فبينما هو يستعد لاعلان نفسه ملكا جمع أخوه أسار حدون (٦٨١ – ٦٦٨ ق.م .)

أعوانه وحارب أخاه وهزمه وتوج نفسه ملكا بعد مقتل سسناخريب
ب ٤٢ يوما .

ولما كان من أم بابلية فانه عول على أن يقيم من جديد العاصمة
المهدمة . وكان نابوزر كنوليشير بن مروداخ بالادان الثانى يحاول فى
الوقت نفسه أن ينتهز فرصة تغير الملك فاثار « أرض البحر » وتقدم
لمحاصرة أور ولكنه هزم واضطر الى الهرب الى عيلام حيث قتله
« حومانالداش » الثانى (٦٨١ - ٦٧٥) وسرعان ما خضع أخوه ناعبد
مردوك .

وأما فى سوريا فان فرعون كان يحاول استعادة نفوذه وقد ثار
« عيسى ملكوتى » ملك صيدا بايعاز منه . وقد انتهت الحملة الاولى بنهب
مدينته وأسر فى عام ٦٧٦ ق.م . وقطع رأسه وحمل الى نينوى . وقد لقي
نفس المصير شريكه « ساندواري » ملك سيس فى قيليقيا ونفى الناس
جماعات وحلت محل صيدا مدينة جديدة هى « كاراشور احا ادين » وعين
عليها حاكم آشورى وسكنها كلدانيون أسروا فى العام الاول من حكمه .

وكان الاراميون وخاصة قبيلة « بيت داكورى » يتآمرون فى بابل حتى
استطاعوا أخيرا أن يدفعوا « حومانالداش » أن يعيرهم عوناً محسوساً
فاستولى الجيش العيلامى على سيبار ولكن موت الملك المفاجئ اضطر خلفه
« أورتاكو » الى أن يكف عن الاعتداء .

وأراد « أسارحدون » أن يتابع الصراع القديم ضد مصر وأن يدخل
الى الدلتا التى لم يسبق لجيش آشورى أن تقدم نحوها فشق طريقه حتى
سيل مصر (وادى العريش) (٦٧٥) ولكنه استدعى الى بلاده ليواجه حلفاء
من الآريين والسكيثيين والميديين الذين كانوا يتهددون الحدود الشمالية
والشرقية للامبراطورية وكان سرجون (٧٢٠) قد هزم مجموعتين من
السكيثيين والاشكوزاى والسيميريين القادمين من قارة أوربا ولكن
السيميريين استطاعوا اذ ذاك أن ينحدروا ويستقروا فى أحواض الاراكس
والهاليس . أما الاشكوزاى فقد استقروا بالقرب من المانيين فى مكان
ليس بعيدا عن بحيرة فان . فهاجم أسارحدون تيوشبا قائد السيميريين

وطرده ان آسيا الصغرى ثم هزم
الاشكوزاى المتحالفين مع المانيين .

وأرسل الجيش الأشورى مرة
أخرى الى مصر ولكن ليس
عن طريق سوريا بل عن طريق
الصحراء الذى كان سناخريب قد
سلكه .

وقد استطاع الجيش أن يخضع
وهو فى طريقه بعض القبائل العربية
التي قتل ملوكها الصغار . ولم يكد
الجيش يصل الى الصحراء السورية
حتى اضطر للعودة لمقابلة العيلاميين
والميديين (٦٧٣) وانضم الجامبولو
الى أنسور ضد عيلام واضطر ملوك
« ميدبا » (الميديين) حين ضيق
عليهم الخناق عند سفح ديما فاند



(شكل ٤٢) لوحة أسار حدون

الى الخضوع وتقديم الجزية .
وقد استدعيت الحشود المسخرة من سوريا جميعا وكذا من قبرص
لينقلوا الى نينوى المواد المطلوبة لبناء قصر جديد . وكان بعل ملك صور
قد أقسم يمين المعاهدة مع أشور : ولكن لم يمنعه ذلك من أن يتصل بطهرقة
ملك أثيوبيا متآمرا فحوصرت مدينته فى بداية عام ٦٧١ ق م . وهر الجيش
الأشورى بها نحو الجنوب الى رايبحي (تل رفح) حيث احضر العرب جمالا
لعبور الصحراء وشق الجيش طريقه للمرة الأولى فى أرض مصر . ووصل
بعد خمسة عشر يوما الى منف وهو يقوم بمعركة تلو معركة . وفى الثانى
والعشرين من تموز (يولية) استسلمت المدينة بعد مقاومة استغرقت نصف
يوم وفر طهرقة الى الجنوب وأسرت زوجته وحريمه وأولاده . وأعيد الأمراء
الأقدمون فى المدن المهزومة الى وظائفهم وان ألحق ببلاطهم ضباط وكتاب
أشوريون .

وكانت قعقبة الثورة تدوى فى أشور فذبح الملك فى عام ٦٧٠ ق م .

الكثيرين من أمرائه الذين لم يكونوا ليقبلوا بغير تدمير اختيار آشور
بانيبال الابن الأصغر لاسار حدون وريثا شرعيا للتاج الأشوري في
الوقت الذي كان عرش بابل وحده من نصيب ابنه الأكبر شاماش شوم
أوكنين .

وفي العام التالي كانت الأمور في مصر تتطلب تدخلا جديدا اذ عاود
طهرقة الظهور واستعاد منف فاتخذ اسر حدون الخطوة للتقدم لولا أنه
سقط مريضا ثم مات في العاشر من مارهشوان (أكتوبر - نوفمبر)
عام ٦٦٩ ق م .

قامر آشور بانيبال (٦٦٩ - ٦٢٦) رئيس الجيش أن يتابع السير
وأن يجمع كل القوى في الدويلات التابعة له التي يمر بها في طريقه .
فهزم جيش طهرقة بالقرب من كاربانيت في الدلتا وتقدم الأشوريون في
وادي النيل حتى طيبة وأعيد تنظيم البلاد . ولكن لم تكمل الجيوش تعود الى
سوريا حتى تأمر ثلاثة من ملوك الدلتا بقصد الاستقلال وهكذا غزيت الدلتا
جميعها مرة أخرى ونهبت سايس ومندس وتانيس . ولما مات طهرقة (٦٦٦)
استولى ابن أخيه تانداماني (تانوت آمون) على طيبة وأونو
(هليوبوليس) واتجه نحو منف حيث كانت قوات البوليس الاشورية
مركزة . ووصل الجيش النينوى الى الميدان واضطره الى الانسحاب جنوبا
وطارده الى النوبة ونهب مدينة طيبة وحمل معه مسلتين كعلامة من علامات
النصر .

وكانت احدى نتائج هذه الحملة تهدئة سوريا حيث لم يجرؤ أى ملك
على معاودة التآمر . وقد ذاعت شهرة آشور بانيبال في آسيا الصغرى
فأرسل جيغس ملك ليديا اليه وفدا ملتتمسا عونه في صراعه ضد
السيميريين الذين كانوا يهددون دولته : وفي الوقت الذي كانت ليديا
تحارب هؤلاء الآريين هاجمت آشور أحلافهم المانيين والميديين (حوالى ٦٦٠)
الذين كانوا قد اتحدوا تحت قيادة رئيس واحد .

والتمس « شماش شوم أوكنين » العون من أخيه ضد العيلاميين الذين
انتشروا في بابل بفضل تستر الجمبوليين . وقد هزم ملكهم « أورتاكو »
ومات (٦٦١) واستولى على العرش مغتصب يدعى تيومان وطلب أن يسلم
اليه الأمراء العيلاميون الذين كانوا قد التجئوا الى نينوى . وقد دعا هذا
الى قيام حرب جديدة فهزم « تيومان » في « تولديز » في جنوب سوسه
وحمل رأسه رمزا للنصر وقسمت عيلام الى مملكتين وضع على عرشيهما ابنا
« أورتاكو » وهما : « هوما نيجاش » الثانى « وتاماريتو » .

وقد كان « شماش شوم أوكنين » سببا في اشعال نار الحرب من
جديده ، اذ أن هذا الأميركون حلفا ضد أخيه حوالى ٦٥٢ ق م . ضم كل أمراء

كلديا كما انضم له هومبا نيجاش وكذلك فعلت شعوب الجبل وقد امتد هذا السلف غربا عن طريق بلاد العرب الى شبه جزيرة سيناء وسوريا ، ولكن هذه الحركة قمعت فى قوة وعنف وقاست بابل من السيف والنار والدم وحس شماش شوم اوكين نفسه فى قصره وأشعل فيه النار وهلك فى لهيبها . أما كلديا فقد أقيم عليها حكام آشوريون (٦٤٨) .

وكان « تاما ريتو » فى عيلام قد خلع اخاه وانضم الى الحلف البابلي فخلعه مغتصب يدعى « اندابيجاش » ولكن سرعان ما حل محله « أوما نالداسى » ثم « أومباهابوا » وتقدم الجيش الأشورى نحو سوسه واعاد « تماريتو » ولكن سرعان ما تحرك وظهر اوما نالداسى وانتهى التدخل الجديد بنهب وتحطيم سوسه (٦٤٠) ولم ترع حرمة الموتى اذ حملت عظام ملوكهم الى آشور وحرمت ارواحهم من الراحة وذلك بعدم تقديم القرابين الجنزية . وقد حاول بسماتيك فى مصر أن يكون حلفا وتلقى مددا من جيحس الليدى ولكن الوثائق المسمارية لا تتحدث عن قمع هذه الثورة وان كانت تذكر فقط موت جيحس فى صراع بين السيميريين كما تذكر رسالة أرسلها ابنه الى الملك الأشورى يعترف له فيها بولائه .

وقد وجهت عدة حملات ضد العرب وقامت غارة أولى وصلت الى نباتين وذلك عقب سقوط بابل مباشرة فاصطنع ملك نباتين الخضوع ولكن سرعان ما استدعت الحال العودة اليه : وحاول العرب أن يستدرجوا الجيش الأشورى الى الصحراء ولكنه أخذ معسكرات « اتار ساماين » والكيدارنيين واستطاع « واتى » بن « بيرددا » - الذى كان الأشوريون قد نصبوه ملكا - أن يهرب ولكنه طورد وسادت المجاعة وانتشر الطاعون بين العرب الذين خانوا ملكهم وسلموه الى العدو فحمل الى نينوى وربط من فكه الأسفل الى سلسلة كلب وعرض على البوابة الشرقية للمدينة .

وصلت آشور وقتئذ الى أوجها : وبلغ اتساع الامبراطورية الى أقصى ما وصلت اليه وكانت نينوى قد طفحت وامتلات بالثراء وكان الأمراء الأسرى يجرون عربة آشور بانيبال حين يذهب الى المعبد ليقدم الشكر للمعبود من أجل انه مهد له دائما سبيل النصر . وجمعت فى المكتبة التى أسسها سرجون أهم الوثائق للآداب البابلية والأشورية وزينت قاعات الاحتفالات فى القصر بالنقوش التى بلغ بعضها القمة من ناحية الدقة الفنية .

وينقطع قصص الحوليات فى عام ٦٣٦ ق.م . وليس بها نبأ ما عن النزاع الذى أدى بهذه الامبراطورية الى الانهيار بعد أقل من ثلاثين عاما .

ولقد كونت فى الشرق - هضبة ايران - القوة التى قدر لها أن

تغزو أرض آشور وتحاصر نينوى وتزيلها من وجه الأرض الى الأبد . وربما أتى الميديون والفرس من أوربا عبر القوقاز واستقروا هناك الأول في الجنوب والآخرين في الشمال وكان الآشوريون قد دخلوا في صراع للمرة الأولى في القرن التاسع مع بعض القبائل الميدية ، وفي القرن التالي نفى سرجون بعضهم الى سوريا وأحل محلهم السامريين وبعض الشعوب الأخرى المغلوبة على أمرها . وقد استطاع « دايا اوكو » وهو (De Joces عند اليونان) في خلال حكمه أن يجمع شمل قبائل متعددة ويعلم نفسه ملكا واختار « اكبتاني » عاصمة له وخلفه فرافارتي (Phraortes — حوالي ٦٤٧ — ٦٢٥) وضم بعض الولايات المجاورة وانتصر على الفرس الذين انتهز ملكهم تايستيس فرصة تدمير سوسة ، ليستولى على جانب من عيلام ويعلم نفسه ملكا على انشان ثم هاجم عندئذ آشور ولكنه سقط في ساحة القتال مع معظم جنده .

واعاد سيا كسار ابنه تنظيم الجيش على النظام الآشوري . ولما دخل ساحة الحرب مرة أخرى هزم القواد الآشوريون وحوصرت نينوى ولكن جيشا جديدا اشترك في الصراع وهم السكينيون القادمون من أوربا والذين كانت تربطهم بأشور صلات منذ أكثر من قرن من الزمان فهاجموا الميديين من المؤخرة وهزموهم الى الشمال من بحيرة اورميا واجتاحوا اقليمهم ثم انقضوا على آشور وحرقوا كلح وأشور ودمروا كل ما لقوه في طريقهم وانتشروا بعد ذلك في البلاد التي كانت تدفع الجزية ووقفوا في النهاية على حدود مصر تقديرا للهدايا الثمينة التي قدمها لهم بسمانيك .

وحوالي عام ٦١١ استطاع « سيا كسار » ان يرفع النير . وكان آشور بانيبال قد مات (٦٢٦ — ٦٢٥) واحتل العرش ابنان له على التوالي وان لم يكن ذلك بغير صراع نظرا لظهور مدعين للعرش . ولم يستطع ثانيهما « سنشيار اشكون » أن يبسط نفوذه خارج آشور نفسها الا على بضعة مدن بابلية ظلت موالية له ثم أعلن « نابوبو لاسار » الكلداني حاكم بابل نفسه ملكا وسرعان ما تحالف مع الميدي ضد مولاة القديم وحوصرت نينوى وسقطت ودمرت بالنار والفيضان (٦١٢) .

وتحطمت الامبراطورية الآشورية الى الأبد ورددت الشعوب التي خلعت نيرها كلمات النبي اليهودي :

« كل الذين يسمعون خبرك يصفقون بأيديهم عليك :

لأنه على من لم يمر شرك الدام ؟ » (١) .

(١) ناحوم ٢ : ١٩ .

قائمة تاريخية لأمرء آشور ومن يعاصرهم من أمرء سومير وأكاد

علامة * تسبق أسماء الأمرء الآشوريين الذين لدينا نقوش عنهم

علامة x تدل على المعاصرين :

أوشبيا } ترتيب غير معروف
كيكيا } ذكرهما ملوك متأخرون

ايرى كابكسابو

سويلو (؟)

* زاريدكوم

١ - بوزور أشير الأول

٢ * شاليم أهوم

٣ * ايلوشنوما الأول

٤ * ارششوم الأول

٥ * ايكونوم

٦ - سرجون الأول

حوالى ٢٠٤٠ بورسى ملك أور

الأسرة الأولى السابية

٢٢٢٠ x ١ - سوموبوم ٢٢٢٥ - ٢٢١٢

٢٢٠٠ x ٢ - سومولا ايلوم ٢٢١٢ - ٢١٧٦

٢ - زابيوم ٢١٧٥ - ٢١٦٢

- ٤ - أبييل سن ٢١٦١ - ٢١٤٤
- ٥ - سن موبالليت ٢١٤٣ - ٢١٢٤
- ٦ - حمورابي ٢١٢٣ - ٢٠٨١

الاسرة الثانية

× ايلوما ايلوم

ايتي ايلي نيبى

- ٧ - سمسو ايلونا ٢٠٨٠ - ٢٠٤٣
- ٨ - ايشو ٢٤٠٢ - ٢٠١٥ داميقي ايليشو
- ٩ - امي ديتانا ٢٠١٤ - ١٩٧٨
- ١٠ - امي زادوجا ١٩٧٧ - ١٩٥٧ ايشكيبال (معاصر بعل بابي)
- ١١ - سامسو ديتانا ١٩٥٦ - ١٩٢٥ Weidner, Assur, 4128

شوشى

كولكشار

... رن

٧ - بوزور آشور الثانى

٨ - اهي آشور

٩ - رم سن

١٠ - ايلوشوما الثانى

١١ - اريشوم الثانى

١٢ - شماشى اداد الاول

١٣ - اشعى دجان الاول

١٤ - ... آششات

١٥ - ريموش

١٦ - اداسى

١٧ - بعل بابي

١٨ - ششبابا

١٩ - شارما اداد الاول

٢٠ - جيزيل سن

الأميرة الثالثة

٢١ - زمزايا	١ - جنداش	حوالي ١٧٦١ - ١٧٤٧	بشمه اچالدا راماش
٢٢ - لولايا	٢ - أجوم الاول	١٧٤٥ - ١٧٢٤	أدارا كالاها
٢٣ - بان فينوا	٣ - كشتلياش الاول	١٧٢٣ - ١٧٠٢	ايكورو لانا
٢٤ - شارها أداد الثاني	٤ - ايراقاش	١٧٠١ - ١٦٩٤	ميلامكور كورا
٢٥ - أريشوم الثالث	٥ - كشتلياش الثاني		ايا جميل
	٢٦ - شمعي أداد الثاني		
	٢٧ - اشمي دجان الثاني		
	٢٨ - شامشي أداد الثالث		
	٦ - تازيجوروماش		
	٧ - هارباشيباك		
	٨ - ٠٠٠		
	٩ - أجوم الثاني		
	١٠ - كوريجالزو الاول		
	١١ - ملشيباك الاول		

- ۱۲ - نازیمیا رو تاشی الاول
- ۱۳ - بور نابوریاشی الاول
- ۱۴ - کشتلیاشی الثالث
- ۱۵ - أجوم الثالث
- فی مصر
- ۱۶ - کارا انداشی الاول
- ۱۷ - کوریچالزو الثانی
- ۱۸ * کادشان اللیل الاول
- ۱۹ * بور نابوریاشی الثانی
- ۲۰ - بووزر آشیر الثالث
- ۲۱ - انلیل هتسیر الاول
- ۲۲ - نور املی
- ۲۳ - اشعی دجان الثالث
- ۲۴ * آشیر نیراری الاول
- ۲۵ * بووزر آشیر الرابع
- ۲۶ - انلیل نتسیر الثانی
- ۲۷ - آشیر وانبی الاول
- ۲۸ - آشیر نیراری الثانی
- ۲۹ - آشیر بعل نشیشو
- ۳۰ - آشیر وم نشیشو
- ۳۱ * آشورنا دین أهی
- ۳۲ * أریبا أداد
- ۱۳۷۷ - ۱۴۱۳ - أمنحتب الثالث حوالی
- ۱۳۷۶ - ۱۳۶۱ - أمنحتب الرابع حوالی

* ٤٢ آشور أوباليت

× ٢٠ كادا انداش الثانى
 × ٢١ كاد شمان حاربى الاول
 ناز يوجاش (مفتصب)
 × ٢٢ توريجالزو الثالث

* ٤٤ ايليل انبروى
 * ٤٥ أريك دن ايل
 * ٤٦ أداد نبروى الاول

١٣٣٥ - ١٣٥٧ حوالى سنة ٢٣

١٣٠٩ - ١٣٣٤ حوالى سنة ٢٦ ناذى مارو تاش

١٢٩٢ - ١٣٠٨ » ١٧ كاد شمان تورجو × ٢٤ ١٢٦٠ - ١٢٩٠ حوالى شلمنصر الاول * ٤٧
 ١٢٨٦ - ١٢٩١ » ٦ كادشمان ايليل الثانى × ٢٥ ١٢٤٠ - ١٢٦٠ حوالى توكونتى اينورتا الاول * ٤٨
 ١٢٧٧ - ١٢٨٥ » ٩ كودور ايليل ٢٦ ١٢٤٠ - ١٢٦٠ حوالى توكونتى اينورتا الاول * ٤٨
 ١٢٦٤ - ١٢٧٦ » ١٣ شاجاراكى شورياش ٢٧
 ١٢٥٦ - ١٢٦٣ حوالى سنوات ٨ كاشتلياش الثالث ٢٨

۱۲۵۴ - ۱۲۵۵	حوالی	سنة ۱/۲	۲۹ - ايليل نادين شوم	4۹ * آشور نادين أبلا الأول
۱۲۵۳ - ۱۲۵۴	»	سنة ۱/۲	۳۰ - كدشمان حربى الثانى	۵۰ * آشور نيرارى الثالث
۱۲۴۷ - ۱۲۵۲	»	6 سنوات	۳۱ - أداد شوم ادين	۵۱ - ايليل كودور أوتسور
۱۲۱۷ - ۱۲۴۶	»	۲۰ سنة	۳۲ - أداد شوم أوتسور	۵۲ - اينورتا أبال ايكور الأول ۱۱۸۲ - ۱۱۴۵
۱۲۰۲ - ۱۲۱۶	»	سنة ۱۵	۳۳ - مليشيباك الثانى	۵۳ - آشور دان الأول
۱۱۸۹ - ۱۲۰۱	»	سنة ۱۲	۳۴ - مرداخ بالادان الأول	
۱۱۸۸ .	»	سنة ۱	۳۵ x زبابا شوم ادين	
۱۱۸۵ - ۱۱۸۷	»	۳ سنوات	۳۶ - ايليل نادين أهى	

الأسرة الرابعة

۱۱۶۸ - ۱۱۸۴	»	سنة ۱۷	۱ - مردوك شايبيك زيريم	۵۴ - اينور تاتو كولتى آشور
۱۱۶۲ - ۱۱۶۸	»	6 سنوات	۲ - اينورتا نادين شومى	۵۵ - موتاكل فوسكو
			۳ x ۱۱۱۵ - ۱۱۲۵	۵۶ - آشور رشن ايشى الأول

× ٤ ايلليل نادين ابلي
× ٥ مردوك نادين أهى
٦ - اتى مردوك بلاتى
× ٧ مردوك شاييك زوماتيم
× ٨ أداد أبال ادين سنة ٢٢ ١٠٩٥ - ١٠٧٤

٥٧ - تجلات فلنسر الاول حوالى ١١١٥ - ١١٠٠
٥٨ - اينورتا أبال ايكول الثانى
٥٩ - آشور بعل كالا الاول

٩ - مردوك أهى ١ ١/٢ سنة ١٠٧٢
١٠ - مردوك زر ١٢ سنة ١٠٦١ - ١٠٧٢
١١ - مردوك شوم ليبور ٨ سنوات ما بين ١٠٥٢ - ١٠٦٠

٦٠ - ايلليل رابى
٦١ - آشور بعل كالا الثانى

الأسرة الخامسة

١ - شيماش شيباك ١٨ سنة ما بين ١٠٥٢ - ١٠٢٢
٢ - اياهو كوكين شومى ٥ شهور ١٠٣٥
٣ - كاشرو نادين أهى ٣ سنوات ١٩٣٤ - ١٠٢٢

٦٢ - اريسا
٦٣ - شمشى أداد الرابع
٦٤ - آشور نتسير أبلا الاول ١٩ سنة

١٠٢١ - ١٠١٥	سنة ١٧	الأسيرة السادسة	١٢ سنة	٦٥ - سلمنصر الثاني
١٠١٤ - ١٠١٢	سنوات ٣	١ - أولاش شاكينى شومى	٦ سنوات	٦٦ - آشور نيرارى الرابع
١٠١٢	شهور ٣	٢ - اينورتا كودور أوتسو	٩٩٥ - ١٠١٢	٦٧ - آشور رابى الثاني
		٣ - شرفتو شوقامونا		

الأسيرة السابعة

١٠١١ - ١٠٠٦	سنوات ٦	ماربىتى أبال أوتسور	٩٦٦ - ٩٩٥	٦٨ * آشور رشن ايشى الثاني
-------------	---------	---------------------	-----------	---------------------------

الأسيرة الثامنة

٩٧٠ - ١٠٠٥	سنة ٣٦	١ × نابوموكين أبلى	٩٣٣ - ٩٦١	٦٩ * بجلات فلاسر الثاني
٩٧٠		٢ × اينورتا كودور أوتسور		
		الثانى		
٩٤٦ - ٩٧٠		٣ × ماربىتى أهى أدين	٩١١ - ٩٣٣	٧٠ - آشور دان الثانى
٩٤٥ - ٩٠٥		٤ × شماش موداميق	٨٩٠ - ٩١١	٧١ * أدد نيرارى الثانى
٨٨٥ - ٩٠٥		٥ × نابوشوم أوكين		

۸۸۴ – ۸۹۰	* توکولتى اينورتا الثانى
۸۵۹ – ۸۸۴	* ۷۳ آتئور ناتسىر ابلال الثانى
۸۲۴ – ۸۵۹	* ۷۴ سىلمىنىڭ الثالث
	آشئور دانىن ابلال (مختصىب)
۸۱۰ – ۸۲۴	* ۷۵ شمشى اداد الخامس
۷۸۲ – ۸۱۰	* ۷۶ اداد نىرازى الثالث
۸۵۲ – ۸۸۵	* ۶ نابو ابلال ادين
۸۲۲ – ۸۵۲	* ۷ – مردوك زكىر شوم
۷۹۴ – ۸۲۲	* ۸ – مردوك بالاتسو ايقى
	۹ – باور اهى ادين
	۱۰ – مردوك بعل
	۱۱ – مردوك :بال اوتسور
۷۶۲ – ۷۸۲	* ۱۲ – اربىا مردوك
۷۷۲ – ۷۸۲	* ۷۷ سىلمىنىڭ الرابع
۷۵۴ – ۷۷۲	* ۷۸ آشئور دان الثالث

الأسرة التاسعة

٧٤٨ – ٧٦١	١ – نابو شوم اشكون الثاني	٧٤٦ – ٧٥٤	٧٩ – أداد نيرارى الرابع
٧٣٤ – ٧٤٨	٢ – نابو ناسار	٧٢٧ – ٧٤٥	٨٠ * تجلات فلاسر الثالث
٧٣٢ – ٧٣٤	٣ – نابو نادين زر		
٧٣٢	٤ – نابو شوم أوكين الثاني		

الأسرة العاشرة

٧٢٩ – ٧٣٢	١ – نابو أوكين زر		
٧٢٧ – ٧٢٩	٢ – بولو		
٧٢٢ – ٧٢٧	٣ * أولولاي	٧٢٢ – ٧٢٧	٨١ * سلمنصر الخامس
٧١٠ – ٧٢١	٤ – مروداخ بلادان الثاني	٧٠٥ – ٧٢٢	٨٢ * سرجون الثاني
٧٠٥ – ٧٠٩	٥ × سرجون		
٧٠٣ – ٧٠٥	٦ × سنخريب	٦٨١ – ٧٠٥	٨٣ * سنخريب

٧٠٣	٧ - مردوك زاكين شوم		
٧٠٣	٨ - مروضاخ بالادان الثاني		
٧٠٠ - ٧٠٣	٩ - بعل ابني		
٦٩٤ - ٧٠٠	١٠ - آشور نادين شومي		
٦٩٣ - ٦٩٤	١١ - نرجال شزيب		
٦٨٩ - ٦٩٣	١٢ - موشيزيل مردوك		
٦٨١ - ٦٨٩	١٣ - سبخريپ		
٦٦٩ - ٦٨١	١٤ - اسارحدون	٦٦٩ - ٦٨١	٨٤ * اسارحدون
٦٤٨ - ٦٦٨	١٥ - شباش شوم او كيني	٦٢٦ - ٦٦٩	٨٥ * آشور بانيبال
٦٢٦ - ٦٤٨	١٦ - كائنا لانو		
٢٦٦	١٧ - آشور اتيل الياني	٦٢٦	٨٦ * آشور اتيل الياني

الأسرة الحادية عشرة

٦٠٤ - ٦٢٥	١ - نابوبو لاسار		
	١٨ x سن شوم ليشير		٨٧ - سن شوم ليشير
٦١٢	١٩ x سن شار اشكون	٦١٢	٨٨ * سن شار اشكون

>
>

الكتاب الثانى :

النظم

الفصل الأول

الدولة والأسرة

١ - الدولة

كان نظام الدولة هو نفسه كما فى بابل فكان الاله آشور هو السيد الحقيقى للبلاد والمدينة التى تحمل اسمه كما كان ملك آشور نائبه ولا يستطيع أن يقوم بتنفيذ أى مشروع قبل أن يتلقى أمره ويقدم حسابا عنه . وعند عودته من كل حملة مثلا كان الملك يقدم له تقريرا اضافيا هو فى الحقيقة يوميات الحملة وسرد للنجاح الذى حققته . فاذا كان تجلات فلاسر هاجم كوماجين فما ذلك الا « لأنها منعت جزيتها وهداياها عن الاله آشور » . ويقول الأمير نفسه فى مكان آخر عن الشعوب المنهزمة : « لقد أخضعتهم لأشور مولاي وعددتهم ضمن رعايا آشور مولاي » وكما هى الحال فيما شهدناه فى بابل كانت كل مدينة مسكنا للمعبودات . ويشير سرجون الى « الآلهة الذين يقيمون فى كلسح » ، والآلهة والالهات الذين يقطنون سومير وأكاد » وبعد تدمير بابل يقرر أسار حدون أن « الآلهة والالهات الذين كانوا يقطنون فيها مسعدوا الى السماء على حين أخضع الناس الذين كانوا يعيشون فيها للخير والقيود » .

وكان يقوم على رأس المجتمع الملك والملكة وولى العهد . ولكل منهم مسكنه الخاص بموظفيه المتعددين . وكان الملك يمنح اسمه للسنة الاولى لولايته للعرش . كما يعطى « التورتان » او القائد الأعلى اسمه للسنة التالية وينلوهما فى هذا الشرف المشرف على القصر ورئيس السقاة وعشرات من الضباط الآخرين . ولقد احاط السرجونيون أنفسهم بجيش من الأخصاء والمقربين : كحامل الختم ورئيس الاحتفالات وأمين القصر وحامل المفاتيح ورئيس السقاة والمشرف على الحظائر وكبير الأطباء يعاونه طبيب مساء والطبيب الخاص للملك وكاتب القصر وكاتب الحرم ملك وكاتب الخطابات

الارامية وكاتب الخطابات المصرية ومفتش القصر وقائد القصر ورئيس الحرس وبستانى القصر ومفتش الحرمك والمشراف على القطعان ورئيس الخبازين وكبير الخصيان وحامل السيف وحامل الصولج ورئيس الصياغ ومدير الموسيقى ورئيس القصارين ورئيس النساجين ورئيس بوابى البوابة الرئيسية الخ .

وكان للملكة الوالدة وللملكة هيثة موظفين من الكتاب وحامل الختم ورئيس الرسل والنساجات الخ . أما ولى العهد فكان لديه - شأنه فى ذلك شأن الملك - بيت حربى وبيت مدنى . وكان يشرف عليه حاكم ريعوطه عدد من الكهنة ورجال الأعمال والمفتشين .

وكان الشعب ينقسم الى طبقتين : الأمراء والعبيد .

وكما هى الحال فى بابل كان للأسرة مكانتها فى آشور فكان من المعتاد أن تعامل أسرة العبيد كوحدة كاملة لا فردا فردا ، فاذا بيع فانه لا ينتقل وحده بل ان الصفة تتضمن فى الوقت نفسه زوجته وأولاده وبنته وأمه الأرملة وأخاه الأصغر ان كان لا يزال قاصرا فى حكم القانون . ولقد اشترى « أولولاي » من « نابواريبا » فى عام ٦٨٤ ق.م . بمبلغ ٦ مينا من الفضة العبد « كاند الانو وأبناءه الثلاثة وزوجته وابنتيه وأخاه وأولاد الأخ الذكور الثلاثة » كما باع « كيكيانو » رجلا وأمه الى « شوقا ايلانى » . وكما سلم « ياكارا احدى » مع ابنته . واننا لنجد فى عقد واحد معا : رجلا وزوجته وابنته ، ورجلا ومعه زوجته وأبناؤهما الثلاثة وزوجان وعبد بمفرده (١) .

ورغم أنه كان يشار فى معظم الأحوال الى رفيق العبد بالاصطلاح الشبه «امراه» فانه كان يطلق عليها كذلك كلمة «زوجة» وكلا الاصطلاحين يترددان على التبادل فى العقد المذكور . وكان السيد يختار بنفسه فى معظم الأحوال العبيد الذين يريد أن يزاوجهم : اشترى كاكولانو بنصف مينا من الفضة الفتاة « أبى دلالى » وزوجها من عبده « أولولاي » . وفى مناسبة أخرى نرى نفس الشخص يقوم بعملية مشابهة لمصلحة عبده « تارمو نازى » . وكان الزواج من امرأة واحدة هو القاعدة فى مثل هذه الزيجات كما هى الحال بين الأحرار . ومع ذلك فانه حدثت زيجات بأكثر من امرأة : فجدن نجد فى عقد من ٦٨٠ ق.م . خاص ببيع سبعة أشخاص أن يبدأ ببيع مع زوجته وأطفاله (٢) ولم يكن العبد يستطيع أن يمنح أطفاله اسمه فكان العبد يعرف باسمه وحده دون ذكر اسم أبيه .

XIV No 230, 235, 245, 246.

(١)

Ibid No 309, 308, 229.

(٢)

وكما هي الحال في بابل كان العبيد يستطيع أن تكون له أملاك خاصة منقولة وثابتة فكان يملك الحقول وحديقة وبيتا وعبيدا . وكان يستطيع كذلك أن يقوم ببعض العمليات من بيع وشراء قرض وشهادة شأنه في هذا شأن الرجل الحر . وكان له كذلك ختم يصدق به على الوثائق . وفي خلال تكتية « مردوك شاراو تسور » نرى عبدا ل « دادا ريماني » يبيع امرأة يمتلكها فينقلها الى « عبدونو » بن « كاكو لانو » رجل الأعمال المشهور الذي كثيرا ما يظهر اسمه في العقود التي ترجع الى عهد آشور بانيبال ولا تختلف محتويات اللوحة في شيء من العقود المتداولة المعتادة بين طرفين من الأحرار . وهناك عبد آخر باع حديقة في ٦٦٩ ق م . واعترف « نابو تاريتس » في عام ٦٧٩ ق م . وهو عبد ل « تسابانو » أنه تسلم ٢١٠ مينا من البرونز من « شانجو عشتار » بوضع حتمه (١) . والعقود التي وردت فيها أسماء العبيد كشهود كثيرة . فهناك عبد سع اثنين من أتباعه كان حاضرا وقت تحرير عقد مؤرخ في ٧٠٩ ق م . وهناك وثيقة سبقت الإشارة اليها بسبب النصوص الجزائية الواردة فيها والتي تطبق على من يحاول إلغاء الاتفاق . وقد ورد فيها من بين الشهود أحد عشر شاهدا من عبيد كبار رجال الدولة : وقد تم تحرير العقد : أمام باجاجي ، بيلاي ، او ردو ، آشور كاشوم . . . والأربعة جميعا من عبيد محافظ القصر وأمام لوكيماما ، شارو اقبى ، حلووسو . . . والسيلاثة جميعا من عبيد رئيس ماموري الاقوات . وأمام ايلي بالانسو اقبى ، وكناني عشتار وهما عبدان لحامل الختم . وأمام « تسبل اداداد » عبد « راب كرمانى » . وأمام « اكرو » جابى مكوس نينوى وأشور احي أوتسور ، أشوراي ، أردى عشتار عبيد . . . و « أمام شوما ايلاني » (٢) .

وكانت هناك طبقة هامة من العبيد تتكون من موالى الأرض . وحين كانت الأملاك التي يعملون بها يتغير أصحابها كانوا يضمون في عقد البيع وكان في معظم الأحيان يشار اليهم عائلة عائلة . ولقد اشترى « ملكي نوري » في عام ٦٦٨ ق م . مزرعة من « نابو شريب » بماليتها بحقواها وحداثتها وعمالها « واشترى « شوموايلاني » خمسة من الأرض بها ١٠٠٠٠ شجرة فواكه وبيتا و « حشانا » وأبنساء الأربعة وزوجته والمرأة دانجي وابنها وابنتها . . . أى ٩ أشخاص في المجموع .

وأحيانا كان الناس يؤخذون دون ضمان : وهكذا فعل « ملكي نوري » على ما يظهر الا ان المشتري كان يحتفظ أحيانا أخرى بمجموعة : فقد ورد في عقد بيع من دوجاوا وأبيه فقرة خاصة بالصرع والمطالبة .

Held Nos: 311, 300, 161.

(١)

CIX, 113, XXXIV, 464

(٢)

وإذا رهننت إحدى الممتلكات فإن العبيد كانوا يسلمون في نفس الوقت ثم يسترجعون عند السداد : ولقد تسلمت السيدة « أداتي » في عام ٦١٤ ضماناً عن ٢ مينا من الفضة ٠٠٠ لا قطعة أرض مساحتها ١٢ أيمر فحسب بل وكذلك العائلتين اللتين كانتا تزرعانهما واحداهما مكونة من خمسة أشخاص والأخرى من زوج وزوجة لا عقب لهما (١) .

وكان من المستطاع أحياناً أن يصل العبد إلى وظيفة عالية : ففي عام ٦٨٣ ق.م . نجد عبداً من عبيد بيت الملكة يصبح مفتشاً للمدن .

٢ - الجيش

كان ملك آشور يقود حملة في كل عام تقريباً في شهر تموز « الذي كتب سيد العلم الآله » ن ن ايجي أزاج « في اللوحة القديمة أنه فصل تجمع الجيوش وإنشاء المعسكرات » (٢) ومع ذلك فإنه لم يكن ليفعل ذلك أبداً دون استشارة الآلهة بإسطة العرافين الذين يقومون بدراسة أمعاء الذبائح ويتقبلون الأمر الإلهي في الأحلام . أو المتضلعين منهم في فن معرفة النجوم . وبعد أن يكون ولاية مدن الحدود قد أرسلوا غيونا إلى المقادلات المزعج مهاجمتها وتكون تقاريرهم دالة على أن من المقدر نجاح الحملة .

وكان الجيش مستعداً للسير تحت قيادة ال « تورتان » وهو أكبر موظفي البلاط وذلك حين لا يكون الملك على رأس جيوشه بنفسه . ويصف سرجون بالتفصيل تكوين جيشه في عام ٧١٤ وذلك في الخطاب الذي يقدم فيه للآله آشور تقريره عن الحملة الثامنة (٣) : فلقد استعرضه ثم واصل أمام سيبيريا التي يصفها وصفاً شعرياً : « أنها قمة عظيمة ترتفع مثل سن الرمح وتسمى فوق الجبال . هي مسكن « بعليت إيلي » الرأس الذي يمتد عليه السماء من أعلى ومن أسفل تمتد جذورها حتى تصل إلى وسط الجحيم . هي من الخارج كالسلسلة الفقرية للسحكة لا تدع مجالاً للبرور من ناحية إلى أخرى . الصعود عليها عسير من أمام أو من خلف . تنشق على جانبيها خنادق ووهاد حتى ليوحى منظرها بالرعب . وليس من الممكن أن ترقى إليها العربات أو الجياد الصافنات . هذا إلى مسالها الوعرة التي يصعب على المشاة اختراقها . ولكن بفضل سعة أفقها وما أوحى به إلى آيا وبعليت إيلي اللذان مدا في ساقى لأذل البلاد المعادية زودت مشاتي بمعاول برونزية حتى استطاعوا أن يجعلوا

XCIV No 472, 422, 429, 58, 447. (١)

XXI, III, p 3 (Traduction Thureau-Dangin) (٢)

Ibid, p 7. (٣)

سخور الجبال العالية تتطاير شظايا كأحجار البناء ومهدوا الطريق ورحلت على رأس جيوشي : وكانت العربات والخيالة والمحاربون على جانبي جعلتهم كنسور شجعان يطفرون فوق هذا (الجبل) وأمرت العمال من الجند أن ينبعونا وأما الجمال ودواب الحمل فكانت تقفز فوق قمته كما عز برئ ربيت في الجبال . وجعلت جيوش آشور الثقيلة تتسلق منحدراته الخطرة في سلام ثم أقمت معسكري على قمة هذا الجبل » .

واننا لنرى وفقا لما جاء بالتقرير بعد ذلك أن المشاة كانوا مسلحين بالأقواس والبعض بالرماح والدروع . وأما العمال من الجند ممن يقومون بالهدم والكشافون فقد حملوا البلطة والمول . ولم تكن هناك أدوات حصار ولكننا سوف نجد لها في ظروف أخرى .

وطبقا للنقوش التي كانت تزين الجزء الأسفل من حوائط القصور نستطيع أن ندرك أن المشاة الآشورية الثقيلة في الألف الأولى كان يضع أفرادها فوق رؤوسهم خوذة مخروطية مزودة بقطع جانبية لحماية الأذنين أما الصدر والجزء العلوي من الساعدين فكانا يغطيان بزرد من قشور محارية مروحية الشكل تلبس فوق الدثار . وكان يكمل الزي سراويل وأحذية طويلة . وكانت المشاة الثقيلة تتكون من مجموعتين : حملة الأقواس وحملة الرماح ومع كل منهم سيف قصير للحرب من قرب . وكان رجال المجموعة الثانية يحملون رمحا طويلا ودرعا أما من المعدن مستديرا ومحدبا أو من الخيزران المجدول مستديرا عند القمة ومستقيما فيما دونها . وأما حملة الأقواس فكان لديهم القوس والجمجمة المعلقة على الظهر . أما المشاة الخفيفة فكانت تضم كذلك حملة الأقواس وحملة الرماح . ولكن حملة الأقواس لم يكونوا يلبسون الزرد . وكان حملة الرماح يضعون الخوذات التي تنحني من أعلى إلى الخلف كما يحملون درعا صغيرا من الخيزران المجدول .

ومن النادر أن نجد الفرسان قبل حكم سرجون . وكانت معداتهم تشابه معدات المشاة وكان تسليحهم طلق الأصل تقريبا ولكن القوس كان أقصر على حين كان الرمح أطول ولم يكن للمدرع وجود . وكان الفرسان الأوائل يركبون الخيل دون الاستعانة بالسرج ويسحب كلا منهم خادما يركب مثله ليقود الجواد أثناء المعركة . ولقد غطيت الحيوانات فيينا بعد في زمن آشور بانيبال بسروج وحلي واختفى الخادم نتيجة لتقدم فن الفروسية .

وكانت عربة الحرب المركبة فوق عجلتين خشبيتين عاليتين تتكون من صندوق يعتمد على المحور (الدنجل) مباشرة وكان جسمها مكونا من لوحات مزينة بالنقوش والتطعيم . وكان العربود ثقيللا وينتهي بطرف

معقوف تزيينه زهرة أو رأس حيوان • وكانت تتصل به أربطة من القماش أو الحبسال لتربطه بصندوق العربة ولتخفف من الثقل على النير • أما استخدام العريش فلم يكن معروفا ولذا فانه كان من الضروري استخدام حصانين لجر كل عربة • وكان يحتاج الى واحد أو اثنين آخرين احتياطيين • وكانت عدة الخيل خفيفة وكان يضاف اليها أحيانا بعض السروج أو الزينة • وكان يركب العربة ثلاثة رجال : ويركب السائق الى اليسار لقيادتها والمحارب المسلح بالعربة أو القوس والخادم الذى يحميها بدوع (١) وكان لواء المجموعة يربط الى واحدة من هذه العربات : وكان عبارة عن عصا طويلة تعلوها عجلة توضع بداخلها حيوانات مقدسة أو صورة الاله (٢) •

وكانت المراحل الهامة فى كل حرب تمثل فى نقوش القصر الملكى • وهناك مثلا قصة حصار مدينة محصنة فى بلاد جبيلية على ضفة نهر ، فان هذه المدينة تمثل - حسب أهميتها - بباب سرى بين برجين أو خط مزدوج من التحصينات أو أحيانا ثلاثة صفوف من الأسوار •

أما الجبل فبرمز له - كما هى الحال فى الفن السوميرى - برسم هندسى على شكل قشور وان كان بالاقليم غابات فان بضع أشجار توضع فى المنظر - وكان المجرى المائى طبقا لنفس التقاليد - يمثل بتموجات وحازونات تسبح فيها الأسماك • أما المحاصرون فيمثلون بصورة شخص أو أكبر نهر من كل برج (٣) •



(شكل ٤٣) حصار مدينة محصنة (لصر سرجون : نثلا عن بوتا : آثار نينوى) •

XCVIII I, pl. 28.

(١)

Ibid I, pl 14.

(٢)

(١) ل. ا. ا. ش. ٤٣ •

واننا لنرى « أشور ابلا » أمام مدينة راكبا عربته التي تجرها
جياذ مدرعة يدرك بها العدو كما نرى عربة الخصم المقهور مقلوبة يهتز
أحد جياذها يسقط . أما السائق الذي اخترق جسده سهم فانه ينهار
ساقطا الى الأمام . ويسقط المحارب الى الخلف تحت عجلات العربة
الملكية (١) ، ونرى الاله أشور من فوق الملك يشترك في العراك كما نرى
على الأرض النباتات تطؤها حوافر الخيل وهي ترمز الى المحسولات والكلأ
الذي أتلّف ، ويشاهد كذلك في غابة صغيرة نزال فردي ينتهي بانتصار
الأشوري وفي رسم آخر نرى محارباً مسلحاً بسيف يحميه درع من
الخيزران يطعن عدوه طعنة نافذة فيسقط ويدركه زميل لاسعافه .



(شكل ٤٤) « أشور نيرابلا » أمام مدينة محصنة
(نقلا عن لايار . آثار نينوى الجزء الأول لوحة ١٣)

ومع ذلك فان الملك ينزل من مركبته (٢) ويحارب مع الشاة وينفسم
المحاصرون الى فريقين أحدهما يشك القوس والآخر يحرس المدخل .
أما الجند العمال الذين يأتزون بالزرد فيهاجمون أسفل المائط بمعاولهم
ويحاولون هدمه . وفي ناحية أخرى نرى آلة هدم الأسوار المحولة
بما يشبه سقفا على شكل شبكة من الأنصمان تهز الحائط وندم الى
تساقط كتل ضخمة منه . ويحاول المدافعون إمسائها بسلسلة ضخمة
وذلك بهزها محاولة فصاها من سقفا . أما المحاصرون من ناحية أخرى
يمسكون بالآلة بواسطة خطاطيف ليستطيعوا الاحتفاظ بها وهناك برج
على عجلات استحضر قريبا من الأسوار ومن فسه يفوق حملة السهام

(١) انظر شكل ٤٤ .

(٢)

سهامهم ويجيب العدو بمشاقة متأججة محاولا اشعال النار في الآلة .
ويستقط بعض المدافعين من قمة الأسوار الى الهوة . أما السكان المدنيون
فيمثلهم امرأتان في أعلى أحد الأبراج يبدو عليهما اليأس الواحدة تمزق
شعرها والأخرى تمد يديها ملتزمة الرحمة .

ثم يصدر أمر الهجوم الأخير (١) فقد أحضر الأشوريون المراقى ولم
يبق لدى الحامية بعد أن نفذت سهامها سوى بضعة قطع من الأحجار .
ويستمر الملك في التصويب متسترا بدرعه على حين ينجح أحد الجنود
العمال في صدع الحائط وعمل ثقب فيه وينفذ منه ليكون من أوائل من
يدخلون الى المدينة المستولى عليها .

وهكذا انتهت المعركة وانتصر الأشوري فما هذا الذي سيفعله بعد
ذلك ؟ لقد اضطرت تجلات فلاسر الأول الموسكيين فيما مضى الى التماس
الصالح وهم قوم كان قد أخضعهم توكولتى اينورتا من قبل واستردوا
استقلالهم منذ ستين عاما . إننا نراه يقطع الرؤوس ليتوج بها أعلى الأسوار
المهدمة المدهمة ويحطم القصور ويجرق القرى ويأسر النساء والأطفال
ويستولى على المعبودات ويأخذ من الممتلكات كل ما يستطيع أن يضع يده
عليه ويخصص جانبا منها لآلهة آشور ويحتفظ بجانب آخر لنفسه ثم
يترك الباقي لجنده . فان سأل العدو الرحمة فرض عليه جزية سنوية
تزداد قيمتها حسب مبلغ اجتياح أراضيه .

ولقد أحرق توكولتى اينورتا المدن وأضرم النار في المحصولات
والبساتين . وقذح آشور نيسير ابلا ، رؤوس القتلى وجعل منها أهراما ،
ولم تأخذه شفقة بمن سقوا عصا الطاعة على حكمه فسلبهم أحياء والصق
جلودهم على حوائط المدينة كما دفن آخرين أحياء في البناء ووضع غيرهم
فوق الخوازيق على طول المتاريس ويمثل نقش في قصره (٢) العودة
المظفرة من حملة ناجحة : تدخل عربات الأشوريين في مشية هادئة ويعد
الكتاب رهوس العدو . أما الموسيقيون فيحتفلون بالنصر على القيثارة ويسهم
في الغزاة النصر الذي صحب الجيش المنتصر في مطاردة العدو (٣)
فمحبل في مخالبة رأس واحد من المهزومين وفي عام ٨٧٩ ق م . يفخر
الملك بمطعم أبدى ٢٠٠ أسير سقطوا أسياء في يده ويقول : « لقد تهائل
رجهى فوق الخرائب . . . واني لأجد راحة في اشباع غضبي » وقد حمل

Ibid, pl. 20.

(١)

Ibid. pl. 22.

(٢)

Ibid pl. 14.

(٣)

هو كذلك الى آشور المعبودات المنهزمة . واننا لنرى على بعض النقوش أربع مجاميع من الحماليين يحملون تماثيل اله الرعد والهات ثلاث أخريات (١) : واحدة فى مزارها وأخرى جالسة متوجة بالداج ذى القرون ممسكة بحلقة فى كل من يديها والثالثة جالسة على عرشها ويميزها رأس حربى وحلقة . وفى مكان آخر نرى الأسرى والغنائم (٢) : حيث يتقدم ضباط الملك أزواجاً وأيديهم معقودة علامة الاحترام طبقاً لعادة سارية منذ أمد طويل كان قد استنهما السوميريون أكاديون . وخلفهم قائد شاب يسوق الأسرى : وفى المقدمة قائد موثق بحبل يقوده محارب يمسك به من شعره بيده اليمنى ويدفعه . وهناك ثلاثة من الأسرى وأذرعهم مقيدة من خلف ومربطين الى بعضهم بواسطة حبال ويقودهم جندى مساح بقوس ويمسك عصا كأنه يهيم بضربهم . أما الغنائم فموزعة فى الميدان من اوان وصحاف وقدر وأبواق وسبائك من المعدن وقطع من القماش .

ولم يكن شلمنصر الثانى بن « آشور نتسير ابلا » بأقل قسوة . فقد وطىء « أورارتو » « كثور رى » وحول مدينها الى أكوام من الخرائب ، كدم كوم أهراما من الجماجم ووضع المهزومين على الخوازيق وأحرق القسرى واقتلع المزروعات واجتث أشجار الفواكه فى البساتين وأطلق نفسه على سبجيتها فى مساكن العدو فاغتصب الكنوز وانهبها ولم ير حبل حتى أضرم النيران فى كل ما لم يستطع أخذه معه . وفى نقوش برونزية من « بلاوات » نرى الأسرى الذين سقطوا فى سروجونيا - إحدى مدن أورارتو - يسرون فى صف عرايساً وأيديهم مقيدة خائف ظهورهم وأعناقهم مربوطة الى أطواق خشبية . وبالقرب من مدينة أخرى من نفس الاقليم نجد المدافعين على الخازوق ونجد رهوس المهزومين مكومة وجنود الأشوريين يعملون جاهدين فى قطع الأشجار . ولكن ربما كان شلمنصر إذاد أقل قسوة ، فانه وان أشعل النيران فى المدن بعد أن نهبها الا أنها لا نراه يفخر بذبح الشعوب التى سقطت بين يديه بل ان يشفع بنفسيهم الى آشور وانزالهم الى مرتبة العبودية وتوزيعهم على جنوده .

أما تيجلات فلاسر الثالث الذى اعلى العرش عام ٧٤٥ ق.م . فانه يحب أن يشير الى التدمير الكامل للمدن المهزومة حتى أنها أصبحت فى مستوى الأرض المحيطة بها . وقد أمر كذلك بقطع الأشجار ودمار زعماء الثوار على الخوازيق . ومع ذلك فاننا نراه قد استمر بخطة جديدة للاستعمار : اذ نفى سكان الاقاليم المهزومة الى أقطار أخرى من الامبراطورية وحاول بهذه الطريقة أن يخلق شعباً واحداً بمزج جميع الأجناس بهذه

Ibid pl. 65

(١)

Ibid pl. 21

(٢)

مع البعض الآخر وعين حكاما فى المدن التى أخضعت حديثا ولم يدمرها
وأقر بها سكانا جددًا تحت حكمهم .

وهكذا فعل سرجون : فقد استولى فى بداية حكمه على سناماريا
عاصمة مملكة اسرائيل التى ظل يحاصرها الجيش الأشورى مدى ثلاث
سنوات وقد طرد أغلب سكانها الى حدود ميديا وحل محلهم سكان جدد
استحضروا من شمال سوريا وقد دعمت جموعهم فيما بعد بالعميلامين
والعرب والبابليين . وكان يتصرف فى كل حالة على حدة كسياسى حاذق
ويستغل الموقف أروع استغلال اما بإبقاء أحد هؤلاء الأمراء المحليين للقليم
المهزوم مولى له فيه أو بتعيين أحد ضباطه حاكما ولكنه كان - اذا تبين له
أن ليس من الممكن تثبيت حكمه بوسائل أخرى - لا يتردد فى أن يبذر
بذور الارهاب ويهدم كل شئ فكان يجهت المحصولات ويقطع الأشجار
ويحرق القرى . وقصة حملته الثامنة تقدم دليلا على الخرائب التى
أحدثتها فى طريقه : ها هو ذا قد وصل الى أرض أرماريللى (١) « غزوت
سبع مدن محصنة مع ثلاثين قرية مجاورة لها عند سفح جبال أوبانديا
خربتها وقوضتها جميعا وسويتها بالأرض ، أما أخشاب سقوفها فقد
أضرمت فيها النيران وحولتها الى شعلة وفتحت المخازن التى كانت الحبوب



(شتل ٢٥) موت نبوسان ملك بيلام (تنالا عن لايار : آثار نينوى - الجزء الأول)

Layard-The Monuments of the Assyrian

XX, I, III, p. 43 - 45.

(١)

أكواما بداخلها وأعطيت لجنودى الغلال التى كانت مخزونة فيها لياكلوا
وأشعلت النار فى المحصول الذى كانت عليه حياة الناس واليابس من
الأعشاب الذى كان مخصصا لطعام الحيوانات . . . وخربت الاقليم فقطعت
مزروعاته ومحوته غاباته وكومت جذوع الأشجار ثم أضرمت فيها النيران .
» وبعد أن استولى على قلعة يوياييس وقتل المحاربين أمام البوابة الكبيرة
كالحمالان « (١) وحين فكر فى العودة الى أشور اعتزم الاغارة على مدينة
» موتساتسير « واستطاع الملك « أورزانا » أن يهرب ، ولكن زوجته وبناته
وأولاده وقعوا بين الأشوريين مع غنائم ضخمة .

وهناك نقش فى قصر دور شاروكين (٢) ، يبين معبد الاله هالديا
والجند يحملون الغنائم منه . ومن بين الأشياء التى وصفتها قائمة
الغازى (٣) دروع مزينة برأس كلب بكشر عن نابه واحواض للسكائب
(للاهراق) وتمثال بقرة ترضع صغيرها منحوتة من الحجر .

أما سناخريب فلم يتردد فى وضع القواد المهزومين فوق الخازوق
وأن يحيل المدن المدحورة الى رماد . وكان يدخل الفرع الى نفسه أن يجعل
دخان الحرائق يصعد الى السماء كتضحية ترضى الآلهة . ولما تمت له هزيمة
اتحاد « شوزوبو » مع العيلاميين قطع أيدي الجند الذين سقتلوا بين يديه
حتى ينتزع من معاصمهم الأساور التى يلبسونها .

وقطع « أسارحدون » رأسى « عبدى ملكوتى » ملك صيدا وحليفه
« سائند وارى » ولكن لم يظهر فرحه كما فعل غيره من الملوك بوصف
المذابح والنهب والحرائق فى حولياته . ذلك لانه كان ابن امرأة بابلية
ويظهر انه كان لهذا السبب أكثر إنسانية ورحمة فى كل المناسبات .

أما ابنه أشور بانيبال فلم يكن هناك — على نقيض أبيه — أشد منه
قسوة فكان يقطع رؤوس المهزومين ويشق شفاهم ثم يرسلهم على صورتهم
المشوّهة هذه الى أشور كى يرضوا فضول شعبه السقيم ، ولقد أشرف فى
بابل على مذبحه بشعة هدفها « ارضاء قلوب الآلهة » وقد قطعت السنة
بعض الأسرى ومزقت أوصال آخرين لتلقى طعاما للكلاب والذئاب
والخنازير وجوارح الطير فى السماء والأسماك فى القنوات وقد أطلقت يد
الجيش بعد الاستيلاء على سوسه مدى أكثر من شهر ينهب الاقاليم المحيط
بها . وقد وزعت كل الثروة التى جمعها ملوك عيلام بين العابد والجنود .
وقد أمر الحاكم بنهب قبور الملوك الأقدمين وحمل عظامهم حتى تحرم

ibid, p. 47.

XXXVII, t. III, p. 148.

XX t. III, p. 50, 53.

(١)

(٢)

(٣)

أرواحهم من الراحة الى الأبد وكان ينظم عقب كل حملة دخول موكب النصر الى العاصمة مصحوبا بالتراتيل والموسيقى . وفى نهاية الحملة الثامنة نرى « دوناتو » الجمبولى يظهر فى الموكب وهو يحمل على رقبتنه رأس « تيومان » ملك عيلام التى كان مقدرا لها أن تعرض على إحدى بوابات نينوى كبرهان على قوة آشور . وهى تظهر مرسومة مرة أخرى على أحد النقوش معلقة على شجرة فى حديقة يستريح فيها الملك مع ملكته ، وقد اقتيد « دونانو » نفسه الى اربيل وقطع لسانه وسلخ جلده وأحضر على هذه الصورة الى نينوى عريان متجردا واقتيد الى مكان الذبح وقدم ذبيحة كـ « حمل » .

٣ - الأسرة

كان شأن الزواج بين الأحرار فى آشور شأنه فى بابل يقتصر فى العادة على زوجة واحدة ولكن الأسرة فيه كانت تكون خلية أقل تماسكا . وكانت الفتاة تحت السلطة المطلقة لأبيها ولم تكن لتستطيع أن تتزوج دون موافقته حتى ولو كانت فى خدمة شخص آخر رهنا لدين . وكان من الواجب على اخوتها عند موت أبيها أن يحرروها وأن يحضروا لها بائنة فإن لم يفعلوا لفترة معينة فقدوا كل حق لهم عليها واستطاع الدائن أن يحررها ويتزوج منها . وكان حق الوالد يصل الى حد تزويج الفتاة من رجل انتهك عرضها قسرا ان شاء الأب ذلك (١) .

وكانت الخطبة تتضمن احتفالا يصب فيه الخطيب عطورا على رأس الفتاة ويقدم هدايا من الحلوى وأشياء أخرى ومواد غذائية . ومنذ هذه اللحظة تصبح الخطيبة مرتبطة ببيت حميها . واذا مات الخطيب قبل الزواج أو اختفى فسانها لا تسترد حريتها بل تسلم الى من يريد لها من اخوته البالغين ، أما اذا مات حموها ولم يكن لخطيبها اخوة فعليها أن تتزوج من أحد الأحفاد اللائقين للزواج فان لم يوجد من بينهم واحد وصل الى السن الشرعية - التى كانت عشر سنوات - فان والدها يستطيع فى هذه الحالة فقط أن يزوجه من أسرة أخرى بشرط إعادة «بيع» هدايا الخطبة ما عدا المواد الغذائية . واذا حدث أن ماتت الخطيبة فليس من حق الخطيب أن يلزم بالزواج من إحدى اخواتها فان لم يطلبها أو يعطى أحدهن فله أن يسترد هدايا فيما عدا المواد الغذائية . ومن المستطاع أيضا فسخ الخطبة على أن يؤدي ذلك الى نفس النتائج السابقة ان مات أحد اخوة الخطيب تاركا زوجة يجبره أبوه على الزواج منها (٢) .

LXXIII lois 49, 56.

(١)

Ibid 23, 24, 44, 32, 31.

(٢)

والعقد التالى المحرر كعقد بيع عبد يكشف عن أن الزواج بالشراء أحيانا:
كان عادة متبعة فى الحكم السرجونى (١) :

« ختم » نابورھتو أوتسور « بن « اھارتیش » ال « حاسا » فى أیدی
« اردی عشتار » من قرية الغسالین • وختم « تبتای » ابنه وختم « سلیم
اداد » ابنه أصحاب الحق على أختهم التى یسلمونها • « نلیل هاتسینا »
أخت « نابورھتو أوتسور » اشترتها السيدة « نهتشاراو » بثمن قدره ١٦
شاقلا من الفضة لابنها « تسیها » لتصبح زوجته • وقد تسلمتها فهي
زوجة لـ « تسیها » وقد دفع المبلغ بالكامل • وان حدث مستقبلا فى أى
وقت أن عارض أو طالب سواء كان « نابورھتو أوتسور » أو أولاده
أو أحفاده أو قاربه الأبعدون أو أولادهم أو وصیه أو أى واحد من رجاله
أو رفع قضية أو قدم تظلما ضد السيدة « نهتشاروا » أو أطفالها أو أحفادها
فان ذلك الرجل يدفع ١٠ مینا من الفضة • وان باشر القضية فانه
لا یحكم له •

« ساهیبامو المراكبى وبل شوم ادين بن « ایلی أودان نینسانى » ،
أشدى نلیل ابن اتی الغسال ٠٠٠ الثلاثة « اتباع » المرأة • وای ادعاء
للخدمة أو الحجز أو الديون یكون الضامن كارمیونى — بحضرة اھارتیش ،
نابنیتو ، اردی نانای ، بوتوم هیشی ، هاشبأبنوشی وبعل شمار
أوتسور ٠٠٠

الأول من ایلول فى العام المسمى باسم « اشور ماتو توقین » •

« بحضرة نور شماش ، بوتو بایتی ، نابو نادین اھى الكاتب » (٢)
وكانت المرأة المتزوجة تسكن أحيانا تحت سقف بيت أبيها وفى أحيان
أخرى كانت تعيش فى بيت زوجها • وكان الزوج فى الحالة الأولى
« يدفع لها » دوماكى • وهو حصه فى النفقات العادية للمنزل • كما كان
أحيانا يحتفظ لها بـ « نودونو » أو (صداق) وتصبح هى فى هذه الحالة
متضامنة معه فى ديونه والتزاماته • وهو أخيرا قد یعطيها « ترهاتو »
يصبح ملكا خاصا بها فى حالة الطلاق • وحمو مثل هذه المرأة قد یضيف
الى ذلك « زوبوللو » وهى هدية من الرصاص والفضة والذهب والأكولات •
أما حين تذهب الزوجة لتعيش مع زوجها فنان بائننها « شركو » وكل

(١) XCIV Nos 324, 307, 07, 137, 100, 232, 242, 24F. CIX No 655.

XCIV No 307.

(٢)

ما أحضرته من بيت أبيها وكل ما قدمه لها حموها كل ذلك كان مضمونا أن يصبح من حق أولادها وليس لاخته زوجها أى حق فيه (١) .

ولم يكن يسمح للمرأة المتزوجة الحرة أن تخرج الى الشوارع دون ان تغطى رأسها وكان ذلك منبعا على الأقل فى فترة معينة فى الألف الثانية . وكانت بناتها يضعن كذلك غطاء رأس طبقا للعادة المتبعة . وبهذه الوسيلة كان يمكن تمييزهن من عاهرات المعابد والمومسات والاماء ولم يكن يسمح للمحظية « ايسرتو » أن تضع غطاء الرأس فان رغب زوجها فى أن يرفعها الى مرتبة الزوجة فانه كان عليه أن يحجبها أمام خمسة أو ستة شهود قائلا « هذه هى زوجتى » (٢) .

وقبيل نهاية الألف الثانية لم يكن من حق المرأة المتزوجة ان تبشر أى عمل لا يديره زوجها أو أولادها أو أحد اخته زوجها . كما أنه لم يكن يجوز لها أن تأخذ شيئا على سبيل الاعارة من شخص خارج عن دائرة الأسرة . وكان الرجل الذى يتعامل معها يعد مجرما حتى لو أقسم أنه لم يكن يدري أنها متزوجة : وكان عليه أن يدفع للزوج فى الحالة الاولى ٢ مينا من الرصاص وفى الحالة الثانية كان المتهم يلقي فى الماء دون قيد يقيده فان نجا من الغرق كان الزوج يوقع عليه نفس العقوبة التى يفرضها على زوجته (٣) . وكان للزوجة فى العهد السرجونى شخصية مدنية أكثر اتساعا ومع ذلك ، فان ورود ذكرها فى العقود أقل بكثير من زميلتها المرأة البابلية . وفى ٦٩٢ ق م . كانت « امات سولا » زوجة « بعل دورى » تمتلك بالاشتراك مع رجلين بيتا غير مقسم فى مدينة ببنوى - وقد باعته دون تدخل من زوجها . وقد اشترت أم قتاة لتجعل منها زوجة لابنها كما باعت أخرى ابنتها للسيدة « أهى تسلى » . وقد اقرضت امرأة مالا أو شعيرا واستردت أخرى حقلا كان مرهونا وكانت المرأة تستطيع أن تشتري أو تباع العبيد وأن تظهر بين المتقاضين .

وكانت عقوبة الزوجة الزانية شديدة . ولم تكن زوجة الرجل الحر تعد مجرمة ان اغتصبها ذكر كرها فى مكان عام . أما المعتدى عليها فكان يحكم عليه بالموت ان ثبتت عليه الجريمة . أما ان خانت امرأة زوجها وزارت مسكن عشيقها فقد كان يحكم على كليهما بالاعدام . وان كانت لها علاقات محرمة برجل فى مأخور أو مكان عام فان زوجها كان يوقع القصاص عليها ويلقى العشيق نفس العقوبة ان كان يعلم أن المرأة

LXXIII Lois 28, 33, 31, 32.

(١)

Ibid, 41, 42.

(٢)

Ibid, 22, 23.

(٣)

متزوجة ولكنه لم يكن يمسه شيء ان كان يعتقد أنها غير متزوجة . أما ان ضبط الاثنان في حالة تلبس ، فانه يصفح عن غضب الزوج ان هو قتلها .
للتو . أما ان استدعاهما أمام القضاء فانهما يقادان الى القصر وعلى الزوج أن يثبت الجريمة وان هو حكم على زوجته بالاعدام فان الرجل كان يلقي نفس المصير . وان قطع أنفها فان شريكها يخصى ويشوه وجهه .
وكان من حق الزوج أن يعفو عن الاثنين . وكانت مغازلة المرأة المتزوجة تعود عليها وحدها بالتكدير فان انحطت الى الزنا فان الاثنين يلقيان نفس العقوبة (١) .

واذا ارتكبت جريمة الزنا في مسكن امرأة أخرى متزوجة فان القانون ميز ما بين أمرين : الأمر الأول أن يكون ذلك برضى الزوجة والأمر الثاني أن يكون ذلك بالاكراه . وفي الحالة الأولى كان للزوج أن يوقع نفس العقوبة على الزوجة وشريكها وصاحبة البيت . وفي الحالة الثانية كان يحكم بالاعدام على الرجل وصاحبة البيت . أما الزوجة فلم تكن توضع عليها عقوبة ما ان كانت قد أخبرت الزوج بما حدث (٢) .

وعلاوة على ذلك يظهر أن المادة الآتية خاصة أيضا بالزنا (٣) حيث تتناول حالة زوجة رجل حر تترك منزل الزوجية واعتادت زيارة مسكن امرأة أخرى متزوجة فاذا كان رب البيت الذي تتردد عليه لا يعرف أنها متزوجة فان صاحبة البيت التي آوت الزوجة تصلم أذناها بعد أن تستعاد الزوجة . أما زوج صاحبة البيت فقد يستطيع افتدائها ان دفع ثلاث ورنات ، و ٣٠ شاقلا من الرصاص . ويضاعف هذا التعويض ثلاث مرات ان كان يعرف أنها متزوجة . وان عارض الزوجان أو أحدهما فانه يابجا الى التعذيب بأن يلقي في النهر . فان عاد صاحب المسكن يدفع ثلاثة أمثال التعويض أما اذا كان العائن هو الزوج ، فانه يستطيع أن يوقع العقوبة على زوجته .

وان قال رجل لآخر في هدوء ان زوجته ليست بعفيفة ثم لا يستطيع أن يثبت ذلك عن طريق الشهود فانه يعرض نفسه لأن يقبض ويبقى به في دجلة . أما ان كان ذلك قد حدث أثناء مشاجرة وعلمنا فان ذلك يعد طرفا مخففا اذ يعاقب القاذف بخمسين ضربة عصا ويؤدي عملا شاقا لمدة شهر في السخرة الملكية ويدفع وزنه رصاصا ويشوه تشويها واحدا . وكانت

LXXXII tom. 12 à 15.

Ibid, fol 24.

Ibid, fol 25.

(١)

(٢)

(٣)

نفس العقوبة من نصيب من يتهم آخر بعبادات شاذة دون أن يستطيع أن يقدم الدليل على ذلك (١) .

وكان الاجهاض جريمة يعاقب عليها فى كل الحالات طبقا للقانون. الأشورى . وكانت المرأة التى تتهم بأنها أجهضت نفسها يحكم عليها بأن توضع على الخازوق وان ماتت قبل تنفيذ الحكم فيها تحرم من الدفن . وان اتهم رجل بأنه ضرب ابنة رجل حر ضربا أفضى الى اجهاضها ، فانه يدفع وزنتين من الرصاص ويضرب خمسين ضربة بالعصا ويؤدى عملا شاقا لمدة شهر فى السخرة الملكية . وفى حالة زوجة الرجل الحر فى حملها الأول. يدفع المعتدى وزنتين من الرصاص . واذا لم يكن لزوج المرأة المضروبة طفل آخر أو ان هى ماتت فان المعتدى يقتل وفى كل الحالات عليه أن « يحل محل الكائن الحى » مهما كانت مدة الحمل . وفى حالة العاهر يضرب المعتدى بضربة وبضربة وعليه كذلك أن « يحل محل الكائن الحى » (٢) .

والى جانب الزوجة الشرعية كان القانون يسمح بمحظية أو أكثر يطلق عليها اسم « ايسرتو » وكانت تغطى رأسها حين تصحب سيدتها فى الشارع . وفى كل الظروف الأخرى عليها أن تلبس مثل الخادم ما لم ترتفع الى مرتبة الزوجة حين يغطى رأسها سيدتها فى حضرة خمسة أو ستة شهود . وليس لأبناء المحظية حق فى تركة الأب اذا كان للزوجة المحببة أطفال (٣) .

وكانت المرأة المتزوجة تسترد حريتها ان طلقها زوجها أو ان غاب. أو اختفى لأكثر من خمس سنوات وتقريبا - دائما - ان مات .

ويظهر أن الطلاق لم يكن خاضعا لى قيد قانونى بل لم يكن الزوج مازما بإعطاء أى شىء للزوجة التى طلقها اذا كانت قد عاشت عنده . ويظهر أن المقتنيات التى كانت قد أتت بها الى المنزل تظل فى هذه الحالة تحت تصرف أبنائها . أما اذا كانت قد ظلت فى بيت أبيها فان الزوج يسترجع ال. « دوماى » ولكنه يترك لها ال. « ترهاتو » (٤) .

Ibid Iols 17 à 19.

(١)

Ibid Iols 21, 52 à 54.

(٢)

Ibid Iols 41 et 42.

(٣)

Ibid, Iols 30, 39.

(٤)

وكان الغياب الذي يمتد أكثر من خمس سنوات سببا من أسباب الغاء الزواج وخاصة حين لا يكون لدى المرأة ايراة خاص أو أولاد يستطيعون أن يكفوها حاجتها . وكانت تعطى لها « لوحة ترمل » وابتداء من السنة السادسة تذهب لتعيش مع الزوج الذي تختاره فان عاد الزوج الأول واستطاع أن يبرر غيابه بظروف قهرية فإنه يستطيع أن يستعيد حياته الزوجية بشرط أن يقدم بديلة عن زوجته للزوج الثانى (١) .

وكان الأمر كذلك بالنسبة لمن يرسله الملك لخدمته فى الخارج فان كانت زوجته لم تنتظر مدى خمس سنوات كاملة قبل أن تتزوج مرة أخرى فان الزواج الثانى يعد لاغيا والأطفال الذين يولدون من مثل هذا الزواج يصبحون بحكم القانون أبناء وورثة الزوج الأول عند عودته الى أشور (٢) .

وحين يسقط رجل فى أيدي العدو فان على زوجته أن تنتظره عامين حتى ولو لم يكن لها ابن أو حمو يسد حاجاتها . أما من كانت من موظفات القصر فإنه يقدم لها الطعام مقابل خدمتها . أما ان كانت امرأة من الشعب فان عليها أن تتقدم الى المحكمة لتلتمس منها أن يخصص لها رؤساء المدينة كوخا على قطعة من الأرض تزرعها مدى عامين وتحدد حقوقها كتابة . وفى نهاية العامين تعطى « لوحة الترمل » ، التى تسمح لها بعقد زيجة جديدة . فان عاد الزوج المختفى الى بلده فإنه يستعيد زوجته ولكن لا يحق له فى الأطفال الذين أتوا نتيجة الزواج الثانى . أما بالنسبة لخدمة الأرض الممنوحة لزوجته لمساعدتها ، فان الرجل يدفع ثمنها بالشروط المنصوص عليها ويصبح مالكا وذلك فى حالة عدم عودته للخدمة العامة بجيش الملك وحين لا يرجع الزوج فان العقار يرد الى المدينة ولا يحق للزوج الثانى أن يحتفظ به .

ولم يكن موت الزوج ليعطى المرأة الحرية دائما ففى بعض الحالات كان عليها أن تتزوج من حميها أو أحد اخوة زوجها من كان قد مات من قبل . ولكن لم يتزوج أو أحد أبناء زوجها الذى كان ثمة زيجة أخرى . وكانت الأرملة تستطيع بعد موت زوجها أن تعيش مع أولادها فان لم يكن زوجها قد ترك لها شيئا بموجب صك مكتوب فإنه كان عليهم إعالتها . وان كانت زوجة اريجة ثانية ولم يكن لها أطفال ، فان أبناءها من الزواج الاول هم

Ibid, cols 30, 30.

(١)

Ibid, col 37.

(٢)

الذين يعولونها ولكن ان كان لها اطفال ولم يرد اولاد زوجها من الزواج
الأول التكفل بها فانها تقوم بخدمة أبنائها مقابل طعامها (١) .

وحين تتزوج الأرملة من زوج ثان فان كل ما يأتى به يصبح ملكا لها
ان اتى ليعيش فى بيتها . أما ان كانت الأرملة هى التى تنتقل لبيت
زوجها الثانى فانها تفقد حقوقها على كل ما تملك مما أتت به الى بيته
لمصلحته وان لم تحدد التزاماتها بمقتضى لوحة اذ ذاك فانه لا يستطيع
طردها بعد مرور عامين من الحياة الزوجية . أما أبناء الزوج الأول الذين
يربون فى بيت الزوج الثانى فانهم يعتبرون من أسرة أبيهم ويحتفظ لهم
بنصيبهم فى تركته ما لم تكن لديهم لوحة تبين تفصلهم عن أسرهم السابقة
وتضمهم الى ذرية زوج أمهم (٢) .

وقد يفقد الرجل زوجته تطبيقا لقانون الأخذ بالثأر فان كان مثلا قد
اغتصب فتاة فان والد مثل هذه الفتاة يستطيع أن يأخذ زوجة المغتصب
ويجعلها تمارس الدعارة ولا يعيدها الى زوجها (٣) .

وكانت الأسرة - كما هى الحال فى بابل - تحت ولاية وسلطة رئيس
واحد هو الأب أو أكبر الأبناء - فى حالة عدم وجوده - واذا كان الأطفال
صغارا ومات والدهم فان الأم تعتبر وصية عليهم . ومع ذلك فانه توجد
اختلافات جوهرية : فان قانون حمورابى فى بابل فى القرن العشرين قبل
الميلاد يقوم دليلا على وجود حقوق شخصية واسعة المدى ، بينما نرى أن
العادات المتبعة خلال الفترة السرجونية ترجع بنا الى مرحلة اجتماعية أقل
تقدما من ذلك مثلا السيادة المطلقة المخولة لرئيس الأسرة لبيع أطفاله وربما
أيضا لقتلهم .

وقد اشترى « أبالايا » فى عام ٦٩٤ ابن « زونبو » بمبلغ ٢ مينا من
الفنسة بضمانة ضد الصرع . كما دفعت السيدة « أهى تالى » فى سنة
٦٨٧ نصف مينا للسيدة داليا ثمنا لابنتها « أنا أبى دالاتى » . وفى عام
٦٦٨ باع « مانوكى اربايلى » أخته « بيليكتو » الى السيدة « زاربى »
وأدرج فى وثيقة البيع النص الخاص بالصرع والمعارضة وكذا النص
الجزائى الخاص بالعقوبات ضد من يعارض فى الصفقة باسم البائع والذى
يقضى بدفع عشرة أمثال المبلغ المنصرف وأن يقدم عشر مينات من الفضة

Ibid. Iols 31, 34, 47.

(١)

Ibid. Iols 36, 35, 20.

(٢)

Ibid. Iols 56.

(٣)

ومينا من الذهب للاله « اينورتا » وفي مختلف هذه العقود نجد أن رأس الأسرة يتصرف كـ « سيد للطفل المباع » . ولا تختلف صيغة هذه العقود عن الصيغة المستعملة في كل عقود البيع الأخرى ولم يكن يذكر فيها سبب نقل الملكية ولكن الأمر لم يكن كذلك في الحالة التي سلم فيها « ايشدى آشور » أخته « اهات ايشا » الى « زابدى » في السنة المسماة باسم « اشور دورو أوتسور » سدادا لدين (١) .

وقد كان من نتائج تخويل حق بيع الطفل تقرير حق تسليمه كرهن وكان من حق الوالد أيضا ان يكرسه لخدمة أحد المعابد . وقد قدم « مانودق » سايس اسطبل الملك ابنه « نابوشارق نابشستى » الى الاله « اينورتا » اله كليخ « لحياة آشور بانيبال ملك آشور » (٢) . وفي هذه الأحوال توضع صيغة الشرط الجزائى فى شكل لعنات : يلتزم المانح من المعبود أن يضرب بذراعه التي لا ترحم كل من يحول الطفل عن خدمته وأن ينزله اداد الى مرتبة السؤال وان يجره الآلهة الآخرون الى الهلاك . وهناك مثال أجدر بالسرد هو الخاص بابن عاهر المعبد الذى كرسه أسرة أمه لخدمة نفس المعبود . ويظهر — كما هي الحال فى بابل . . ان النسب المتصلات بخدمة المعبد لم يكن فى استطاعتهم ان تكون لهن ذرية شرعية . وفى الحالة التي نحن بصدددها لا يعتبر الطفل ملكا لامه « رايمتو » بل لعميه ولرجلين آخرين صلته بهما غير واضحة . وهؤلاء الأشخاص الاربعة « سادة الطفل المنذور لـ « اينورتا » معبود كليخ » قد تولوا أمر تربيته وهم يقدمونه للاله « للخدمة والسخرة » ويلتزمون من الاله أن يمدحهم بعناية الى صلوات كل من يحترم رغباتهم هذه وأن يرفض صلوات من يحاولون عرقلة تنفيذها .

ويستدعى التبني تحرير عقده يستطيع الطفل المتبنى بواسطته — كما هي الحال فى بابل — ان يحصل فى أسرته الجديدة على كل حقوق الابن الشرعى حتى ولو أنجب المتبنى اطفالا فيما بعد . وفى العام الذى سمي باسم « شانابوشو » نرى « سنقى عشتار » وزوجته « رابستو » يأخذان طفلا صغيرا هو « آشور تساباتسو اقبى » من نابوناييد « ليجملا منه لفللا لهما » وقد نصا على أنه لو قدر رزقا بعد ذلك حتى بسبعة اطفال شرعيين ، فإن « آشور تساباتسو اقبى » يظل يعتبر ولدهم البكر (٣) . ولم يكن الأمر

XCIV No 201, 687, 208, 80.

Ibid. No 641.

XV t. VI col. 108.

(١)

(٢)

(٣)

أمر شراء صبي بل أمر نقله الى والديه المتبنين • ومن بين اشروط الجزائية المقرر توقيعها على نابونايد أو أى فرد من أفراد أسرته يرجع فى الصيغة - بالإضافة الى تقدمات الآلهة - مينا من الذهب ومينا من الفضة الى انليل وحسانان ابيضان لـ « آشور » فلقد نص على أن الوريث الأكبر للطرف المطالب يحرق تكريما لاداد وهذا الأمر يحل محل التعويض بقدر عشرة الأمثال الذى يرد عادة فى عقود البيع •

وكان من الممكن ان تقسم ثروة الأب عند وفاته ولكنها كانت أحيانا تظل على المشاع بين أبنائه • ولم يكن لأبناء المحظية الحق فى شىء منها أن كان للزوجة ابن أو أكثر • وأغلب الظن انه لم يكن من الممكن تبنيهم • إما ان كانوا هم وحدهم الذرية فان المراث كله يقسم فيما بينهم •

وقد يمنح الوالد أثناء حياته الى واحد أو أكثر من أبنائه من يرغبون فى تأسيس بيت خاص الميراث - سواء كله أو جانب منه - كمقدم • وعلى ذلك نجد فى القرن السابع فى العام الذى أطلق عليه اسم « اوباق انا اربايلو » • • • نجد « تبتاي » يعطى ابنه « اداد اوباليت » بعض العبيد والماشية والأرض ويقدر نصيبه فى التركة بثمانها ($\frac{1}{8}$) (١) وفى ظروف مشابهة نرى البابلى يفقد كل حق فى أى نصيب من تركة والده •

وعند موت الرجل الذى تعيش امرأته فى بيت أبيها يصبح الله « دوماكى » ملكا للأبناء • فاذا لم يكن له أطفال ولم تقسم التركة بين اخوته ، فان الله « دوماكى » تكون من نصيب هؤلاء دون أن يطلب اليهم أن يقسموا اليهين أو يملوا بتجربة الماء : كان يكفى أن يثبتوا حقهم • أما ان لم يكن له أطفال وكان المتوفى قد حصل من قبل على نصيبه من تركة والده فان الله « دوماكى » يصبح ملكا للزوجة (٢) •

أما الممتلكات التى تاتى بها الزوجة التى تنتقل الى بيت زوجها وكذا كل ما اعطاه اياها حموها فانه يتول الى أبنائها • وليس هناك فى أية حال من الاحوال ما يسمح لاختوة زوجها أن يطالبوا بشىء منه (٣) •

II. 1898, p. 202.

LXXIII, cols 26, 27.

Ibid, col 30.

(١)

(٢)

(٣)

الفصل الثانى

التشريع

لم يعثر فى أشور على مجموعة من القوانين يمكن مقارنتها بقانون حمورابى من ناحية اتساع مدى أحكامه ، ولقد كانت توجد - كما هى الحال فى بابل - لوحات دونت على كل منها شريعة تتصل بموضوع معين ولقد عثر على وثيقة من هذه الوثائق سليمة تقريبا وذلك فى خرائب أشور وقد كتبت فى النصف الأخير من الألف الثانية وهى تتناول فى حوالى ٥٠ مادة العقوبات التى توقع على بعض الأثمة وخاصة حالات شرب أو هتك زوجة رجل حر ، وهناك لوحة أخرى من نفس العصر ولذاها مكتوبة لسوء الحظ تتعلق بالقانون الريفى . وهناك ثالثة من نفس العهد فى حالة سيئة تحوى قرارات خاصة بالسرقة وتدخل بينها المعاملات التجارية غير الشريفة (١) . أما فيما يختص بالأعوام الأخيرة من عهد الملكية فإن مكتبة أشور بانيبال تقدم لنا عددا من الوثائق التى يعطينا بها فكرة عما كان التشريع اذ ذاك . فحوالى نهاية الألف الثانية كان يدبر الإعدام قاض واحد يقيم فى المحكمة على حين كان هناك عدد من القضاة يهتقون عادة كل قضية فى بابل . وكان لا يلجأ الى القاضى فى بعض الجرائم والجنح وكان - على الأقل - الرجل الذى وقع عليه الضرر مختصا أحيانا بتطبيق القانون بنفسه أو التخفيف من شدة أحكامه : فزواج الزانية له فى كثير من الأحوال أن يعين بنفسه العقوبة المناسبة أو مراعاة الدلو وف الخلفة .

وكان القانون الجنائى يتطلب عادة اثبات الذنب ويحدد العقوبات التى توقع على الجانى وهى الاعدام والتشويه والعرامة والجلد والعمل الاجبارى فى السخرة الملكية لفترة طويلة أو قصيرة . وكان المصير يعاقب بغرامة وخمسين ضربة من عصا وعدد معين من أيام الشغل الاجبارى فى السخرة الملكية . وفى عهد السرجونيين سرق من يدعى « أمو لاماش » ثورا (٢) ، فحكم عليه بالسجن الى أن يصبح قادرا على رد ما سرق . وكان العهد الذى

LXXXIII.

(١)

XCIV No 1801.

(٢)

يسرق عبيدا آخرين يسام الى مولاهم حتى يستطيع أن يخلص ذمته .
وقد حكم فى ٦٨٠ على « هانى » الذى أخذ ٣٠٠ نعجة من متعلقات ولى
العهد (١) وقتل الرعاة ٠٠٠ حكم عليه بإعادة القطيع ودفع ٢٠٠ وزنة من
البرونز عن كل رجل . وأخذ مع كل عبيده وكل ما يملكه كرهينة حتى
ينم الارجاع والرد .

وكان كل من يتقبل وديعة فى الريف يعتبر لصا ان فقد منها شيء
نتيجة إهماله . وكانت نفس المعاملة من نصيب التاجر ان هو غالى فى
تقدير ثمن البضائع التى يمرضها للبيع فان كانت الصفقة تمت بالكتابة ،
فان الكاتب نفسه كان يعاقب . وكانت المرأة المتزوجة التى تنتسب الى
طبقة الأحرار اذا دخلت معبدا وثبت عليها أنها أخذت منه شيئا فانها تعاقب
بعقوبات مشينة .

وكانت الزوجة التى تأخذ متاعا خاصا ببیت الزوجية وتنقله الى الغير
تعاقب عقوبة شديدة جدا فان كان الزوج ميتا أو على وشك الموت فانها
تقتل هى وشريكها أما ان كان الزوج يتمتع بصحة جيدة فانه يترك له اختيار
العقوبة التى توقع عليها . وحين يتم البيع لمصلحة عبد أو أمة فان الزوج
قد يصلح آذان الزوجة والمشتري . وعلى أية حال فانه كان يجب أن يعاملهما
نفس المعاملة .

وان سرقت امرأة متزوجة سرقة تقدر بأكثر من ٥ مينا من الرصاص
من شخص آخر فان زوجها قد يصل الى اتفاق مع الضحية ويعيد له
المسروقات ويصلح أذن زوجته . وان فشل فى الاتفاق مع من وقع عليه
الضرر فان هذا الأخير فى هذه الحالة يسك المرأة لجذع أنفها . واذا سلمت
امراة فى الريف وديعة خلسة فان المشتري يعد سارقا .

وكان القانون الأشورى يعاقب بتسوية الضرب والجرح وخاصة اذا
كانت المعتدية أو المعتدى عليها امرأة متزوجة فكانت تلك التى تضرب رجلا
تعاقب بدفع ٣٠ مينا من الرصاص وتضرب ٢٠ ضربة بالعصا - وان هى
أصابت خدية رجل فى معركة ، فان احدى أصابعها تبتثر ، وان أصيبت
الخديتان أو أصاب الجراح الأخرى أثناء مباشرته لعلاج الخدية المصابة
فان المرأة تتحمل المسئولية كلها ويحكم عليها بقطع ثدييها . وكان المعتدى

عرضه لفقد إحدى أصابعه ان هو اعتدى بالضرب على امرأة متزوجة. وكان قانون العين بالعين والسن بالسن يطبق على القاتل ولكن ربما لم يكن ذلك في كل الأحوال . والمادة الخاصة بهذا الموضوع أصابها التلف لسوء الحظ . واننا لنجد في زمن السرجونيين ان القاتل يستطيع تفادي عقوبة الاعدام بأن يمحو جريمة الدم بمنح ابن المقتول عبدا وأسرته . والا فانه يضحى به على قبر القتيل . وحين وجد أن « سيليم ايلي » ارتكب جريمة القتل عدة مرات ختم الأحد عشر شخصا المستحقين للتعويض لوحة أمام الشهود قرروا فيها أن « تسيرى هو سيد القتلى الذين ذبحهم » سيليم ايلي ، وأنه يحل محل القتلى قبلهم وزوجهم وأخوه وابنه ومن يقسم غيرهم (١) .

وليس لدينا احكام قضائية بل وثائق خاصة فقط تتصل بالقضايا . واننا لنرى في احدها مقترضا يمنح مهلة لاستحضار شهود يتبتون بشهادتهم أنه سيد الدين والا فانه يكون عليه أن يدفع رأس المال والارباح . ونجد في وثيقة أخرى أمة مسئولة عن موت خادمة ويضيق ضمانها ان تعذر عليها تعويض الضرر في وقت محدد (٢) . وقد اختصم شخصان بسبب بيت ثم وصلا الى اتفاق ولذا لم يعد هناك مجال للنزاع وهما لذلك يقرران هذا في عقد أمام الشهود كما يقدران تعويضا قدره ١٠ مينا من الفضة يدفعه أيهما اذا خاصم الآخر (٣) . وقد أنزل « شماش نستير » زوجة وابنها الى طبقة العبيد بسبب الديون ثم استولى على أملاكهما : ٥٠ ايمر من الشعير وآلة رى وثور و ١٢ مينا من الفضة . وعمل المدينون اتفاقا معه لاعطائه علاوة على ذلك ثلاثة من العبيد (٤) .

XCIV, Nos 321, 618.

Ibid Nos 101, 106.

CIX No 650, f.

Ibid, No. 655.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

الفصل الثالث

النظام الاقتصادى

١ - الملكية العقارية

تتقسم الملكية العقارية فى أشور - كما هى الحال فى بابل - الى حقول ومزارع وحدائق وبساتين وأراضى بناء • ولم تكن المزارع الكبيرة الحجم أحيانا لتقوم (بتشديد وفتح الواو) بالمساحة بل بكمية الشعير اللازمة لبذرهما • وكانت جودة التربة تقدر حسب ما تستلزمه هذه البذور ٨ أو ٩ أو ١٠ قا من الحبوب لكل وحدة مساحية • ولم تكن المزرعة تحوى أرضا صالحة للزراعة ومراعى فحسب بل حدائق ومباني كذلك • وكان عبيد الأرض يكونون جزءا من الملكية العقارية وينتقلون معها من مالك الى آخر أو كانوا يقدمون من وقت الى آخر كرهون لضمان قرض •

وكان يملك المزرعة أحيانا عدة أشخاص على المشاع • وقد أقرض ريبائى فى عام ٩٨٧ ق.م • ثلاثة أشخاص ٢٥ شاقلا وتسلم مقابل ذلك حقلين وعينا بصفة رهن • وفى العام الذى أطلق عليه اسم « شارو نادين » اقترض « موتاقين أشور » و « أشور رش اشى » متضامين ١٧ شاقلا مقابل إعطاء المقرض حق استغلال قطعة من الأرض • وفى العام الذى أطلق عليه اسم « اوباقو انا اربايلى » نجد شخصين آخرين يظهر أنه لم تكن تربطهما رابطة عائلية يملكان معا ضيعة مشتركة (١) •

ويظهر أن مدة الإيجارة كانت سنتين • وكانت المناوبة الزراعية مرة كل سنتين فكانت الأرض تسمى فى سنة « مريشو » (الزرع) وفى السنة التالية « كارابهو » (وكانت الأرض تستأجر لمدة « ثلاثة مريشو وثلاثة كارابهو » وكانت تقدر للرهن الفترة نفسها وهى ما يوازى ست سنوات متتالية) : « وكان من الممكن أن يعطى حق الانتفاع بالحقول لمدة ثلاثة مريشو وثلاثة كارابهو أى ست سنوات » وفى سنة ٦٧٩ عملت لمدة ٨ سنوات وهى خاصة بمدة إيجارة أطول من ذلك وهذا بالنسبة لحقل مساحته ٦ ايمر لضمانه مينا من الفضة • ويمكن استعادته مقابل دفع المبلغ المقرض ولكن بعد انتهاء الـ « مريشو » لأن المريشو هى السنوات التى تنتج أفضل

محصول مما يلحق بالدائن ضررا ان هو فقد فائدة هذه السنوات ومع ذلك، فاعتمادا على هذا النص نفسه ندرك أن المزرعة لم تكن كلها تزرع بنفس الطريقة في وقت تنفيذ العقد فان ثلثيها كان مريشمو والثلث كارابهو . وهذا الاجراء يختلف هنا عنه في بابل حيث كانت ترتب زراعة الأرض عادة على فترات مداها ثلاث سنوات (١) .

وكانت الأموال الريفية تسمى أحيانا باسم صاحبها الحالي (الفعلي) وأحيانا أخرى باسم معين هو غالبا « أم المكان الفلاني » في القرن السابع وربما كان ذلك يعنى أول منشأة في المكان المذكور مثل : أم الكودورو ، أم قرية دونى ، أم المزرعة الأرامية ، أم الكلديين . وكانت الحدود في عقود البيع وفى كثير من الأحيان فى عقود الرهن تبين بأسماء الجيران والطرق المتاخمة والأنهر أو القنوات . وكان المائع يطبع ختمه أو ظفره كما كانت تبين المباني المختلفة وعدد العبيد المختصين بأعمال الأرض مع ذكر أسماء أهمهم . وكان الشارى يستطيع فى مدى مائة يوم أن يقيم الدعوى ان أضيىب أحد الخدم بالصرع (٢) وكان القانون الريفى فى النصف الأخير من الألف الثانية تنظمه مجموعة من القرارات الملكية عشر على بعضها فى خرائب آشور .

ولم يكن تقسيم الأرض بين الورثة فى أنصبة متساوية دائما . وانما لنرى فى حالات معينة أن الابن الأكبر كان له الحق فى أن يستولى على الثلثين : ثلث منهما يختاره والآخر بالقرعة أما الجزء الذى كان من نصيب رجل قتل « كائنا حيا » فانه من حق « صاحب هذا الكائن الحى » أن يطالب به ان كان الأخير يعتبر التعويض مناسبا ولا يصر على موت المجرم . ويظهر ان كلمة « كائن حى » فى هذه المادة من القانون تعنى أى مخلوق بشرى سواء ولد أم مازال فى الرحم ، لان نفس العبارة واردة فى النصوص الخاصة بمنع الاجهاض (٣) .

وكانت لمدينة آشور أملاك ريفية كانت تقرض لظروف معينة أو تنتقل ملكيتها الى الأفراد . وكانت كشسوف الملكية محل مراجعة من وقت لآخر .

وكان هناك موظف هو ال « ناشى » يعين النداء الآتى فى المدينة ثلاث مرات فى الشهر : كل من يرغب فى تقديم مطالبة فى مصلحة أو ضد حياة فلان بن فلان للملكية العقار الفلانى مدعو للحضور فى نفس اليوم مزودا .

XCIV Nos 70, 622, 623, 8384.

(١)

Ibid 373, 622, 301, 443.

(٢)

LXXIII tols I, II.

(٣)

بلوحاته أمام هيئة احتكام مكونه من ممثل الملك يعساونه كاتب المدينة
وال « ناشى » نفسه وبعض الحكام وشيخ البلد وثلاثة من الأعيان وحين
كان ينادى على القضية كان كل فريق يدلى بحججه ويقدم لوحاته
للفحص . وكان القرار الذى يسجل فورا يعلن للمتقاضين أثناء الجلسة
فان لم يحضر أحد المدعين فى إحدى الجلسات الثلاث الخاصة بقطعة معينة
من الأرض فان مستأجرها يفقد كل حقوقه ويعرضها منادى المدينة
للمزاد (١) .

وكان توسيع اقطاعية على حساب مزارع مجاورة لها يعرض الفاعل
لعقوبات صارمة : فكان يحكم عليه فى حالة ثبوت تعديل الناحية الكبيرة من
حدود أرضه بأن يرد ثلاثة أمثال الأرض المسروقة ويضرب مائة عصا ويؤدى
عمالا شاقا فى السخرة الملكية مدى شهر . وغالبا ما كانت تبتز إحدى
أصابعه الى جانب ذلك .

وكانت العقوبة مماثلة فى حالة تعديل الحدود الصغيرة من الحقل.
وان كان عدد الضربات يخفض الى النصف كما يستعاض عن بتر الأصبع
بغرامة وزنة من الرصاص . وكان حفر جدول فى أرض الغير يعاقب عليه
بثلاثين ضربة عصا وعشرين يوما من السخرة الملكية وكان تسوير قطعة
أرض يملكها جار وبدء البناء عليها يعاقب عليه بخمسين ضربة من العصا
وشهر من السخرة الملكية ومصادرة الطوب ودفع ثلاثة أمثال قيمة الأرض .
وان زرع بسستان على أرض الغير فان الأمر يحتمل شيئين : فان كان
المالك يعيش فى مكان قريب فانه يفترض فيه أنه أعطى موافقته على ذلك
وفى هذه الحالة تسلم قطعة أرض مساوية بصفة تعويض . أما ان كان بعيدا
فان المفروض أن العمل تم ضد رغبته وله عند عودته أن يضع يده على
البستان (٢) .

ولما كانت حقوق الرى بالماء فى كل البلاد وفى كل العصور سببا
للمنازعات بين الجيران فى الريف ، يفترض القانون الأشورى وجوب اتفاق
الجيران على طريقة استعمال ماء الرى وماء المطر فان تعذر الاتفاق فانه
ترك للزارع الأكثر نشاطا أن يتقدم للمحكمة لتقرر حقوقه وتثبتها فى
لوحة (٣) .

وكانت هناك ضرائب (رسوم) تختلف من ناحية النوع سواء عن
طريق السخرة أو الخدمات العامة تثقل كاهل الأملاك الريفية .

Ibid loi .VI.X

(١)

Ibid lois VIII, IX, XII, XIII .

(٢)

Ibid, loi VI.

(٣)

فإذا أراد الملك أن يكافئ خادما مخلصا للامبراطورية عن حميته وإن يمنحه مزرعة فإنه كان يحدد الاعفاءات التي تتمتع بها مثل هذه الاقطاعية . ولقد منح « أداد نيراري » كلا من قانوني « أهولامو » ، « مانوكي أبي » بعض الأراضي في قرية ماجا نوبا . وحدد العشور المستحقة للاله آشور والالهة باو بمقدار ١٠ ايمر من الحبوب . وحين قرر سرجون أن يأخذ هذه القرية ويبني مدينة دورشاروكين في مكانها استبدل هذه الأملاك بغيرها مع « مانوكي أبي » الذي كان لا يزال حيا ومع أولاد الرجلين الآخرين : وقد أعفاهم من ضريبة الشعير ومن الاجبار على تقديم العلف ، بل انه « مانوكي أبي » الذي كان لا يزال حيا ومع أولاد الرجلين الآخرين : وقد سار الى أبعد من ذلك فأعفاهم من التزاماتهم قبل الاله آشور . ولكي لا يلحق ضررا بالمعبود ولا يمس الأوقاف (المؤسسات) التي أقامها أسلافه فإننا نراه يمنحه حقلا ذا ١٥ ايمر بصفة تعويض .

وحين أراد آشور بانيبال أن يظهر تقديره لـ « بولشا » الطيب الشجاع منحه لوحة اعفاء لحقوقه وحدائقه : « لا تفرض عليها ضريبة شعير ولا استيلاء على العلف ولا يؤخذ أى حيوان كبيرا كان أو صغيرا . أما حقوله وحدائقه هذه فلا تخضع لأية ضريبة أو التزام أو سخرة أو جمع رجال وهم معفون من كل حقوق عوائد الرصيف والمرور » .

وتظهر هذه الالتزامات المختلفة في الوثائق الخاصة ولكن ليس من الممكن الوقوف على النظام الذي كان مقرا للضرائب بالضبط أو ظروف وطريقة تطبيقه . وفي العام الذي كان يسمى باسم « سنشار أوتسور » دفعت أملاك ابن « أبو اريبا » العشور من محصولات الحبوب وكان عليها أن تورد ١/٤ العلف (الكالا) الذي تنتجه للفرسان الملكية . وفي كلمات مبهمه نجد ضريبة اردى عشتار ، واردى آشور خاضعة « لالتزام تقديم العلف وضريبة الشعير » وعلى العكس من ذلك نجد أن بستان « قوردينى عشتار لأمور » أعفى من ضريبة الشعير والضريبة المخصصة لمصالح القرية وذلك في ٦٨٢ . وهذا النص الأخير يبين أن « ضريبة الشعير » يجب أن تفهم في معنى عام يتضمن كل الالتزامات العينية المستحقة حسب مختلف أنواع الزراعة .

واننا لنجد في عقد يخص فيه أحد الآباء ملكا خاصا لابنته يتضمن بيتا وبعض العبيد - نراه يصيب لعنة الآلهة على من « يفرض جزية المالك » على هذه الممتلكات التي كانت تتمتع في أغلب الظن باعفاء مقرر في وثيقة سابقة (١) .

٢ - الاتفاقيات

ان معظم الوثائق الاشورية التى تكشف عن الحياة الخاصة المعروفة حتى اليوم يرجع معظمها الى محفوظات قصر آشور بانيبال وهى محفوظة فى المتحف البريطانى ومعظمها يرجع الى عصر السرجونيين وتتفاوت لمدى مائة عام وقد استخلصت منها معلومات عن الأسرة والرق ونظام الملكية والقرض بفائدة وحقوق الرهن وعمليات البيع والتبادل واستئجار الخدمات وقوانين العقوبات وذلك عندما بلغت الحضارة الاشورية القمة .

وتبدأ الاتفاقيات الخاصة عادة ببيان أختام الأشخاص الذين يتعاقدون . وهذه الأختام اما أسطوانات أو أختام مسطحة كان يطبعها على اللوحة صاحبها بنفسه فان استحالة ذلك فوكيل له يذكر اسمه وصفته نصا تلافيا لقيام أية صعوبة مستقبلا ولم يكن من المعتاد أن توضع أختام الشهود كما كان يحدث فى اللوحات البابلية أو الكابادوكية فى الألف الثالثة .

وحين لم يكن لدى المتعاقد أسطوانة أو ختم كان يضع ابهامه ويغرس ظفره فى الطمى . ولم تكن التعهدات المتبادلة شائعة على ما يظهر وحتى فى التبادل كان أحد الفريقين فقط يثبت خاتمه . وكان يعتبر البائع . على حين كان الآخر يلعب دور المشتري . وفى كثير من الأحيان أشير فى اللوحة الى هدية من الفضة أعطيت مقابل وضع الختم أو الظفر : من ذلك أننا نجد فى عقد من ٧١٣ ق.م . خاص ببيع عبيد سلموا مقابل ١٨٠ مينا من البرونز وقد أضيفت « أربعة مينا من البرونز مقابل الظفر (١) » .

وكان نص الوثيقة يحرر فى أسلوب غير شخصى يتبع بقائمة الشهود وتاريخ السنة المسماه باسم الشخص . ولم يكن الكاتب يكتب دائما باسمه فان فعل فأننا نجد فى نهاية قائمة الشهود مع العبارة التالية : « الكاتب الذى يمسك اللوحة » أو « الكاتب الذى يمسك الوثيقة (٢) » .

٣ ... البيع

كان البيع فى آشور دائما مقابل فضة أو دصاص أو برونز . وكان الشئ يدفع فورا فان لم يتسلم البائع الثمن الكلى للشئ فإنه يقدم مع ذلك أصالا ويأخذ مقابل الرصيد صكا يعترف فيه بالدين . وكان العقد

Ibid Nos 307, 318 393, 409, 452, 248.

(١)

Ibid Nos 412, 1141.

(٢)

يبدأ ببيان بصمة ختم البائع أو الظفر مع الإشارة الى الشيء موضوع التعاقد . وكان هذا الشيء يوصف تفصيلاً مع الثمن واسم المشتري وشهادة الحياة . ويقرر الكاتب أن الدفع قد تم وأن الشيء المعروض للبيع قد اشترى وأخذ . وهكذا تنتهي العملية ولا يعود هناك مجال للمناقشة . وكانت تحدد العقوبات التي توقع على من يقيم أى نزاع بشأنه كما كان العقد ينتهي بقائمة الشهود والتاريخ .

« ختم دايان كوربان » صاحب البيت المبيع . ثلاثة مخازن بحوش بما فيها باب فى نينوى بجواز « ناهارو ، نابوا ، كدوما ، ديرا ٠٠٠ » اشتراها من « دايان كوربان » مقابل ٣٠ شاقلا من الفضة وتسلمها . وأعطيت النقود بالكامل . واشترت هذه البيوت وأخذت . وليس هناك رجوع فى ذلك أو تقاض أو مطالبة . ومن ينزع يدفع ١٠ مينا من الفضة .

ولم يكن العقد يشتمل على مساحة الأرض فى حالة البيوت كما هى الحال فى بابل . ومع ذلك فإنه كان يثبت فى بعض الأحيان مقاييس الجوانب . وعلى ذلك فمن الصعب تقدير قيمة أرض البناء : فبعض البيوت كانت تباع بنصف مينا ، على حين يبلغ ثمن البعض الآخر ١٢ مينا . وبفرض وجود هذه المعلومات كقاعدة فإنه كانت تقوم الى جانب ذلك صعوبات أخرى لأن الكاتب كان يفرق بين أنواع متعددة من المنشآت : بيت اكوللى ، بيت قراطي ، بيت ربيتو ، اترو ، بوتسى ، قاقير ، تايريو ٠٠٠ مما لسنا نعرف حقيقتها (وربما كانت دكاكين ومخازن ٠٠٠ وهكذا) ولم تكن قيمتها تحدد فقط على أساس المساحة المشغولة . كان يذكر وجود الآبار وصهاريج الماء والشرفات والأبواب . وكما هى الحال فى بابل يظهر أن الأبواب لم تكن ملكاً ثابتاً بل يمكن أن تكون ملك المستأجر أو المالك على السواء . وكان البيع يتفق عليه بالفضة أحياناً وأحياناً أخرى بالبرونز . وهناك عقد ذكر فيه أن المبلغ الأصلي للبيع ٣٢ شاقلا من الفضة وذكر فيه أن « شاقلا من الفضة حدد مقابل الختم » . أما العقوبات المنصوص عليها فى العقد لبيع البائع تحت طائلتها هو أو أى واحد من أفراد أسرته يرفع قضية ضد المشتري أو ورثته فإنها كانت عادة عبارة عن تعويض يبلغ أحياناً عشرة أمثال قيمة الببت ومنحة تدفع الى معبد عشتار فى نينوى أو الى أى معبود آخر فى حالات نادرة وقد تصل هذه الهبة الى ١٠ مينا من الفضة أو الذهب (١) .

Ibid 8Nos : 356, 354, 325, 330, 340(357.

(١)

وكانت حدائق الفاكهة أو الخضر نباع كأرض البناء . وكانت صيفه .
العقد متماثلة : فلان الفلاني يشتري بستانا صغيرا به ٣٥ شجرة . وآخر
يشتري زراعة ٦٠٠٠ مقابل ٢ مينا من الفضة . ولا يذكر في غالب الأحيان
أى بيان عن مساحة الأرض وكانت تكفى الإشارة إلى أنها فى حالة جيدة .
أو أنها تسلم بحالتها . وفى العام المسمى باسم « تسالو شارو اقبى » .
نجد أن « كولكولانو » يشتري بستان فاكهة به عبدان ويدفع ٣ مينا من
الفضة مقابل ذلك . ولا بد أن الصفقة كانت مهمة فلقد كان هناك خمسة
شهود من القرية التى كانت بها الممتلكات وعشرة من القرية المجاورة .
ولم يتعهد البائع بأن يدفع عشرة أمثال المبلغ ان هو رجع عن كلمته فحسب .
بل يدفع كذلك وزنة من الفضة و ٥ مينا من الذهب الى معبد عشتار فى
اربلا . ولقد ورد فى العقد بيان عن المنشآت والعبيد وعيون الماء والنافورات .
فى وصف قطعة الأرض المباعة (١) .

ولم تكن قيمة الأرض الزراعية تقدر حسب مساحتها بل بكمية
الحبوب اللازمة لزراعتها كما كانت الحال فى نفس العصر فى بابل . وقد
عنى بالإشارة إلى علاقتها بالمقاييس التجارية وهى ١٠ ، ٩ ، ٨ قا . وكانت
الصفقة تتضمن عبيد الأرض كما كانت تتضمن أحيانا الطيور . وكان
يثبت وجود المباني والحدائق . وقد اشترى « شومو ايلانى » حقلا مساحته
٥٠ ايمر به ١٠٠٠٠ شجرة فواكه ومبان و ٩ من العبيد فى قرية « تى اى » .
مقابل ٦ مينا من الفضة . وكانت بعض الضياع متسعة جدا فقد اشترى
« عشتار دورى » أحد ضباط الملكة الوالدة فى حكم آشور بانيبال ضيعة
لم يكن بها أقل من ٣١ عبدا وقد دفع ثمنها لها ٥٨ ١/٢ مينا . وقد اشترى
أحد ضباط الملك كل قرية « موسينا » فى ناحية « ارباد » ودفع ١٧ ١/٢ مينا
ولكن لم يكن بها أكثر من ١٥٠٠ شجرة فاكهة وستة أشخاص . ومما هو
جدير بالملاحظة فى هذا العقد الشروط الجزائية الواردة فيه فقد نص على
أن كل من ينازع فى الصفقة باسم البائع يقدم حصانين أبيضين للاله آشور
وأربعة من الجحوش الى نرجال ووزنتين من الفضة ووزنة من الذهب الى
عشتار لبنوى الى جانب التعويض الواجب دفعه للمشتري وهو مقدر بعشرة
أمثال قيمة العقار (٢) .

وكان بيع العبد يتم بنفس الاجراءات المتبعة فى بيع الأملاك العقارية
ولكنه كان يتضمن مع ذلك فقرة مزدوجة لامكان الفسخ مماثلة للفقرة

Ibid Nos 446, 468.

(١)

Ibid Nos : 621, 622, 473, 431, 422, 428, 471, 464, 420.

(٢)

الواردة في قانون حمورابي . وكان الصرع عيبا يلغى البيع كما هي الحال في بابل . وكان على المشتري الآشوري ان يتبين وجوده خلال ١٠٠ يوم لينسني له الغاء عقد الشراء على حين كان البابلي من عصر حمورابي يعطى شهرا فقط لهذا الغرض : أما بعد هذه الفترة فدان يفترض ان الاصابة بهذا المرض سديثة . اما فيما يختص بالمطالبة فانه لم تكن لها حدود . واننا لنجد الصيغة تبين على الأقل في شكل بالغ الغموض أن على البائع أن ينفذ المطالب الحققة « في كل الايام وكل الاعوام » وفي عام ٧١٢ ق م . نجد أسرة مكونة من أب وأم وخمسة أطفال انتقلت ملكيتهم مقابل ١٨٠ مينا من البرونز . وقد نص على أن من يبدأ اجراءات النزاع عليه أن يدفع ١٠ مينا من الفضة الى « اينورتا » اله كلج كما يدفع وزنة من الرصاص الى حاكم مدينته بخلاف التعويض المقدر بعشرة الاضعاف للمشتري . وكنا قد لفتنا النظر الى اشارة في عقد سابق عن منحة عن الختم الا أننا نجد في هذا العقد أن البائع ليس لديه ختم ولكنه تسلم مقابل بصمة اظفره ٤ مينا من الرصاص أى أكثر بقليل من ٢٪ من ثمن الشراء الفعلى . ولقد بيع نساج مهر في صناعة الأقمشة المتعددة الألوان بمبلغ ١ ١/٢ مينا لخدمة معبد « اينورتا » في كلج . وفي حالة قيام بعض المصاعب حول هذا الأمر فإن من ينازع في عقد البيع يدفع ١٠ مينا من الفضة وكمية معينة من الذهب للمعبد بخلاف التعويض المعتاد . وكان الرجل يساوى ٢٠ ، ٣٠ ، ٣٢ شاقلا من الفضة و ٥٠ أو ١٠٠ مينا من البرونز ولكنه كان يساوى أحيانا ١ مينا و ٧ شاقلا من الفضة . وكان ثمن حمار (بتشديده وفتح الميم) يبلغ ١ ١/٢ مينا من الفضة وهو ما يعدل ثمن النساج . كما كان ثمن الأمة ٩ شواقل أو ٣٢ وقد يصل الى ٢ مينا (١) .

ولقد تبينا وجود عقوبات توقع على البائع أو أحد أفراد عائلته أن هو رجع عن الصفقة ، واننا نجد أن الاطالة في هذا الموضوع قد تكون ذات فائدة : ان العقد الذى يلزم البائع بمقتضاه انما هو اتفاق علنى لا يربطه بالشارى فحسب بل بالمعبود كذلك وكان يتضمن نوعا من القسم - ضمانيا على الأقل - مما يجعل نقض الاتفاق حثا يعد ذنبا وخطيئة . وقد عبر عن هذه الفكرة صراحة في عدد كبير من النصوص بفقرة « الآلهة هم اصحاب قضيتته » التى خصصت حتى أصبحت « آشور » هو صاحب قضيتته « و « آشور وشماش هما صاحبا قضيتته » ولعل هذا هو السبب في أن المخطيء أو المذنب كان عليه أن يتغلب رضاهم اما في شخصه أو في أطفاله أو في أملاكه . وكان الأمر كذلك بالنسبة للملك لأن الملك كان يتمتع

Ibid Nos 248, 254, 642, 177, 180, 186, 196-199, 315.

(١)

CIX Nos 505, 506.

بنفس امتيازات المعبود : « ان القسم بالملك هو في الواقع صاحب قضيته »
 وحين اشترى « ابلا » مزرعة وأربعة من العبيد في ٦٩٨ نرى أن كل من
 ينازعه أو ينازع أطفاله يجب أن يأكل قدرا معيناً من احشاء ثور مع روثه
 ويشرب « دم الأرض » (١) . وليس هذا مثلاً مفرداً فائناً نجد نفس الصيغة
 في عقد بيع العبيد أو عقد بيع أرض . وهناك عقد آخر يضيف الى ذلك
 التزام تناول قدر معين من نبات شوكة حتى يصبح اللسان مسحوباً
 (مجلوطاً) ومشقوباً . وكان الآلهة القساة يغالون في المطالب فيتطلبون
 أحياناً تقديم ضحايا بشرية . ولقد ذكر ذلك ابلا نفسه في عقد اذ ذكر أن
 الابنة الكبرى للمنازع ستحرق ب ٢٠ قا من خشب الأرض تمجيداً للآلهة
 « بعليت تسيرى » . وقد تطلبت نفس الضمانة السيدة « مانوكى اللا »
 في عقد بيع ثلاثة من العبيد « سيعرق ابنه الأكبر أو ابنته الكبرى تمجيداً
 لبعليت تسيرى مع ايمر من أفضل الطيوب » ولم يكن الآله اداد بأقل
 قسوة : وكان التماس رضائه يستلزم حرق الابن الأكبر لورثة « نابونايد »
 أو وريثه الشرعى ممن يرفع دعوى استرداد طفل تبناه « سنكى عشتار »
 وزوجته « رايمتو » .

وكانت مقدمة الخيول البيضاء كذلك عقوبة توقع على المنازع لمصلحة
 الآلهة . وكان عليه أن ينذر اثنين أو أربعة لأشور ، وسن وعشتار وغالباً
 كان يضيف أربعة مهور (جمحوش) الى نرجال اله العالم السفلى
 (الجحيم) . وهناك إشارة الى قوس لاينورتا اله كاج في عقد بيع عبيد .
 واننا لنجد فقرة تتكرر كثيراً تلزم المنازع بدفع مبلغ معين من المال الى
 خزانة الآلهة : أشور وعشتار في نينوى واينورتا في كالج و « ايل أدو »
 في « كانو » و « اداد » في « دور ايلبل » وسن في حران : مينا من
 العضة ومينا من الذهب لائليل في عقد تبن ، و ١٠ مينا من الفضة ومثاليه
 من الذهب لنفس الآلهة في ٦٧٩ و ٢٠ مينا من الفضة في بيع عبيد
 مقدرين ب ٢٢ مينا ووزنة من الفضة وعشر مينات من الذهب . وفي عقد
 آخر وزنة من الرصاص فقط . وهناك شخص آخر يعطى نفس المبلغ
 (وزنة من الرصاص) لندوب الحكومة بخلاف ما يجب أن يدفعه الى الآلهة
 بالاضافة الى ذلك (٢) .

(١) خلاصة (زيت) مستخرجة من خشب الأرض .

(٢) Ibid, Nos 315, 163, 161, 318, 476, 473, 474, 244, 430, 481,

474 310, 215, 350, 471, 320, 203, 262, 310, 161, 282, 283, 247, 523,
 498, 326, 417, 248, 554.

CIX, Nos 505, 506, 41.

وكان هناك كذلك مجال للتعويض ضد الطرف الثانى مقدرا فى أغلب الأحيان بعشرة أمثال قيمة الشئ المتنازع عليه . وفى حالة خاصة قدرت فيها قيمة أرض بـ ٨٠ مينا من البرونز نرى أن التعويض قد قدر بمائة ضعف لهذا الثمن (١) . وكان يعمل حساب لاحتمال قيام نزاع حول الشئ المبيع مستقبلا وتقرير امكان اعتبار الصفة ملغاة ولكن هذا لا يكون بدون نفقات يتحملها من يرجع فى الصفة فيسمح له باستعادة بيته أو حقله أو حديقته أو عبده كأنما كان قد سلمها بصفة رهن ولكن على شريطة دفع تعويض للطرف الثانى وكذلك الى المعبود أحيانا . وفى عام ٦٨٧ ق م نجد امرأة قد اشترت بوزنة من البرونز « لا قضايا ولا منازعات . . . ان من ينازع فى المستقبل فى أى وقت (وبقول) : « اننى أعتق المرأة » عليه أن يدفع مينا من الفضة ويأخذ المرأة » . وقد وضعت بعد ٦ سنوات شروط مماثلة وردت ٢ مينا لاستعادة امرأة قدرت بـ ٩٠ شاقلا . ولكن كقاعدة عامة - كان كل عقد بيع يعتبر نهائيا وكانت تنص الصيغة العادية جدا على أنه اذا احتكم البائع أو أى عضو من أسرته الى المحكمة فإنه لا يأخذ شيئا . واننا لنجد فى صيغة أخرى أنه نص على أنه ليس للقاضى أن يستمع الى التظلم كما نرى فى صيغة ثالثة أن التظلم لن يعتبر قضية وأن المتظلم لا يجاب الى طلبه (٢) .

٤ - التبادل

لم يكن التبادل - كما هى الحال فى بابل - نوعا خاصا من التعاقد بل كان يتم بموجب عقد مماثل لعقد البيع . وفى العام المسسمى باسم « سن شار اوتسور » كان هناك ثلاثة أشخاص يمتلكون معا العبد « عشتار دورقالى » استبدلوه بأمة كان يملكها « كاكولانو » . وكنا نتوقع أن نجد فى بداية العقد ذكرا لاختتام الطرفين المتعاقدين ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ، بل أثبت سادة « عشتار دورقالى » وحدهم اختتامهم كما لو كانوا هم وحدهم الملزمين .

« ختم نابو اهو اوتسور ، ختم اهو نى وهما ابنا ل « نارجى »

ختم اهو لورى بن سيلى . . . جملة عددهم ثلاثة رجال .

يمتلكون رجلا سلم على سبيل التبادل مقابل امرأة » .

ويستمر النص - كما هى الحال فى عقد البيع - على الوجه التالى :

Ibid No 350.

(١)

Ibid, 453, 218, 213.

(٢)

« عشتار دورقالي عبد هؤلاء الرجال قله اشتراه كاكولانو »

ال « راب كتسير » من هؤلاء الرجال بالتبادل مع أمته « توليها »
لقد اشتراه وتسلمه • ولا رجعة في ذلك ولا قضية أو مطالبة •
ومن يقوم مستقبلا ويرتكب عنفا سواء أكان نابو أهو أوتسور
أم اهورنى أم اهورنورى أم أولادهم أم أحفادهم أم أقرباؤهم
الأبعدون أم أبناء أقربائهم الأبعدين أم من يمت لهم بصلة
••• اى من هؤلاء ان نازع مستقبلا أو أقام دعوى ضد كاكولانو
أو أطفاله أو أحفاده فان « أشور وشماش وبعل ونابو » هم
سادة قضيته : سيدفع ١٠ مينا من الفضة •
ويلى ذلك أسماء أحد عشر شاهدا والتاريخ •

وهناك لوحة أخرى ليسبت أقل فائدة رغم تشويهيها تشويها كبيرا وهي
تخص عبيدا ثلاثة استبدلوا بحصان في حالة طيبة : « انهم اشتروا وتسلموا »
ويضيف الكاتب الصيغة المعتادة لعقود البيع : « دفع المبلغ بالتمام » ولكن
لم يكن هناك مجال للذكر شئ عن فرق الثمن بين الشئئين المتبادلين ولم يكن
هذا التعبير هنا سوى نص تقليدى بحت (١) •

٥ - القروض

من النادر أن كان القرض يمنح في أشور دون أن يحدد المقرض
الضمانات الحقيقية والمباشرة وهي رهن ذو أهمية ينتفع به في الحال
ويحتفظ به غالبا دون اجراءات أخرى ان لم ترد اليه أمواله • ذلك بينما
كان المتبع في بابل بصفة عامة إلا يتخذ الدائن اجراءات اثبات حقوقه على
الاشياء المرهونة الا عند حلول تاريخ السداد • وفي أشور أيضا كانت
القروض في أساسها هي الشعير • وفي الاقليم المحيط بنينوى كانت
القروض بالفضة والبرونز وهي العملة السائدة • الا أنها كانت أحيانا
خاصة بالحبوب والزيت والماشية •

وقد وجدت القروض من غير فائدة لأجل قصيرة في القرن السابع •
وفي عام ٦٩٣ ق م • تسلم « أربا » مبلغا قدره ١٧ مينا من « انديبي » في
التاسع من آب وتعهد « ان يعيد المال في تيشرى على أساس رأس المال •
وفي حالة عدم السداد تكون الفائدة الشهرية ٢ شاقل لكل مينا أي ٤٠٪

Ibid, Nos 318, 252.

فى السنة وهذا السعر المرتفع جدا ربما كان يعتبر كعقوبة على الدائن الذى لا يستطيع المحافظة على تعهده . وكانت الفائدة المعتادة فى بابل ٢٠٪ ولكن من المستحيل ان نعرف السعر المعتاد فى آشور لأن العقود نادرا ما تتناول الفائدة بالذكر . واننا لنجد الفائدة فى واحد منها مقدرة على أساس ٣٠٪ وفى آخر قدرت ارباح المبلغ الخاص بمعبد اربيل ب ٢٥٪ وكانت الفائدة تقدر على أساس الشهر أو السنة . وفى سنة ٦٦٧ ق م . اقترض « نرجال شار اوتسور » ٥ مينا ، وهذا المبلغ « يتزايد بمقدار ٥ شواقل من الفضة كل شهر » أى بفائدة ٢٠٪ وفى ٦٨٦ اقترض سوكا ٣ مينا من الفضة « تزيد ٦ شواقل شهريا » أى بفائدة ٤٠٪ .

أما اذا كان القرض بدون فوائد فانه فى حالة عدم سداد الدين فى التاريخ المحدد للسداد فانه يقدر على رأس المال من هذا التاريخ فائدة بسعر ٤٠٪ أو ١٠٠٪ أو أحيانا ١٤١٪ . وبالنسبة للفائدة المقدرة على أساس ٥٠٪ كان الاصلاح المعتاد هو « يزيد بمقدار نصف شواقله » وعلى أساس ٢٣٪ و ٢٥٪ يعبر عنها بنفس الاصطلاح « يزيد بمقدار ثلثه أو ربعه » وليس هناك من شك فى أن سعر الفائدة المعتادة كان معروفا ، واننا لنجد فى بعض الحالات اشارات مبهمه مثل « المال يزيد » ان لم يدفع رأس مال فانه يدفع أكثر منه (١) .

أما بالنسبة لسلف الحبوب فان الفائدة كانت عادة ٥٠٪ ومرة ٣٠٪ ولقد كانت فى بابل سابقا ٣٣٪ ثم أخذت تنحط الى مستوى فائدة الفضة حتى بلغت ٢٠٪ « ٥ ايمر من الشعير تخص ولى العهد ، فى يد تاقونى الثانى ، توضع تحت تصرف « هاماثوئو » من قرية « هاندوات » يزيد الشعير بمقدار ٥٠ قا للايور » .

وكان نفس السعر يستعمل بالنسبة للقروض بغير فائدة حين لا يتم السداد فى التاريخ المتفق عليه (٢) .

وقد اقترض « كتسير آشور » ١٠ شواقل من الفضة وهى الثمن المقدّر لكمية معينة من العلف يجب أن يسلم فان لم يسلم هذا الدريس طبقا للشروط المقررة فانه تسرى على المبلغ فائدة بواقع ١٠٠٪ وكذلك وضع « شوما ايلانى » فى ٢١ آب ٦ ايمر من الزيت الطيب تحت تصرف « آشور بعل اوتسور » وكان يجب ان تستعاد فى الشهر التالى والا احتسبت

Ibid. Nos 78, 87, 27, 28, 271, 18, 258.

(١)

Ibid, Nos 131 129 148.

(٢)

الفائدة - كما هي الحال في الأمر السابق - مساوية لرأس المال أى قدرت الفائدة بواقع ١٠٠٪ ٠ وفى هذين المثلين وأحدهما خاص ببيع تم الدفع فيه مقدما والآخر خاص بقرض بغير فائدة نجد ان الشرط الخاص بالفائدة هو فى الوقت نفسه شرط جزائى ولا يمكن الاعتماد عليه باعتباره السعر المعمول به بصفة عامة (١) ٠

وحين يجد المدين نفسه فى حالة لا تسمح له بإعادة الشيء المعابر عينا أو ما يعادله ، فانه كان ينص عادة على ما يفرض عليه دفعه ٠ وفى شهر تبت ٦٨٣ ق م ٠ وضع « مانوكى ننوا » ٢٥٠ قا من النبيذ تحت تصرف « أوتاما » على أن يردّها فى شهر اياروو . ان لم يردّه فإنه يلزم بأن يدفع الثمن على أساس سعر السوق فى نينوى ٠ وهكذا تصرف سيليم آشور فى موقف مماثل فى ٦٧٥ ٠ وفى ٦٧٤ اعطى « دانا » الى « ايلى موكين اهى » و « اداد ابال ادين » حق استعمال هجينين وكان عليهما أن يرداهما فى الاول من « مارششوان » أو يدفعا ٦ مينا من الفضة فان لم يكونا فى وضع يسمح لهما بذلك فانهما يدفعان الفائدة ٠ وفى ظروف أخرى كان ينص على دفع « قيمة المنازعة » أى عشرة أمثال قيمة الشيء الذى لم يرد ٠

وقد يتم اتفاق كذلك على مكان التسليم وفى حالة التأخير يحدد مكان آخر ٠ رند اقرض نابودورى ٣٠ ايمر من الشعير الى تبتاي سائق « عجلة ما-جانسى » بشرط اعبادتها فى مارششوان فان قام بتسليمها بعد ذلك فعليه ان يعيدها الى نينوى (٢) ٠

٦ - الرهون

كان الرهن الذى يطلبه الدائن عبارة عن ملك عقارى أو منقول ٠ وغالبا ما كان عبارة عن مزرعة بعبيد الأرض الذين عليها ٠ وكانت الصيغة المعتادة فى العقد التالى :

« ٢ مينا من الفضة على نظام مينا قرقميش خاصة بـ « اداتى » زوجة الحاكم تحت تصرف ٠٠٠ يا ، مساعد مفتش المدن ٠ وقد أخذت بدلا من الـ ٢ مينا عقارا مساحته ١٢ ايمر وهو حقل موحود بـ « مزارع » مدينة اشورو « كوردي اداد » وزوجته وثلاثة أبناء و « كاندلانو » وزوجته وعددهم

Tbid, 151.

(١)

Tbid, Nos 127, 122 à 124.

(٢)

جميعا سبعة أشخاص و ١٢ ايمر أخذت بصفة رهن تحت تصرف اداتي
و بمجرد سداد المبلغ يرد اليه الحقل والمذكورون » .

ثم يلي ذلك أسماء الشهود والتاريخ .

وفي هذه الحالة الخاصة ، وفي حالات أخرى ، كان يصبح للدائن
حق الانتفاع بالحقل المرهون ويعتبر هذا مقابلا للفائدة . وقد نص على
ذلك صراحة في عقود أخرى وهكذا نرى أن « مارشارى بعل احى » يستلم
ويأخذ في مقابل ١٢ شاقلا أرضا مساحتها ٢ ايمر و ٢٠ قا بمكيال سعة
٩ قا (أى أنه يلزم ٩ قا من الشعير لزراعة وحدة المسباحة) « وسيأخذ
محصولها كل سنة » وحين يسدد المدين « سن كوتسوراني » المال فانه
يسترد حقله . وكان في مثل هذا النص مخاطرة من جانب المقرض ؛
اذ لم يكن دائما موضع تنفيذ . فقد اقرض معبد اربيل رجلين مبلغ ١٧
شاقلا من الفضة بفائدة ٢٥٪ ، وكان على مدير المعبد أن يستغل قطعة من
الأرض مقدسة كرهن وأن يجمع المحصول : فان زادت الغلة عن الفائدة فان
المدينين يستمتعان بالفائض . أما اذا قلت عنها فعليهما أن يعوضا العجز .
و حين يكون الرهن بيتا وكان المقرض يعيش فيه فان الايجار يمكن اعتباره
معادلا لفائدة المال المقرض . أما اذا لم يكن يعيش فيه فان المدين يكون
ملتزما بدفع الفائدة المتفق عليها . وكان العبد المسلم كرهن يؤدي خدماته
للدائن وكانت قيمة هذه الخدمات تخصم من الفائدة وقد تعادلها . وهكذا
نرى في ٦٦٨ ق م . قرضا قيمته ٣ مينا اتفق على أنه بدون فائدة مادام
هناك عبدان قد وضعها تحت تصرف الدائن حتى تاريخ السداد .

أما عن التبعات من هرب أو موت فانها تقع على كاهل المالك لا على
الدائن . وقد ذكر ذلك صراحة « موشكينوبا » الذي اقرض ٣٠ شاقلا
من الفضة الى « نابونا دين اهي » في العام المسسمي باسم « نابوشار
اهيشو » . وهذا هو المتبع بعينه فيما يخص الضمانة ضد الصرع . وكان
يمكن أن ينص على أن المال المقرض يصبح واجب السداد فورا في حالة
اختفاء الرهن (١) .

٧ - الكفالة

كان الآشوري يستطيع أن يفعل ما يفعله البابلي من ناحية رهن
زوجته وأبنائه أو بناته . ولم يكن من حق الدائن أن يحلق أو يشوه هؤلاء

Ibid, Nos 66, 67, 68.

(١)

الأشخاص والا فانه يعاقب بشق اذنيه فكان لا يستطيع تزويج الفتاة الحرة
الموضوعة تحت خدمته دون موافقة أبيها فان كان الأخير ميتا ، فان على
اخوتها واجب عتقها في مدة قصيرة والا فانه يصبح من حق الدائن نفسه
أن يحررها ويزوجها (١) .

وكان من المحظور بيع الأشخاص أو الحيوانات المعطاة كرهون وكان
جزاء ذلك عقابا شديدا (٢) .

وكما هي الحال في بابل — ولكن ربما كان ذلك في نطاق أضيق —
كان يمكن اختيار الكفالة في آشور . وقد فعل ذلك «كتسير آشور» لا في
صفقة قرض ولكن بمناسبة سلفة مالية أعطاها لثلاثة أشخاص كان عليهم
أن يوردوا له كمية من الدريس (العلف) . وقد أخذ أحدهم على عاتقه
مسئولية تسليمها بالكامل . وتحمل التعويضات في حالة عدم مراعاة التنفيذ
في الأجل المحدد . وفي ٦٨٠ ق م . طلب « دانا » كفالة لضمان ارجاع ٧٢
نعجة معارة لفترة تبدأ من شهر « سمانو » الى شهر « آب » . ومن الجائز أن
يشارك في عقد القرض طرف ثالث يصبح المدين الحقيقي ويوقع العقد
بخطمه . وفي سنة ٦٧٠ وضعت ١٠ شواقل تحت تصرف « مينو اهني
انا ايلي » لمدة عشرين يوما وقد استعارها ليقدم خدمة « بودوبياتي » الذي
لا يطمئن اليه « سيليم آشور » « أن أعطي بودوبياتي المال الى « مينو اهني
انا ايلي » ليسلمه سيليم آشور (هذا حسن) وان لم يعط بودوبياتي المال
فان على مينو اهني انا ايلي نفسه أن يدفعه (٣) .

LXXIII, loi 48.

(١)

Ibid. lois B,C,D.

(٢)

XCIV. Nos. 151, 119, 99.

(٣)

الكتاب الثالث :

المعتقدات والحرف

الفصل الأول

الديانة

لم يكن الدين الآشوري يختلف عن البابلي في روحه فكانت العبادة من وحي التقاليد العتيقة لسيبار وأوروك وبابل . أما العقيدة فقد تناولها التعديل لتلائم العبقرية الخاصة بجنس حربي . وعلى أية حال ، فإن الدين لم يكن له أثر مطلق على هذه الحضارة الحربية . وبلا شك ذلك بصفة خاصة في زخرفة القصور حيث كان يقوم تصميم كل شيء بقصد عرضه . لا عن وحي شعور ديني بل تمجيذا للامير الحاكم .

وقد منح الإله الأعظم آشور (العطوف) اسمه إلى أول عاصمة وإلى البلاد جميعا . وكان يعبد الكثيرون منذ القرن الخامس والعشرين وكان له المقام الأول بين الآلهة الممجدين في ناحية قيصرية في آبادوتيا . وقد وجد بآشور الذي كان طبقا لقصيدة الخليقة البابلية أسبق من أنو إله السماء . وكان ملكا للآلهة جميعا وخالقا للسماء ، أنو والأقاليم السفلية . وكان - مثل مردوك - في نظر البابليين خالق البشرية كذلك ، وقد صنعت نظرية خلق العالم تمجيذا له . وكاله حربي ادعى إخضاع الناس جميعا لنيره لأن مردوك « منحه منذ الأبد آلهة الأقاليم الأربعة لتمجده حتى لا يتهرب من ذلك أحد » (١) وكان يمثل مسلحا بقوس ومدود مستعد لرمي سهم في وسط قرص مجنح مستعار من الرمز الحيثي . وكانت زوجته عشتار الآشورية التي تسمى في معظام الأحيان إيليت (الملكة) .

وتحتل عشتار بعد آشور أهم مكانة في مجمع الآلهة الآشورية على الأقل فيما يتصل بالحملات الحربية لأنها كانت هي كذلك محاربة . ويسمى آشور ريش إيش « بطلة المعارك تلك التي لا تبقى على واحد من أعداء آشور » ويحكى آشور بانينال أنها رثيت في الحلم بجعبيين أحدهما على الكتف اليميني والآخرى على الكتف اليسرى وهي تمسك

بقوس فى يدها وتستل سيفاً حاداً كما هى مصورة على الاختام الأسطوانية .
وهناك ثلاث الهات عبادت تحت هذا الاسم كانت لهن معابد فى كلج وتينوى
واربيلا .

والآلهة سن ، شماش ، أداد ، بعل مردوك ، نابو ، اينورتا ،
نرجال ، نوسكو هم الآلهة الذين يتردد ذكرهم كثيراً فى النصوص التاريخية
وهم الذين يلتمسهم الملوك بطيبة خاطر مع آشور وعشتار .

وكانت المعابد الآشورية تبني على نمط الهياكل السومروأكادية ،
ولكن بها نفس الاختلافات التى لاحظناها فى العمارة المدنية .

وفى أحواش هذه المعابد - كما هى الحال فى بابل وبورسيبا -
كان الآشوريون يبنون « زيجورات » أو برج مدرج وهو آخر مراحل التطور
لما كان من قبل رمزا للاله . وقد عثر على أطلالها فى دور شاروكين
وأشور .

وكان الكهنة يشمل نفس الترتيب والتقسيم الى ثلاث طبقات من
الاهية تبعاً للموظائف المقدسة التى كانوا يؤدونها هناك وهى الخاصة بمن
يطهرون الناس والأشياء (الأدوات) عن طريق الطقوس السحرية
والصاوات ثم أولئك الذين يقرءون رغبة الاله فى كتاب الطبيعة ثم أولئك
الذين يقومون بالدور الثانوى للمغنين والخدم . ويظهر أن الكاهنات كن
أقل عدداً منهن فى أكاد إذ أن النصوص لا تذكرهن كثيراً .

وكان للأمير - وهو ممثل الآلهة على الأرض - الذى اختاروه ليتولى
الملك . . . كانت له مهمة ثلاثية مباشراً : أن يحفظ العدالة ويتمسك
بالحق ، ثم يجمع ظلم القوى للضعيف وأن يخضع لآشور الشعوب التى لم
تستطع بعد ويعاقب أولئك الذين يحنثون بايمانهم والاخلاص له وأخيراً
أن يعال ككاهن بنفسه وذلك سواء فى عودته من الصيد أو فى احتفالات
الاهية الهامة وتحتوى نقوش القصور مناظر يباشر الملك فيها سكب
السوائل القربانية تمجيدها لعشتار على أجساد السباع المرشوقة يستهامه .

وكان الدور الذى يلعبه الكهنة الذين يستطلعون الغيب بالغ الأهمية فكانت لديهم فى مكتباتهم الطقوس البابلية وكانوا يضيفون اليها باستمرار نتائج ملاحظاتهم وكان يلجأ اليهم عند كل حادث فى الحياة العامة أو الخاصة . وفى المناسبات الخطيرة الشأن كانت الاستشارات تتزايد . وقد تبين لسرجون فى لحظة الانطلاق ضد « موتسا تسير » أن نجوم نابو ومردوك تشير الى بيت فى السماء مما كان فالا يدعو الى حمل السلاح وكان سن قد أشار فى اليوم السابق الى علامات مرضية تنبئ بالاستيلاء على السلطنة كما خط شماش على الأحشاء نذرا يعتمد عليها تعنى أنه سيسير الى جانب الملك . وقد كان الآلهة يكشفون عن أنفسهم بأبسط الوسائل . فاقدم استشار آشور بانيبال الاله نابو فاجابته نسمة عن الاله قائلة : « لا تخش شيئا فسامحك عمرا طويلا » .



(شكل ٤٦)

وكان المعبود يظهر رضاه نحو البشر عن طريق الأحلام فى معظم الأحيان . وكانت عشتار تسلك هذا السبيل لتدخل السكينة الى نفس

تمثال الاله نابو حوالى عام ٨٠٠ ق م .
(المتحف البريطانى)

آشور بانيبال فى أخرج اللحظات - ولقد كان الحلم فى إحدى الليالى واضحا حتى انه لم يكن يحتاج الى كهنة يفسرونه . ولقد وصل الجيش الآشورى عند مطارده للعيلاميين حتى ضفاف ايديد حيث خندق العدو وراءها وكان التيار سريعا وجارفا ولم تكن هناك مخاضة وخشى اشجع المحاربين أن يعبر النهر فظهرت عشتار اربىلا للجنود أثناء نومهم وشددت من عزائمهم بهذه الكلمات « سأقدم أمام آشور بانيبال الملك الذى خلقه يدي » فعادت الثقة الى نفوسهم وعبروا النهر فى اليوم التالى دون حدوث حادث ما .

وكانت العبادة الالهية - كما هي الحال فى بابل - تتكون من ادعية وصلوات عامة او خاصة ثم تقدمات وتضحيات . وكان العيد الرئيسى لكل معبود يشتمل على « اكيثو » اى « موكب » يحمل فيه تمثال المعبود حتى يصل الى معبد يسمى ايضا « اكيثو » ويقع خارج المدينة . وقد كشف عن اكيثو آشور المسمى « اكيث تسيرو » على مبعدة ٢٠٠ متر وراء سور المدينة .

وكان يحتفل باكيثو عشتار نينوى فى شهر تبت وبسميتها عشتار فى اربيل فى شهر آب : وقد حضر آشور بانيبال الاحتفال بعيدها فى عام ٦٥٥ ق.م . وكان يقود بنفسه فى رحلة العودة العربية الموضوع عليها تمثال الالهة ودخل المدينة دخول الظافرين وسط هتاف الجماهير وكان يسبقه بعض الاسرى المثقلين بالأغلال وهم دونانو ، وسامجونو امراء جامبولو كما عرضت رأس « تويمان » ملك عيلام على الشعب .

والنقوش الملكية مليئة بالدعوات فهناك تجلات فلاسر الأول يلتمس من انو وأداد أن يلتفتا اليه دائما « ألا فليرضيا عني عندما أرفع يدي ويسمعا دعواتي . ألا فليمنحا حكمي امطارا غزيرة وأعواما من الثروة والرخاء . ألا فليعاوناني على الخروج من الحروب وطين المعارك سائا آمنا . ألا فليخضعوا تحت قدمي كل الأقاليم المعادية لي وكل الأقاليم والأمراء والملوك الذين يخاضعونني . ألا فليستبغا بركاتهما على وعلى نسلي الكهنوتى . ألا فليثبتا كالجبال الى الأبد كهنوتى أمام آشور وآلهتها » .

ولم يبدأ سرجون الحرب ضد اورسا ملك أورارتو قبل أن يرفع يديه الى آشور ملتسما « ان يتم هزيمة (عدوه) فى وسط المعركة : وأن يرد عليه سلاطة لسانه حتى يحل به العقاب » .

والتمس اسارحدون ان اجابته الى هذه الرغبة الآتية : « ألا فليراع الالهة الذين يساعدوننى اعمالى بفرح . ألا فلتبارك قلوبهم الثابتة ملكى . ألا فليخلد نسلي الكهنوتى حتى اليوم الأخير مثل أساس الايساجيل وبابل . ألا فلترحب الجماهير بالملكبة مثل نبات الحياة . ألا فلأرعبهم وأربهم على العدالة والحق » .

وقد دعا نفس اسارحدون الى القصر آشور وعشتار نينوى وكل آلهة آشور ليقدم لهم تضحيات وهدايا ، كما أنه كذلك فى يوم مناسب من شهر زى فال طيب دعا سرجون آشور ومعبودات أخرى وقدم لهم هدايا من الذهب والفضة « حتى أسعد نفوسهم » .

وكانت التقديمات للآلهة متنوعة جدا وكان الملك عند عودته من كل حملة يضع جانبا من الغنائم لصيانة وترميم هياكلهم ولتنمية خزانهم .

وقد قدم تجلات فلاسر الأول آلهة البلاد التي فتحتها الى أداد . وكرس
سناخريب مباني دينية تخليدا لذكرى انتصاره على بابل . وعند عودة
أشور بانبيبال من عيلام بعد نهب سوسة أرسل خيرة العبيد وأحسن
ما في (الغنائم) الى آلهة آشور وكان المواطنون يمسحونهم الأراضى وأحسن
الأشياء ويكرسون لهم العبيد بل - وكذلك - أطفالهم لخدمتهم .

وكان حلف اليمين يصحب أحيانا بتضحية . وكانت التضحية تقرر
بمن يسأل الآلهة أن تشهد على صدق ما يقول . وكما كان الأمر في بابل،
لم يكن هناك فاصل بين الدين والسحر . وحين عقد آشور نيرارى اتفاقية
مع « ماتى ايلو » أمير ارباد قدم كبش . - مخصصا كذبيحة وقال المضحي :
« هذا الرأس ليس رأس كبش مخصى . انه رأس ماتى ايلو ورأس أطفاله
ورأس عظماء قومه وشعب أرضه . . . هذه الخاصرة اليمنى ليست خاصرة
الكبش . انها خاصرة ماتى ايلو وخاصرة أطفاله وخاصرة عظماء قومه وخاصرة
شعب أرضه » ثم تمنوا أن يكون مصير ايلو مصير هذا الكبش المخصى
ان هو حنث بيمينه .

وكانت التضحية مصحوبة ببعض الطقوس السحرية تستخدم في
مناسبات كثيرة في الحياة الخاصة . وعلى هذا كان « تطهير المرأة التي
لم تكن تحظى بحب زوجها تتطلب الى جانب الذبيحة رقية توجه الى
عشتار . وفى خلال الاحتفال كانت عقيصة ذات ١٤ عقدة من القنب
والصوف « وقطعة من متن غزال » توضع فوق حجرها (١) .

وكما كانت الحال في بابل كان الخوف من الآلهة أساس الدين .
وقد كتب « أداد شوم أوتسور » فى وصفه البداية السعيدة لحكم آشور
بانبيبال قائلا : « ان الآلهة على استعداد طيب والخوف من الاله عظيم
والمعابد غنية » والملك نفسه يقول : « أنا فى خشية فى حضرة هياكل
الآلهة العظام » .

وكانت العقوبة جزاء نقض ناموس الواجبات الدينية بل ان الموت
كان أحيانا عقاب المجرم . وقد عاقب آشور بانبيبال من قصرنا علنا فى

أداء هذا الواجب فقطع السنة جنسود أكاد الذين تمردوا على آشور .
ويقرر سناخريب « أنه بأمر الهى آشور لم يكمل كودور ناهونتى ملك
عيلام ثلاثة شهور بل مات فجأة بموت قبل الاوان » .

وكانت التقوى الدينية من ناحية أخرى تكافأ بالعمر الطويل فى هذا
العالم . أما الحياة فيما وراء القبر فلم تمنح الآشوريين أكثر مما منحت
البابليين أى نوع من الجزاء عن أعمال الخير أو الشر ، مع أن العدالة كانت
تتطلب جزاء مناسباً . ويؤكد تجلات فلاسر الأول مثل هذه المكافأة فى
حالة « آشور دان » أحد أسلافه « كان سلوكه وقربان التضحية مرضياً
لكبار الآلهة وهو لهذا السبب قد وصل الى شيخوخة وقور وتقادم » .

ويقدم « آشور نئسير ابلا » مذهباً « كى تطول حياة روحه وحتى
تكون أيامه عديدة » ويقول آشور بانيبال للمعبودات التى رمم معابدها :
« امنحونى - أنا الذى أخشى معبوداتى العظيمة - حياة تمتد أياماً طويلة
وسرور القلب وليجعل السير فى معبدك أقدامى مسنة » .

الفصل الثانى

الفنون

١ - البناء والتشييد

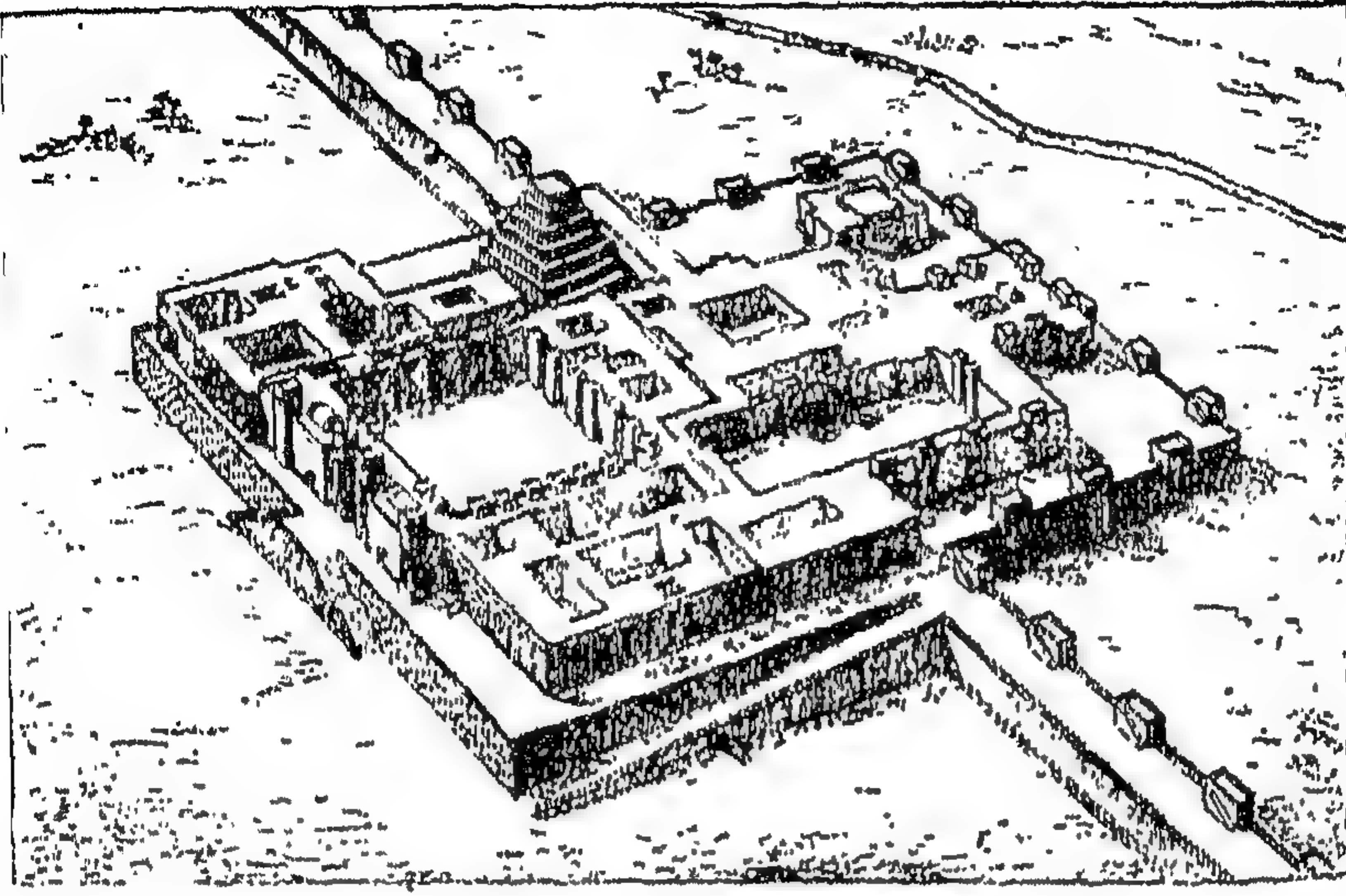
لا يكاد أحد ملوك آشور يعتلى العرش حتى تملكه نزعته هجر قصر تملأ حوائط غرف الاحتفالات به نقوش وكتابات تشيد بشجاعة سلفه وتخلد ذكرى الأعمال العظيمة التى قام بها . وذلك رغبة منه فى أن يقوم هو أيضا بتشبيد أثر تمجيدها له تصور فيه وتوصف أهم أحداث عهده . وقد أنقذت عادة ترتيب هذه النقوش فى أسفل الحائط جانبا كبيرا من التهشيم اذ أنه حين انهارت الحوائط سد الجزء العلوى منها الغرف والأبهاء ، دون أن يحطم التصميم وترتيب العناصر المختلفة .

والقصور الآشورية كلها متشابهة ان لم يكن فى تفصيلاتها فعلى الأقل فى التخطيط العام لترتيبها . ولعل أشهر قصر نعرفه هو قصر دور شاروكين الذى بنى فى الأعوام الأخيرة من القرن الثامن . ولقد وصف بوتلا وبلاس الكشف عنه وزينه بلوحات معتنى بها تظهر فيها تباعا مراحل الحفر المتعددة . وقد خصص بيرو وشبييه وصفا رائعا له مصحوبا بمنظر يختلف عما تخيله توماس . ولقد بنيت مدينة دور شاروكين والقصر فى نفس الوقت ولكنهما لم يعمرأ طويلا ولم يتناول المباني الرئيسية أى تعديل . وقد اختار سرجون مكانا لهما قريه « ماجانوبا » على « الخاسار » على مبعدة نحو ١٥ كيلو مترا الى شمال شرق نينوى . وقد احاطت المدينة بسور تحصين مستطيل وبنى مسكنه فوق مسطح فى مستوى الحوائط على جانبي الجدار الشمالى الشرقى حيث يوجد بروز تحيط به أبراج تشبه أبراج السور وبروزها الى ناحية الريف . وهناك بروز آخر الى داخل المدينة وتبلغ المساحة التى يشغلها هذا المسطح حوالى ١٠ هكتارات ، وهى تتكون من مستطيلين يرتبطان عند جوانبهما الطويلة أما المستطيل الصغير من الخارج فمساحته ٣٥٥٥٠ مترا مربعا والآخر ٦٠٩١٦ وكان بالقصر أكثر من ٢٠٠ غرفة كشف منها بوتلا عن ٤٠ وبلاس عن ١٨٦ وكانت تتجمع فى ثلاثة أجنحة متميزة منها ما كان مخصصا كقاعات استقبال ومنها ما كان مشتركاً من غرف السكنى ومنها المعبد .

وفى الجانب المواجه للمدينة كانت توجد واجهة فسيحة تتخللها ثلاث بوابات فخمة تحيط بها أبراج مربعة . وكان يحرس المدخل الأوسط الرئيسى ثلاثة أزواج من الثيران المجنحة صخور كبيرة الحجم لجلجامش وهو يخنق أسدا كما أن ما حول العقد كان مزينا بطوب خزفى متعدد الألوان . أما المدخلان الآخران فكان لكل منهما زوج من الثيران المجنحة كحراس . هذه البوابة تؤدي الى المساكن الخاصة مرتبة حول جوانب ثلاثة من بهو مربع تقارب مساحته مساحة بهو اللوفر . ومن داخل هذا البهو يستطيع المرء أن يمر الى جناحين آخرين هما المعبد وقاعات الاستقبال التى لم يكن يوجد اتصال داخلى مباشر بينها . أما كيف كان يمكن الوصول الى الشرفة التى ترتفع ١٤ مترا فوق مستوى السهل ، فان هذا سؤال لم تستطع أعمال الحفائر أن تسمح بالإجابة عليه حتى الآن ، اذ أنه لم يعثر على أثر لسلم أو منحدر فى اتجاه الريف أو المدينة . والمنظر المجدد الذى أعده توماس وشيبييه يصور مجرد افتراضات لما كان عليه القصر ولكن مهما يكن من أمر من حيث المكان الذى أقيم فيه هذا السلم أو المنحدر ، فانه مما لا شك فيه أنه كان هناك طريق للدخول للسماح للعربات والماشية السميكة بالوصول الى مخازن التموين والتجهيز ولتسهيل دخول وخروج الحاشية الضخمة الملحقة بالقصر .

وكان يواجه الزائر بمجرد وصوله الى البهو الكبير الخاص بالجناح المشترك حائط مرتفع به باب واحد يؤدي الى قاعات الاستقبال . والى اليمين توجد غرف متعددة متجمعة حول أبهاء صغيرة تستخدم كمطابخ ومخابز وحظائر . . . الخ وفى هذا الحى عثر كذلك على المراحيض (دورات المياه) والى اليسار كانت مخازن المئونة والأدوات والطوب والمعادن ومختلف أنواع الغنائم مستقلا بعضها عن بعض ولكل منها مسكن خاص بالحارس . وفى وسط هذه المباني يمر يؤدي الى المعبد ويتفرع ليمر بين حائطين عالىين الى البرج المدرج والأجزاء الخلفية من المبنى . ويمتد أمام مجموعة قاعات الاستقبال بهو كبير كانت مساحته حوالى ثلثى بهو الجناح المشترك . ومن المحتمل أنه كان يمكن الوصول اليه من الخارج من جهة الشمال الشرقى من جانب حائط السور . ولكن هذا الجزء من البناء مخرب تماما وليس هناك أثر باق للبوابات .

وكانت المباني المخصصة للاستقبال تشتمل على حوالى ٦٠ غرفة موزعة حول أبهاء مختلفة ومقسمة الى مجموعتين متميزتين تماما الواحدة عن الأخرى وتكون الأولى ما سماه بلاس بالقسم المنقوش وهو مجموعة قاعات الاستقبالات . أما الآخر فأقل زخرفة وكان حى الكاتب والدبوان .

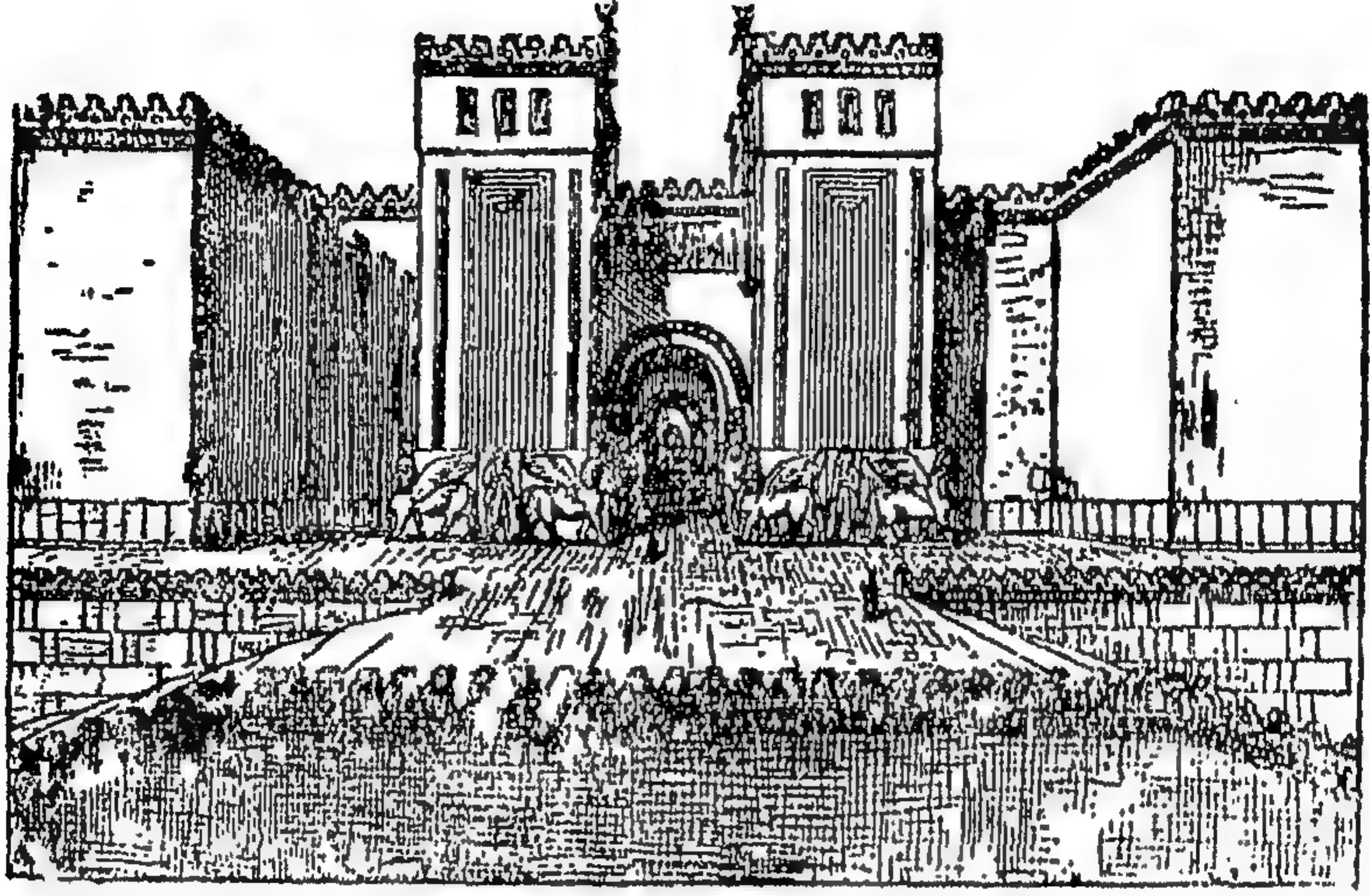


(شكل ٤٧)

قصر دور شاروكين (منظر من اعلی) (نقلا عن بيرون وشيبييه)

وقد وضع المدخل بحيث يحجب أية رؤية مباشرة من الخارج .
وكان المرء يدخل أولا الى بهو صغير يخرج منه دهليز ضيق طوله ٤٥ مترا
يؤدي الى البهو الرئيسي وهو أفخم بقعه في القصر كله . وعند الدخول
الى هذا البهو ومساحته ٩٧٦ مترا مربعا كان الزائر يجد أمامه ثلاث
بوابات جميلة مقببة واثنين آخرين على كل جانب تؤدي الى شرف الاستقبال
الرئيسية السبع وكلها مزينة ببلاط منقوش وطوب زخرفي . وكان البهو
نفسه مزينا بنفس الطراز وتحرس الأبواب الرئيسية ثيران مجنحة .
وكان أسفل الأفاريز العالية مقسما بانتظام قسمين : فالجزء العاوى مندى
بكتابات طويلة تكرر في عدة قاعات بينما نجد في أحد الأجزاء أحداث
الحكم تذكر في ترتيب تاريخي وهي الحوليات اذ نجد في آخر الأعمال
البارزة للخمس عشرة حملة الأولى تتجمع في ترتيب جداري وهي تكون
« فخر » الملك ونقاويمه وفي الجزء السفلي نجدت ونقشمت بارزة ملونة
تروي بالصور ما قصه لنا النصوص المكتوبة فوقها .

ولم تكن المواد المستعملة تسمح للمعماري بأن يبني القاعات
بالاستجمام التي يريدونها وقد جعلها كلها على نمط واحد بطول ٣٢ مترا
عرض ٨ أمتار .



(شكل ٤٨)

قصر سرجون - تفصيلات الواجهة من ناحية المدينة

- أما مكاتب الدولة فكانت أضيق و
- خمس أبناء وقلما كانت جدرانها
- طبقة مدونة من الملاط أو مصورة
- إلى الشمال الغربي من بهو الدخول
- الأشجار ثمانى قاعات استقبال كبيرة

والى الجنوب الغربى من البهو الكبير للحى المشترك يقوم المعبد وتشق طريقك اليه اما بالدخول الى بهو عن طريق مدخل يفتح مباشرة على المبنى المشتركة ثم ينحني فى محاذاة الحائط الخلفى لقاعات الاستقبال أو عن طريق مدخل آخر على الواجهة المقابلة للمدينة بمرر ينحني فجأة نى زاوية قائمة • وكانت المباني مكونة من ثلاثة أجزاء متشابهة من ناحية التصميم ومنفصل بعضها عن بعض تماما وكانت زخرفتها بسيطة تقتصر عادة على ملاط أبيض مع افريز سفلى عريض أسود • ومن بين ثلاثة الأبناء التى تقوم حولها المباني نجد واحدا جديرا بالملاحظة بالنسبة لفخامة زخرفته : فلقد كان مزينا بطوب خزفى يكون افريزا سفليا عريضا تقوم فوقه أنصاف أعمدة • وبالقرب من الأبواب ذات العقود توجد تماثيل وأشجار نخيل من البرونز المذهب وكان يخترق الأرضية من الطوب

رباطان من البلاط المتقاطع المرتفع كانا يربطان الأركان ويؤديان الى أربع غرف ثلاث منها كانت غرف احتفالات بمشكاة في الحائط الخلفى يسبقها مسطح يرتفع ٦٠ سنتيمترا فوق الأرضية .

وكان مسطح القصر يشمل الى جانب ذلك مبنيين آخرين على الجانب الجنوبي الغربى فهناك أولا ال « زيچورات » بفيت منه أربعة طوابق تدل آثارها على أن لكل منها لونا خاصا ثم مبنى منعزل ومخرب كان مبنيا من كتل الحجر الجيرى بنقوش من البازلت : المناظر الصيد والحرب والجزية .

وكانت المشكلة القائمة أمام المعمارى هى هذه : أن يجمع ثلاث مجاميع من المباني كان يجب أن يكون بينها وبين العالم الخارجى أقل ما يمكن من صلات ثم - بعد ذلك - أن يكون فى كل منها مجاميع فرعية بنفس الظروف على أن تراعى حاجات العمل للخاصية النسخة الملحقه بالقصر . ولقد استطاع حلها بطريقة تنطوى على الحدق وذلك عن طريق عمل أبهاء لا ترتبط الا بواسطة ممرات ضرورية وتجمع حول كل مجموعة منها الغرف العديدة اللازمة لخدمة معينة . وكان المحور هو البهو الكبير للحنى المشترك الذى كان يتصل مباشرة بالخارج من ناحية وبالمجموعتين الأخرين من ناحية أخرى (١) .

أما طراز زخرفة الحوائط والبوابات فقد فرض عليه عن طريق التقاليد منذ القرون الأخيرة للملكية . ومثال ذلك فى قصر سرجون وقصر « آشور نتسير ابلا » فى كلع الذى رمه بنفسه وزينه بنقوش يشيد فيها بأعماله وكذا فى قصر « آشور أتيل ايلانى » خلف آشور بانيبال ذلك القصر الذى لم يتم العمل فيه والذى نرى حجراته وهى من حجم صغير مزينة بصور غير معتنى بها .

والتقاليد التى نحن بصدددها لم تأت من بابل بل أخذها الآشوريون عن الحيثيين الذين توجد فى قصورهم المبنية فى الألف الثانية زخارف منحوتة فى أفاريز (أسفل الحوائط) التى نجدها عند الحيثيين أقل ارتفاعا . بل وأكثر من ذلك أن الملك نفسه - مثل ما فعل « تيجلات فلاسر » من قبل - يشير فى هذه النقوش الى هذا التأثير ويقرر أنه هو كذلك أقام مبنى على الطراز الحيثى يسمى « هيلانى » بلغة العاموريين .

وكان قد جرى تساؤل لم كانت المباني الهامة تبنى من الطوب فى بلاد ليس بها الجص نادرا ولم يكن الأمر أمر تقاليد فقط ما دام الحجر

كان يستعمل الى مدى لا نظير له فى بابل حتى حين خضعت الأخيرة بدورها للتأثير الآشورى اليس من الممكن أن نقرر - كما اقترح بروه أن السبب فى ذلك يرجع الى أن الأعمال الثقيلة يمكن أن تؤدى بسرعة بواسطة أسرى الحرب حتى يستطيع المعمارىون بذلك أن يجدوا أنفسهم فى وضع يسمح لهم بإرضاء طلبات الملك التى لا تحتمل الإرجاء ؟ .

وكانت المباني الرئيسية - كما هى الحال فى بابل - تقوم فوق ربوة لم تكن ضرورية فى آشور للوقاية ضد الفيضان ولكنها كانت تضيف على المبنى كله منظرا رائعا .

وكان اللبن يستعمل فى الجدران قبل أن يتم تجفيفه حتى ترتبط طبقاته المتتالية بعضها ببعض دون استعمال المونة . أما بالنسبة للقباب فإن الطوب التام التجفيف كان يستعمل وكانت الفجوات تملأ بالطين .

ولقد استعمل سرجون الأحجار ليسند شرفة قصره . وكانت الحوائط بارتفاع ١٤ مترا تقوم على أساس من ٢٢ مترا ويتوجها حاجز ارتفاعه ١٢ من الأمتار أما مقاس الكتل الطولية فى القاعدة فكان ٢٧٠ طولا × ٢ عرضا × ٢ سمكا من الأمتار وزنتها أكثر من ٢٠٠ طن أما أحجار الرباط فنصف ذلك فى الطول بسمك قدره ٣ أمتار . وكان السمك يتناقص كلما ارتفعنا نحو القمة بحيث تصبح أحجار الرباط والكتل الطولية أقل مترا منها عند القاعدة وكان الميل أو الانكسار من الداخل ليوازن ضغط التراب بينما كانت الحائط من الخارج عمودية تماما . ولم يكن هناك ملاط لربط الكتل التى كانت تهذب إلا حيث تتصل بالعلوب الذى لم يتم تجفيفه : وهنا كانت تترك خشنة لتسهيل الالتئام .

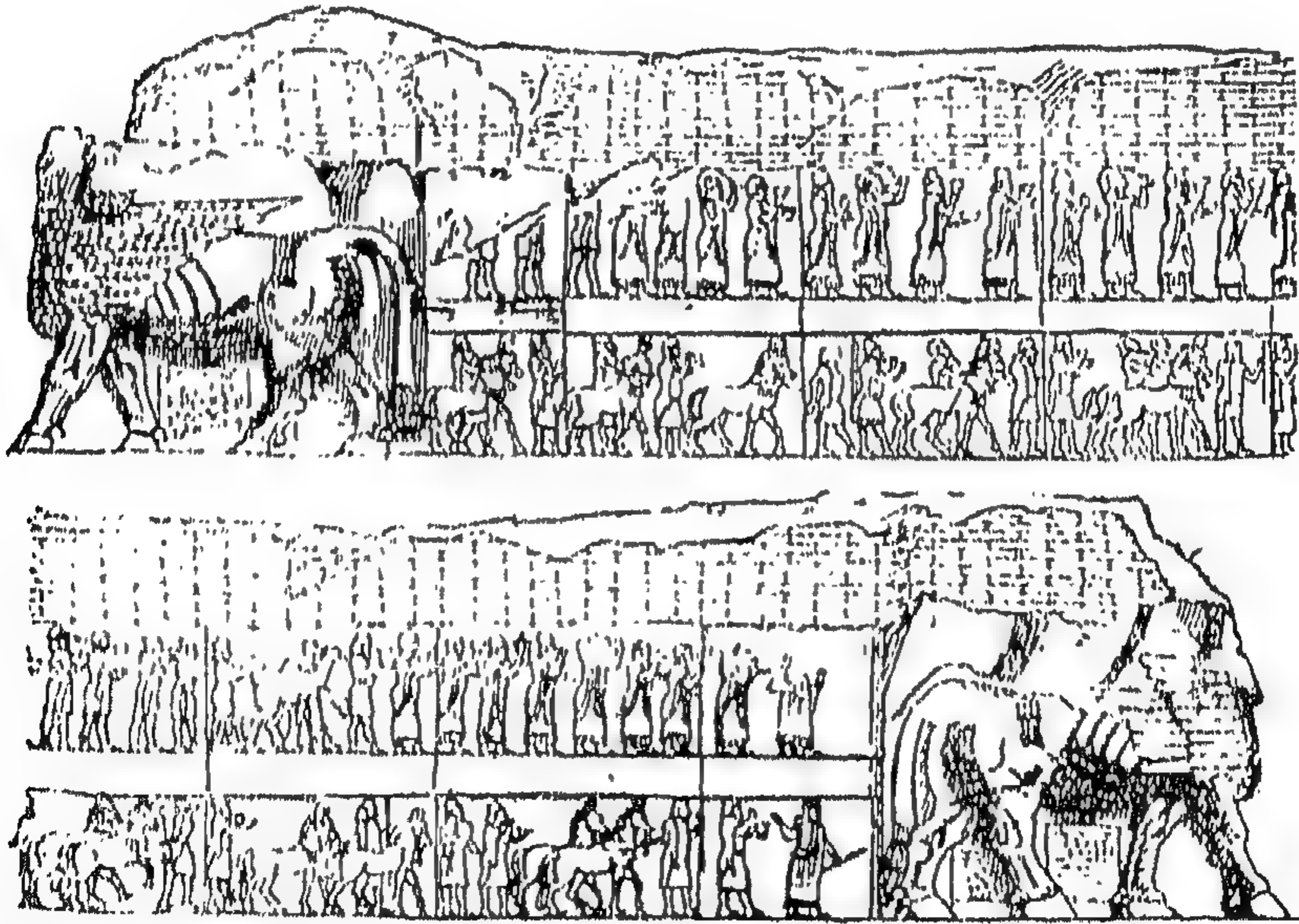
ولم تكن الأحجار تستعمل فى حوائط الأسوار للمدينة بنفس الطريقة ، بل كانت عبارة عن أساس ارتفاعه ١٠ أمتار وكانت فيه أوجه الأحجار - وهى تبعد أحداها عن الأخرى ٢٤ مترا تتكون من كتل مصقولة بعناية ولا يربطها بعضها ببعض الملاط (المونة) . وكان الفراغ بينها يملأ بواسطة كتل غير منحوتة مستوية من أعلى كى توضع فوقها الطبقة الأولى من اللبن (الطوب المجفف فى الشمس) .

وحتى فى القصر نفسه كان الحجر يستعمل تكسية لواجهات الحوائط وللأرضية ولتيجان الأعمدة . واننا لنجد الأسفلت تحت البلاط وعند قاع المجارى . وفى الحالتين كان هدف المعمارى أن يمنع رشح الماء . وكان البلاط ينحدر نحو مكان تجمع المصارف المقطوعة من الحجر حيث تفيض منها المياه فى ماسورة من الفخار الى بالوعات من الطوب ترتكز على قاعدة من الأسفلت .

ولم توجد قبوة واحدة في مكانها ولكن عثر في أنقاض وسط الغرف على قطع من كتل مقببة هي أحيانا كبيرة ومغطاة بملاط من الداخل . وبظهر أن قباب الغرف كانت تعلوها شرفات ان نحن اعتمدنا على كمية الأنقاض .

وكانت القبوة تستعمل كذلك للمجاري الرئيسية اما على شكل العقد المدبب المكون في كل ناحية من اربع قطع من الطوب على شكل المعين من أشكال مختلفة مربوطة على التوالي بين كل زوج من الصفوف بالطين أو الطوب . واما من المدبب بالتبادل مع القبو شبه الدائري . وكانت نفس عملية البناء بالعقد المدبب تستعمل في كلح جنبا الى جنب مع قنوات ذات قطاع مستطيل مسقوفة ببلاط بسيط مستو .

هذا والقصور مخربة لدرجة لا تسمح بأن نجعلنا نعرف على وجه التحقيق طريقة اضاءة الغرف . وحتى حين نجد حائط الغرفة يصل بطريق الصدفة الى ارتفاع ٧ أمتار (وهو أمر نادر) فاننا لا نجد أثرا للشبابيك . وكانت فتحات الأبواب واسعة وهي لا تقل في خور سباباد عن مترين اتساعا وهي غالبا ثلاثة أمتار ويتراوح ارتفاعها بين أربعة وستة أمتار : ولكن هذا لم يكن كافيا لجعل الاضاءة كافية في القاعات . ومع ذلك ، فان المناظر القليلة للبيوت ليس بها أية فتحة بالجدران ما خلا بعض فتحات التهوية أحيانا قرب السقف .



(شكل ٤٩) الزخرفة في أسفل الحائط لمر لى قصر دور شاروكين

(نقلا عن بولتا : آثار نينوى)

((Botta, Monumenta de Ninive))

وربما كانت تستعمل أنابيب فخارية قطرها قدم على وجه التقريب
ما دام وجود مثل هذه الأشياء في أكوام الأطلال قد يدل على أنها سقطت
مع القباب أو ربما كان هناك سرداب يترك تحت السقف كما هي الحال
اليوم في بيوت كردستان .

وتدل النقوش البارزة على أن الأبواب كانت ذات عقود أو في القليل
من الحالات مستطيلة وفي الحالة الأخيرة كان يستخدم عتب للباب من
الخشب أو الحجارة أو المعدن . وقد قدم لنا قصر سرجون مثالا من الحجر
الجيري بعتبة زخرفة على شكل تنانين مجنحة تزحف نحو اناه موضوع
بينها .

وكان العتب السفلي يصنع عادة من الحجارة في القاعات الخاصة
بالاحتفالات . وباللوفر نموذج رائع جيء به من نينوى (١) نحت على
شكل سجادة تنتشر فوقها ورود ذات ست وريقات وتحدها من ثلاثة جوانب
حافة من أزهار اللوتس والبراعم على التوالي ، وهناك ركنان مجوفان
لعارضتي الباب وفي الوسط فجوة مربعة للمتراس السفلي . وهناك ٣٩٦
عتبة سفلية أخرى صنعت لأشور بانيبال مشابهة من حيث الرسم للعتبة
السابقة وفيما عدا ذلك - وخاصة ما بين الغرف ذات الأرضية الترابية
كانت العتبات في أسفل الأبواب تصنع من الطوب . وكثير من الغرف
لم تكن لها أبواب وكان يعلق على مدخلها ستار بسيط وحيث كان هناك
باب كان من الطبيعي أن يصنع من مصراع واحد وأحيانا من مصراعين
وكلها تفتح الى الداخل . وكانت القائمة تعتمد أحيانا على كعب (جلبة)
من البرونز تدور في أوقاب منحوتة في الحجارة في أغلب الأحيان كما هي
الحال في المباني القديمة السوميرية ولكنها كانت في بعض الأحيان من
الطوب أو البرونز .

وكانت البوابات الرئيسية للقصر تغطي بالمعادن الثمينة كما كانت
التمائيل والنقوش الخارجية توضع عادة بالقرب من الأبواب والممرات .

وكانت تعترض الحوائط أحيانا بعض الأعمدة أو القنوات مثال ذلك
في أحد أبواب معبد خور سابات وكذا على الزيجورات حيث تكون الزخرفة
الوحيدة . وكان يعلو الجدران غالبا شرفات مكون كل منها من فتحتين
أو ثلاث الواحدة فوق الأخرى وكانت الزخرفة تتم باستعمال الطوب
الزخرفي أو الملاط أو ألواح الحجارة .

وكانت الأحجار المستعملة للأجزاء السفلى تحمى هذه الأجزاء من الجدران، المبنية من اللبن . وكانت الألواح تطرق من الناحية الخلفية لتسهيل الالتحام وكانت توضع جنباً إلى جنب وتربط ببعضها البعض أحياناً من أعلى بواسطة رباط معدني كما تمسك من أركانها بقطع من الحجارة الأخرى المنحوتة على شكل الكوع (الزاوية) . وفي قاعات الاحتفالات كانت هذه الأجزاء السفلى مزخرفة بنقش يلتصق بالألوان . وكان قصر خور ساباد وحده يحوى من الأفاريز المنحوتة على هذه الصورة ما يمتد إلى أكثر من ٢٠٠٠ متر . والنقوش عند البوابات أعلى والصور على حجم أكبر . وكمثل لذلك نستطيع أن نذكر الثيران المجنحة التي يستطيع القصر أن يفخر بوجود ٢٦ زوجاً منها على الأقل .

أما سطوح الجدران كلها التي لم تكن تحميها مثل هذه الأجزاء السفلية من الحجارة فإنها كانت مغطاة بطبقة من الجير والجص لا يزيد سمكها عن ٤ ملليمترات عثر بها على آثار نقوش تصويرية .

وقد قدم لنا الطوب الخزفي وخاصة بالقرب من البوابات زخارف متعددة الألوان وكان يستخدم في الأفاريز السفلية كما في بهو المعبد أو شميران العقد (حلية معمارية) ، ويظهر أن ملوك البابلية الجديدة تعلموا من آشور استخدام هذا اللون من الزخارف الذي مر بتطور هائل عندئذ في قصور الأكمينيين .

وفي نينوى ودور شاروكين كانت المباني توجه في أركانها بالجهات الأصلية كما في بابل . أما في كلع فإن الاتجاه يقابل أواسط الجدران .

ولقد انتقلت الطقوس المتعلقة بأساس المباني من شعب لآخر . فلقد دفنت تماثيل صغيرة لجان ذات أربع في الرمال تحت قصر أسار حدون في كلع . كما وضعت في نينوى لوحات من المرمر منقوشة على وجهيها وذلك خلف الأسدين اللذين كانا يزينان المدخل . وأما في دور شاروكين فقد كان هناك صندوق حجري يحوى اللوحات (١) من مختلف المواد . وكان الأهليون قد القوا عند مدخل المدينة بالأسطوانات والمخاريط والتماثيل الصغيرة المختلفة في طبقة الرمال بين الثيران المجنحة . وكما هي الحال في بابل نرى أسطوانات كبيرة من الطين تثبت أحياناً في فجوات الحوائط لترد الأرواح الشريرة ولتستجلب بركات الآلهة .

وكان سمك جدران خور ساباد ٢٤ مترا • وكانت مصنوعة من اللبن الذى لم يتم تجفيفه على أساس من الحجارة • وفى بعض المواضع نراها لا تزال قائمة على ارتفاع ٢٣ مترا فوق مستوى الأرض المحيطة بها • وهى تكون جسما متوازى السطوح (١٦٨٥ × ١٧٦٠ مترا مربعا) به ١٦٧ برجا مستطيلا واجهة كل منها ١٣ ١/٢ مترا تخرج بمسافة أربعة أمتار خارج الجدران • وطبقا لبعض النقوش فإن هذه الأبراج البالغ ارتفاعها ٣ ١/٢ مترا تنتهى بقبو مرفرف تتوجه فجوات • وكانت هناك بوابتان فى ثلاثة جوانب الواحدة بسيطة والأخرى مزخرفة أما الجانب الرابع فى الشمال الشرقي فكانت به بوابة بسيطة وشرفة القصر •

وكانت البوابات البسيطة تستخدم لدخول وخروج العربات ومن جهة الوادى (السهل) كان يوجد مكان أمامى يبرز خمسة وعشرين مترا ببرج منخفض عند كل ركن • وكان هناك بهو ضخم يمتد أمام برجي الحائط الذى كان سمكه هنا ٨٥ مترا • وكان هناك سردابان جانبيان توجد أمام كل منهما ، فى وسط كتلة البناء ، فتحات الباب • وفى الحائط نفسه تجويف الباب • وكانت الأرضية تتكون من بلاط كبير من الحجر الجيرى •

وكانت البوابات المزينة مخصصة للمشاة • وفى الاستحكامات الخارجية كان يوجد سلم به ٢٠ درجة من الطوب • وعند البوابة نفسها كان هناك ثوران مجنحان كأنما يسندان القبو المقنطر والمزخرف لشمبران العقد • وهناك فى نينوى بوابة بناها سناخريب بها آثار العجلات على أحجار بلاط الأرضية وقد زينت بشيران مجنحة من ناحيتى المدينة والحقول على السواء •

وكانت شوارع دور شاروكين مثل شوارع بابل مستقيمة واتساعها ١٢ مترا • وكانت مرصوفة من حجارة غير منتظمة من حجم متوسط • وقد وضعت على الأرض بدون أساس سفلى • ولم تجر حفائر فى المدينة ولكن بعض المجسمات أدى الى كشف غرف عليها بلاط وقطع من الفخار وبعض الأدوات المنزلية •

٢ - النحت

ينبثق النحت الآشوري للألف الأولى مباشرة من الفن البابلي للفترة الكاسية ، ومن الفن الحيثي للألف الثانية ولقد بلغ الكمال فيما يتصل بتمثيل الحيوانات بيد أنه لم يكن يستهدف في معالجة الصور الانسانية تبيان الأشكال التي تحت الملابس كما كان يفعل الفن السوميري وأكادي ، بل كان على العكس يتركز على تفصيلات الزى والزينة . ولقد كان الفن قبي بابل فوق كل شيء فنا دينيا . أما في آشور فكان حربيا قبل كل شيء . وإن النقوش العديدة التي تملأ حوائط القصر تمثل في أغلبها مناظر الحرب والصيد وأقدم نحت عثر عليه في آشور وجد في خرائب مدينة آشور وهو عبارة عن تماثيل صغيرة من الحجر (١) أسلوبها الفني هو نفس الأسلوب في الفن السوميري في عصور ما قبل السرجونية . وهناك مذبح من القرن الثالث عشر حفر عليه الملك بين صورتين لجلجامش الأمر الذي يعيد للذكرى الطراز القديم .

وهناك نقشان يمثلان تجليات فلاسر الأول من طرازين مختلفين يظهران أن أصول الفن في القرن الثاني عشر لم تكن قد تحددت أو استقرت بعد . فاما الأول فهو من « سوبنات » ويمثل الفن الآشوري . وأما الثاني فهو على مسلة ويقارب الطراز الميزوبوتامي كما هي الحال بالنسبة للتمثال البرونزي الصغير لآشور دان الثاني (القرن العاشر) .

وتزداد الآثار كثرة ابتداء من عهد « آشور نتسير ابلا الثاني » (٨٨٤ - ٨٥٩) ولكن ليس هناك تمثال يبلغ من الجودة الفنية ما بلغته صناعة جوديا . فتمثال شلمنصر الثالث في آشور يدل على فن بسيط ، وتمثال « آشور نتسير ابلا » في كلع الذي دهم بفكرة أن يرى من الامام ويوضع بالقرب من العائلة . يزوج ما بين الطرازين الميزوبوتامي والسوميري : والمظهر مظهر التجبر والفلسف والزي لا انحناء فيه . وتماثيل « نابو » من عصر « أداد نيراري الثاني » (٨١٠ - ٧٨٢) بها نفس العيب في نصفها الأسفل ولكن الرأس نحت بطريقة أفضل (٢) . ومما هو جدير بالملاحظة بين التماثيل الأخيرة العفريت « بازوزو » بمتحف جيميه وكذا رؤوس هذه الروج الشريرة (٣) .

(١) شكل (٣٦) صفحة ٢٤٤ .

(٢) شكل ٤٦ : صفحة ٣٢١ .

وقد تكاثرت النقوش البارزة في القصور الآشورية لتزيين الواح الجص والمرمر الموضوعة في أسفل الحوائط تسجيلا لمفاخر كل حكم . وقد استخدم البابليون النقش البارز غالبا لتمجيد آلهتهم وأعطى الحيثيون المثال في استخدام أسفل الحوائط المنقوشة أما الآشوريون فقد جعلوا منها فنا تاريخيا وزخرفيا في الوقت نفسه فعنوا خاصة بتفصيلات الزى والحركات والخواص وقد عولجت المناظر الطبيعية بدقة بطرائق بدائية غالبا كما مثلت الحيوانات بمهارة فائقة . وكانت هذه المناظر تمثل الحرب وصيد الملك وأهم أعمال عصره وأحيانا حياته الخاصة . ولقد كان عدد هذه النقوش والوقت القصير المحدد للانتهاء من صنعها مما لا يسمح بأن يتزلاها الفنانون المشهورون اذ تغطي هذه النقوش أكثر من ٦٠٠٠ متر مربع في قصر دور شاروكين .

وفي عهد « آشور نتسير ابلا الثاني » كان النقش ضعيفا . ولم يكن الرسم المنظور قد عرف بعد فطغت الكتابات على النحت نفسه وكانت تغطي عادة الجزء الأسفل من الأشخاص . وقد ظلت كذلك في عصر « آداد نيراري الثالث » ولكن سرجون خرج على هذه العادة وأمر بأن تحفر حوليته ومفاخره خارج الأشخاص أو الأشياء المصورة . ومع ذلك فإن الطريقة القديمة لم تهجر تماما فاننا نراها مثلا على لوحة « اسارخدون » في « سنجرلى » .

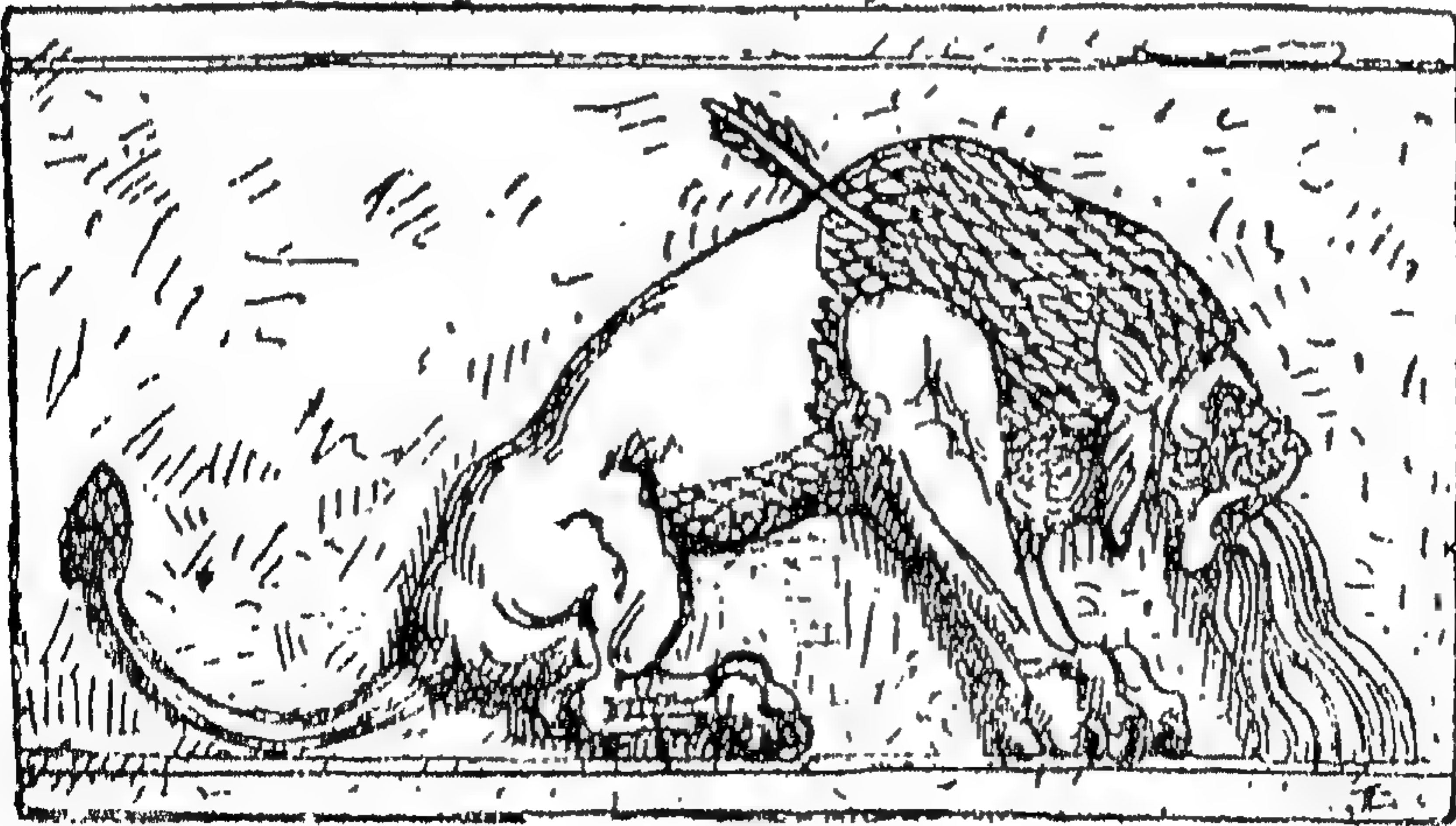
وكان تكوين المناظر في القرن الثامن تحت حكم سرجون هو بعينه كما كان في عصر « آشور نتسير ابلا » ولكن يلاحظ وجود ميل قوي الى عزل الصور عما وراءها وتكبير أحجامها وعدم تمثيل الأشياء الثانوية . وفي المناظر الحربية نجد أن المنظر العام قد مثل بدقة . أما في النقش الخاص بالصيد فإنه ليست هناك أقل محاولة لتبيان طبيعة الأرض . وفي خلال الحكم التالي حدث تطور فظهر طراز جديد ظل دون أن يعتوره تغيير تقريبا حتى سقوط نينوى وكانت المناظر تسجل في صفوف تعلو بعضها . وكان من أثر ذلك أن ضاق المكان مما دفع الى النقش على مقاس أصغر وازدادت المناظر الثانوية وحاول النحات التزام الدقة في تمثيل المنظر وبلغ التنفيذ درجة عالية من الكمال وعنى بالحفر والنقش عناية أكثر .

وقد اتفق الفنانون الآشوريون على بعض اصطلاحات : فالصورة الانسانية مثلا قلما تبين الملامح المميزة للجنس أو الشخصية ولا يمكن التعرف على الأعداء أو الحيثيين أو العيلاميين الذين يقدمون الخضوع ويأتون بالجزية أو يؤخذون أسرى الا بواسطة زبهم الذي يختلف عن زى الآشوريين الذين يمكن تمييز نوعين منهما : الأول ملتج وهو قاصر على

تمييز الرجل البالغ أو الموظف والآخر بغير لحية وهو يمثل الشبان والخدم .

ولم يستطع الفنان تمثيل شخصياته ما لم يرها من ناحية جانبية تماما . فحين يدور أشور نتسير ابلا ليفوق سهما ضد أسد يحاول أن يعتلى العربة الملكية ترى الصورة العامة جيدة ولكن احترام عظمة الملك والبحث وراء التفاصيل جعل الفنان يمثل الصدر من أمام بينما كان يجب أن يظهر من الخلف وأن يجعل الذراعين ظاهرتين ، بينما لم يكن يجب أن يبين غير اليسرى ، ولقد كان هذا الخطأ على كل حال ميراثا تناقلوه عن الفن السوميري وأكادى الذى تظهر فيه حركات الشخصيات خاضعة للترتيب الهندسى للموضوع فى المناظر المتماثلة . وتمثل الأقدام دائما منظورة من الجانب (بروفيل) أما العين فتظهر كأنما ترى من الأمام حتى لو كان منظر الرأس من الجانب .

أما فى تمثيل الحيوانات وهو عمل بلغ فيه الأشوريون حد الكمال فائنا نجد الاصطلاح موجودا وخاصة فى القرن التاسع . فمثلا ترى فى منظر للصيد خيول العربة الملكية الثلاثة ليس لها فيما بينها جميعا سوى ست سيقان وفى نحت آخر ترى للشيران قرنا واحدا . أما معارف الخيل



(شكل ٥٠) أسد مطعون بسهم (قصر أشور بانينال - المتحف البريطاني)

فتعامل معاملة أهذاب أجهزة (عدد) الخيل (١) والرسم هندسى جدا
وخير نتاج هذا العصر وهو الأسود يبين المبالغة فى تمثيل الجهاز العضلى
والنسبة المبالغة التضخيم (٢) .

ويمثل صيد الأسود من عصر آشور بانيبال أحسن مجموعة فى
الفن الأشورى : فالقطعة التى تمثل الأسد والسهم يخترقه تعتبر قطعة
فريدة (٣) وليست اللبؤة الجريئة بأقل تعبيرا (٤) . وقد أخذ منها
نموذج معروف فى Pare Moncea « بارك مونسو » .

وقد استعمل الفن الأشورى كذلك عملية فى النحت تتوسط بين
النقش البارز والمجسم . ولقد لجأ الى هذا الطراز فى أسفل الحوائط
فى الأماكن الواجب أن تكون أكبر سسما لتعرضها أكثر من غيرها
للتصادم . أى لوجودها عند مدخل القاعات والممرات . وفيها نرى أن
مقدم العفاريث التى لها أجسام السباع والثيران ذات الأحجام الضخمة
أحيانا نراها منفصلة تبرز عن الحائط بروزا شديدا كما لو كانت
تمائيل .

ويظهر أن الثور برأس الرجل الذى أصبح فى آشور روحا خيرة
وحارسا لبوابة دخول المدينة أو القصر . . . يظهر أنه - شأنه فى ذلك
شأن جملجامش وهو يخلق أسدا يصحبه أحيانا - أخذ مباشرة عن العقيدة
السوميرى-أكادية . ومن ناحية أخرى نجد أن الكائنات المركبة التى تتكون
من جسم انسانى يرتبط بأعضاء أو رأس حيوان معينة يظهر أنها منقولة
عن مصر عن طريق الحيثيين ، لأن اليا بلبيس ظلوا يجهلون تقريبا مثل هذه
المخلوقات الخلاسية التى يندر جدا ظهورها فى آثارهم . ولقد كان
الأشوريون يربطون أحيانا الجسم الانسانى برأس الحيوان وأحيانا يلحقون
ذيل الحيوان ومخالبه بصدر انسانى كما مثل السوميريون أنكىدو . وقد
اخترعوا كذلك طبقات من الجان تتميز عادة بزوج أو اثنين من الأجنحة
تشبه سرعتها فى انفاذ أعمال الخير أو الشر . أما الجان الآخرون الذين
يظهر فيهم التمثيل البشرى كاملا فانها تتميز من الآلهة حين لا تكون مجنحة
وسمى تابس على رأسها التاج ذا القرون الذى يكون أحيانا بيضى الشكل
تعلوه سوسنة وأحيانا أسطوانيا تزينه قرون وريش .

XC VIII b. pl, 10.

Ibid, pl. 31.

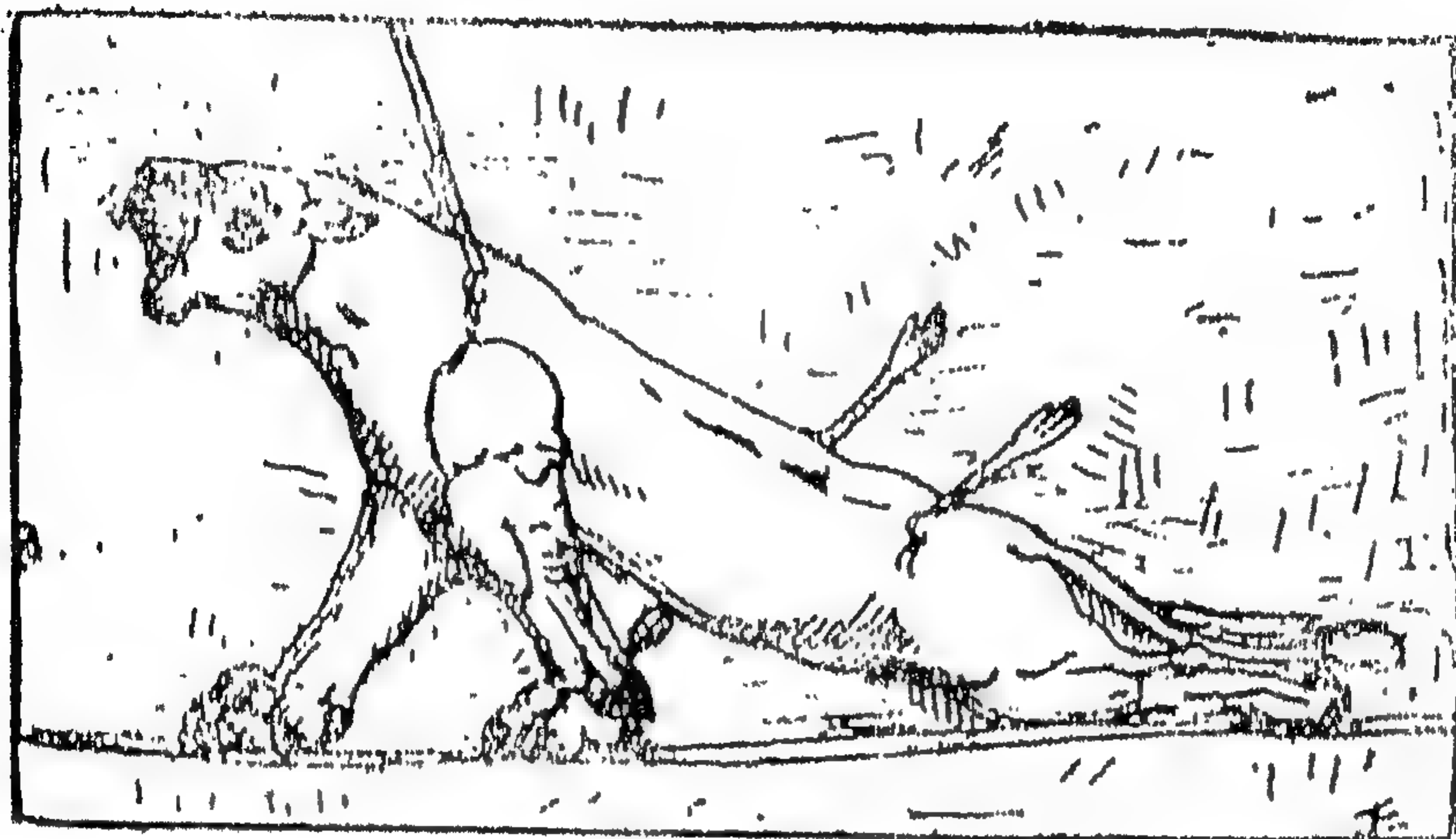
(١)

(٢)

(٣) شكل ٥٠ .

(٤) شكل ٥١ من ٣٣٩ .

وكان الآلهة والجان - شأنهم في ذلك شأن الناس - يلبسون قميصا قصيرا في العادة وملفعة طويلة لا تغطي الساقين تماما . وهناك استثناء واحد من ذلك فان آشور نفسه يصور عادة في شكل نصفي مزودا بقوس يخرج من قرص مجنح وهذا الرمز حيثي في أصله . وأحيانا يختفى الشكل النصفى للاله ولا يبقى من الرمز سوى القرص المجنح كما هي الحال في أرض الفراعنة .



(شكل ٥١) ليوة جريحة (قصر آشور بانينال - المتحف البريطاني)

ويتميز الملك الآشوري بلباس رأسه وهو تاج في صورة مخروط ناقص تعلوه شوكة ويربطه شريط أو برطل تتدلى أطرافه على كتفيه



(شكل ٥٢) الملك والحاشية والجان (تولا بن ليار - انار نينوى)

Layard The Monuments of Nineveh

وأحيانا تصل حتى حزامه • ولقد كان فى الأصل بسيطا وقليل الارتفاع
ثم أخذ يزداد ارتفاعه شيئا فشيئا • وعند عهد سرجون غطى بالتطريز •
وكان للقميص الملكي حاشية وله أهداب • وكانت قدما الأمير تنتعلان
نعلا لا ينطى سوى العقبين • وفى الأذنين حلقان كبيرة وعلى العنق عقود
من التماثم وعلى المعاصم دمالج وفوق الساعد أساور وأحيانا يكمل مظهره
بخنجر وسيف •

وكانت الحاشية تلبس مثل الملك ولكن دون لباس رأس أو بعصابة
فحسب • وأقمشة هذه الملابس أقل ثراء • أما الفخامة فتظهر فى الحلى
خاصة وكان البعض — مثل الجند — يلبسون قميصا قصيرا لا تغطيه
دائها ملنعة •

وكان الأجانب يعرفون عادة من المميزات التى تكون فى زيهم •
أما المارك الأسرى الذين خزم تجلات فلاس الأول أنوفهم ووضع فيها
الحافيات فيتميزون بلباس الرأس شأنهم فى هذا شأن بعض القواد الذين
همزهم « آشور نتسير ابلا » (١) ويظهر أن كليهما يمت لنفس جنس
الآشوريين ومع ذلك فإنهم حيثيون أن نحن اعتمدنا على مظهر لباس الرأس
المخروطى والأحذية ذات المقدم المرتفع الى أعلى • وبالمثل كانت الشعوب
التي تدفع الجزية تتميز بأزيائها كما هو ممثل على المسلة السوداء
الشمسية الثالث •

ولانت الحياة تدب فى النقوش عن طريق الألوان ذات الظلال
الساكنة التى كانت تستعمل لتأكيد التفصيلات • وقد استعملت نفس
الألوان فى صناعة الطوب الخزفى وفى الصور المرسومة • أما لوحة
الألوان فلم تعرف تنوعا كثيرا : فقد كان هناك الأسود والأبيض والأحمر
والأزرق وفى النادر جدا الأخضر • واللون المذكور أخيرا لا نجده غير
مرتين فى خرائب دور شاروكين لأرضية صورة والأوراق شجرة • ولم
يكن يعنى باللون الحقيقى : فائنا نجد على النقوش الأفواه والشعر
والواجب الرجال سوداء اللون غالبا • كما نجد أهداب الثياب وحملات
الأنف صفراء أو زرقاء • وكانت الأرضية فى الطوب الخزفى زرقاء عادة
والأنت الأشكال صفراء أو بيضاء • وهكذا نرى على شميران عقد جنيا
أشهر « السكتيل » وفتح أرز بين حزمين من الورد الأبيض •
وبلى نرى فى أسفل الجانل نجد أسدا وثورا وشجرة وقاربا وطائرا
نبرز بالألوان الأصفر على أرضية زرقاء •

وقد حللت الألوان المعدنية المستعملة في الطوب الخزفي وثبت أن أزرق كلح هو أكسيد النحاس المختلط ببعض الرصاص وأن أزرق دور شاروكين عبارة عن مسحوق اللازورد المستورد من باكتريان • وأن الأحمر هو أكسيد الحديد المسمى حجر الدم وأن الأبيض هو أكسيد الصفيح • وأن الأصفر خليط من أثمد الرصاص والصفيح المعروف اليوم « بأصفر نابولي » •

ولم يكن النحت في الحجر مخصصا فقط لزخرفة القصور فقد كانت اللوحات تغطي بمناظر دينية وتستخدم كتماثيل لتبعد الشياطين • وباللوفر قطعتان من هذه الآثار الهدف من صنعهما طرد غارات ال «لابارتو» (١) •

٣ - الأشكال المعدنية

استخدم الآشوريون المعادن لتزيين القصور وصناعة التماثيل وأدوات الأثاث • ويرجع تمثال صغير نذرى (٢) يمثل امرأة بيدين مضمومتين الى

عهد السيادة
السوميرية
وهناك تمثال
صغير (٣) صلب
على جزئين كان
مكرسا لعشتار
اربيللا من أجل
حياة أحد ملوك
« آشور دان »



(شكل ٥٣) أسد من البرونز • قصر دور شاروكين (متحف اللوفر)

ويظهر أنه يمكن نسبته الى ثانى ملك يحمل هذا الاسم حوالى نهاية القرن العاشر • وفي قطعة من القرن السابع نرى الها واقفا فوق حيوان خرافى (٤) وقميص المعبود مزخرف بوريدات منقوشة فى مربعات صغيرة.

LXVIII No 403, 105, 106, I, t. XVIII. No 4, 1921.

(١)

XVI No 54 p. 10.

(٢)

IXVIII No 138.

(٣)

Ibid, No 144.

(٤)

نقشا غائرا ولون شعر الحيوان مثل كذلك بخطوط محفورة • أما العيون المجوفة فلا بد أن انسانها كان من مادة أخرى طبقا للطراز الذي يمكن تتبعه في سومير واكاد من أقدم العصور • وهناك من نفس العصر أسد رابض (شكل ٥٣) مدفون في الأرض وربما كان مقيدا بسلسلة الى الحائط عند إحدى بوابات قصر سرجون كحارس • وقد اكتشفت سباع برونزية أخرى في نمرود •

أما العفريت بازوزو الذي كان ينحت أحيانا على الأحجار فكانت تصنع له كذلك تماثيل برونزية صغيرة (١) واننا لنجده يعامل كذلك طبقا للعملية التي تربط في النحت ما بين استعمال النقش البارز والمجسم على لوحة برونزية في مجموعة Declercq (٢) وعلى لوحة مشابهة في المتحف الامبراطوري العثماني (٣) •

ولعل أهم النقوش البارزة المعدنية هي الواجهات البرونزية من القصر الذي بناه شلمنصر الثالث في امجور ايلليل (بلاوات) في القرن التاسع فلقد مثل هذا الملك أهم أحداث حكمه هناك في مجموعة من الأفاريز • وقد استعملت صفائح من النوع نفسه في قصور آشور ودور شاروكين وقد ثبت سرجون لوحات برونزية رقيقة من نفس النوع حول الأعمدة الخشبية التي تقلد جذوع النخل وغطاها بطبقة رقيقة من الذهب على الطراز المبين بنماذج ترجع الى أقدم العصور السوميرية •

٤ - الحفر على الأحجار

لم يصلنا من الأختام الأسطوانية الآشورية بمقدار ما وصلنا من البابلية • كما أن ترتيبها طبقا للعصور أصعب ويندر وجود تلك التي

Ibid, No 146-147.

(١)

XLIX, t. II pl. 34.

(٢)

II., t. XX, p. 69.

(٣)

تقدم اسم
شخص من
الأسماء
التاريخية التي
يحتفظ بها
التاريخ ولم
يكن من عادة
الشهود أن
يثبتوا أختامهم
على الوثائق
وهكذا كان
عدد الأختام
المؤرخة قليلا.

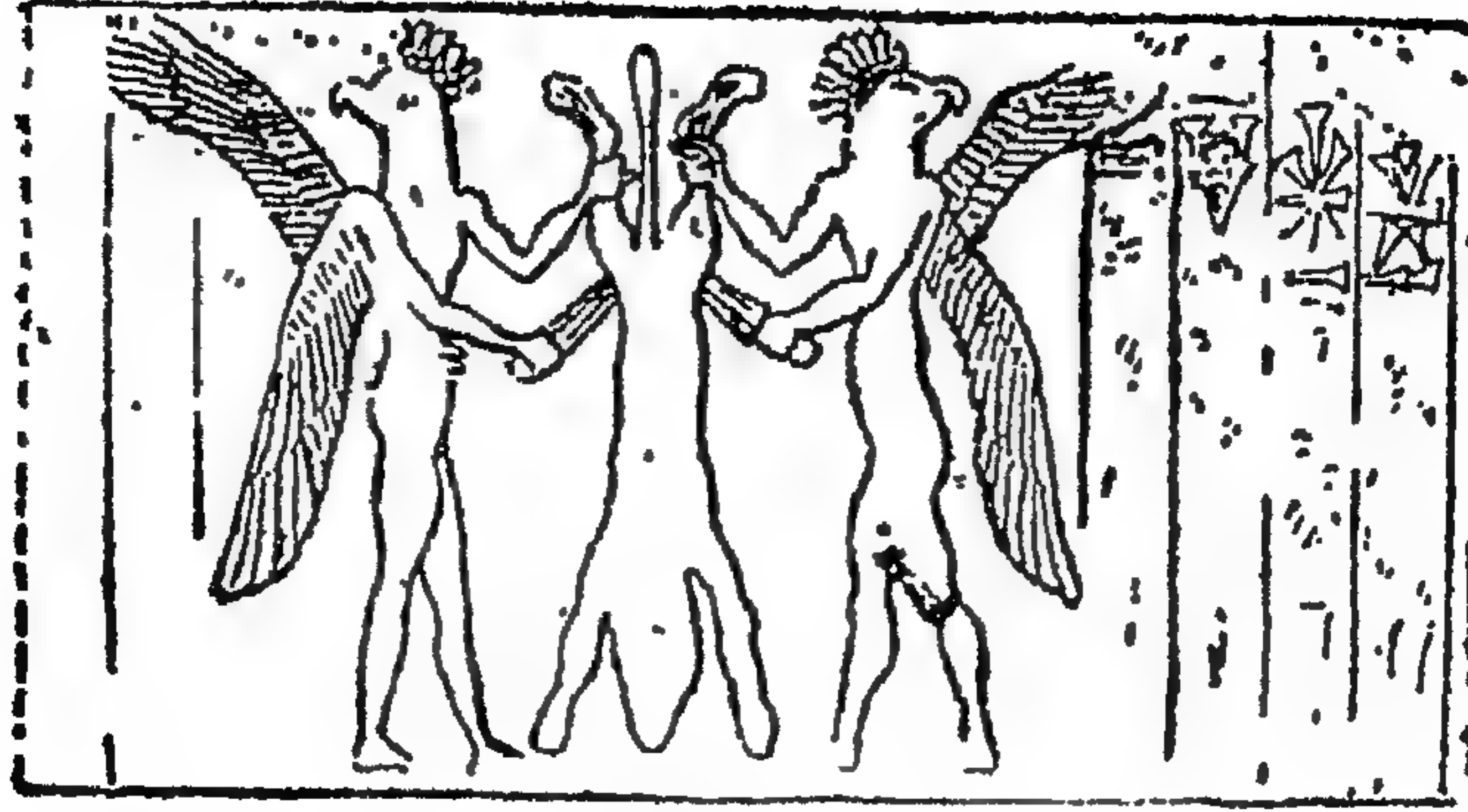


(شكل ٥٤)

اسطوانة الملك « أريبأ أداد » (متحف برلين - حفائر آشور)
نقلا عن O. Weber في كتابه

All orientalische Siegel bilder No 316 A.

ولعل أقدم الاسطوانات المؤرخة هي أختام الملك أريبأ أداد (شكل ٥٤) وأشور أوبالليت (شكل ٥٥) المعاصرين للملكين المصريين أمنحتب الثالث وأمنحتب الرابع حوالي ١٤٠٠ ق.م. وتثبت بصمات الأختام التي جمعت من اللوحات التي عثر عليها في خرائب آشور انه في العصر الذي كانت الكتابة المسمارية واجبة الاستعمال في المراسلات الدبلوماسية في كل الشرق القديم كان الفن الآشوري قد نبذ الصيغة السوميرية ليستوحى الفن الحيثي الذي ظهر تأثيره واضحا فيما بعد بقليل في وثائق خاصة باقليم كركوك (١) . وباللوفر أسطوانة من العقيق قدمها أحد ضباط « أداد نيراري » الثالث الى واحد من رفاقه في السنوات الأخيرة من القرن التاسع وفي خيمة دعائمها حراب تمسك بكل منها صورة ل « أنكيدو » نرى آشوريا يتعبد الى معبود حربي وعلى الوجه الآخر صورة أخرى لأنكيدو يرفع ذراعيه كأنما يسند رمز الاله : وهو هنا الجزء الأعلى من



(شكل ٥٥)

أسطوانة الملك آشور أو بالليت (متحف برلين - حفائر آشور)

شخص داخل دائرة
مكونة من كرات صغيرة .
ومنظر التعبد هذا يظهر
مرة ثانية بدون الخيمة
والأشخاص الثانوية على
عدد من الأسطوانات مع
معبودين في الغالب (١)
ويظهر أن ايماءة المتعبد
وهو يمد إحدى يديه
أفقياً يرفع الأخرى
وراحتها الى الخارج
كان أمرا خاصا بأشور
(شكل ٥٦) ذلك لأن
البابلي من هذه الفترة
حتى نهاية الامبراطورية
كان يرفع كتفا يديه
ويقلب راحة اليد الى
ناحية وجهه .



(شكل ٥٦)

اسطوانة آشورية (المكتبة الأهلية)



(شكل ٥٧)

اسطوانة آشورية (متحف اللوفر)

وتكون الحيوانات الحقيقية أو الوهمية التي تحفر أحيانا بالمحتات
وأحيانا أخرى بالثقاب موضوعات بعض المناظر التي يكشف فيها الفن بصور
الحيوانات عن كمال يعد كأحسن فنون النحت (٢) .

XLII. b, a. 678.

(١)

XLI, b. No 307.

(٢)

ورغم أن
حفار
الأسطوانات
كان يقصر
فنه عادة في
نطاق الدين
الآن مجموعة
النقوش
البارزة قد
أثرت عليه
بعض التأثير.



(شكل ٥٨)

أسطوانة آشورية (متحف اللوفر)

ففي خور سباد نجد بعض المناظر للصيد الملكي أو الحروب (١) .
وفي المناظر المأخوذة عن الأساطير نجد أن مناظر الصراع شائعة :
فالجان وهم تقريبا دائما في صورة انسانية وأحيانا مجنحين . . . نجدهم
يفوقون السهام ضد حيوانات حقيقية أو خرافية (شكل ٥٨) أو نراهم
مسلحين ببيلة أو سلاح مقوس بحد محدب يشبه البالات اليونانية harpe
وهم يتغلبون على حيوان ذي أربع أو نعامة (شكل ٥٩) . وفي مكان
آخر تصور هذه الجان بين حيوانين أو وحشين مركبين يقفان ويواجهان
بعضهما البعض ويمسكانهما عادة من الفخذ الأمامي . وهم يظهرن كذلك
— كما في النقوش البارزة — في مجموعات من أزواج عادة . وفي إحدى
اليدين الـ « ستيل » واليد الأخرى ممدودة نحو مخروط من الأرض على
شجرة مقدسة يظلها قرص مجنح .

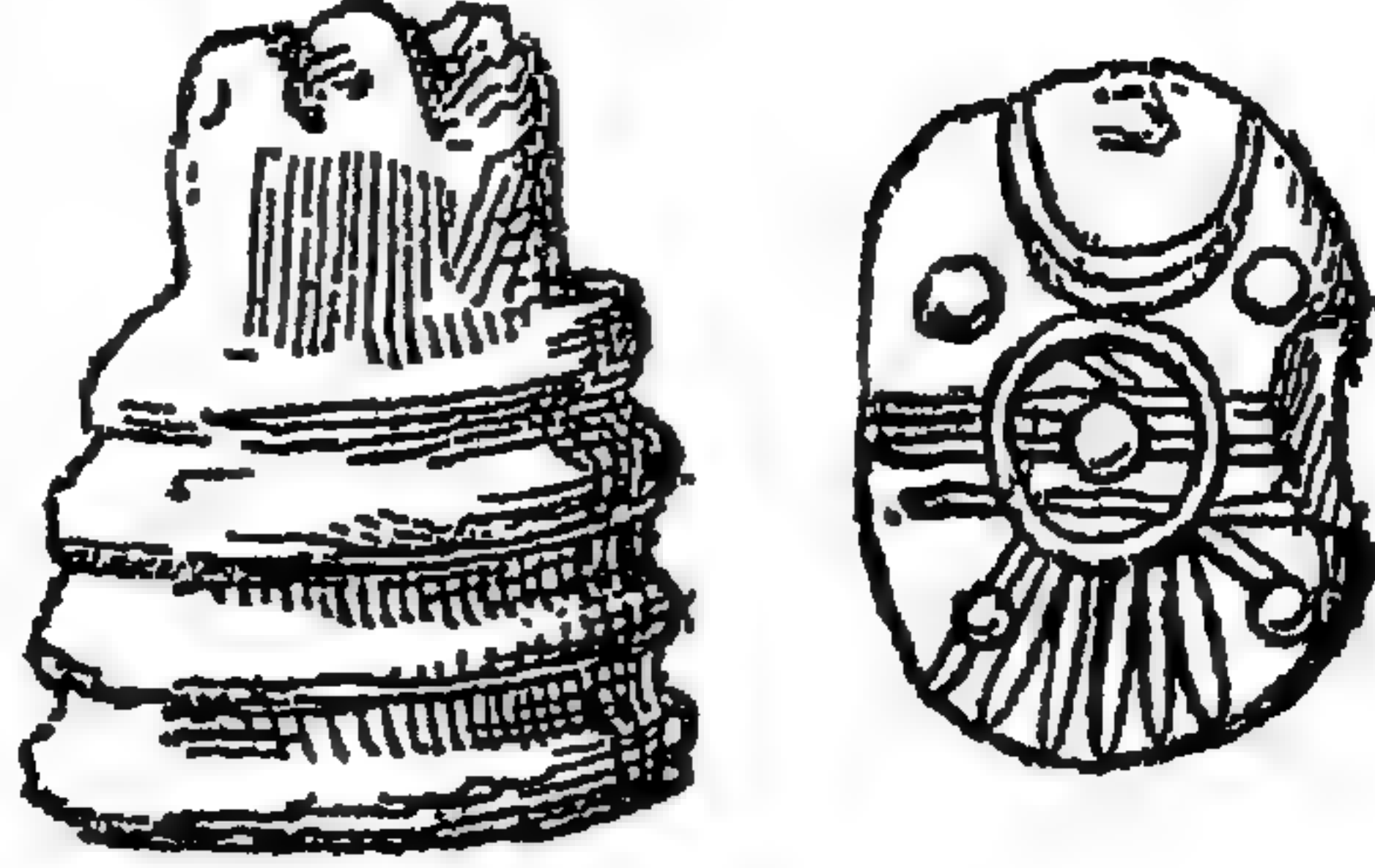
وقد عاد الختم المسطح الذي
عرفه السوميريون من أقدم
العصور ولكنهم نبذوه منذ
عصر لوجالاندا وظل مستعملا
في آسيا الصغرى على « اللوحات
الكابادوكية » في القرن الرابع



(شكل ٥٩) أسطوانة آشورية (المكتبة الأهلية)

والعشرين ثم بعد ذلك فى الامبراطورية الحيثية ٠٠٠ عاد هذا الختم الى الظهور فى آشور فى الألف الأولى (شكل ٦٠) وقد أوجب استعماله

فى بابل حتى استطاع فى عهد السلوقيين أن يطرد الأختنام الأسطوانية من الشرق كله وكان يصنع عادة على شكل مخروط ناقص بقاعدة اهليلجية واستدارة عند



(شكل ٦٠) ختم آشورى (متحف اللوفر)

القمة ٠ ولقد كان المجال على مثل هذه القاعدة أكثر تحديدا من سطح الأسطوانة ٠ ورغم أنه كان يتسع لمنظر صراع إلا أن الفنان فى نقش الأحجار كان يفضل أن يحفر عليها جنا خيرا أو رموزا الهية ٠

٥ - الزى والأثاث

ان النقش البارز فى القصور هو المصدر الرئيسى لمعلوماتنا عن الزى الآشورى ٠ ولقد رأينا كيف أن النحاتين جهدوا فى التمييز بين الآلهة والجان والملك والمحاشية والأجانب وذلك بواسطة تفاصيل ملابسهم ٠

وكان الزى فى أيام السيادة السوميرية ملفعة مستطيلة تلتف حول السجز كما هى الحال عند ضفاف الفرات ٠ وفى الألف الأولى كانت تتكون من جزئين : قميص بغير أكمام قصير أحيانا وطويل أحيانا أخرى ثم ملفعة مستطيلة تلبس فى أشكال مختلفة تبعا لمرتبة لابسها وتثبت بواسطة حزام أو خيوط مجدولة وحماله ٠ وكان للملفعة أهداب من جوانبها الأربعة وكانت تزين غالبا برسومات دينية أو أزهار أو حواش ٠

وكان يحمى الأقدام فى الحرب حذاء يغطى الساق ٠ وأما فى الحياة المدنية فكانت النعال ذوات الكعوب تربط بأربطة جلدية تلتف حول الاصبع الكبيرة وتدور حول الاخمص مرتين أو ثلاث مرات ٠

وكانت حلاقة الرأس والاحتفاظ باللحية أمرا مقررا منذ فجر التاريخ كما تشهد بذلك بعض الآثار التى عثر عليها فى خرائب آشور ٠ ولكن سرعان ما اختلفت هذه العادة كما يثبت ذلك تمثال عتيق عشر عليه فى نفس المكان ٠ وفى القرن التاسع كان الشعر مجعدا ويسقط على الكتفين وكانت اللحية الطويلة يقص شعرها على شكل مربع ولم يكن يحلقها تماما سوى كبار الموظفين وصغار الجنود ٠

وكان التاج ذو القرون من مخصصات الآلهة • وكان الملك يرتدى غطاء الرأس على شكل قمع مخروطي يعلوه سن مدبب ويحيط به اكليل • وكان عامة الناس يسرون عادة عراة الرؤوس فى الحياة العادية وكان شعرهم يربط أحيانا بعصابة •

وكان الرجال والنساء على السواء يتحلون بحلى من الذهب والفضة والنحاس المذهب وفى عصر سرجون كان الخرز على شكل الزيتون والخرز القنوى يصنع من رقائق الذهب بزخارف مضغوطة للعقود والخواتم والحلقات • وكان الخرز البلورى يزود فى الوسط بحلقات ذهبية • وكانت الأحجار الثمينة المستعملة فى العقود تحاط بالذهب وأزهار اللازورد تحلى بذهب نقي فى وسطها وكانت تلبس حول المعصم وفى أعلى الساعد أساور مفتوحة ثقيلة من البرونز مزينة عند طرفيها برؤوس حيوانات وكانت تكمل الزينة أقراط ضخمة ورموز دينية تعلق حول الرقبة • أما عامة الشعب فكانوا يقنعون بعقود وأساور مكونة من براميل صغيرة وأسطوانات ولوحات وزيتونات وعجلات أو خرز منحوت من أحجار غالبة أو مصنوع من عجائن صناعية تقلد الحجر •

وكان الآشوريون – كالبابليين – يستعملون يوميا زيوتا عطرية ودهونا ومراهم وربما مركبات لازالة الشعر •

كان الأثاث فى القصور فخما جدا فى الألف الأولى وأصبح بمرور القرون أكثر فخامة وزخرفة • وكان عرش سناخريب يرتكز على أربعة أرجل على شكل أقماع الأرز ويعتمد الذراعان فى كل من الجانبين على ثلاثة صفوف متعاقبة بكل منها أربعة تماثيل لأشخاص الواحد منها فوق الآخر • أما المعقد والظهر فتغطيهما ملفعة من قماش نفيس •

وعرش « آشور نتسير ابلا » كانت به نقوش برونزية تمثل حيوانات مركبة ترتفع نحو شجرة مقدسة • وهناك متكا من نفس العصر كان مزينا برؤوس حيوانات من المعدن ومغطى بوسادة ذات أهداب • وكانت هناك مقعدة كثيرة فى دور شاروكين مزينة بنفس الطريقة وكانت تصنع الكراسى والكراسى ذوات الأذرع والأسرة والموائد والمقاعد من الأخشاب الثمينة التى عني بحفرها مع تكسية وتطعيم بالذهب والفضة والبرونز والأحجار الكريمة •

وكانت الأوانى المعدنية المزخرفة تستورد من فينيقيا كما تستورد المصنوعات العاجية من مصر • وقد سرى كذلك استعمال أوانى الزجاج والحجارة ولكن استعمال الفخار كان سائدا • وقد عثر على أوان منقوشه منه فى أعداد قليلة •

الفصل الثالث

الآداب والعلوم

١ - الأدب التاريخي

استخدم الآشوريون الخط المسماري الذي اخترعه السوميريون واستعمله الأكاديون . ورغم أنهم بسطوا الحروف أكثر مما فعل البابليون إلا أن طريقة الكتابة لم ترق رغم أنه كان يوجد بمكاتب الدولة المثل الذي ضربه الكتاب المصريون الذين تخلصوا من هيروغليفيتهم القديمة والكتاب الآراميون الذين كانوا يستعملون حروفا هجائية . لذلك ظل فن الكاتب وعلمه كما كان في بابل تقريبا في نفس العصر .

وتحوى الآداب الآشورية عددا ضخما من النسخ أو المطابقات للنصوص البابلية وهناك نوعان من الأدب فقط يستوقفان النظر : هما الأدب التاريخي والمراسلات الكتابية .

وأهم النصوص التاريخية التي وضعت طبقا لترتيب الملوك الآشوريين تختلف اختلافا بينا من ناحية انشائها عن الوثائق المماثلة في سومير وأكاد . فلقد كان الملك البابلي فوق كل شيء راعي شعبه وهو في النصوص يعنى عناية خاصة بذكر ما قام به من أعمال ليقر النظام في دولته وليدفعها الى التقدم والازدهار وليحميها من أعدائها حين تدعو الضرورة الى ذلك . أما الملك الآشوري فقد كان على العكس من ذلك محاربا وكان مثله الأعلى أن يوسع الأقاليم الخاضعة للاله آشور وأن يعتبر هو غازيا . ولم تكن للنقوش المنتشرة في قاعات قصره أهداف سوى تمجيده شخصا . وكانت النصوص التي تصحب النقوش تشيد بمجده وقاها كان يذكر شيء عن الكوارث التي تنتاب الحكم فان ذكرت مثل هذه الأحداث فانما كان ذلك على أساس أنها أمور لا قيمة لها حين لا يستطيع تحويلها الى نجاح باهر .

وكانت صيغة الكتابات الملكية تخضع لنظام ثابت من عصر معين في القدم . وحتى نهاية القرن الثامن قل أن أدخل عليها أى تعديل وكان يسر الكتاب أن ينسخوا الصيغ التي كانت تستعمل في العهود السابقة .

وفى حكم السرجونيين أخذت تصطبغ نصوص الروايات بصبغة شخصية ولعل هذا يتضح جليا فى نصوص آشور بانيبال .

ويمكن تمييز أربعة أنواع من الوثائق : « الحوليات » التى كانت تذكر فيها الحوادث فى ترتيب تاريخى ، و « تاريخ الحروب » الذى يسمح لنا أن نتابع تقدم الحملات ، و « التقاويم » التى تجمع فيها الوقائع حسب الأقاليم التى حدثت فيها ، وأخيرا « النذرير » فى صورة خطابات موجهة الى الآله آشور عند العودة من كل حملة لإبلاغه النجاح الذى تم على العدو .

وكانت هذه الكتابات - ماعدا النوع الأخير - تحفر على جدران القصر أو على أسطوانات الأساس . وكانت تتكون عادة من ثلاثة أقسام رئيسية . أما القسم الأول فهو تقرير للملك يقدم ملخصا لأعماله وغالبا سلسلة نسبته . وأما القسم الثانى فيقص أحداث الحكم من حروب ومنشآت . وأما القسم الثالث ، فهو عبارة عن لعنات تصب على من يحطم هذه الكتابة وأحيانا دعوات لمن يعاملها باحترام .

وهناك بداية اسطوانة تجلات فلاسر الأول :

« البدء : آشور السيد العظيم الذى يحكم مجموعة الآلهة الذى يمنح الصولج والتاج الذى يدعم الملكية ، ايلليل ملك كل ال « أنوناكى » أب الآلهة سيد الأقطار ، سن العاقل سيد التاج الممجد فى فخاره ، شماش قاضى السماء والأرض الذى ينهى بالعدم محاولات العدو ويساعد العدالة ، اداد القوى الذى يحطم الأقاليم المعادية والأراضى والبيوت ، اينورتا البطل الذى يحطم الأشرار والمعادين ويشبع رغبة القلب ، عشتار الأولى بين الآلهة سيدة الصراع التى تفض المعارك العنيفة - الآلهة العظام الذين يحكمون السماء والأرض والذين يعنى هجومهم المعارك والهلاك والذين عظموا ملكية تجلات فلاسر الأمير المحبوب المفضل فى قلوبكم البطل الرائع الذى اختارته قلوبكم العطوفة . ذلك الذى توجتموه بالتساج العظيم . ذلك الذى عينتموه فى وقار ملكا على أرض ايلليل وأعطيتموه الحكم والمجد والقوة ورسمتم له الى الأبد مصيره الملكى لتمام القوة ولذريته الكهنوتية مكانا فى « اى هارساج كوركورا » - بجلات فلاسر الملك القوى ملك (العالم) كله الذى لا منافس له . ملك الأقاليم الأربعة . ملك الأمراء جميعا . سيد السادة ملك الملوك القوى الكاهن الأعظم الذى أعطى له بأمر شماش صولجان باهر . ذلك الذى حكم الأمم رعايا ايلليل فى جموعهم . الراعى الشرعى الذى مجد اسمه فوق أسماء كل الأمراء . القاضى العظيم الذى قاد آشور ذراعيه والذى أعلن اسمه الى الأبد ليكون راعيا للأقاليم الأربعة ، غازى الأقاليم البعيدة على حدود مملكته فى الأقاليم

- العليا والسفلى ، اليوم الساطع الذين يعيشى بهاؤه الأقاليم الأربعة .
- الشعلة القوية التى تسقط على الأرض المعادية مثل العاصفة الراجعة ٠٠٠
- ذلك الذى بأمر ايلليل ليس له منافس والذى جندل وصرع أعداء آشور .

ان آشور والآلهة العظام الذين جعلوا ملكى عظيما قد منحونى القوة
والنفوذ وأمرونى أن أمد حدود أراضيهم . لقد وضعوا فى يدي أسلحتهم
القوية « اعصار المعارك » .

الأراضى والجبال والمدن والأمراء أعداء آشور قد هزمتهم وأخضعت
بلادهم . لقد حاربت بشجاعة ضد ستين ملكا وكسبت النصر عليهم فى
الصراع . لم يكن هناك ضدى ند فى حرب أو منافس فى معركة . لقد
أضفت الى بلاد آشور أراضى أخرى ولأهلها أهلين آخرين . لقد وسعت
حدود بلادى وغزت كل بلادهم (أى الستين ملكا) .

ويروى « آشور نتسير ابلا الثانى » فى حولياته أحداث عام ٨٨٤ ق.
م . على الصورة التالية : « فى العام المسمى باسمى تبعا لكلمة آشور
مولاي وأينورتا الذى يحب كهنوتى لم يحدث فى عصر الملوك آبائى أن
حاكما لأرض « سوهى » أتى الى آشور ، ولكن حدث أن « ايلو ابنى »
حاكم سوهى أتى مع اخوته وأبنائه ليحضروا فضة وذهبا كجزية فى
نينوى أمامى من أجل خلاص أنفسهم .

وفى نفس العام المسمى باسمى بينما كنت لا أزال فى نينوى جاءتنى
الأنباء بأن الأشوريين وحاكمهم هولائى الذى كان سُلَمَنَصْر ملك آشور
الأمير الذى حكم قبلى قد أقرهم فى عائلتيديفا (اننى أقول ان هؤلاء
الأشوريين) تمردوا بالعصيان وتقدموا نحو « دامداموسا » مدينتى الملكية
بقصد الاستيلاء عليها .

وتبعا لكلمة آشور وعشتار وأداد الآلهة العظام الذين يعاونونى
جمعت عرباتى وجيوشى وفى المكان الذى كانت به صور تجلات فلاسر
وتوكولتى اينورتا ملك آشور ٠٠٠ آبائى ٠٠٠ عند منبع السوبنات ٠٠٠
صنعت صورة لشخصى الملكى وأقمتها هناك . فى ذلك الوقت تسلمت
جزية من أرض « اتسالا » قطعانا وماشية ونببذا وعبرت جبال « كاشيارى »
وتقدمت نحو « كينابو » قلعة « هولائى » وانقضضت على المدينة بجموع
جيوشى فى هجوم شديد كالعاصفة واستوليت عليها وقتلت بالسيف ٦٠٠
من محاربيهم وأسلمت للنار ٣٠٠٠ أسير ولم أترك من بينهم واحدا حيا
ليكون رهينة . وأخذت حاكمهم « هولائى » حيا بيدي وجمعت من جثثهم
أكواما وأسلمت للنار شبانهم وبناتهم وسلخت حاكمهم هولائى وعلقت

جلده على سور « دامداموسا » ثم حطمت المدينة وخربتها وأشعلت فيها النار .

واستوليت على مدينة « ماريرو » فى نفس الاقليم وقتلت بالسيف ٥٠٠ من محاربيها وأسلمت للنار ٢٠٠ أسير وذبحت ٣٢٢ جنديا من بلاد « نيربو » فى معركة فى الأرض الخلاء واستوليت على أسلابهم (جثثهم) وماشييتهم الكبيرة منها والصغيرة . أما شعب نيربو التى تقع عند سفح جبل أوهيرا فقد حاصرتهم فى قلعته « تيلا » وخرجت من « كينابو » مقتربا نحو « تيلا » وكانت المدينة محصنة تحصينا قويا وتطوقها أسوار ثلاثة وكان لشعبها ثقة فى حوائطها المنيعه وجيوشهم العديدة فلم يأتو ليمسكوا قدمي . وعصفت بالمدينة فى معركة ومذبحة واستوليت عليها وقتلت ٣٠٠٠ من محاربيها واستوليت على جثثهم (أسلابهم) وأملاكهم وقطعانهم وماشييتهم وأخذتها كغنيمة وأسلمت الكثيرين الى النار وأخذت الكثيرين أحياء : قطعت أيدي البعض منهم وأصابهم وجدعت أنوف آخرين أشور كغنيمة الفضة والذهب والأموال والثروات من سومير وأكاد وكذا وصلت آذانهم ثم حرمت غيرهم من نعمة البصر وجعلت من الأحياء كومة ومن الرءوس كومة أخرى . وربطت رؤوسهم الى دعائم من الكرم حول المدينة أما فتيتهم وفتياتهم فقد ألقيت بهم الى النار . . . لقد حطمت المدينة وخربتها ثم أشعلت فيها النار .

وليس هناك من منظر نهب أشهر من نهب سوسة بواسطة جيوش أشور بانيبال . وهاك الرواية الرسمية :

« لقد استوليت على سوسة العاصمة مقر آلهتهم ومكان عرافتهم . ودخلت بناء على أمر أشور وعشتار الى مخايب قصورهم ومكثت هناك فى ابنهاج وفتحت خزائنها المقدس فيه الذهب والفضة والأموال والثروات التى جمعها وكومها ملوك عيلام من أقدمهم حتى معاصري التى لم يضع عدو من قبلى يده عليها . لقد استخرجتها وعددتها غنيمة . وأخذت الى من « كاردونياش » وكل ما كان قد أخذه ملوك عيلام الأقدمون فى سبع (١) حملات وحملوه معهم الى عيلام من « تساريرو » براق و « اشمارو » لامع وأحجار كريمة وأشياء ذات قيمة وحلى ملكية كان قد أعطاهها ملوك أكاد الأقدمون و « شماش شوم أوكين » كحلفاء الى عيلام والملابس القيمة والحلى الملكية والأسلحة الخاصة بالاحتفالات والحروب وحلى أيدي المحاربين وكل أثاث قصورهم التى كانوا يجلسون أو يضطجعون عايتها

(١) رقم ٧ هنا معناه عديدة .

والأواني التي كانوا يستعملونها للطعام والشراب والفسيل والتضميخ والعربات والمركبات وال « تسومبي » (١) المزين بال « تساريرو » وال « زاهالو » والخيول والبغال الكبيرة بأطنمها الذهبية والفضية أخذتها كغنيمة وحملتها إلى أشور . وقد حطمت زيغورات سوسة الذي كانت واجهته من اللازورد وكسرت قيمته المحلاة بالبرونز اللامع . أما شوشيناك اله عرافتهم الذي كان يسكن مكانا خفيا والذي لم يشهد عمله إلا إلهي أي واحد وكذا شومودو ، لاجامارو ، بارتكيرا ، أمان كاسيبار ، اردوران ، سبأك الذي كان ملوك عيلام يحترمون ألوهيته ، راجيبا ، سونجور سارا ، كارسا ، كيرساماس ، شودانو ، ايباكسينا ، بيلالا ، بانينمري ، نايرتو ، كندا كاربو ، سيلاجارا ، نابسو . كل هؤلاء الآلهة والآلهات بكل ما يملكون من ثمين وغال وثروانهم وأثانهم . . . وحتى كهنتهم وال « بوهلالى » . . . حملتها جميعا إلى أشور كغنيمة كما حملت إلى أشور كذلك ٣٢ تمثالا من الذهب والفضة والبرونز والحجر الجيري للملوك مدن سوسة ، ماداكتو ، هورادى وتمتال « أوما نيجش » ابن « أمبادرا » وتمثال عشتار ناهونتى وتمتال هلوسى وتمثال تماريتو الثانى الذى أخضعته بناء على أمر أشور وعشتار . وقد حطمت ال « شيدو » وال « لاماسو » (٢) حراس المعابد بقدر ما يوجد منها وألقيت الثيران المتوحشة زينة البوابات . وجعلت معابد عيلام تختفى تماما وذهب مع الريح كل اله والهة . وقد دخلت جيوشى الصاعقة إلى الأحراش المقدسة حيث لم يكن يسمح لغريب أن يدخلها أو يعبر حدودها وكشفوا عن سرها وأسلموها للنار . وفتحت توابيت ملوكهم الأقدمين والمحدثين الذين لم يعبدوا أشور والذين كان الملوك آبائى قد تركوهم فى سلام وحطمتها وأخرجتها وأخذت عظامهم إلى أشور وأقررت القلق على أرواحهم (ال « اديمه ») وحرمتهم من التقدّمات الجنائزية وسكب الماء .

ولمسيرة شهر وخمسة وعشرين يوما اجتاحت أقاليم عيلام ونشرت الملح وأشجار الشوك هناك وحملت معى كغنيمة إلى أشور أبناء الملوك وأخواتهم وأعضاء الأسرة المالكة فى عيلام صغارا وكبارا والحكام ورؤساء هذه المدن ورؤساء حملة الأقواس والقادة وراكبى العربات والفرسان وحملة الأقواس وحملة الدروع والفنانين على كثرتهم وال « كان ذكوراً واناثا كبارا وصغارا والخيول والبغال والحمر والقطعان والماشية أكثر من أسراب الجراد .

(١) نوع من العربات العيلامية .

(٢) الجنائيات الحارسة (الحافظة) وثيران وسباع مجنحة ذات رؤوس بشرية .

وحملت تراب سوسة • ومادا كتووهلتيماش ومدنهم الأخرى •••
التراب الذى كنت أريده حملته الى آشور • وفى خلال شهر أخضعت عيلام
بكل اتساعها وأسكت صوت الانسان وخطى الماشية والقطعان وصرخة
الفرح وتركت حقولها للحمير والغزلان وكل الحيوانات البرية •
وسنسّتعير من نفس أسطوانة آشور بانيبال التى كتبت فى ٦٣٩ ق م •
النص الختامى : فبعد أن أشار الى اصلاح القصر المسمى بيت ريدونى
ينهى الملك قصته قائلا :

« وفى الأيام القادمة بين الملوك الذين سيخلفوننى فليرفع من يضع
اسمه آشور وعشتار على عرش البلاد وسكانها ••• فليرفع ثنية من
الخرائب هذا الـ « بيت ريدوتى » ان شاخ وسقط الى أنقاض • أما الكتابة
التى فيها اسمى واسم أبى واسم أب أبى الجنس الملكى الوطيد ••
ليقرأه وليضمخه بالزيت وليقدم التضحيات ويضعها بجانب النص الذى
يحمل اسمه • ألا فليمنحه الآلهة بقدر كثرتهم المذكورة فى هذا النص ••
لتمنحه كما تمنحنى القوة والسلطان •

أما من يحطم الكتابة التى تحمل اسمى واسم أبى واسم أب أبى
ولا يضعها بجانب الكتابة التى تحمل اسمه ••• ألا فلينتقم آشور وسن
وشماش واداد وبعل ونابو وعشتار نينوى ملكة كدمورى وعشتار ارييلا
واينورتا ورجال ونوسكو لينتقموا منه جميعا لعدم ذكر اسمى •

٢ - أدب الرسائل

ويتضمن أدب الرسائل فى آشور كما فى بابل الوثائق الرسمية
 والمراسلات الخاصة • وقد وجدت معظم اللوحات فى مكتبة آشور بانيبال
 وهى تبعا لذلك تتصل بالشئون العامة • وبعضها مكتوب بالآشورية
 والبعض الآخر بالبابلية • وهى تسمح لنا بإعادة تكوين فصول معينة
 فى التاريخ أهملتها الكتابات الملكية وتبين كيف كانت الحكومة المركزية
 تطلع أولا بأول على ما يجرى من أحداث على الحدود وفى الدول المجاورة •

وكان سرجون فى بابل فى سنة من السنوات (سنة ٧١٣ على أكثر
 تقدير) وانا لنرى ابنه سناخريب يرسل له التقارير الواردة من مختلف
 الموظفين عن سير الأمور فى أورارتو ، وتبدأ خطابه بفقرات التحية « الى
 الملك سيدى من سناخريب خادمك • السلام للملك مولاي • السلام سائد
 فى آشور • السلام سائد فى المعابد وسائد فى كل قلاع الملك • ليفرح

قلب الملك مولاي تماشا (١) ثم يلي ذلك تقارير منسوخة دون تغيير في الأسلوب الذي استعمله مرسلوها فهناك تقرير من بلاد « الأوكيين » بأن ملك أورارتو هزم حين توجه الى بلاد السيميريين . ويشير « آشور رتسوا » من ناحيته الى مذبحة ضخمة في جيوش هذا الأمير : فمات النبلاء وأسر القائد العام أما الملك نفسه ففي بلاد « وازاون (بتليس ؟) » . وأرسل والى « هالتسو » من يتحرى الأمر على الحدود : فأنبى بانتصار السيميريين وبأن ثلاثة نبلاء أورارتيين مزقوا أربا مع جيوشهم واستطاع الملك أن يجد طريقة للهرب والعودة لمقاطعته . وحتى لحظة كتابة التقرير لم يكن معسكره قد تعرض للهجوم وأرسلت حاميات قلاع الحدود أنباء مماثلة وذهب ملك « موتساتسير » وأخوه مع ابنه لتحية ملك أورارتو كما أرسل ملك « هوبوشكيا » رسولا له : وينتهى الخطاب بالإشارة الى ارسال لوحة مباشرة الى الملك من « نابولى » رئيس خدم السيدة « اهات ابيشا » . ويظهر أن هذه السيدة هي ابنة لسرجون تزوجت من ملك « تابال » المدعو « امباريدى » الذى اقتيد أسيرا هو وكل أسرته فى عام ٧١٣ ق م .

وهناك مجموعة أخرى من التقارير بنفس الصورة (٢) تشير أولا الى محاولة ملك أورارتو القبض على الولاة الأشوريين المجتمعين فى « كوماى » ويشير المرسل الى خطاب من « آشور رتسوا » يتضح منه أن ملك أرمينيا مع فرق صغيرة من جيوشه قد دخل الى مدينة « واسى » . أما « آشور رتسوا » من ناحيته فيكتب مباشرة بأنه أرسل حرسه الى أرض الأوكيين الذين ثاروا ضد « أرزابيا » .

وقد كشف عن تسعة تقارير من نفس « آشور رتسوا » تتصل بسير الأمور فى أورارتو وهو يخطر فى أحدها بتحريك الجيوش (٣) : « فى يد نيسان خرج ملك أورارتو من « ثوروشيبيا » وذهب الى « اليتسادا » . وشق « كاكادانو » قائده العام طريقه الى مدينة واسى كما تركزت جيوش أورارتو فى اليتسادا » .

وفى تقرير آخر (٤) يؤيد خبر وجود الملك فى واسى ويعلن بأن « ٣٠٠٠ من الأورارتيين المشاه فى طريقهم الى « موتساتسير » تحت قيادة « ستينى » الذى أخذ معه جمالا وانهم عبروا النهر ليلا » . وبأن هناك مجموعة أخرى من الجيش تحت قيادة « شونا » تسير كذلك نحو

LXXXII b, No 197 Cf. xx t. III, p. xv.

(١)

LXXXII b, No 198.

(٢)

LXXXII b. No 492.

(٣)

LXXXII b. 380.

(٤)

« موتساتسير » عبر مقاطعة الأوكين . وليس من شك في أن هاتين الرسالتين لاحقتان للتقرير الثانى لسناخريب الذى يتضمن دخول ملك أورارتو الى « واسى » وللتقرير الأول الذى يتحدث كله عن هزيمة انسيميرين له وعلى ذلك فان الأخير من تاريخ لاحق .

ولم تكن حركات الجيوش هذه التى يشير اليها الموظفون الملكيون مما يروق لملك آشور فكان يستاء ويخشى النتائج فيأمر عمدة القصر أن يطلب الى ملك موتساتسير ألا يسمح للأمراء الذين يزورون مدينته بقصد التعبد أن يصطحبوا جنودهم معهم . وقد ورد الرد ينطوى على وقاحة تدل على أن مرسلها كان يعتقد أن فى امكانه مقاومة الجار القوى :

« لوحة أورزانا الى عمدة القصر (١) سلام عليك . بالاشارة الى ما كتبت لى تقول :

(ملك أورارتو بجيوشه . . . أهو يزورك ؟ أين هو ؟) هاك اجابنى زان والى « واسى » ووالى مقاطعة الأوكين أتوا وقاموا بالعبادة فى المعبد رهم يقولون : « سيأتى الملك ، وهو فى « واسى » . ان الولاة (الآخرين) متأخرون سيأتون » وقد قاموا بعبادتهم فى موتساتسير . أما فيما يتصل بما كتبت لى فيما يختص « دون موافقة الملك ليس لأحدهم أن يأتى للمعبدة مصحوبا بجيوشه فهل حين أتى ملك آشور منعتة ؟ ان ما فعله هو يفعله الآخر فكيف اذن أمنع هذا الآخر ؟ » .

وهناك فترة أخرى يزودنا فيها أدب الرسائل بمعلومات شائقة هي نهاية عهد « شماش شوم أوكين » ملك بابل وهي الفترة التى قامت فيها محاولة تمرد ضد النفوذ الآشورى والصراع مع عيلام .

واننا لنجد « نابو بعل شوماتى » الذى ربما كان ملك أرض البحر يكتب (٢) : « يتضح مما نرى الى أن ملك عيلام خلع وثارث ضده بضع ما ن قائلة : « لا نريد أن نلقى بأنفسنا بين يديك » واننى أنقل ذلك الى مولاي الملك كما علمت به . لقد سكنت فى أرض البحر منذ أيام « ناييد مردوك » . حين قبض « سن بالاتسو اقبى » على ٥٠٠ من قطاع الطرق واللاجئين الذين أتوا عند الجور وناميين وقيدهم بالحديد وسلمهم الى مولاهم ناتانو ملك الأوتيين وهم الذين كان ملك (آشور) قد أعطاه اياهم » .

ولقد أصبح « نابو بعل شوماتى » حفيد « مروداخ بالادان » ملكا على أرض البحر عند موت عمه « ناييد مردوك » . فلما ثار « شماش شوم أوكين » أرسل له ملك آشور جيوشا لمهاجمته من الجنوب ولكن « نابو

LXXXII b. No 409 cf. xx t. III, p. III, XIII (traduction). (١)

LXXXII b. No. 839.

(٢)

بعل شوماتي « الذي كان يريد كذلك أن يستعيد استقلاله حاول أن يضم إليه الجنود الآشوريين وقد نجح في ضمان ولاء عدد منهم . ولما أدرك أن الكارثة لا استطاع تجنبها هرب معهم إلى عيلام . وفي ٦٥٠ ق.م . أحل « آشور بانيبال » محله من يدعى « بعل ابني » ووجه النداء التالي إلى الأهلين : « أمر الملك إلى أهالي أرض البحر صفارا وكبارا . . . أي خدمني ! (١) السلام لكم . لتكون قلوبكم راضية . انظروا كم يمتد تقديري إليكم . قبل خطيئة « نابو بعل شوماتي » أقمت عليكم عاهرات معبد منانو والآن أرسل لكم « بعل ابني » الدوباشو الخاص بي ليتقدمكم . وبقيّة النص مكسور إلى عدة قطع وفيه يطلب الملك اطاعة أوامره والا اضطر إلى إرسال الجيوش هذا ما أن « اندا بيجاش » كان قد استضاف « نابو بعل شوماتي » وأنصاره في عيلام فأرسل آشور بانيبال سفيرا يطلب إليه تسليمهم وكتب يقول « ان لم تسلم لي هؤلاء الرجال فأنني سأنتهي لأحطم مدنك وسأخذ أهل سوسة وماداكنتو ووهايدالو وسأتركك عن عرشك وأضع آخر في مكانك . وكما سحقت فيما مضى تويمان فأنني سأقضي عليك » وفي خلال المفاوضات استطاع قائد سوسي يدعى « أومانا لداش » أن يغتال اندا بيجاش وأن يستولي على العرش . وفي عام ٦٤٥ ق.م . كتب إلى ملك آشور عن « نابو بعل شوماتي » قائلا : « لوحة أومانا لداش ملك عيلام إلى آشور بانيبال ملك آشور (٢) : السلام لأخي لقد أخطأت ضدك منذ البداية شعوب أرض البحر فقد قدم « نابو بعل شوماتي » من هناك وأرسلت إلى تطلب : « أرسل نابو بعل شوماتي » انني ذاهب للقبض على نابو بعل شوماتي وسأرسله لك . ان أهالي أرض البحر الذين أحضرهم إلينا معه من البدء نابو بعل شوماتي . . . هؤلاء الناس أتوا عن طريق مياه . . . انهم دخلوا بالقوة إلى « لاهيرو » وهم هناك انني سأرسل ضدهم في حدودهم خدمني وسأرسل لك بأيديهم أولئك الذين أثموا ضدنا فان كانوا في مقاطعتي فسأرسلهم إليك بأيديهم بواسطة خدمني أما ان كانوا قد عبروا النهر فخذهم بنفسك » . ولما رأى نابو بعل شوماتي انه هالك لا محالة لم يرض بأن يستسلم حيا بل أمر حامل سلاحه أن يقتله وقد سلم جسده إلى ملك آشور الذي أمر أن يقطع رأسه ومنع دفنه .

وبعد أن استقر « بعل ابني » كملك على أرض البحر بعد هرب « نابو بعل شوماتي » كتب تقريرا مطولا عن سير الأمور في عيلام (٣) :

Ibid, No 289.

(١)

XCV, p. 350.

(٢)

LXXXII, b. No 280.

(٣)

فقد أرسل ٥٠٠ جندي الى « تسابدانو » أمروا اياهم أن يحضنوا أنفسهم في هذه المدينة وأن يغيروا على غيلام وأن يذبحوا أهلها وأن يعودوا بأسرى . وتقدمت هذه الجيوش حتى « إيرزيدو » على مسنافة قصيرة من سوسة وذبحوا الحاكم المدعو « أمالادين » وأخوية وثلاثة من أعمامه واثنين من أبناء أبناء اخوته ومائتين من النبلاء وأخذ ١٥٠ أسيرا وسرعان ما تقدم سبكان لاهيرو ، ونوجو الى « موشزيب مردوك » ابن أخ « بعل وابني » وقائد الجيوش في « تسابدينو » وأقسموا بالولاء لملك آشور وعيّنوا رماتهم ووضعواهم تحت تصرف الحاكم . وقد أعلن « بعل ابني » أنه سيرسل كل الغنائم الى الملك وأنهى خطابه بأنباء عن بلاط عيلام : يقال ان « أومانيجاش » قد ثار ضد « أومانا لداش » . وان كلا من الجيشين يعسكر أمام الآخر على ضفتي الهدهد وان « ايقيشا ابلو » الذي أوفد الى القصر يعرف خططهم . فليسأل عنها . ولقد حظى موشزيب مردوك ابن أخ بعل بالرضا الملكي فاستدعى مرتين أو ثلاثا ليجتمع بالملك وقد كتب آشور بانيبال ذات مرة الى عمه قائلا (١) : « رسالة من الملك الى بعل ابني . انني بخير . ليكن قلبك مطمئنا . سيسمح ل « موشزيب مردوك » الذي كتبت لي عنه له بالمشول . في حضرتي في أقرب وقت وسأحدد الطريق الذي تسلكه قدماء » .

وكان « كودور » حاكم أوروك الذي كان الملك قد أرسل له طبيبا ليعالجه أثناء مرض خطير قد سافر لينثل بين يدي الملك ويشكره ولكنه استدعى الى مقر عمله حيث كان قد وصل خطاب من الملك . ورغبة منه في عدم تأجيل التعبير عن عرفانه بالجميل كتب ما يلي : (٢) : « الى ملك الأراضى مولاي . من خادمه كودور . ألا فلتكن أوروك وأيانا ملائمة لملك البلاد مولاي . ان « ايقيشا ابلو » الطبيب الذي أرسله الملك مولاي لمعالجتي قد أعاد الى الحياة . ألا فلترض الآلهة العظام للسماء والأرض عن الملك مولاي وليثبتوا عرش الملك مولاي في وسط السموات الى الأبد . . . لقد كنت ميتا وأعاد الى مولاي الملك الحياة . ان أفضال الملك مولاي على عديدة . انني أريد أن أذهب وأشهد الملك مولاي لقد قلت لنفسي : سأذهب وأرى وجه الملك مولاي ثم أعود وأحيا » . ولكن حامل المفتاح دعاني للعودة الى أوروك حين أرسل الى يقول : « لقد أحضر رسول فوق العادة خطابا مختوما من القصر لك فيجب أن تعود مغنى الى أوروك » لقد أرسل الى هذا الأمر وأعادنى الى أوروك ألا فليعلم ذلك الملك مولاي » .

Ibid, No 398.

(١)

Ibid, No. 274.

(٢)

وهناك خطاب يبين مدى عناية بعض ملوك آشور بالبحث عن النصوص القديمة وخاصة ما يتصل منها بالسحر وذلك بقصد زيادة ثروة مكتباتهم (١) .

ولقد كان للسحر قيمته الملحوظة في البلاط وبين الغامة على السواء . ولم يكن الملك ليقدم على القيام بأى مشروع هتام دون استشارة الآلهة والحصول على قائل ملائم . وكانت أدنى الحوادث تستدعى قيام نبوءات تقوم على أساس المعلومات التى جمعت منذ أقدم عصور الحضارة السوميرية أكادية وهاك مثلا هو خطاب من المدعو « نابوا » المقيم فى آشور - ولدينا منه عدد من التقارير الفلكية (٢) « الى الملك مولاى من خادمه نابوا » . فليكن الملك مولاى موضع عطف نابو ومردوك . فى السابح من كسليمو دخل ثعلب الى المدينة وسقط فى بئر فى الغابة المقدسة بأشور وقد أمسك به وقتل » .

وحين أراد « آشور موكنى باليا » أحد اخوة آشور بانيبال الصغار - وهو رجل معتل الصحة - أن يذهب فى رحلة سأل الملك النصيحة فتلقى هذه الاجابة . « الى الملك مولانا » . من خادميك « بالاسى » و « نابواحى اريبا » السلام للملك مولانا . ليكن الملك مولانا موضع عطف نابو ومردوك . بالنسبة لـ « آشور موكنى باليا » الذى كتب عنه لنا مولانا الملك ليكن موضع رعاية آشور وبعل وسن وشماش وأداد ألا ليره الملك مولانا فى صحة جيدة . ان القائل طيب للرحلة : الثانى مناسب والرابع مناسب جدا » .

ولقد كان « بالاسى » و « نابواحى اريبا » من بين أهم مراسلى الملك فيما يختص بالملاحظات الفلكية . وقد كان « اداد شوم أو تسور » كذلك فلكيا وكان يعطى استشارات فيما يتصل بالمرض والأيام المناسبة والخسوف ولكن لم يهمل مصالح أسرته . وأراد أن ينهى خطابا طويلا مليئا بالمداهنة بالتوصية على واحد من اولاده (٣) « الى الملك مولاى من خادمه اداد شوم أو تسور . ليكن الملك مولاى موضع العطف الشديد من نابو ومردوك لقد رسم ملك الآلهة اسم الملك مولاى لملكة آشور . أما شماش واداد اللذان لا تحيد نظرتهم عن الملك مولاى فقد ثبتاه امبراطورا على كل البلاد . حكم سعيد وأيام وطيدة وسنو عدالة وأمطار غزيرة وفيضانات وفيرة وأسعار مرتفعة . الآلهة يمجّدونه والخوف من المعبود

(١) انظر صفحة ٢٢٦ .

LXXXIII b. No 142.

(٢)

Ibir, No 2

(٣)

يزداد والمعابد مزدهرة والآلهة العظام للسماء والأرض يتהלلون تحت حكم الملك مولاي الشيوخ يرقصون والشباب يغنون والنساء والعذارى تزوجن والأرامل تزوجن مرة ثانية . والمعاشرة الزوجية تتم والنساء يحملن ويلدن ذكورا وإناثا . أولئك الذين أئتموا وينتظرون الموت أعطاهم مولاي الملك حياة جديدة . لقد أطلقت سراح أولئك الذين ظلوا في السجن سنوات عديدة لقد شفيت أولئك الذين ظلوا مرضى أياما طويلة أشبعت الجوع وسمن الضعاف . البساتين ملأى بالفاكهة ولم يبق سوى « أراد جولا » وسواى مجهدى الروح قلقي القلب . لقد أظهر الملك أخيرا حبه لنيونى وشعبها ورؤسائها عندما قال : [« أحضروا أبناءكم الى هنا وليقفوا أمامى »] الا فليقف ابنتى « أرادجولا » معهم أمام الملك مولاي . حقا سنسعد مع الشعب كله ونرقص من الفرح . اننى أنظر بعينى مثبتة على مولاي . ولكن جميع الذين يترددون على القصر بغير استثناء لا يحبوننى . ليس لى صديق من بينهم أستطيع أن أقدم له هدية يتقبلها ويهتم بخصيتى . ليشفق الملك مولاي على خدمه . اننى أتضرع ألا يكون بين هؤلاء الناس واحد ممن يغتابوننى يرى نتيجة تدبيراتهم ضدى .

وهناك بعض الخطابات تشير الى العلاج الطبى ومن العسير أن نتناول بالترجمة أغلبها لأنه رغم تعدد اللوحات الطبية المحفوظة فى المتحف البريطانى فاننا نجهل غالبا المعنى الدقيق للاصطلاحات المستعملة لبيان الأمراض وعلاجها . وهناك « شماش ميتو أوبا لليت » أصغر احوة أشور بانيبال يسأل الملك أن يرسل طبيبا يعالج امرأة من نساء القصر (١) .

« الى مولاي الملك من خادمه شماش ميتو أوبا لليت . السلام للملك مولاي : ليكن الملك مولاي موضع الرضى الكثير من نابو ومردوك ان « بار جميلات » خادمة الملك مريضة جدا ولا تستطيع أن تأكل شيئا ليأمر الملك مولاي بارسال طبيب ليرأها » .

وتبين الكتب الطبية طرائق علاج الأمراض المختلفة التى تنتاب كافة أجزاء الجسم : وهى جذور وزيوت ومساحيق وهى تتضمن غالبا بالاضافة الى ذلك رقى تطرد تأثير الأرواح الشريرة التى هى سبب الأمراض والاضطرابات . ولقد عالج « اراد ناناي » رجلا كان يهيم الملك أسارحدون أمره شخصيا وقد قدم له تقريراً عن حالة المريض الذى يقاسى ألما من جراء مرض فى العينين أو ربما كان مرض الحمرة . ان حالة الرجل المسكين الذى بعينه مرض طيبة . لقد عملت له مكمدات على الوجه كله . وفى الليلة الماضية حللت الرباط الذى يربط المكمدات ثم رفعتها وكان هناك

صديد على المكمدات على شكل بقعة كبيرة بحجم طرف اصبعي الصغيرة .
 ان كان أحد من آلهتك قد تولى الأمر بنفسه فانه وضع الأمور في نصابها
 لأن كل شيء على ما يرام . ليفرح قلب مولاي الملك . انه سيشفى في مدى
 سبعة أو ثمانية أيام . ولقد كان نفس « أراد ناناى » هذا يعالج الأمير
 الصغير « آشور موكين باليا » الذى كان - كما رأينا - معتل الصحة جدا .
 ولقد كتب يوما الى الملك أبيه أنه لا داعي لأن يقلق (١) وفي مرة أخرى
 يعطى نصائح للملك نفسه (٢) وحين شكا الأخير من طبيعة المرض لم
 تشخص أجاب الطبيب (٣) : « لقد قلت لمولاي الملك من قبل (« أن القرحة
 غير قابلة للشفاء ولا أستطيع وصف علاج لهذه الحالة ») . ومع ذلك
 فقد ختمت الآن خطابا أرسله . ألا فليقرأ في خضرة مولاي الملك .
 سأقدم وصفة للملك مولاي : فان وافق الملك مولاي ليدع ساحرا يباشر
 عليه عمله . ليستخدم الملك غسولا وسيختفى الألم حالا . ليستعمل الملك
 غسول الزيت (٩) مرتين أو ثلاث مرات » .

وكان بدء الشهر يتوقف على ظهور الهلال في السماء . وكان فلكيو
 آشور يرقبون السماء منذ التاسع والعشرين ويقدمون تقريرهم فورا ان
 كان الوقت قد جاء للانتقال الى الشهر التالي : وهناك نموذج أصلي
 لتقاريرهم (٤) : « لقد قمنا بالملاحظات فى التاسع والعشرين ولم نشهد
 القمر . ليكن الملك مولاي حائزا لرضى نابو ومردوك . من نابو من
 آشور » .

وتثبت مجموعات الرسائل وتبرز ماهية تأثير بعض النساء فى
 المجتمع الآشورى . فقد كانت « زاكوتو » زوجة « سيناخريب » تلعب
 دورا هاما فى البلاط وفى الدولة . وعند موت ابنها « أسار حدون » وقفت
 فى صف « آشور بانيبال » . وقد اعتبرها « نايد مردوك » ملك أرض
 البحر ومولى آشور وصية على العرش حين كان ابنها يحارب فى الغرب .
 فكان يوجه اليها التقارير « الى أم الملك مولاي من خادمها نايد مردوك :
 السلام لأم الملك مولاي . ليمنح آشور وشماش ومردوك الصحة للملك
 مولاي وليدخلوا السرور فى قلب أم الملك مولاي . جاء رسول من عيلام
 ليخطرني أن « القنطرة قد رفعت من مكانها » وحالما علمت بذلك أرسلت
 الى أم الملك مولاي لتصلح القنطرة وتقوى المتاريس (المسامير) وهناك

Ibid No 109.

(١)

Ibid. No 110.

(٢)

Ibid, No 391.

(٣)

LXXXII b. No 825.

(٤)

خطاب آخر من المدعو « ابليا » يأتيها بأنباء عن ابنها (١) . « الى أم الملك مولاتي من خادمها ابليا » ليكن بعل ونابو راضيين عن أم الملك مولاتي . اننى أتضرع كل يوم الى نابو ، نانساي من أجل حياة وصحة وطول عمر مولاي ملك كل البلاد ولأم الملك مولاتي . لتفرح أم الملك مولاتي ؛ لقد أتت رسالة تحمل أنباء طيبة من بعل ونابو من ملك البلاد مولاي » :

ولقد كتب الملك الى أمه مستعملا المقدمة المعتادة المستخدمة في كل خطاباته (٢) : « رسالة من الملك الى أم الملك . أنا بخير . السلام لأم الملك . فيما يختص بخادمة « أموشى » التى أرسلتها الى فائنى سأعطى الأوامر فورا طبقا لما أخبرتنى به أم الملك ان ما ذكرته حسن جدا . ام مسترجل . حاموناي ؟ »

٣ - المعلوم

استخدم الآشوريون الموازين المقاييس البابلية ولكنهم أدخلوا عليها بعض التعديلات : وكانت وحدة الأحجام لا تزال ال « قا » أو « سيل » ولكن لم تعد مضاعفاتها ال « جور » ذو ٣٠٠ أو ١٨٠ قا بل ال « ابرو » أو حمل الحمار ذو ال ١٠٠ قا (٨٤ر٢ لترا) وكان هذا المقياس يستخدم كذلك مقياس أرض مثل جور بابل منذ الاحتلال الكاسى فكانت قطعة الأرض تقدر طبقا لكمية الحبوب اللازمة لبذر وحدة المساحة .

ولقد استعمل السوميريون القدماء النحاس كنقود قبل استخدام الفضة واستعمله الآشوريون كذلك حتى في فترة السرجونيين ، ولكنهم استخدموا الرصاص قبل ذلك بكثير جدا : وأنا لنرى في الشروط الجزائية الواردة في القوانين الآشورية من الألف الثانية أن الرصاص كان هو المعدن السائد الاستعمال . وكانت الفضة تستعمل كذلك في الصفقات وهى تظهر في شكل سبائك أو حلقات أو صفائح يبين وزنها ونوعها بواسطة بصمات . وقد استعمل الذهب كذلك في عصر السرجونيين وإن كان أكثر ندرة .

وكانت السنة الآشورية تتكون من ١٢ أو ١٣ شهرا قمريا كما هي الحال في بابل . ويظهر أنه لم تكن هناك قواعد علمية تعين النظام الذى تحدد به السنة العادية والسنة الكبيسة . ومنذ أقدم العصور حتى نهاية

Ibid, No 303.

(١)

Ibid, No 324.

(٢)

الامبراطورية كانت تحمل كل سنة اسم شخصية هامة تسمى « لو » وهذه العادة التي شهدناها في الوثائق الكبادوكية للقرن الرابع والعشرين تعاود الظهور في اللوحات التي ترجع للألف الثانية والتي كشف عنها في آشور . وفي عصر السرجونيين كان الملك هو « لو » أول سنة كاملة لحكمه . وكان دوره للتمتع بهذا الامتياز يأتي مرة أخرى بعد ثلاثين سنة . وكان اللقب من بعده من نصيب الوزير الأكبر ثم ال « ترسان » ثم كبار الموظفين الآخرين .

كان للطب الآشوري نفس الأساس والطرائق المتبعة في بابل . ويظهر أن علم الفلك لم يتقدم . وقد فاقوا أهل بابل في أنهم لم يكونوا يدرسون النجوم الا لمعرفة الفال بالنسبة لأحداث الحياة العامة أو الأمور الشخصية . أما من حيث الجغرافيا فإن الآشوريين لم يهتموا الا بتسجيل أسماء المقاطعات والمسافات بين نقطتين والأراضي التي يمر بها المسافر من مكان إلى آخر وذلك بقصد استخدامها في الحملات الحربية وقوافل التجار أو المينياغدة الكتاب المنوط بهم كتابة الحوليات الملكية . وغالبا ما كانت الوثائق الجغرافية نسخا من اللوحات البابلية .

ويظهر أن الآشوريين لم يحاولوا أن يحرزوا تقدما يستحق الذكر في العلوم من أية ناحية أو لم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا . ولكننا ندين لهم بأنهم احتفظوا لنا في محفوظاتهم ومكتباتهم بعدد كبير من النصوص البابلية الأصل ، لا سيما وأن بعضها لا يعرف من مصادر أخرى والبعض الآخر يقدم لنا منوعات أو تعليقات أو إضافات تجعلها عظمة القيمة بالنسبة لنا .

خاتمة

لسنا نعرف من أين قدم الساميون الذين استقروا في سهل الفرات الأدبي ومع ذلك فانه من الأهمية القصوى أن نستطيع أن نحدد ان كان موطنهم السابق هو بلاد العرب - وفقا لنظرية ظلت سائدة فترة طويلة - أو هو اقليم العاموريين في سوريا وفلسطين طبقا لنظرية أحدث (١) وهذه المسألة لها أهمية كبرى بصفة خاصة لتقدير مدى تأثير الحضارة البابلية على مختلف الشعوب التي احتلت آسيا الصغرى والشاطئ السوري للبحر الأبيض المتوسط .

ولئن ثبتت النظرية القائلة بأن الساميين الأول الذين استقروا بين السوميريين كانوا فرعاً انبثق من مجموعة الساميين الغربيين ولئن أمكن بصفة نهائية اثبات الأصل العاموري لأقدم ملوك كيش وأوروك . وإذا لاحظنا أن أساس القصص التي لدينا عن هؤلاء الملوك جوادث تمت في سوريا في عصر سابق لأقدم الوقائع التي لدينا عنها وثائق معاصرة . . . إذا كان الأمر كذلك ، فإن نظرية القائلين بالمجموعة البابلية تنهار تماما . ومن ثم فإن حضارة إسرائيل لا تعتبر كلها انعكاساً لحضارة بابل . واذن فإن التقاليد التي خلدها سفر التكوين لم تكن قد وردت من كلدان بل على العكس يكون الساميون هم الذين أتوا بها إلى السوميريين في المرحلة الأخيرة من هجرتهم نحو الشرق . وإن هؤلاء قد ساروا عليها . وعلى أية حال فنظروا لأن السوميريين قد تقدموا في ثقافتهم في سرعة تفوق سرعة الساميين الذين ظلوا في عامور . فانهم لهذا قد أثروا تأثيراً عميقاً في ذلك الإقليم الذي كانوا مضطرين للحضور إليه لاستغلال الأحجار والأخشاب . فمارسوا التجارة على نطاق واسع .

وانه ليلاحظ أن هذا التأثير لا يزال واضحاً في القرن الخامس عشر في عهد خطابات العمارنة . ولقد زاد الآشوريون من هذا التأثير بواسطة طريقتهم في الغزو وتأسيس مستعمرات في الأقاليم التي يلحقونها بامبراطوريتهم .

وقد خطا النيوبابليون الخطوة الأخيرة في هذا السبيل وبصفة خاصة بالنسبة لليهود الذين صبغواهم بصبغتهم الواضحة خلال سني النفي .

ولقد وافق جنهرة من المستشرقين على الرأي القائل بالتأثير المتبادل بين المذنيتين المصرية والبابالية في عصور ممعنة في القدم . ومع ذلك فهناك اختلاف بين وجهات النظر في تحديد حالات معينة ولكنه يسهل تحديد هذه التأثيرات ان نحن وافقنا على النظرية القائلة بأن الأكاديين من أصل عاموري وأن مواضع الربط بين المجموعتين هي المدن الواقعة على الشاطئ السوري فهناك عند بدء الفترة التاريخية كانت مصر قد أسست مستعمرات تجارية غنية استخدمت كقواعد لاستغلال غابات لبنان في عهد الأسرة الثالثة التي تعاصر لوجال راجيسي في أوروك .

أما في الاقليم الكابادوكي فانه كان في أول الأمر مستعمرة تجار أعطى لمن يعبدون آشور في الألف الثالثة ثم فيما بعد الحيثيون الذين نشروا الثقافة البابلية وقد استخدم كلاهما الكتابة المسمارية وكانا يستوحيان الفن السوميري الأكادي ولكنهما خلقا نماذج أخرى مغايرة نجدها أيضا على ضفاف دجلة ومهدا لنمو وتقدم الفن الأشوري الكلاسيكي .

ولقد أثرت الحضارة الآشورية بصفة خاصة على شعوب الجبال في الوديان العليا لدجلة والفرات - على « موتساتسير » « وأورارتو » مثلا في أيام سرجون . ومن جهة أخرى لقد أبرزت البعثة الموفدة الى فارس مدى النشاط الذي بذلته كل من سومير وأكاد في عيلام : ولقد فرض ملوك أجاده وملوك أور لغتهم كما فرضوا كتابتهم على العيلاميين دون أن يتسببوا على أية حال في اختفاء اللغة الانزانية أو يمنعوا بقاء الكتابة المحلية . ولقد صمد فن عيلام كذلك للتأثيرات الأجنبية الى حد ما : وتبين المجموعة الضخمة للأسطوانات والبصمات التي عثر عليها في سوسة فيما يختص بالنقش على الأحجار مجموعات من الرسوم التي لا نجد لها مثيلا في وادي الفرات . ويمكن تتبع التأثير البابلي مرة أخرى في نقوش « مالاير » حوالى ١٠٠٠ ق م . بل وفيما بعد في الكتابة والفن والعمارة في عصر الفرس الأكمينيين .

ولقد أثرت بابل على العالم اليوناني وخاصة بعد أن اختفت تلك المدينة كقوة سياسية وقد كان هذا التأثير عميقا أحيانا وضعيفا أحيانا أخرى من طريق الشاطئ السوري وآسيا الصغرى في عهود مختلفة . ولقد وصل هذا الأثر الى قبرص قبل عصر حمورابي . وربما الى كريت كذلك . ولكن الاغريق الحقيقيين لم يعرفوا هذا الأثر الا عند اضمحلاله في عهد سيادة الفرس بل خاصة تحت سيادة السلوقيين وعندئذ نشر الكهنة الكلدانيون ورثة التراث القديم لسومير وأكاد وهم الذين لم يحسوا كلالا في نقل اللوحات الخاصة بالطقوس نشروا علومهم في كافة بلاد حوض البحر المتوسط ولعل أشهرهم كان يدعى بيروس .

من هذه التأثيرات على هذه الشعوب المتباينة يبقى شيء لا يزال حيا
حتى اليوم وهناك مثليين واضحين هما : التفويم الاسرائيلي الحالي وهو مشنق
مباشرة من التفويم البابلي وكذا تقسيم الدائرة الى ٣٦٠ درجة وتقسيم اليوم
الى ٢٤ ساعة وهما لا يتفقان مع مبادئ الطريقة المثرية ويمكن ارجاعهما
الى السوميريين .

ومنذ أقل من قرن من الزمان قامت حفائر منظمة أو خلصة
استطاعت أن تكشف عن آلاف الوثائق . ولا زالت هناك مئات من التلال
التي لم يتم كشفها يردمها تراب بلاد ما بين النهرين وتحتوي الاجابة عن
العديد من الأسئلة التي لم تحل بعد .

ولقد استطاعت مصلحة الآثار في مصر والمنظمات المشابهة لها في
سوريا وفلسطين الوصول الى نتائج مرضية جدا في أقاليمها الخاصة بها
وأن تثبت من همم الحفارين الذين يقومون بالحفر خلصة والذين يجعلون
الاشياء التي يستخرجونها من بطن الأرض تفقد الكثير من قيمتها ، وأنه لمن
الواجب أن يتابع الكشف في خرائب ميزوبوتاميا على نفس الطريقة على أن
يراعى في أعمال الكشف الظروف المحلية .

ولقد اقتضت أعمال الحفر في خورسا باد تقريبا على خرائب قصر
سرجون وعلى بوابات المدينة ، أما في المدينة نفسها فلم تعمل سوى
مجسات . ولكن هذه المدينة ترجع فقط الى القرن السابع ومن المحتمل
أنها لا تقدم وثائق ذات قيمة أثرية يمكن مقارنتها بما ينتظر أن يستخرج
من مواقع أخرى . أما القصور في نينوي فمعروفة ولكن المدينة لم يتم
حفرها حتي مستوى الأرض البكر . أما آشور فقد أماطت اللثام عن سر
أصولها البعيدة وعن التأثير السوميري على سكانها في النصف الأول من
الآلف الثالثة . وفي أماكن أخرى من آشور شرع في بعض أعمال الحفر .
أما في منطقة كركوك حيث ظهر تأثير الفن الحيثي حوالي القرن الخامس
عشر أو في اربيل حيث شيد معبد من أشهر المعابد أو في أماكن أخرى
متعددة تبشر بنتائج طيبة فلم تقم بحوث علمية منتظمة .

ولم تستطع البعثة الألمانية في بابل أن تنفذ الى الطبقات العميقة من
موقع بابل وقد عاقها عن العمل وجود المياه التي تصل اليوم في الفصول
العادية الى مستوى أعلى من مستوى المدينة حوالي نهاية الآلف الثانية . وفي
« نمر » لا تزال جامعة بنسلفانيا الأمريكية تباشر عملياتها المهمة المنتجة
التي ستظل سنوات عديدة قبل اتمام الكشف عن هذه العاصمة الدينية
القديمة لسمير . أما العمل الذي قام به Colonel Croc Ernest de Sarzec

في تلبو فهو عملي هام بالنسبة لتاريخ آثار الألف الثالثة ولكن ظل دون اتمام لأن المكتشف الأول مات أثناء العمل وسقط الثاني مستشهدا في ساحة المجد ولا يزال الأمر متروكا لفرنسي يتناول معولهما ويتابع الكشف عن مدينة جوديا ٠٠٠ فكم من مدينة أخرى ندرك أهميتها البالغة لا تزال خرائبها تنتظر من يكشف عنها ! هناك « واركا » مثلا وهي تقع في مكان أوروك القديمة التي كانت مركزا للثقافة العلمية في العصر السلوكي حيث استطاع الحفاريون الذين يحفرون خبسة ن يستخرجوا عددا من اللوحات • لقد كانت هذه مدينة جلجامش ذلك الملك القديم الذي يسبق الفترة التاريخية • ولابد أن الطبقات السفلى للتل تحوى بقايا أسوار التحصين القديمة التي تتناولها القصص المتوارثة • وربما نجد هناك عناصر تكون صفحة جديدة في التاريخ ٠٠٠ لا التاريخ المحلي فحسب - رغم أن في هذا وحده ما يكفى من حيث أهميته - بل كذلك في تاريخ العلاقات بين السوميريين وشعوب شمال سوريا التي خلدت ملحمة هذا البطل ذكرها •

وكم من خرائب لا تظهر أهميتها لأول وهلة قد يسفر كشفها عن نتائج مشيرة ولعل مثل Tapé Moussian في سوسيانا حين تحمل M. J. - E. Gautier شخصا كل نفقات أبحاثه دليل على ذلك • ان متابعة العمل في خرائب سوسه ليس أمرا غير متصل بموضوعنا لانه وجدت فيها عناصر للمقارنة تفيد في إعادة احياء التاريخ البابلي كما وجدت أحيانا بعض الوثائق التي لها صلة بموضوعنا وقد سبق أن كشف « دى مورجان » هناك عن قانون حمورابى ولوحة « نارام سن » وأسلابا أخرى من بابل المهزومة جنبا الى جنب مع وثائق تشير الى احتلال ملوك أور الفعلى لأرض عيلام • وقد كشف هناك عن الجبانة الأركية التي ترجع أهميتها الى مجموعتين للأوانى الملونة التي وجدت فيها • ويكشف فيها اليوم M. de Maequeneme عن جبانة أخرى ترجع أقدم آثارها الى عصر ملوك أور بينما أحدثها ليست أقدم بكثير من الاحتلال الأكيميى •

وهناك أقاليم أخرى قد تنهض دليلا على نمو وتوسع المدينة البابلية أو الآشورية فنحن نعرف مثلا موقع « مارى » تلك المدينة الواقعة على الفرات الأوسط التي بسطت نفوذها على سومير وأكاد حوالى عصر أول ملك فى لجش - أورنين - والتي خرج منها بعد عدة قرون « ايشى ايرا » مؤسس أسرة ايسين • ونحن نعرف كذلك موقع « ترقا » عاصمة دولة « هانا » التي ازدهرت حوالى ٢٠٠٠ ق م ٠٠٠ ان حفائر منظمة فى أطلال هاتين المدينتين لكفيلة بأن تكشف عن نتائج خطيرة •

ولو أن الحكومات اليوم فى الظروف الحالية أقل قدرة على منح

الاعانات المالية الكبيرة اللازمة لمتابعة الحفائر الأثرية وهي العمل - الحقيقي
لتاريخ الشرق فانه من واجب الأفراد أن يتولوا هذا الأمر وأن يشتركوا
فى تلك الجمعيات العظيمة فى كل دولة ممن تعد هذا العمل موضع فخر ..
وذلك بالاتفاق مع المعاهد العلمية أن تزود الحفارين بالوسائل المادية
اللازمة للكشف عن وثائق هذه المدن القديمة التى هى التراث المشترك
للجنس البشرى .

المراجع

BIBLIOGRAPHIE

I. Periodiques

Revue d'Assyriologie et d'Archéologie orientale	i
Recueil de travaux relatifs a la philologie et a l'archéologie égyptiennes	ii
Babyloniaca	iii
Journal asiatique	iv
Syria	v
Revue archéologique	vi
Revue biblique	vii
Revue de l'histoire des religions	viii
Rivista degli studi orientali	ix
Proceedings of the Society of Biblical Archaeology	x
Journal of the Royal Asiatic Society	xi
American Journal of Semitic Languages and Literature	xii
Journal of the American Oriental Society	xiii
Journal of the Society of Oriental Research	xiiii
Zeitschrift für Assyriologie	
Orientalische Literaturzeitung	vx
Mitteilungen der Deutschen Orient-Gesellschaft zu Berlin	xvi
Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft	xvii

II. OUVRAGES COLLECTIFS

Délégation en Perse. Mémoires publiés sous la direction de M. J. de Morgan.	xviii
Mission de Chaldée Inventaire des tablettes de Tello conservées au Musée impérial ottoman	xix
Musée du Louvre. Département des antiquités orientales	xx
Babylonian Inscriptions in the collection of James B. Niss, 1917 et suiv.	xxi
Babylonian Records in the Library of J. Pierpont Morgan, 1912 et suiv.	xxii
Cuneiform Texts from Babylonian tablets. etc., in the British Museum, 1896 et Suiv.	xxiii
Hilprecht Anniversary Volume, 1909	xxiv
The Eothen Series	xxiv
The Babylonian Expedition of the University of Pennsylvania :	
Series A : Cuneiform Texts	xxv
Series D : Researches and treatises	xxvi
University of Pennyslvanie. The Museum. Publications of the Babylonian Section	xxvii.
Yale Oriental Series :	
Babylonian Texts, 1915 et suiv.	xxviii
Researches	xxix
Assyriologische Bibliothek	xxx
Keilinschriftliche Bibliothek, 1889 et suiv.	xxxi
Boghazkoi-Studien	xxxi
Königliche Museen zu Berlin, Mittheilungen aus den Orientalischen Sammlungen, 1889 et suiv.	xxxii
Vorderasiatische Bibliothek	xxxii

Vordorasiatische Schriftdenkmäler der königlichen Museen zu Berlin, 1907 et suiv.	xxxiii
Wissenschaftliche Veröffentlichung der Deutschen Oriental-Gesellschaft.	xxxiv
Der Alte Orient	xxxiv

III. OUVERGES PARTICULIERS

Allotte De La Fuye, Documents Présargoniques, 1908 et suiv.	xxxv
Afred Boissier, Documents assyriens relatifs aux presages, 1894.	xxxvi
P. E. Botta et E. Flandin, Monument de Ninive, 1819	xxxvii
Erienne Combe, Histoire du culte de Sin, 1908	xxxviii
Georges Contenau, Contribution a l'histoire économique d'Umma.	xxxix
— La déesse nue bebylonienne, 1904.	xi
— La civilisation essayro-babylonienne, 1922	xi
Gaston Cros, Léon Heuzey et Fa. Thureau-Dangin, Nouvelles fouilles de Tello, 1910.	xli
Edouard Cuq, Le mariage à Babylone d'après les lois de Hammurabi, 1905.	xlii
Edouard Cuq. Notes d'épigraphie et de papyrologie juridiques, 1908-1909.	xliii
Edouard Cuq, La Propriété foncière en Chaldée, 1906	xliv
Etude sur les contrats de l'époque de la I ^{re} dynastie babylonienne 1910.	xl
Edouard cuq, Les nouveaux fragments du code de Hammurabi sur le prêt à intérêt et les sociétés, 1918.	xlvi
Edouard cuq, Le cautionnement en Chaldée, 1918	xlvi

— Les pierres de bornage babyloniennes du British Museum, 1920.	xlviif
De Clercq et Joachim Menant, Collection de Clerq, Catalogue méthodique et raisonné, 1888.	xlif
Louis Delaporte. Catalogue des cylindres orientaux du Musée Guimet, 1906.	xi
Louis Delaporte. Catalogue des cylindres orientaux de la Bibliothèque nationale, 1910.	xli
Louis Delaporte et Fr. Thureau-Dangin. Catalogue des cylindres orientaux du musée du Louvre, 1920-1922	xlii
Paul Dhorme, Choix de textes religieux assyro-baby- loniens, 1907.	xliif
— La religion assyro-babylonienne, 1910	xliv
Marcel Dieulafoy. L'acropole de Suse, 1893	xlv
J. E. Gautier, Archives d'une famille de Dilbat	xlvi
Léon Heuzzev, Les origines orientales de l'art	xlvii
— Musée du Louvre catalogue des antiquités chaldéennes, 1902	xlviii
Charles Fossey, Manuel d'assyriologie, 1904	xlif
— La magie assyrienne, 1909	i
— Textes assyriens et babyloniens relatifs à la divination, 1905.	li
Henri De Genouillac, Tablettes sumériennes archa- iques, 1909.	lii
— La trouvaille de dréhem, 1911	liif
M. J. Lagrange, Etudes sur les religions semitiques, 2 edit, 1905.	liv
Stephen Langdon. Le poeme sumérien du Paradis, du déluge et de la chute de l'homme.	lv
Léon Legrain, Le temps des rois d'Ur, 1912.	lvi

— Catalogue des cylindres orientaux de la collection Louis cugnin, 1911.	lvii
Francois Martin, Lettres néo-babyloniennes	lviii
— Textes Religieux Assyriens et babyloniens, 1990.	lix
Gaston Maspero-Historie Ancienne des Peuples del' orient classique, 1895.	lx
Gaston Maspero-Histoire Ancienne des Peuples del' orient 8. Edit 1909.	lxi
Jaochim Menant-Les Écritures cuneiformes, 1864.	lxii
— catalogues des cylindres orientaux du cabinet royal des Médailles de La Haye, 1878.	lxxiii
Jules Oppert, Expédition scientifiques en Mésopotamie 1869.	lxiv
Victor Place, Ninive et l'assyrie, 1867.	lxv
G. Perrot et ch. chipiez. Histoire de l'art dans l'antique, t. ii, 1884.	lxvi
L. Pillet, Le Palais de Darius l'à Suse, 1914.	lxvii
J. Plessis, Etudes sur les textes concernant Ishtar-astarté, 1921.	lxvii
Edmond Pottier, Musée du Louvre. Les antiquités assyriennes, 1917.	lxviii
Max Ringelmann, Essei sur l'histoire du génie rural, t. ii, 1907.	lxix
Ernest de Sarzec et Léon Heuzey, découvertes en chaldée, 1884.	lxx
Vincent Scheil, Une saison de fouilles à sippar	lxxi
— La loi de Hammurabi, 1904 (cf. XVIII, t. IV.)	lxxii
— Recueil de lois assyriennes, 1921.	lxxiii

V. Scheil et M. dieulafoy, Esagil ou le temple de Bel-Mardūk à babylone, 1913.	lxxiv
Francois Thureau-dangin, Recueil de Tablettes Chaldeennes	lxxv
— Les Inscriptions de Sumer et d'akkad, 1905	lxxvi
Francois Thureau-dangin, chronologie des dynasties de sumer et d'akkad, 1918.	lxxvii
Francois Thurea-dangin, Rituels eccadiens, 1921	lxxvii
Charles Virolleaud, L'astrologie chaldéenne, 1908 et suiv.	
Edgar James Benks, Bismya or the Lost City of Adab, 1912.	lxxviii
G. A. Barton. Haverford Library Collection of Cunei- from Tablets. 910.	lxxx
E. A Wallis Budge, Assyrian Sculptures in the Biritish Museum Reign of Ashur-Nasir-pal, 1914.	lxxxi
E. A. Wallis budge et L. W. King, Annals of the kings of assyria, 1902.	lxxxii
Harper, assyrian and babylonian Letters	lxxxii
H. V. Hilprecht, Exploration in bible Lands during the 19th century, 1907.	lxxxiii
Mary Inda Hussey, Sumerian Tablets in the Har- vard Semitic Museum, 1912.	lxxxiv
Morris Jashirow, aspects of Religious Belief and Practice in Babylonia and assyria, 1911.	lxxxv
Leonard W. King, a history of Sumer and akkad 1010.	lxxxvi
— A History of Babylon, 1915.	lxxxviii
— Studies in Eastern History, 1904	lxxxviii
— The Letters and Inscriptions of Hummu- rabi, 1898	lxxxix

— Babylonian Boundary Stones and Memorial Tablets in the British Museum, 1912	xc
— Bronze Reliefs from gates of Shalmaneser King of Assyria.	xcı
Leonard W. King' The seven tablets of Creation, 1902.	xcıı
— Babylonian magic and Sorcery, 1896.	xcııı
C. H. W. Johns, Assyrian deeds and document, 1898	xcıv
— Babylonien and Assyrian Laws, Contracts Tablets, 1904.	xcv
Stephen Langdon, Tablets from the Archives of drehem,	xcvi
— Sumerian and Babylonian Psalms, 1909	xcvıı
— Babylonian Liturgies,	xcvııı
Layard, The monuments of Nineveh, 1853.	xcvıııı
Archibald Paterson, Assyrian Sculptures	xcıx
— Assyrian Sculptures, Palace of Sinacherib	xcx
Théophilus G. Pinches' The amherst Tablets, 1908	ci
Thompson, The Devils and Evil Sprits of Babylonia	cıı
William Hayes Ward, Cylinders and other oriental Seals in the Library of J. Pierpont morgan, 1909.	cııı
William hays Ward, The Seal cylinders of Western Asia, 1910.	cıv
E. G. Ulauber, Politisch-religiose Texte aus der Sargonidenzeit, 1913.	cv
J. Kohler et F. R. Peiser, Aus dem babylonischen Rechtsleben 1890.	cvi
J. Kohler to F. E. Peiser Hammurabis Gesetz, 1904	cvıı
— Urkunden aus der Zeit der dritten babylo- nischen dynestie, 1905.	cvııı

A. T. Olmstead history of assyrie, 1923.	cviii
J. Kohler et F. E. Peiser, Babylonische Vertage des Berliner museums, 1920.	cviii
J. Kohler et A. Ungnad, Assyrische Rechtsurkunden.	cix
— hundert ausgewählte Rechtsurkunden. aus der Spätzeit des babylonischen Schrift- tums von Xerxes bis mithridates II (485-93 v. chr.)	cx
Koldewey, das neuerscheinende Babylon, 1913	sxb
F. X. Kugler, die babylonische Mondrechnung 1900.	cxi
— Sternkunde und Sterndienst in Babel, 1907 et suiv.	cxii
Edouard Meyer, Geschichte der altertums	cxiii
J. N. Strassmaier, Babylonische Texte	cxiv
K. L. Tallquist. die assyrische Beschwörungsserie maqlu, 1894.	cxv
M. V. Nikolski, documents économiques de l'ancien- ne époque de chaldée (en russe).	cxvi

اقرأ فى هذه السلسلة

برتراند راسل	اعلام الاعلام وقصص اخرى
ى • رادونسكايا	الالكترونيات والحياة الحديثة
الدىس مكسلى	نقطة مقابل نقطة
ت • و • فريمان	الجغرافيا فى مائة عام
رايموند وليامز	الثقافة والمجتمع
ر • ج • فوريس	تاريخ العلم والتكنولوجيا (٢ ج)
ليسترديل راى	الأرض الغامضة
والثريال	الرواية الانجليزية
لويس فارجاس	المرشد الى فن المسرح
فرانسوا دumas	آلهة مصر
د • قدرى حفى وأخرون	الانسان المصرى على الشاشة
اولج فولكف	القاهرة مدينة الف ليلة وليلة
هاشم النحاس	الهوية القومية فى السينما العربية
ديفيد وليام ماكداول	مجموعات النقود
عزيز الشوان	الموسيقى - تعبير نغمى - ومتعلق
د • محسن جاسم الموسوى	عصر الرواية - مقال فى النوع الأدبى
اشراف س • بى • كوكس	ديلان توماس
جون لويس	الانسان ذلك الكائن الفريد
جول ويست	الرواية الحديثة
د • عبد المعطى شعراوى	المسرح المصرى المعاصر
انور المعداوى	على محمود طه
بيل شول وأدبنيث	القوة النفسية للآهرام
د • صفاء خلوصى	فن الترجمة
رالف ثى ماتلو	تولستوى
فيكتور برومبير	ستندال

افريقيا الطريق الآخر
 السحر والعلم والدين
 الكون ذلك المجهول
 تكنولوجيا فن الزجاج
 حرب المستقبل
 الفلسفة الجوهرية
 الاعلام التطبيقي
 تبسيط المفاهيم الهندسية
 فن المايك والبيانومايم
 تحول السلطة (٢ هـ)
 التفكير المتجدد
 السيناريو فى السينما الفرنسية
 فن الفرجة على الافلام
 خفايا نظام النجوم الأمريكى
 بين تولستوى ودستوفسكى (٢ هـ)
 ما هى الجيولوجيا
 الحمر والبيض والاسود
 انواع الفيلم الأمريكى
 رحلة الأمير رودلف ٣ ج ٠
 رحلات ماركوبولو ٣ ج
 الفيلم التسجيلى
 الرومانتيكية والواقعية
 نظرية التصوير
 تاريخ العلم والحضارة فى الصين
 الحب
 كنوز الفراعنة
 اطلالات على الزمن الآتى
 الرواية اليوم
 مشكلات القرن الحادى والعشرين

بادى اونيمود
 فيليب عطية
 جلال عبد الفتاح
 محمد زينهم
 مارتن فان كريفله
 سوندارى
 فرانسيس ج ٠ برجين
 ج ٠ كارفيل
 توماس ليبهارت
 الفين توفلر
 ادوارد وبونو
 كريستيان سالين
 جوزيف ٠ م ٠ بوجن
 بول وارن
 جورج سستايين
 ويليام ٠ ماثييون
 جارى ب ٠ ناش
 ستالين جين ٠ سولومون
 عبد الرحمن الشيخ
 عبد العزيز جاويده
 محمود سامى عطا الله
 يانكو لافرين
 ليوناردو دافنشى
 جوزيف نيدهام
 ٠ هـ ليوبوسكاليا
 ت ٠ ج ٠ هـ ٠ جيمس
 ٠ هـ السيد نصر الدين
 مالكولم براه برى
 يوسف شرارة

اعداه / موني براح وآخرون
 آدامن فيليب
 نادين جورديس وآخرون
 زيجمونت هبتر
 ستيفن أوزمنت
 جوناثان ريلي سميث
 توني بار
 بول كولنر
 موريس بير براير
 الفريد ج . بتر
 رودريجو فارتيماس
 فانس بكاره
 اختيار / ه . رفيق الصبيان
 بيتر نيكولز
 برتراند راسل
 بيارد دودج
 ريتشارد شاختر
 ناصر خسرو علوي
 نفتالي لويس
 جاك كرابس جونيور
 هربرت شيلر
 اختيار / صبري الفضل
 احمد محمد الشنواني
 اسحق عظيموف
 لوريتو توه
 اعداد / سوريان عبد الملك
 ه . ابرار كريم الله
 اعداه / جابر محمد الجزار
 ه . ج . ولن
 ستيفن رانسيمان
 جوستاف جرونيباروم
 ريتشارد ف . بيرتون

السينما العربية
 دليل تنظيم المتاحف
 سقوط المطر وقصص اخرى
 جماليات فن الاخراج
 التاريخ من شتى جوانبه (٣ هـ)
 الحملة الصليبية الاولى
 التمثيل للسينما والتلفزيون
 العثمانيون في اوربا
 صناعة الخلود
 الكنائس القبطية القديمة في مصر (٢ هـ)
 رحلات فارتيماس
 الهم يصنعون البشر (٢ هـ)
 في انقد السينمائي الفرنسي
 السينما الخيالية
 السلطة والفرد
 الازهر في الف عام
 رواد الفلسفة الحديثة
 سفر ثامة
 مصر الرومانية
 كتابة التاريخ في مصر
 القرن التاسع عشر
 الاتصال والهيمنة الثقافية
 مختارات من الاداب الاسيوية
 كتب غيرت الفكر الانساني (٥ هـ)
 الشموس المتفجرة
 مدخل الى علم اللغة
 حديث النهر
 من هم القطار
 ماستريخت
 معالم تاريخ الانسانية (٤ هـ)
 الحملات الصليبية
 حضارة الاسلام
 رحلة بيرتون (٣ هـ)

أدمز متن	الحضارة الإسلامية
أرنولد جزل	الطقس (٢ ج)
فيكتور موجو	رسائل واحاديث من المنفى
فيرنز هيزنبرج	الجزء والكل (مصاورات في مضمار الفيزياء الذرية)
سعدني هوله	القرات الغامض ماركس والماركسيون
ف . ح أدنيكوف	فن الأدب الروائي عند تولستوى
هادي نعمان الهيتي	ادب الأطفال
ه . نعمة رحيم العزاي	أحمد حسن الزيات
ه . فاضل أحمد الطائي	أعلام العرب في الكيمياء
جلال العشري	فكرة المسرح
هنري باربوس	الجحيم
السيد عليوة	صنع القرار السياسي
جاكوب برونوفسكي	التطور الحضاري للإنسان
ه . روجر ستروجان	هل نستطيع تعميم الأخلاق للأطفال
كاتي ثيسر	تربية الدواجن
ا . سبنسر	الموتى وعالمهم في مصر القديمة
ه . ناعوم بيتروفيتش	التحصيل والطب
جوزيف داموس	سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى
ه . لينوار تشامبرز رايت	سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء مصر ١٨٣٠ - ١٩١٤
ه . جون شنهال	كيف تعيش ٣٦٥ يوماً في السنة
بيير البيير	الصحافة
ه . غبريال وهبة	أثر الكوميديا الإلهية لدانتى في الفن التشكيلي
ه . رمسيس عوض	الأدب الروسي قبل الثورة البلشفية
ه . محمد نعمان جلال	وبعدها
فرانكلين ل . باومر	حركة عدم الانحياز في عالم متغير
شوكت الربيعي	الفكر الأوروبي الحديث (٤ ج)
	الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي ١٨٨٥ - ١٩٨٥

٥٠ محيى الدين أحمد حسين
دوركاس ماكلينتوك

بيتر لورى
بوريس فيدروفيتش سيرجيف
ويليام بينز
ديفيد الدرتون

جميعها : جون ر ٥ بورر
وميلتون جوله ينجر
أرنولد توينبى
٥٠ صالح رضا
٥٠ م ٤٠ كنج وآخرون
جورج جاموف

٥٠ السيه طه أبو سهيرة

جاليليو جاليليه
اريك موريس وآلان هو
سيريل الدريد
آرثر كيسلر

توماس ا ٥ هاريس
مجموعة من الباهئين
روى أرمز

ناجى متشيو
بول هاريسون
ميخائيل ألبى ، جيمس لفلوك
فيكتور مورجان
اعداد محمد كمال اسماعيل
الفردوسى الطوسى

بيرتون بورتز
جاك كرابس جونيور

التنشئة الاسرية والابناء الصغار
مسور افريقية

المصدرات حقائق اجتماعية ونفسية
وقلائف الاعضاء من الالف الى الياء
الهندسة الوراثية
تربية اسماك الزينة
الفلسفة وقضايا العصر (٣ ج)

الفكر التاريخى عند الاغريق
قضايا وسلامح الفن التشكيلى
التغذية فى البلدان النامية
بداية بلا نهاية

الحرف والصناعات فى مصر الاسلامية
حوار حول النظامين الرئيسيين
للسكون

الارهاب

اخصائون

القبيلة الثالثة عشرة

التوافق النفسى

الدليل البيليوجرافى

لغة الصورة

الثورة الاصلاحية فى اليابان

العالم الثالث هذا

الانقراض الكبير

تاريخ النقود

التحليل والتوزيع الاوركستراالى

الشاهنامة (٢ ج)

الحياة الكريمة (٢ ج)

كتابة التاريخ فى مصر

اهواره ميرى	عن النقد السينمائى الأمريكى
اختيار / د. فيليب عطية	تواقيم زرادشت
ج. دادلى اندرو	نظريات الفيلم الكبرى
جوزيف كونراه	مختارات من الادب القصصى
د. جوهان دورشنر	الحياة فى الكون كيف نشأت واين توجد
طائفة من العلماء الأمريکيين	حرب الفضاء
د. السيد عليوة	ادارة الصراعات الدولية
د. مصطفى عنانى	الميكروكمبيوتر
صبرى الفضل	مختارات من الادب اليابانى
فرانكلين ل. باومر	الفكر الاوروبى الحديث ٤ ج
جابريل باير	تاريخ ملكية الاراضى فى مصر الحديثة
انطونى دى كرسبى	اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة
دوايت سوين	كتابة السيناريو السينمائي
زافيلسكى ف. س	الزمن وقياسه
ابراهيم القرضاوى	أجهزة تكييف الهواء
بيتر رداى	الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى
جوزيف داهموس	سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى
س. م. بسورا	التجربة اليونانية
د. عاصم محمد رزق	مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية
رونالد د. سمبسون	العلم والطالب والمدارس
د. أنور عبه الله	الشوارع المصرى والفكر
والث وثمان روسكو	حوار حول التنمية الاقتصادية
فريد س. هيس	تبسيط الكيمياء
جون يوركهارت	الصادات والتقاليد المصرية
آلان كاسسبيار	التذوق السينمائى
سامى عبه المعطى	التخطيط السياحى
فريد هويل	البيذور الكونية
شاندرا ويكراما ماسينج	
حسين حلمى المهندس	دراما الشاشة (٢ ج)

كريستيان دديروش	المراة الفرعونية
ليوناردو دافنشى	نظرية التصوير
هربرت ريسد	التربية عن طريق الفن
وليم بينز	معجم التكنولوجيا الحيوية
روبرت لافو	البرمجة بلغة السي
رولاند جاكسون	الكيمياء فى خدمة الانسان
ايفور ايفانس	مجمال تاريخ الادب المعاصر
ديفيد بوشنيدر	نظرية الادب المعاصر
يوسف شرارة	مشكلات القرن الحادى والعشرين
ت . ج . ه . جيميز	كنوز الفراعنة
د . ممدوح حامد عطية	البرنامج النووى الاسرائيلى
كارل بوبر	بحثا عن عالم افضل
اسحق عظيموف	العلم وآفاق المستقبل
ايفرى شاتزمان	كونتنا المتمدد
نومان كلارك	الاقتصاد السياسى للغلم والتكنولوجيا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/٢٩٣٥

ISBN — 977 — 01 — 5110 — 6

تهدف الهيئة المصرية العامة للكتاب من مشروع الألف كتاب الثانى أن تواصل مسيرة المشروع الأول لتكوين مكتبة متكاملة للقارئ العربى فى شتى جوانب المعرفة عن طريق الترجمة والتأليف فضلاً عن إعادة طبع أهم الأعمال الفكرية والعلمية والأدبية التى أسهمت فى تكوين الثقافة المصرية والعربية فى العصر الحديث والتى بات الاطلاع عليها اليوم متعذراً لشباب هذا الجيل لعدم طباعتها.

وفى هذا الإطار يسعى المشروع إلى إلقاء الضوء على الحضارات العالمية المختلفة ومن بين الكتب التى صدرت فى هذا الميدان:

التجربة اليونانية
حضارة الإسلام

الحضارة الفينيقية
الحيثيون
موجز تاريخ العلم والحضارة فى الصين

(انظر قائمة الإصدارات فى آخر الكتاب)

وهذا الكتاب الذى بين يدى القارئ يقدم صورة متكاملة للحضارتين البابلية والآشورية اللتين إزدهرتا على ضفاف نهري دجلة والفرات قبل خمسة آلاف عام وظلتا على مدار ثلاثة آلاف عام تسهمان فى إثراء التراث الإنسانى بإبداعاتهما فى مجالات الآداب والعلوم والفنون.

مع تحيات الهيئة المصرية العامة للكتاب